جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية وآدابها

التناص في شعر بشار بن برد

Intertextuality in the poetry of Bashar bin – Burd

إعداد

سلمان أحمد محمد أبوغنيم

أشراف

الأستاذ الدكتور عبد القادر أحمد الرباعي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه

في تخصص (الدراسات الأدبية والنقدية) في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان: 5 /11 /2013م

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية وآدابها

التناص في شعر بشار بن برد

إعداد

سلمان أحمد محمد أبوغنيم

أشراف

الأستاذ الدكتور عبد القادر أحمد الرباعي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه

في تخصص (الدراسات الأدبية والنقدية) في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان: 5 /11 /2013م

التناص في شعر بشار بن برد

Intertextuality in the poetry of Bashar bin – Burd

إعداد

سلمان أحمد محمد أبوغنيم

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد القادر أحمد الرباعي

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ 5 /11 /2013

أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور	الجامعة	التوقيع
أ .د عبد القادر الرباعي	العلوم الإسلامية العالمية	
أ .د عبد الحميد المعيني	العلوم الإسلامية العالمية	
د. سمير بدوان قطامي	العلوم الإسلامية العالمية	
أ . د مخيمر صالـــــح	جامعة اليرموك	

The World Islamic Science & Education University (wise)

Faculty of Graduate Studies

Dept ofArabic Language

Intertextuality in the poetry of Bashar bin – Burd

By

Mahmoud Mfleh Abd Al-Kaed

Supervisor

Prof. Dr. Abd Alqader Alraba'ae

"A Dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement

for the Degree ofDoctor in Arabic Language

At The World Islamic Science & Education University"

The World Islamic Science & Education University

Amman: 5 /11 / 2013

نموذج التفويض

أنا **الطالب سلمان أحمد محمد أبوغنيم**، أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ٥/ ١١ / ٢٠١٣م

الإهداء

إلى والديَّ المحبين ...

إلى أهل بيتي الصابرين ...

إلى ابنتي الغالية ...

إلى مشايخي أصحاب الفضل ...

أهديكم هذا العمل ... من خالص قلبي ومحبتي ...

الشكر والتقدير

إنه لمن باب الاعتراف بالجميل، وإنزال الأفاضل منازلهم التي يستحقونها، التوجه بالشكر الجزيل الذي لن يفي كريم تفضل أستاذي الجليل عليَّ حقه، في نصائحه وآرائه التي ذللت طريق دراستي الوعرة، ومهدت الطريق أمامي في الوصول إلى إتمام الدراسة على الوجه الذي أرضى، فقد شملني برعاية قل نظيرها هي ديدن العلماء الأجلاء أعطتني الأمل وضخت العزيمة في نفسي، أستاذي الذي أجل وأحترم العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي.

كما اشكرلجنة المناقشة إذ قبلت مناقشة هذه الرسالة، لإبداء آرائها السديدة عليها، التي آمل أن تعينني في تحقيق غايتي من البحث.

وأشكر كل من قدم منفعة لهذا البحث، خاصا بالذكر:

- الأستاذ عثمان عبد المولى الجبارات.

- الأستاذ يوسف عطية أبوغليون.

- الأستاذ موسى عبد الله أبو سبيتان.

- الأستاذ محمد سليمان الغلبان.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
الملخص باللغة الانجليزية	ح
المقدمة	1
التمهيد	5
الفصل الأول: التناص مع الشعر الجاهلي	32
التناص مع شعراء المعلقات	34
التناص مع شعراء جاهليين آخرين	79
الفصل الثاني: التناص مع شعر صدر الإسلام والشعر الأموي	95
أولا: التناص مع شعر صدر الإسلام	96
ثانيا: التناص مع الشعر الأموي	117
التناص مع شعراء النقائض	118
التناص مع الشعراء الغزلين	131

الموضوع	الصفحة
التناص مع شعراء أمويين متعددي الأغراض	147
الفصل الثالث: التناص الديني والتاريخي والتناص مع المثل	166
أولا التناص الديني	167
التناص مع القران الكريم	168
التناص مع الحديث الشريف	195
ثانيا:التناص التاريخي	212
التناص مع تاريخ الأمم الغابرة	212
التناص التاريخي مع عصر الجاهلية	221
التناص مع التاريخ الإسلامي	226
ثالثا: التناص مع الأمثال	230
الفصل الرابع: دراسة تطبيقية على قصيدة مختارة	240
الخاتمة	319
قائمة المصادر والمراجع	321

الملخص

التناص في شعر بشار بن برد

إعداد

سلمان أحمد محمد أبوغنيم

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد القادر أحمد الرباعي

عمان: 5 /11 /2013م

قامت هذه الدراسة على تطبيق إحدى نظريات النقد الحديث ممثلة بنظرية التناص على ديوان بشار بن برد، فأثبتت قابلية النصوص الأدبية التراثية للتناول النقدي الحديث، وتجلى ذلك في الدراسة التناصية الشاملة التي تم إخضاع ديوان بشار بن برد لها، والتي بينت براعته في استيعاب تراثه الشعري والديني والتاريخي بما يضمن للنصوص التي تقاطع معها الجديد على صعيدي المعنى والصياغة.

وقد أظهرت دراسة التناص الأدبي في مجموعه الشعري أنه يعي للتراث الشعري وعيا يخوله أن يضع بصمته الخاصة على ما يتداخل معه من نصوص رواد الشعر العربي من حيث البنية والمضمون، كما بينت انه متبع لأساليب الشعراء عبر عصور الشعر واعيا لأبرز التطورات التي أفرزتها البيئة في مضامين القصيدة العربية.

وقد بينت دراسة التناص الديني في شعره براعة في تمثل التراث الديني ممثلا بالقران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وحسن توظيف لها.

وجاء التناص التاريخي في شعره ليثبت سعة إطلاعه ووعيه التاريخي عندما كان يستحضر من التاريخ ما يعزز من معانيه هاضما دلالات الأحداث وما يحيط بالشخصيات التاريخية من دلالة.

وبينت الدراسة التناصية الشاملة لقصيدة مختارة من ديوانه الشعري أهمية التناص في توجيه الدلالات والمعاني التي تنظم وفق الوحدة الموضوعية للقصيدة.

Abstract

Intertextuality in the poetry of Bashar bin – Burd

By

Mahmoud Mfleh Abd Al-Kaed

Supervisor

Prof. Dr. Abd Alqader Alraba'ae

Amman: 5 /11 / 2013

This study has applied one of the Modern Criticism Theories that are represented by the Theory of Intertextuality, on the Divan (collection of poems) of Bashar Ibn Burd. It approves the capability of applying Modern Criticism on texts of Literary Heritage; this is obvious as in the Divan (collection of poems) of Bashar Ibn Burd that is subjected to the implementation of the Comprehensive Intertextuality Study. This study shows Ibn Burd's ingenuity in absorbing his poetic, religious, and historic heritage so that includes the texts that are intersected with novel texts at the meaning and drafting levels.

The Literary Intertextuality Study shows in its poetic collection that it acknowledges the poetic heritage in which the Literary Intertextuality Study allows the poetic heritage to make its special mark on what intersects with it of texts of the pioneers in Arabic Poetry whence the structure and content, as well as that it mimics poets' styles through poetic ages with what it holds of acknowledgement of significant developments that have emerged from the environment in Arabic Poetry contents.

The study of the religious intertextuality in his poetry shows ingenuity in representing the religious heritage as Quran and Prophetic Hadith (sayings) and good utilization of them both.

The Historical Intertextuality emerges in his poetry to prove the extent of his historical knowledge and awareness while evokes from history what he can enhance of its meanings; including the connotations of events and what surrounds historical characters of inferred meaning.

A Comprehensive Intertextuality Study of a selected poem from his historical Divan shows the significance of Intertextuality in directing connotations and meanings as are composed in accordance with the poem's Thematic Unity.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

يعد التناص إحدى النظريات النقدية الحديثة، التي تصدت لتحرير النصوص الأدبية من الفهم الأحادي، لتبثَّ فيها التعدديَّة والكثرة من حيث الدلالات والمعاني، فقد أولت هذه النظرية النص الأدبي جل اهتمامها، ناظرةً إليه بصفته نقطة التقاء للعديد من المعاني والأفكار التي قيلت قبله، لتحطيم فكرة أصالة النص، وتوضيح أنه لوحة فسيفسائية لا يعدو دور المؤلف في تكوينها سوى إعادة إنتاج الأصوات المتقاطعة فيها، والمعاني المستدعاة إليها.

وقد أثرت هذه النظرية المكتبة النقدية من خلال إعادة قراءة النصوص الأدبية في ضوء معطياتها وآلياتها في البحث، كما أسهمت في الحد من تأبيد المعنى وتثبيته، فلم يعد النص مقول المؤلف ومقصوده بقدر ما أصبح نصا قابلا لإعادة القرأة بتعدد القراء (النقاد)، وما يضفونه من فضاءات جديدة في عملية القراءة المتطلعة لإنتاج المعنى، من خلال ثقافة القارئ وسعة اطلاعه بما يضمن له إبراز مواطن تداخل النصوص، وآليات توظيفها وفق نظرة فاحصة تتوخى إثراء النص المتناص، بالكشف عن أدق تفاصيل التناص فيه، واستنطاق النصوص الغائبة المتوارية بين طياته، للوقوف على آليات توظيفها وما خضعت له من صيرورة دلالية فيتعزز بذلك تخصيب الفهم منفتحا على الجديد دوماً.

وتنبع أهمية هذه النظرية التي اتخذتها منهجاً لدراسة شاعر مجدّدٍ من شعراء التراث العربي هو بشار بن بُرد – من كونها جزءاً من مشروع نقدي شامل يسعى لإعادة قراءة تراثنا الأدبي في ضوء مناهج النقد الأدبي الحديثة، بالإضافة إلى أنها خير َوسيلةٍ لفض بعض الإشكالات النقدية التقليدية في تراثنا النقدي من مثل قضية السرقات الشعرية، من خلال الخروج من دائرة الحكم الأخلاقي المتّبع فيها، بإعادة قراءة نصوص تراثنا الشعري قراءةً تبتعد عن إطلاق أحكام القيمة، متطلعة لكشف المواطن التي تقاطع فيها الشعراء مع غيرهم،و الثقافة التي تشربوها دينياً و تاريخياً للوقوف على عملية الإبداع عندهم، وتبيين كيفية إفادتهم منها، فيتحول استدعاء النصوص إلى قيمة فنّية تُبرز ثقافة الشاعر، وتوضحقدرتهُ على الإبداع في توجيه المعاني و الدلالات بما يتفق و النص المتناص.

كما أنَّ ما يُبرر هذا العمل أنه يسعى لإبراز أوجه التفاعل النصي عند شاعر يعدُّ من أئمة الحداثة الشعرية العربيّة، و تبيين مواطن الجدّة و الابتكار في تعاطيه معها، على قلّة الدراسات النقدية الحديثة التي جعلت من تجربته الشعريّة موضوعا لها.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي، بحيث خَضعَ سيرُ العمل في إقامة هذا البحث للنظر المعمّق في نظريّة التَناص ووعيها، بالاطلاع على نتاج أبرز روادها، وتتبُع تطورها في النقد الغربي من خلال مؤلفات أبرز النقاد الذين اشتغلوا عليها، والإطلاع على نتاج أبرز النقاد العرب الذين نظَّروالها، وطبقوها على نصوص أدبية معينة نثرية وشعريّة.

كما اقتضى مني منهجُ الدراسة النظرّ المعمّق في ديوان بشار بن بُرد لاستيعاب لغتهِ و أساليبه وأغراضه الشعريّة، والنظرَ الفاحص في كثير من دواوين الشعراء الذين سبقوه منذ العصر الجاهلي مروراً بالإسلامي انتهاءً بالأموي، للوقوف على مواطن التلاقح النصي عندَه، مع أبرز الشعراء الذين تناص معهم.

ثمَّ كانت النظرة الأخرى في ديوانهِ نظرةً تتغيَّا مواطن تلاقحه مع النصوص الدينيّة ممثلةً بالقرآن الكريم،و الحديث النبوي الشريف؛ فتتبعتُ أشعاره جميعها بغية الوقوع على تداخله مع القرآن الكريم بصورة مباشرة باستدعاء نصوص ٍ صريحة منه، أو من خلال الإشارة إلى بعض المعاني القرآنية المهضومة في شعره، كما اتبعتُ المنهج ذاتَه في استقراء نصوصهِ الشعريّة وتتبُّع أثَر الحديث النبوي الشريف فيها، و في توضيح التناص التاريخي حصرتُ أبرز مواطنه في شعره باستخلاص ِأسماءَ الأعلام المعتبرين تاريخيّاً، وبَعض الأحداث التاريخيّةُ المهمّة التي تمَّ توظيفها فيه، بالرجوع إلى موضعها واستيعابه من كتبُ التاريخ وموسوعاتهِ لاستجلاء وجهِ التناص بما يخدم غرضَ بشار الشعري وآلية إعادة إنتاجه ِ وظيفياً.

وفي توضيح تناصه معَ الأمثال العربيّة القديمة قمتُ بحصر معظمها في شعره، واستيعاب السياقات المستدعاة إليه، والنظر فيها حيثُ وردت في مجامع الأمثال من حَيثُ معانيها والمواقف التي تستدعيها.

أما في الدراسة التناصيّة الشاملة التي اتخذت إحدى قصائده موضوعاً لها، فقد قرأتها قراءةً فاحصة، وقسمتها إلى موضوعات مبيناً أنواع التناص فيها، بما يجعل منها أنموذجا للدراسة التناصيّة الشاملة.

وقد قامت هذه الدراسة على مقدّمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، تطرقت في المقدّمة إلى توضيح أهميّة الدراسة وتبيين سير العمل فيها، وتوضيح إطارها الهيكلي من حيث الفصول التي قامت عليها.

أما في الفصل الأول الموسوم بالتناص مع الشعر الجاهلي، فقد تم تناول التناص مع شعراء الشعر الجاهلي، فتمَّ تقسيم تناصات بشار مع شعراء هذا العصر من خلال تبين تناصه مع شعراء المعلقات،و باقي الشعراء الجاهلين الذين تناص معهم، بحيث أبرزت الدراسة الفاحصة أن بشارا مطلع على تراثه الشعري الأصيل، ممتص لأبرز أغراضه وطرقه معيد إنتاجها بما يتماشى مع أغراضه وأساليبه الشعرية، هذا وقد كان تناصه مع شعراء العصر الجاهلي الأكثر في ديوانه،

اما الفصل الثاني فكان التناص مع الشعر الإسلامي والأموي: ففي تناصه مع شعراء صدر الإسلام تم حصر أبرز الشعراء الذين تناص معهم بشار، على قلتهم بحكم قصر المدة وقلة الشعراء فيه.

وفي التناص مع شعراء العصر الأموي، تم توضيح تناصه مع أبرز شعراء هذا العصر خاصة شعراء النقائض، والشعراء الغزلين، وباقي الشعراء متعددي الأغراض الشعرية الذين تناص معهم.

وفي الفصل الثالث الموسوم بالتناص الديني و التاريخي والتناص مع الأمثال، فقد تم فيه توضيح أوجه التناص وأنواعه الديني والتاريخي والمثلي، ففي التناص الديني تم تقسيمه إلى التناص مع القران الكريم ومع الأحاديث النبوية الشريفة، بحيث تم توضيح التلاقح مع آيات القران الكريم وتبين أوجه توظيفها في شعر بشار، بالإضافة إلى توضيح تناصه مع الأحاديث النبوية الشريفة وتجلية أوجهها، وفي التناص التاريخي تم تعريفه وتقسيمه إلى حقب: التناص التاريخي مع الأمم الغابرة، والتناص مع العصر الجاهلي، والتناص مع العصر الأسلامي، تم فيها تناول أبرز الشخصيات والأحداث التاريخية المستدعاة إلى شعر بشار، وتوضيح توظيفه لها.

وفي التناص مع الأمثال تم تبيين أبرز الأمثال التي وظفها في شعره، مع تبيين آليات توجيهها معنويا.

وفي الفصل الرابع الموسوم بـــ دراسة تناصية على قصيدة مختارة، فقد تم اختيار قصيدة طويلة من ديوانه، وتناولها تناصيا بصورة شاملة تستغرق كل أنواع التناص، وتوضيح طرائف

بشار في استثمارها مع التركيز على الوحدة الموضوعية في القصيدة بحيث يظهرها جمالية التناص وفاعليته في بناء القصيدة العام.

أما في الخاتمة فقد تم إثبات أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، مع قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

هذا ولم يكن من السهل الشروع في مثل هكذا عمل نقدي، دون أن يكون الطريق محفوفا بالصعوبات المنهجية والمرجعية، وتلك التي تقتضيها طبيعة الدراسة ذاتها، فقد كانت أبرز الصعوبات تتمثل في تجميع المادة النظرية ووعيها وعيا تاما نظرا لحداثة الموضوع، وعدم اكتماله نظريا، مما اضطرني إلى الإطلاع على كثير مما كتب فيه، واستخلاص أبرز السمات المشتركة بين منظريه في تعريفه وتحديد أنواعه وآليات توظيفه.

كما إن قلة الدراسات النقدية الحديثة المطبقة على تراثنا الأدبي وقفت عائقا إضافيا تطلب مني النظر الحصيف،وإعادة النظر في معظم الدراسات التناصية التي اتخذت من تراثنا الشعري موضوعها، كي تستقر في ذهني آلية أسير عليها في إقامة دراستي من حيث البناء الهيكلي لها، والأسلوب المتبع فيها.

ثم تمثلت العقبة الأكبر في طبيعة الدراسة ذاتها من جهة العبء الهائل الذي يترتب على الباحث فيها، من حيث حجم المادة التي تتطلب النظر المعمق والدقيق فيها، فقد وقفت على مجموعة ضخمة من دواوين الشعراء في العصور الثلاثة موضوع الدراسة أقارن وأصطفي وأستقرئ للوقوف على نماذج تناصية تلاقح فيها بشار مع هؤلاء الشعراء، كما أن التناص الديني ألقى عليَّ عبء النظر الدقيق والفاحص في ديوان بشار بن برد وتتبعه لاستجلاء وجوه تناصه مع القران الكريم بالرجوع إليه وإلى أبرز مدونات التفسير لوعي التناص وتجليته بصوره وافية، بالإضافة إلى أن التناص مع الأحاديث النبوية الشريفة استدعى الرجوع إلى كثير من كتب السير والأحاديث وأسانيدها وفهم سياقها والنظر في شروحاتها في الأمثلة التناصية عند بشار.

التمهيد

يعد النص الركيزة الأساسية في العملية الإبداعية، وهو موضع التفاعل بين المبدع والمتلقي، و محور التلاقح النقدي بمناهجه ومدارسه المختلفة، فلم يستقر تعريفه على تعريف محدد ولم تتخذ آلية ثابتة لتحليله وبيان مكتنزاته.

ولهذا نرى من إفرازات المناهج النقدية الحديثة في دراسة النص انه لميعدمركزا للمعنى والدلالة الثابتة التي قصدها المؤلف؛ بحيث يقتصر دور القارئ على تلقي هذا المعنى أو البحث عنه كي ينحز وظيفة النص الميتافيزيقية الكبرى (الإبلاغ) من حيث إن الدال (الكلمة، الرمز) لا يحتاج سوى مدلول أزلي ومغلق ينتظره هناك في قلب النص بصفته " المعبر عن الأثر، وقد استقر فيه معنى واحد لا ثاني له، معنى (حقيقي) نهائي،إن النص أداة علمية تحدد قسرا قواعد قراءة سرمدية "[1].

تغير مفهوم النص، لكنه تغير استغرق قرونا، فلم تتم زحزحته عنعرشه إلا باشتغال نقدي حصيف؛ عصف بهمرتكزات وأسسا من خلال مدارس أدبية وفلسفية ومناهج استجدت مع بداية القرن العشرينمحاولة التجريب والتشكيك معا في كل المسلماتالتي ورثها العقل الغربي، ومن ضمنها (النص) نظرا لارتباطه التاريخي بالمنظومات المؤسساتية – كما يرى بارت – من قضاء ودين وأدب وتعليم [2]، وهي أبرز المؤسسات التي تم توجيه سياط النقد إليها غربيا، ابتداء من الحقل العلمي مرورا بالفلسفي وانتهاء بالأدبي، وما يعنينا هنا الحقل الأدبي بمدارسه ومناهجه الحديثة التي أسهمت في نزع الطابع القدسي عن النص الذي كان يشده إلى إثبات الدلالة فارضا حظرا على تشتيت المعنى الكامن فيه،والتربص لكل محاولة تستدعيها أسباب عدة (تاريخية، مادية، بشرية) للنيل من اكتمال الدلالةمن قبيلالنقص في مضمونه، أو التلاعب فيه من خلال "إعادة بناء النص وتأويله "[3]؛ فالأهمية تولى للحفاظ على النص من العبث أو التحوير أو كل ما يمكن إن يخل بمعناه ويؤثر في دلالته؛ بصفته مقصود المؤلف ذلك المتملك لمعناه، الممسك بناصية دلالته (النص) الأحادية التي لا دور للقارئ إلا في تلقيها كما أرادها مؤلفها.

---

1 نظرية النص، رولان بارت ترجمة منجي الشملي وآخرون،حوليات الجامعة التونسية، كلية الاداب، جامعة تونس العدد 27، 1988 م، ص71.

2 المصدر نفسه ص 70.

3 المصدر نفسه 71.

ظلت النظرة التي يُنظر بها إلى النص تدور في فلك حصره بين (دال) و (مدلول) " فهو معنى في ألآن نفسه أصلي، أحدي الدلالة،نهائي،تحددهدقة العلامات التي تحويه "[1]،إلى أنتمت دراسته وفق قراءة تحاول عزله عن مبدعيه _ إذ لا يمكن إرجاعه إلى مبدع واحد –، والنظر إليه بصفته كثرة جينالوجية ممتدة في عمق تاريخ الإنسان بما هو كائن برسم القول، " فالنص بناء على طبيعته اللغوية ينطوي على فضاء سيميائي، وعلى حمولات معنوية هائلة، كما أنه يستحضر مخزونا ثقافيا خصبا حين يتعالق مع نصوص أخرى، لهذا فأنه يؤسس للاختلاف، ويقصي أحدية المعنى وسلطوية الفهم النهائي"[2].

إذن فاللغة ليست ذاتية يحتكرها مبدع متنفذ بحمولاتها،ويأتي بما يثبته من خلالها من عندياته، فقد تم النظر إليها نظرة تقصي الطابع الشخصي عنها، فمن أبرز خواصها كما يقول موريس بلانشو: " هي الخاصية اللاشخصية، ووجودها المستقل المطلق الذي تحدث عنه مالارميه، اللغة لا تقترض أي شخص يتكلمها، ولا أي شخص يسمعها: فهي تكلم ذاتها،وتكتب نفسها " [3]، وهو الدور الذي ستضطلع به اللسانيات بفضل دروس دي سوسير في اللغة التي حيدت المؤلف، وأقصته بعيدا عن أن يكون له دور فعلي في اللغة، فكما يرى بارت فقد مكنت اللسانيات "عملية تقويض المؤلف من أداة تحليلية ثمينة، وذلك عندما بينت أن عملية القول واصدار العبارات عملية فارغة في مجموعها، وإنها يمكن أن تؤدي دورها على أكمل وجه دون أن تكون هناك ضرورة لإسنادها إلى أشخاص المتحدثين، فمن الناحية اللسانية ليس المؤلف إلا ذلك الذي يكتب، مثلما أن الأنا ليس إلا ذلك الذي يقول أنا؛ إن اللغة تعرف الفاعل ولا شأن لها بالشخص"[4].

ويحيلنا ذلك إلى البنيوية مباشرة في نظرتها للمعنىالبشريبرمته بنفيها عنه تجربة الخصوصية، والنظر إليه من حيث هو" نتاج أنظمة تدليل مشتركة معينة "[5]، والشأن عندهم للنص ولا شي سواه من خلال قراءتهم المعتمدة في أسها على البعد التزامني العابر للتاريخ غير المقيم له اعتبار، فالنص عندها " بنية لغوية مقفلة، مكتفية بذاتها في إنتاج المعنى لا تحيل إلا

---

1 نظرية النص ص 70 –71

2 مفهوم التناص في الخطاب النقدي المعاصر، عزيز توما مجلة الرافد، العدد 31 الشارقة مارس 2000 م الشارقة ص 20

3 الكتابة بيدين، عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2009 ص 11 وانظر درس السيمولوجيا لبارت ترجمة عبد السلام بن عبد العالي دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،ط3 1993، ص82 –83

4 درس السيمولوجيا، رولان بارت ص84

5 نظرية الأدب، تيري ايجلتون ترجمة ثائر ديب منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1995 م ص187

عليها، طاقة تشتغل دونما حاجة إلى اعتبار سياق النشأة والتقبل[1] "، مما يجرد المؤلف من أي سلطة على نصه ويجعله منتوجا له، طالما أن اللغة حسب البنيوي الانثروبولوجيالكبير كلود ليفني شتراوس" كانت كما هي عليه قبل أن تدركها الذات "[2].

إلا أن البنيوية أزمت نفسها عندما لم تلتفت إلى المعنى والدلالة مطلقا، فما يعني البنيوي في النص الأدبي هو النظر فيالأنساق الداخلية التي تحكمه وتشكله، والكشف عن العلامات التي بين بنى العمل الأدبي وبين النظام أو النسق العام [3].

فالبنيوية بإلغائها للمؤلف من حيث هو مرجعية عمله يمكن أن يقرأ الأخير بناء على نفسية المؤلف وتاريخه، ألغت كذلك القارئ وحيدته من عملية إنتاج الدلالة "؛ فالبناء لا يبحث محتوى الشيء، وخصائص هذا المحتوى، بل يبحث في علاقة الأجزاء أو العناصر بعضها ببعض، بقصد الكشف عن وحدة العمل الكلية؛ وذلك من خلال نموذج يقدمه الباحث أشبه ما يكون بالنموذج الهندسي أو الرياضي، وفي وسع هذا النموذج أن يستوعب الوحدات أو العناصر التي يتكون منها العمل على نحو يبرر علاقة بعضها ببعض سواء أكانت تلك العلاقة ظاهرة أم خفية"[4].

وتبعا لذلك ترى البنيوية إلى النص لا من جهة كونه حاملا لمعنى أنتجهتفاعله بمحيطه (التاريخي، الاجتماعي، الأدبي) وإنما من جهة كونه مجموعة من الأنساق الداخلية، وطبيعة العلاقاتالتي تربطها بعضها ببعض، فهي لا تهتم بالدلالة نفسها،وإنما تركز "على كيفية تحقيق الدلالة، وكيف يحدد النظام الكلي قدرة البنى الصغيرة على الدلالة"[5].

كانت البنيوية بمثابة الفتيل الذي شغل النقد الجديد، وألبه على ذلك الفهم المغلق للنص، وأعاد النظر فيه، وفتح المجال لميلاد مصطلح احدث – ولا يزال – جدلا في الأوساط الأدبية من حيث التعاطي مع النص الأدبي كأفق ممتد في الزمان والمكان، منفتح على تاريخيه تتفاعل فيه مشكلة آفاق الدلالة المؤجلة [6] دائما، والمنتظرة لقراء جدديغنونه ويبحثون فيه عن آثار

---

1 القارئ سلطة أم تسلط د، الطاهر الهمامي، مجلة الموقف الأدبي العدد 330: 1998 ص 23

2 الفكر البري، كلود ليفني شتراوس، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ط. 3، 2007 ص 302

3 انظر التفاعل النصي، التناصية، النظرية والمنهج، نهلة فيصل الأحمد، كتاب الرياض العدد 104 مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض يوليو 2002 ص 53

4 البنيوية من أين والى أين، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول القاهرة مج 1 ع 2 يناير 1981 م، ص169

5 التفاعل النصي، التناصية " النظرية والمنهج " نهلة فيصل الأحمد، ص53

6 انظر: نظرية الأدب، تيري ايجلتون، ص 221

نصوص سابقة عليه، وإشغالها فيه دلاليا " فان كانت البنيوية تنطلق من وجود بنية للنصتجعل من العمل الأدبي عملا أدبيا وسواء أكانت هذه البنية خفية أو تحتية أم تتمثل في نظام النص؛ فان التناص يهدف إلى تحطيم فكرة بنية النص، أو المركز، أو النظام، أو الحدود، وبينما ترى البنيوية أن النص كيان منته في الزمان والمكان، أي تزامني، ومغلق ثابت، وساكت؛ فان النص وفق التناص تعاقبي متحرك مفتوح متغير متجدد"[1].

هذا هو النص الذي سيكون منذ الآن نسيجا متواشجا مع غيره من النصوص، منفتحا عليها وفق ما يحويه من أدلة وكلمات تحوي آثارا،كما يحوي ما سبقته طالما أن " كل دليل " نص " في سلسلة المعنى متخادش بصورة، أو متبادل التأثير مع كل الأدلة الأخرى (النصوص الأخرى)، بحيث يشكل نسيجا معقدا لا يستنفد أبدا"[2].

وللتوسع في فهم آلية تحول النظر إلى النص من بنية مغلقة إلى فضاء مفتوح على السابق واللاحق بما يخدم إثراء الدلالة،وجعلها متطلعة إلى المستقبل، بحيث لا يعطي معنى نهائيا، لا بد من الوقوف عند مصطلح التناص، والنظر في تاريخه، ورواده،ونقاده، كما يعد من اللازب فعله محاولة استكناهه وتحريه مفهوما وإشكالا وأليات اشتغال.

الجذور التاريخية لمصطلح التناص:

كانت هناك إرهاصات لما يمكن مقاربته بشكل أو بآخر مع بعض أطروحات مفهوم التناص، هذه الارهصات يمكن أن نجملها بآراء بعض النقاد والأدباء منذ عشرينيات القرن المنصرم، سيما آراء بعض الشكلانيين من مثل جاكسيون،و تينانوف في مقالتهم الموسومة بـ(مشاكل الدراسات الأدبية واللسانية)؛ إذ يقولا: " فالقوانين الملازمة للتطور الأدبي (أو اللساني)، لا تعطينا إلا معادلة غير محددة، تقبل بتعدد الحلول، رغم محدودية هذه، ولكنها لا تقدم لنا بالضرورة حلا وحيدا،انه ليس من الممكن حل المشكل الملموس لاختيار اتجاه واحد... دون تحليل ترابط المتوالية الأدبية بالمتواليات التاريخية الأخرى"[3]، إذ يشي هذا الكلام بضرورة

---

1 من إشكاليات النقد العربي الجديد، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص 167 – 168

2 انظر: نظرية الأدب، بيري ايجليون، ص 221

3 مشاكل الدراسات الأدبية واللسانية، جاكسيون،و نينتانوف، من كتاب: نظرية المنهج الشكلاني نصوص الشكلانيين الروس، مجموعة مؤلفين، ترجمة إبراهيم الخطيب مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان الشركة الغربية للناشرين المتحدين الرباط، المغرب ط. 1 1982 م ص103 –104

الانفتاح على العالم الخارجي للنص، وضرورة دراسة وتحليل العلامة التي تربط النص الأدبي بغيره من النصوص السابقة عليه.

كما أن هناك شكلانيا آخر المح إلى العلاقة التي تربط النصوص الأدبية بعضها ببعض، بله جعلها شرطا لإدراكها،وهو شكلوفسكي حيث يقول: " إن العمل الفني يدرك في علاقته بالإعمال الأخرى، وبالاستناد إلى الترابطات التي تقيمها فيما بينها، وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في تواز وتقابل مع نموذج معين، بل كل عمل فني يبدع على هذا النحو " [1].

وإذا ما خرجنا من دائرة النقد الشكلاني الروسي نجد الشاعر والناقد الانجليزي " تي، أس، ايليوت " مؤكدا على العلاقات التي تربط النصوص بعضها ببعض؛ حيث أكد على التعالق النصي بين النص الحاضر والنصوص التراثية وأثر ذلك على العلاقة فيما بين الأعمال الأدبية، في مقالته الموسومة بـ(الموروث والموهبة الفردية) بقوله:" إن الكاتب يدخل لا محالة في علاقة مع التقاليد الموروثة،تجعله حين يبدع يترك أثره لا على المستقبل فحسب، وإنما على الماضيأيضا، فيعيد ترتيب العلاقة ما بين الأعمال الأدبية مرة أخرى "[2].

تعد هذه الآراء بمثابة متشابهات نقدية لا أكثر، بحيث لا يمكن عدها جذورا أصلية للمصطلح بقدر ما يمكن النظر إليها على أنها ألماحات ذكية تفتقت عن ذهن نقاد وأدباء أدركوا – ولو لا شعوريا _ ضرورة انفتاح النص الأدبيعلى غيره من النصوص، أو ملاحظة استحالة وجود نص لا يحمل أثارا لنصوص وأقوال سبقته.

ميخائيل باختين:

يُرَى إلى باختين على أنه الأب الشرعي لمصطلح التناص، من حيث اشتغاله على مفهوم الحوارية‌التي يعرفها قائلا: " هي علاقة تقوم بينن‌صوص منطوقة في التبادل الشفوي، تدخل فيها كل وحدتين من الكلامالمنطوق،توضعان جنبا إلى جنب على صعيد المعنى في علاقة حوارية"[3]؛ فالألفاظ عند باختين ليست قاموسية يمكن العثور على معانيها فيها وحسب،وإنما هي مجال للتفاعل الاجتماعي، إذ يحث على الاعتماد على ما يسميه (ما بعد علم اللغة)،الذي يدرس الكلمة" لا من خلال المنظومة اللغوية،ولا معزولة عن التعامل الحواري لـ (النص)، بل في المجال

---

1 قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995 ص145

2 دليل الناقد الأدبي، سعد البازعي، ميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت،ط2 2000م ص132

3 مسالة النص، ميخائيل باختين، ترجمة محمد علي مخلد، الفكر العربي المعاصر ع 36 1985، ص 48

نفسه الخاص بالتعامل الحواري بالضبط، أي في مجال الحياة الحقيقية للكلمة، الكلمة ليست شيئا بل واسطة متحركة أبدا ومتغيرة أبدا... إن حياة الكلمة في انتقالها من فم لآخر، من قرينة كلام لقرينة كلام أخرى من جماعة ذات صيغة اجتماعية معينة إلى جماعة أخرى.. وفي وهذه الحالة فان الكلمة لا تنسى طريقها،ولا تستطيع أن تتحرر تماما من سلطان تلك القرائن الكلامية الملموسة التي تدخل فيها هذه الكلمة "[1].

فالكلمة ليست محددة قبليا بمعنى ثابت لا يمكن تغييره،" بل هي مركز حركة، تتقاطع لديه اتجاهات شتى للمعنى،بل اتجاهات قد تتعارض بل وتتصادع" [2]، فلا وجود لكلمة إلا وقد أقامت حورا مع غيرها من الكلمات، بحيث لا يمكن القبض على كلمة بكر لم تتلاقح مع غيرها في فضاء التواصل البشريباستثناء ادم " الذي كان بإمكانه فعلا تفادي هذا التوجه المتبادل مع كلمة الآخر في الموضوع الواحد حتى النهاية،أما الكلمة الإنسانية التاريخية المشخصة فلم تعط هذا، فهي لا تستطيع أن تنأى بنفسها عنه" [3].

لعل ميخائيل باختين مدرك إدراكا تاما استحالة وجود خطاب لا يتكئ على خطابات،وكلمات أخرى تدخل فيه بحكم الضرورة، كما أنه باشتغاله على عدة مصطلحات ومفاهيم نقدية من مثل " تعددية الأصوات، الحوارية، تداخل الخطاب، الكرنفالية)[4] فتح المجال واسعا لتطور الدراسات النصية، واكتشاف مفهوم التناص، والتنظير له فيما بعد في فرنسا، وإنقد حصر اهتمامه على الرواية موليا إياها أهمية كبرى، بصفتها حسب رأيه مجالا أخصب للعلاقات الحوارية، فإن دوره في تعضيد نظرية التناص لا يخفى حتى إن جوليا كراستيفا دانت لهبالفضل الأكبر لنشوء المصطلح ــ بعدما قرأت كتبه قراءة فاحصة ــ في مقدمة ترجمتها لكتابه عن دوستويفسكي[5].

---

1 شعرية ديستويفسكي،ميخائيل باختين، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار تويقال الدار البيضاء، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط1 1986 ص 295

2 المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني الشركة المصرية العالمية للنشر لو كجمان، مصر ط 3، 2003 ص 177

3 الكلمة في الرواية ميخائيل باختين، ترجمة يوسف حلاف، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق 1988،ط.1 ص33

4 للتوسع في الحديث عن هذه المصطلحات انظر نظرية التناص في النقد العربي القديم، فاطمة البريكي، رسالة دكتوراة الجامعة الأردنية 2003 ص

5 انظر. دراسات في النص والتناصية، ترجمة محمد خير البقاعي مركز الإنماء الحضاري حلب ط.1 1998 ص60 –61

ولعل أبرز آراء باختين التي تقترب اقترابا حاسما من بعض مضامين مصطلح التناص الحديث ما نصه " كل محادثة محملة بنقل كلام الآخرين وتأويله،إننا نجد فيها كل لحظة (استشهادا)، (مرجعا) يحيلنا على ما قاله شخص من الأشخاص، أو على (ما يقال)، أو على (ما يقوله كل واحد) أو يحيلنا على كلام مخاطبنا، أو على كلامنا السابق، أو على صحيفة، أو قرار، أو وثيقة...، ومعظم الأخبار والآراء تنقل عموما في شكل غير مباشر، لا بوصفها صادرة عن الذات بل من خلال استنادها على مصدر عام غير محدد: (سمعت من يقول)، (هناك من يعتبر)،(من يظن)"[1].

فالتناص يرتكز في إحدى مقوماته على الإحالة إلى كلام الآخرين، بالإضافة إلى ارتكازه أيضا في أطواره الأولى على الاستشهادات والاقتباسات،بالإضافة إلى أن باختين يشير إلى خاصية هامة من خواص التناص، والتي تم شرحها وتطويرها لاحقا بعد أن دخل المصطلح المتن النقدي من أوسع أبوابه، ألا وهي أن الخطاب هو فضاء لتقاطع كثرة من النصوص والأقاويل والآراء غير محددة المرجع مما يشي ببعض ما اعتمد عليه المشتغلون على المصطلح في مسالة انتفاء أبوة النص واصله بصفتها رغبة طفولية معنية بأسطورة السلالة والانحدار[2]

رغم الاختلاف المضموني لكل من مصطلحات الحوارية، التعدد الصوتي...الخ، مع مضمون التناص من جهة البعد الوظيفي للأخير؛ فإن باختين مهد الطريق أمام نشوء مصطلح التناص من خلال الإفادة من أرائه فيما يتعلق باستحالة وجود تلفظ مجرد من بعد التناص –كما يرى تودروف–، ويمكننا العثور على أساس التناص في نظرة باختين إلى الأسلوب بصفته كثرة اجتماعية وتعددية لا تحيله (الأسلوب) إلى رجل واحد، وإنما في مستواه الأدنىإلى رجلين[3].

وما وقوف الباحث على آراء باختين ومناقشتها الأ من باب كون الأخير بما جاء به من آراء وما اخترعه من مصطلحات ممهدا حقيقيا لمصطلح التناص الذي أخرجته إلى الوجود جوليا كراستيفا.

---

1 الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة ط1 1987 ص106

2 انظر درس السيمولوجيا، رولان بارت، ص63

3انظر (ميخائيل باختين المبدأ الحواري)، تزتفان تودروف ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط. 2 1996م ص124

مرحلة جوليا كرستيفا:

هناك إجماع نقدي على أن ولادة المصطلح وتحديدهتحديدا أوليا تبلورت على يد الباحثة بلغارية الأصل فرنسية الجنسية جوليا كراستيفا، وذلك من خلال اشتغالها على عدة أبحاث سيمولوجية في مجلتي (تيل كيل) و (كريتيك)، أعيد نشرها في كتابيها (سيموتيك) و (نص الرواية)،وفي مقدمة ترجمتها لكتاب (دستوفيسكي) لباختين [1].

ولأن الحديث عن التناص يستدعي النص ضرورة طالما أن الأخير حسب قول كراستيفا " عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب،وتحويل لنصوص أخرى" [2]؛فالنص وفق تعريفها يغدو تركيبا تحويليا، فلم يعد ذلك البناء المغلق محسوم الدلالة كما كان ينظر إليه البنيويون، وعليه فالنص ليس له أب مرجعي واحد بله هو مجموع إحالات وأصداء انتظمت مشكلة إياه[3]، وبما أنه فضاء لامتصاص هذه الكثرة من المرجعيات فإنه لا يكتفي بهذه الوظيفة التحشيدية، بل يعمل على تحويلها (إعادة إنتاجها)، مما يجعله (إنتاجية)، بناء على تحديدها له " كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطةالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الاخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، أو المتزامنة معه"[4]،فيغدو ميدانا لتصارع النصوص وتلاقحها، وربما تعارضها، مما يعطيه ذلك البعد الإنتاجي مما يعني:

- إن العلاقة بين النص واللغة التي يتموقع فيها هي علاقة إعادة توزيع من خلال الهدم وإعادة البناء، فيصبح قابلا للتناول عبر المقولات المنطقية، و الرياضية عوضا عنالمقولات اللسانية الخالصة.
- إن النص ترحال للنصوص الأخرى وتداخل نصي،ففي فضاء النص تتقاطعوتتنافى أقوال وملفوظات عديدة مأخوذة من نصوص أخرى [5].

---

1 انظر: التناصية، مارك انجيلو، ضمن كتاب النص والتناصية، مجموعة مؤلفين ترجمة محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري حلب ن ط1، 1998 م ص60

2 الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية للكتاب، ط4 1998 ص326 وانظر التناص نظريا وتطبيقيا احمد الزعبي مؤسسة عمون للنشر، عمان، الأردن شباط ن 2000 ص 9

3انظر درس السيمولوجيا،رولان بارت ص 63

4 علم النص، جوليا كراستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار تويقال، الدر البيضاء ط2 1997 ص 27-

5 انظر علم النص ص21، بلاغة الخطاب وعلم النص د. صلاح فضل سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت عدد 164 أغسطس 1992 ص 211

– ووفق هذا التصور يتم تجاوز الرؤية البنيوية في النظر الى النص بما يجعله منفتحا على عناصر لغوية وغير لغوية " أشارية ورمزية "[1]؛فالنص توالدي بمعنى انه ليس منتجا بقدر ما هو آلية إنتاج، منفتحة على الماضي والحاضر والمستقبل وفق رؤية تنظر إلى النص " كملفوظ لغوي واجتماعي في آن "[2].

ووسعت جوليا كراستيفا ميدان اشتغال التناص فلم تقصره – كما فعل باختين – على الرواية؛ وإنما طبقته على النصوص الشعرية حيث رأت بأن هذه الظاهرة ليست غريبة عن الشعر على طول التاريخ الأدبي، بله نراها في النصوص الشعرية الحداثية قانونا جوهريا بما أن الأخيرة " نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص،وفي نفس الآن عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا ويمكن التعبير عن ذلكبأنها ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي " [3].

لقد استخدمت مصطلح التصحيفية الذي تم استخدامه من طرف سوسير من أجل توضيح آلية التناص في النص الشعري بصفته خاصية جوهرية لاشتغال اللغة الشعرية.

وتعني التصحيفية عندها" امتصاص نصوص (معاني) متعددة داخل الرسالة الشعرية التي تقدم نفسها من جهة أخرى باعتبارها موجهة من طرف معنى معين "[4].

وميزت بين ثلاثة أنواع من التصحيفات (التناصات)، وهي:

1–النفي الكلي: وفيه يكون المقطع الدخيل منفيا كلية، ومعنى النص المرجعي مقلوبا.

2–النفي المتوازي: وفيه يظل المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه.

3– النفي الجزئي: بحيث يكون جزء واحد فقط من النص المرجعي منفيا.

أقتصر جهد كريستيفا على محاولة توضيح المصطلح، و إيجاد طريق له نحو النص بحيث يصبح ممارسة نقدية ترى من خلالها النصوص، و يظهر ذلك من خلال الأمثلة التي طبقت عليها أنواع التصحيفات لديها.

1انظر التناص في الخطاب النقدي والبلاغي د. عبد القادر بقشى، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007 ص19

2 الكتابة والتناص في الرواية العربية، الحبيب الدائم ربي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط. ط، 1، 2004م ص57

3 علم النص ص79

4 المصدر نفسه 78

التناص بعد جوليا كريستيفا:

ذاع المصطلح و هاجر إلى كل مكان، و اشتغل عليه كثيرون، حاولوا التوسع في دلالته، و صقله بحيث يستجيب لأفق منهجي عند الباحثين [1]، و سيشهد المصطلح تطوراً كبيراً من حيث استيعاب النقاد له و لفكرته [2]، وصولاً إلى التنظير له، و تطبيقه على ميادين أدبية واسعة.

جهد رولان بارت:

يعد رولان بارت من أبرز النقاد الذين تبنوا المصطلح، و حاولوا التوسع في شرحه، والتنظير له، والذي أعلن في العام 1968 م عن موت المؤلف في مقال يحمل نفس العنوان.

يريد بارت أن يقتل المؤلف ليحيي النص طالما" أن نسبة النص إلى مؤلف معناها إيقاف النص، وحصره، وإعطاؤه مدلولاً نهائياً،إنها إغلاق الكتابة" [3]، فلكي تظل الكتابة مفتوحة متعددة المعاني داخل النص لابد من إزاحته نهائياً و تغييبه عن فضاء النص؛فبوجوده يتنامى الزعم بالتنقيب عن "أسرار النص"،و التعمق فيه للقبض على مكنونه الوحيد، و يقترح إستراتيجية تحيد البحث في عمق النص عن أسراره الرهينة بالنظر إليه من خلال نسبتهإلى مؤلفه من خلال قراءة مسحية لا اختراقية[4]؛ لأننا عندما نعزل النص عن مؤلفه نفسح المجال لـ " تولد المعاني و لكن قصد تبخيرها: إنها لا تفتأ تحرر المعنى "[5]، فكلما كانت الكتابة – النص – فضاءً تعددياً لتلاقي وتعارض كثرة من الكتابات انتفت الحاجة إلى القراءة الاختراقية الباحثة عن أسرار النص.

وبارت ينظر إلى النص مفهومياً كما ينظر إليه قاموسياً فكلمة Text في أصلها اللاتيني تعني نسيج، فيعرف النص بقوله "نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة" [6]، وبهذا يضرب أسطورة الأصول (المراجع) في الصميم، ويستثنيها من دائرة فهمه للنص من حيث هو نسيج من الأقوال و الكتابات " من غير أن يكون فيها ما هو أكثر من غيره أصالة"[7]، و يؤكد بارت على هذه النقطة مراراً و تكراراًفي كتاباته اللاحقة حيث يقول في موضع آخر: "إن البحث

---

1 دراسات في النص والتناصية 65
2 نظرية التناص في النقد العربي القديم، فاطمة البريكي، رسالة دكتوراة الجامعة الأردنية 2003 ص 42
3 درس السيمولوجيا ص 86
4 انظر درس السيمولوجيا ص 86
5 المصدر نفسه 86
6 المصدر نفسه ص 85
7 درس السيمولوجيا 85

عن (أصول) الأثر والمؤثرات التي خضع لها – النص – رضوخ لأسطورة السلالة والانحدار، أما الاقتباسات التي يتكون منها النص فهي مجهولة الاسم ولا يمكن ردها إلى أصولها... إنها اقتباسات لا تقدم نفسها كذلك، ولا توضع بين أقواس "[1].

فهو يؤكد على تعدد النص، لا ينظر إليه من جهة أصوله المكونة له، و إنما وفق ما يتركه من أثر يفتح ويحرر تعدد المعاني من النظرة الأحادية التي تحصره فيها الرؤية إليه منسوباً إلى مؤلف.

ويفرق بعد ذلك بين نوعين من النصوص تتحدد على إثرهما نوعية القراءة،" النوع الأول هو ما يسميه بارت " نصوص القراءة، في مقابل نصوص الكتابة، نص القراءة، هو نص مغلق لا يسمح للقارئ إلا أن يكون مستهلكاً لمعنىً ثابت. أما النوع الثاني، فهو يحول القارئ إلى منتج للمعنى "[2].

وفي تفصيله للنصوص الكتابية يولي القارئ عناية خاصة من حيث هو من يعيد كتابة هذه النصوص؛ فلم تعد وظيفته تقتصر على القراءة و التلقي، وإنما أصبح يفسر ويكتب[3]، وعندما يدعو بارت إلى ضرورة القراءة الفاعلة للنص بإيلاء القارئ الأهمية الأكبر في عملية إنتاج المعنى، فإنه ينتقل بمصطلح التناص من ذاكرة النص وبنيته إلى ذاكرة؛ " وعليه فإن القارئ يجب أن يربط النص بالنصوص السابقة عليه أو المعاصرة له ويحاول إنتاج معنى جديد للنص طالما أن هذه الأنا القارئة هي ذاتها كثيرة من نصوص أخرى "[4]، مما يجعل من مفهوم الذاتية في فهم النصوص مجرد خرافة أو كليشيه على حد تعبير بارت نفسه [5].

فالتناص عند رولان بارت مستمد من تحديد جوليا كريستيفا له واشتغالها على بعض المصطلحات والمفاهيم النصية التي أفاد منها رولان بارت باعترافه [6]، و يتجلى أثرها من خلال اعتماده وشرحه لعدتها المفهومية كما يمكن القول إنه جعل التناص مصطلحاً نقدياً ذائع الصيت لاشتغال ناقد بحجم رولان بارت عليه.

---

1 المصدر نفسه 63
2 تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ص20
3 انظر:الخطيئة والتكفير ص 75
4 دليل القارئ إلى النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن دار الفكر للدراسات، القاهرة ترجمة جابر عصفور، 1990 م ص 132
5 انظر:درس السيمولوجيا ص110
6 انظر نظرية النص ص75 –76

شاع مصطلح التناص بعد ذلك في الدراسات النقدية،و تناوله عدد لا بأس به من النقاد الذين حاولوا الخروج به من دائرة التنظير الصرف إلى الميدان التطبيقي، مفصلين ما اعتقدوا أنه يسهم في توسيع نطاق المصطلح و تطويعه بحيث يصبح أداة تطبيقية يقرأ النص من خلالها،و لعل أبرز المشتغلون على مصطلح التناص لوران جني، و ميشال أريفي، و ميكائيل ريفايتر، و جيرار جنيت، تناول كل منهم المصطلح موسعاً آفاقه بما يخدم الاشتغال عليه نقدياً، مطبقاً إياه كل حسب تقسيمه له على بعض الأعمال الأدبية توضيحاً لرؤيته للمصطلح و إدماجاً له في خضم الدراسات النقدية، مما أسهم في ذيوع انتشاره والاهتمام به نقدياً حيث إن كلمة تناصية – وانطلاقاً من كتب كريستيفا في عام 1966 – 1977 – قد هاجرت إلى كل مكان تقريباً [1]، و تبناها نقاد و فلاسفة من مختلف المدارس النقدية و الفلسفية.

إسهام لوران جيني:

تم تخصيص العدد السابع و العشرين عام 1976 من مجلة " الشعرية "للتناص، تحت إشراف لوران جيني الذي قدم في هذا العدد دراسته التي يتحدث فيها عن مفهومه للتناص الموسومةبـ " إستراتجية الشكل "[2].

و يقدم لوران جيني تعريفاً للتناص يراه فيه " عملا يقوم به نص مركزي لتحويل عدة نصوص و تمثلها، و يحتفظ بريادة المعنى " [3] بحيث يحتفظ جيني بكاتب النص بصفته هاضم هذه النصوص، و القائم بعمليات امتصاصها و تحويلها أبوته لنصه المركزي الذي كان ميداناً للعملية التناصية أو ما سماه – المتناص [4]– أبوةبالمعنى الإبداعي لا أكثر.

ويقترح جيني ثلاثة أنماط لعلاقات التناصية التي يدخل فيها العمل الأدبي هي:

1- علاقة التحقيق: " فإزاء البنى الأصلية، أي البنيات المتوارية التي تشكل ما يشبه نقاط انطلاق للأعمال الفردية و تنطوي على الموروث الجمعي المتقاسم في الحضارة والإبداع، يدخل الأثر الأدبي في علاقة تحقيق، أو إنجاز (تحقيق مضمون كان يشكل

---

1 دراسات في النص والتناصية ص65

2 نظرية النتاص، ب. م دويازي، ترجمة المختار حسني، مجلة فكر ونقد، النسخة الالكترونية: http: www. fikranakd. aljabriabeb.com

3 دراسات في النص والتناصية ص69

4 المتناص: النص العامل بهذه الاوالية والناتج عنها انظر ادونيس منتحلا كاظم جهاد، مكتبة مدبولي، القاهرة ط.2 1993 ص 34

وتلك البنيات وعداً)"، [1] بمعنى أن النص بما هو قائم على التحقيق الكتابي و التحقيق القرائي لابد و أن يحتوي على التناص في حده الأدنى طالما أن النص يشتمل من حيث هو عمل المؤلف و منتوج القارئ على كلام الآخرين "،بالإضافة إلى أجناسيته من جهة أنه (النص) ينتج " تحاكياً قرآنياً بينه و بين نصوص تنتمي إلى الشجرة الأجناسية نفسها " [2].

2- علاقة تحويل: " تحويل معنى قائم أو شكل متوفر و الذهاب بهما أبعد "[3]،و هو نفس المعنى الذي ذهبت إليه جوليا كريستيفا في وجه من الأوجه، كما أنه يفتقر للعنصر الإبداعي الذي يمكن أن يثري البعد التناصي نقدياً، " إذ كل نص مأخوذ من نص آخر سيخضع لا محالة إلى عملية تحويل،و إلا كان نسخاً حرفياً و انتحالاً " [4].

ويحصر الحبيب الدايم ربي مظاهر التحويل في العملية التناصية في ثلاثة مظاهر:

- تحويل اللغوي إلى اللغوي.
- تحويل غير اللغوي إلى اللغوي.
- تحويل غير اللغوي إلى غير اللغوي [5].

3- علاقة خرق: حيث يتجلى عنصر التمرد الذي يمارسه الكاتب من خلال التعرض لنصوص مركزية مؤسسة،محاطة غالباً بقدسية تحولدون المساس بها و الاقتصار على تلقيها وفق رؤية مؤسسية أحادية ثابتة، فيعمل على قلبها[6]أو الدخول في تضاد معها أو الكشف عن خوائها.

ينضوي اهتمام لوران جيني بالتناص تحت ما يمكن تسميته بالبعد النقدي للمصطلح، فالأهمية معقودة على استكناه أبعاد التناص، و الخروج به من دائرة البحث في المصادر المؤسسة للنص وعلاقات التأثر و التأثير الكلاسيكية، فيجب علينا إزاء التناص حسب جيني " أن نموقع من جديد على مسرح الشكل ظاهرة أسيء فهمها في النقد التقليدي للمصادر "[7]، فهو يريد أن يتم الخوض في المفهوم من خلال أشكلته طالما هو – التناص – ليس " مجرد إضافة ملتبسة

---

1 ادونيس منتحلا، ص38
2 الكتابة والتناص في الرواية العربية، الحبيب الدايم ربي ص68
3 ادونيس منتحلا ص38
4 الليث والخراف المهضومة ضمن كتاب: قراءات في الأدب والنقد، شجاع مسلم العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999، ص 59
5 انظر الكتابة والتناص في الرواية العربية ص69
6 انظر ادونيس منتحلا ص 38-39
7 المرجع نفسه ص39

و غامضة من التأثيرات " [1]و إنماظاهرة نقديةتستدعى من الناقد " تحديد درجة الافصاح عن التناص في هذا العمل أو ذاك خارج الحالة – الحد المتمثلة في الاقتباس، أو الاستشهاد الحرفي "[2]، بتناول التناص من حيث هويته كما يوضح لوران جيني بقوله: " انطلاقاً من أي لحظة يمكن الحديث عن وجود نص داخل نص آخر وفق مصطلح التناص "[3].

ميكائيل ريفاتير:

يمكن النظر إلى ريفاتير على أنه ناقد من أبرز النقاد المهتمين بمصطلح التناص و التنظير له، فهاهو مارك أنجينو يقدم شهادته في عمل ريفايتر النقدي مشتغلاً على التناص إذ يقول " أعتقد أن ريفاتير في مجال التفكير الذي اختاره قد توصل إلى إعطاء التناص الذي يختلف تماماً عن النقد الفيلولوجي القديم لليناييع، أعطاه قيمة عملياته "[4]

ويتجلى هذا الاهتمام النقدي بمصطلح التناص لدى ريفاتير من خلال مجموعة من الأعمال النقدية التي ألفها من مثل: إنتاجية النص عام 1979، و التعالق النصي في مجلة الشعرية عام 1979 م وأثر التناص في مجلة فكر، عام 1979 م، و كتابة سيميائية الشعرعام 1982 م [5].

وقد ترأس ميكائيل ريفايتر الندوة العالمية عن " التناص "، و التي أقيمت في جامعة كولومبيا في نيويورك عام 1979 م[6].

يميز ريفايتر بين مصطلحين اثنين هما: تقاطع النصوص أو المتناص حسب بعض الترجمات العربية، و بين التناص، نظراً للخلط الذي رافق تطور مصطلح التناص بحيث نظر إليه على أنه بحث في مصادر النص الأصلية و إرجاعه إليها دون النظر في الأثار المترتبة على التفاعل الحاصل بين هذه النصوص المتقاطعة – المتناصة – في فضاء النص الجديد،" سواء على مستوى دلالة النص الحاضن أم على مستوى دلالة النصوص المحضونه "[7].

---

1 مفهوم التناص بين الأصل والامتداد، بشير قمري، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60 – 61 نقلا عن لوران جني، إستراتيجية الشكل، مجلة الشعرية، العدد 27، 1976، بالفرنسية ص71

2 ادونيس منتحلا ص 39

3 مفهوم التناص، بشير قمري ص93

4 دراسات في النص والتناصية ص71

5 انظر: نظرية التناص، م. ب دويبازي النسخة الالكترونية

6 انظر انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدر البيضاء ط1 1989 ص 94وانظر دراسات في النص والتناصية ص72

7 التناص وإنتاجية المعنى، حميد الحمداني. مجلة علامات في النقد الأدبي.مج 10،ج39 النادي الأدبي الثقافي جدة ذو القعدة 1421 ص71

فتقاطع النصوص،أو المتناص عنده يعني " مجموع النصوص التي يمكن تقريبها من النص الموجود تحت أعيننا،أو مجموع النصوص التي نجدها في ذاكرتنا عند قراءة مقطع معين"[1]، أما التناص أو تداخل النصوص فيعرفه بأنه " ظاهرة توجه قراءة النص و تهيمن عليه عند الاقتضاء على تأويله... إنه نقيض القراءة الخطية، كما أنه طريقة في إدراك النص تتحكم في إنتاج القدرة على التدليل[2].

ولعل ميكائيل ريفايتر من أشد المتحمسين لفكرة التناص، حيث طابق بينها و بين الأدبية من خلال قوله: "إن التناص هو ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل أدبي و أعمال أخرى سابقة أو لاحقة "[3]، مما دفع جيرارجنيت إلى انتقاده إذ يقول: " أنه يعرف التناص نظرياً بطريقة فضفاضة"[4].

لا يمكن إغفال دور ميكائيل ريفاتير في إثراء المصطلح (التناص)، و إخراجه من حيز دراسة المصادر والأصول النصية، وفق رؤية نقدية مسلحة بوعي تطبيقي مآنٍ للتنظير ومساوق له، فها هو يُتْبع نقده النظري بدراسات تطبيقية لمصطلح التناص على مجموعة من الشعراء من مثل: (بودلير، وبرتون، وديسنوس، ودي بيلاي، وبول إيلوار، وجويتيي، وكراك، وفيكتور هوجو، وليريس، ومالارميه، وبونج)[5].

إلا أن هذه الدراسات جاءت في مجملها خدمة لأسلوبية أدبية ضيقت من نطاق ومجال تطبيقها – نظرية التناص – نسبياً [6].

مشروع جيرار جينيت:

يعد جيرار جينيت أبرز من تصدى للتناص نقدياً، و توسع بله تعمق في بحثه حتى أقام عليه مشروعه النقدي الذي يرى إلى الشعرية – بصفته أحد أقطاب الشعريات المعاصرة و أحد

---

1 نقلا عن انفتاح النص الروائي ص95
2 نقلا عن التناص وإنتاجية المعنى ص72
3 نظرية التناص، م.. ب دوبياري النسخة الالكترونية
4 من التناص إلى الاطراس، جيرار جنيت، ترجمة المختار حسني، مجلة علامات مج 7 ج. 25، جمادى الأولى 1418 هـ سبتمر 1997 م ص 180
5 انظر نظرية التناص، دوبيازي النسخة الالكترونية
6 انظر: مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، مارك انجنو ضمن كتاب: أصول الخطاب النقدي الجديد مجموعة مؤلفين، ترجمة وتقديم احمد المديني، دار الشؤون الثقافية العاملة، بغداد، العراق ط1 1987 ص110 وانظر من التناص إلى الاطراس ص 181

أكبر المنظرين للخطاب الشعري[1]– يرى إليها (الشعرية) أن موضوعها هو التعالي النصي، من حيث هو: كل ما يجعل نصا في علاقة خفية أم جلية مع غيره من النصوص[2]. مغيراً هذا الرأي الذي تبناه في كتابه(مدخل لجامع النص) و الذي كان يعد فيه موضوع الشعرية هو جامع النصأي مجموعة من المقولات العامة الباحثة في / عن أنماط الخطاب و الصيغ القولية و الأجناس الأدبية "[3]فعدل هذا الرأي في كتابة (أطراس)، ليصبح جامع النص مشمولاً في تعريفه الأعم للتعالي النصي، أو المتعاليات النصية التي قسمها إلى خمس متعاليات نصية رتبها " وفق نظام تصاعديبتبع التجرد و التضمين، و الإجمال "[4] هي على التوالي:

1– التناص: و هو التناص بالمعنى الكريستيفي، و في كتابه (اطراس)، يوسع من دائرة التناص بعدما اختزلها في كتابه (مدخل لجامع النص) في الاستشهاد حين قال: " و أقصد بالتداخل النصي: التواجد اللغوي (سواء أكان نسبياً أو كاملاً أو ناقصاً)، لنص في نص آخر، ويعتبر الاستشهاد أي الإيراد الواضح لنص مقدم و محدد في آن واحد بين هلالين مزدوجين أوضح مثال على هذا النوع من الوظائف " [5]، ففي هذا التعريف للتناص يقدم لنا المصطلح في صورته الأكثر بدائية، مغفلاً أو متناسياً أبعاده الوظيفية كما حددته جوليا كريستيفا، لاسيما البعد التحويلي الذي ينبني عليه التناص ليصير النص إنتاجية بذلك، و يعمد إلى حصره في بعده الوظيفي في الاستشهاد الكلاسيكي بين مزدوجتين، إلا أنه يستدرك هذا النقص الواضح في تعريفه للتناص في كتابه (اطراس)، فالتناصية تصبح عنده " علاقة حضور مشترك بين نصين أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية... و هي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر[6].

ويوضح الحالات التي يأتي عليها التناص موسعاً فيها شارحاً، و ضارباً الأمثلة على كل حال منها.

1انظر التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب، د. خليل الموسى، مجلة الآداب العالمية اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد 143، 2010 ص57

2 مدخل لجامع النص، جيرار جنيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار توبقال للنشر الدر البيضاء، ط. 2، 1986 م، ص90

3 نقلا عن عتبات، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط1 2001 م ص25

4 من التناص إلى الاطراس ص179

5 مدخل لجامع النص ص 90

6 دراسات في النص والتناصية ص125

فالاستشهاد سواء كان بين مزدوجتين، بالتوثيق أو دون توثيق، يعد الحال الأكثر جلاءً وحرفية" أو بشكل أقل وضوحاً و أقل شرعية (في حال السرقة الأدبية، و كما عند لوتر يامون مثلاً)، وهو اقتراض غير مصرح به، و لكنه أيضاً حرفي، أو بشكل أقل وضوحاً بعد، و أقل حرفيه في حال التلميح، أي في ملفوظ لا يستطيع إلا الذكاء إيجاد تقدير العلاقة بينه و بين ملفوظ آخر لما نلاحظه من نزوع تحوه بشكل من الأشكال،و إلا فإنه يكون غير ملحوظ "[1].

2- النص الموازي: ويتكون من العلاقة الأقل وضوحاً، بصفة عامة، و الأكثر بعداً عن المجموع المشكل من قبلالعمل الأدبي مثل: (العنوان الفرعي، العنوان الداخلي، الديباجات، التذييلات، التنبيهات، التصدير، الحواشي الجانبية، الحواشي أسفل الصفحات، الهوامش في آخر العمل، العبارة التوجيهية، الزخرفه، البيان، الرسم، الغلاف)[2].

و يؤكد على ضرورة توخي القارئ الحذر في قراءته دلالة هذه الإشارات، اذ" لا يستطيع أكثر القراء نزوعاً للصفاء و أقلهم اهتماماً بالمعرفة الخارجية أن يتصرف بهعلى الدوام بالسهولة التي يريدها،و لا يمكن أن يزعم ذلك "[3].

3- ما وراء النص أو النصية الواصفة: وهي العلاقة التي تربط نصاً بآخر، بحيث يتم تفسير نص والتحدث عنه دون الاستشهاد به، أو محاولة استدعائه، وهي علاقة نقدية تقوم باستجواب النص أو محاورته وإبراز عيوبه لتجاوزها[4]، دون ذكره في الغالب.

4- الاتساع النصي: وهي علاقة تجمع نصاً متسعاً – حسب جنيت – لنص سابق عليه، يسميه النص المنحسر، و تكون العلاقة بين النصين علاقة تحويلية [5] ومن ثم توليدية. ويضرب مثلاً على هذا النوع، بالإلياذة و عوليس بصفتهما " نصوصا متسعة من نصوص أخرى، للنص المنحسر نفسه الأوديسة طبعاً"[6].

5- النصية الجامعة: وهي العلاقة الأكثر غموضاً، و تجريداً، بحيث يراها جنيت علاقة بكماء لا يمكن أن تتقاطع إلا مع إشارة واحدة من إشارات النص الموازي التي لها

---

1 من التناص إلى الاطراس ص180
2 انظر المصدر نفسه ص183
3 دراسات ت في النص والتناصية ص127
4 انظر النص ومرجعياته ص58
5 انظر دراسات في النص والتناصية ص130
6 المصدر نفسه ص130

طابع صنافي خالص مثل: العنوان البارز، كما في أشعار، دراسة، رواية الـــوردة... الخ [1].

وهذه العلاقة تتوجه إلى القارئ لتساعده في اختيار النص من جهة و فـــي قراءتـــه مـــن جهةأخرى[2].

بهذا التصنيف الشامل يكون جيرار جنيت من أبرز النقاد الذين تعمقوا في درس العلاقات التناصية، و استحدثوا المصطلحات الملائمة لأفرعها و أضربها مما أسهم في توسيع آفاقهـــا، و الاهتمام بها نقدياً، حيث يتجلى دوره في نقله لمصطلح التناص " من حقل اللسانيات إلى حقـــل الأدب "[3] ليفتح المجال واسعاً للداراسات التي تناولت مشروعه النقدي للتناص،و حاولت تحديثه أو نقده مما انعكس على إثراء المصطلح و ذيوعه.

أسهم هذا الاشتغال النقدي لكبار النقاد الغربين، على مصطلح التناص، و تطـــويره فـــي عملية شيوعه و قيامه مصطلحاً نقدياً يعتد به في مجالات الدراسات النقدية و التطبيقية معاً.

و لعل اختياري لهؤلاء النقاد الذين وضحت دورهم في تطور مصطلح التناص نابع مـــن أهميتهم في ارتقاء المصطلح، و إدخاله إلى حيز النقد الأدبي نظراً لجانب الجدة و الأصالة الذي تنضوي عليه طروحاتهم، دون إغفال دور غيرهم من النقاد الغربيين الذين تعرضوا، و عرضوا للمصطلح من مثل: تودروف، ميشال أريفي، روبرت شولز، سوليرز، زمتور و غيرهم.

إلا أنني وجدت من ذكرتهم تفصيلاً من أبرز المساهمين في إقامـــة الإطـــار النظـــري و العملي لمصطلح التناص نظراً لجهودهم التصنيفية و المصطلحية في إثرائه و توسيع دائرته.

التناص في النقد العربي الحديث:

إن دخول مصطلح التناص في فضاء التداول النقدي عربيا، جاء بأثر من التنظير النقـــدي الغربي، بحيث كان الأخير الأساس المرجعي للنقد النظري والإجرائي عربيا للمصطلح.

ويعد محمد بنيس أول من ادخل المصطلح إلى النقد العربي وإن بترجمة أخرى هي النص الغائب مع نهاية السبعينات[4]، ليفتح الباب واسعا لتناول مصطلح التناص في حيز النقد العربي.

---

1 انظر من التناص إلى الاطراس ص184
2 انظر التناص ومرجعياته ص59.
3 المصدر نفسه ص60
4 انظر محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنـــة بنيويـــة تكوينيـــة، دار العـــودة، بيـــروت 1979ط.1

ومن الجهود التي أسهمت في رواج المصطلح في النقد العربي تلك التي قام بهـا بعـض النقاد والمترجمين العرب لكتب بعينها ذات صلة بموضوع التناص [1]، وأخرى لرواد المصطلح ومنظريه في النقد الغربي[2]، بالإضافة إلى اضطلاع بعضهم بترجمة بعض المقالات التي عنيت بالمصطلح في إطار النقد الغربي لكبار النقاد الغربيين [3]، كما أن بعض المجـلات والـدوريات العربية عنيت بالتناص، وأفردت له حيزا كبيرا مـن اهتمامها،بالإضـافة إلـى إفـراده بعـدد مخصوص من أعدادها [4].

ونظرا لاتساع رقعة تناول المصطلح في محيط النقد العربي أخذ بالجريان علـى ألـسنة النقاد والباحثين الذين اختلفت رؤاهم وأطروحاتهم حوله من حيث التقبـل والممارسـة النقديـة الأصيلة، فمن جهة رأى قسم من النقاد والباحثين أن مصطلح التناص هو النسخة الحديثة عـن مصطلح السرقات الأدبية، وأنه ذو أصول نقدية تراثية من مثل: عبد العزيز حمودة، وعبد الملك مرتاض، ومحمد عبد المطلب، وربا الرباعي.

حاول هؤلاء الباحثون من خلال دراساتهم وأبحاثهم إرجاع قصب السبق للنقـد الغربـي القديم في مصطلح التناص، نظرا لبعض التشابهات الجزئية هنـا وهنـاك فعقـدوا المقارنـات والقرانات، ومنهم من أراد استبدال مصطلحات تراثية قديمة وان كانت من بعض حيثياته لا أكثر بالمصطلح الغربي " التناص " كما هو متناول في النقد الحديث[5].

---

1 انظر ترجمة إعمال باختين:الخطاب الروائي ترجمة محمد برادة الكلمة في الرواية ترجمة يوسف الحـلاق، شعرية دوستويفسكي ترجمة جميل نصيف التكريتي، الماركسية وفلسفة اللغة ترجمة محمد البكري ويمنى العيد،ترجمة أعمال رولان بارت: درس السيميولوجيا ترجمة عبد السلام بنعبد العالي،نقد وحقيقة،ترجمة منذر عياشي، هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، لذة النص ترجمة منذر عياشي، الدرجة صفر للكتابة ترجمة محمد برادة

2 انظر: جوليا كريستيفا، علم النص ترجمة محمد فريد الزاهي، جيرار جنيت: مدخل لجامع النص ترجمة عبد الرحمن أيوب

3 مثل ترجمات محمد خير البقاعي لمقالات تتحدث عن التناص منثورة في أكثر من مجلـة ودوريـة عربيـة مجموعة في كتابي: دراسات في النص والتناصية وآفاق التناصية، وترجمة مختار الحسني لمقال نظرية التناص لبير مارك دوبيازي وترجمته لجزء من كتاب جيرار جنيت " اطراس" تحت عنوان من الاطراس إلى التناص وترجمة وائل بركات لمقال التناصية والنقد الجديد لليون سومفيل، وترجمة احمـد المـديني لمقال مارك انجينو ضمن كتاب " في أصول الخطاب النقدي الجديد، وترجمة سعيد بن الهـاني لمقـال التناص النقدي لليلى بيرون موزاتي

4 مثل مجلة علامات التي عنيت بالتناص تنظيرا وترجمة في غير موضع مثل ج 3، مـج 1، 1991، وج 21، مج 6، 1996، وج44، مج 11، 2002، وج 51، مج 13 2004، ومجلـة فـصول: مـج 26، ع 1، 1997، وع 63، 2004، ومجلة الرافد ع 31، 2000 ومجلة الآداب العالمية ع 143، 2010، ومجلة الفكر الغربي المعاصر ع 60 –61، 1989

5 انظر التضمين في التراث النقدي والبلاغي، ربا الرباعي، رسالة ماجستير جامعة اليرمـوك، اربـد الأردن 1997، ص 194

كما رأى فريق آخر بضرورة الأخذ من منبع المصطلح دون تكلف أو ادعـــاء، فكانـــت طروحاتهم متأثرة كثيرا بالطرح الغربي، من مثل محمد مفتاح،وسعيد يقطين،والحبيـــب الـــدايم ربي،وصلاح فضل،ومحمد بنيس، وعبد الله الغذامي.

إلا أن بعضهم حاول الاجتهاد من خلال تأسيس الأبعاد النظرية للمـــصطلح [1]،ومحاولـــة استيعابه وهضمه في النقد العربي بحيث يصبح منتجا في الحقل النقدي العربي من مثل: حميـــد لحمداني، شربل داغر، عبد الحكيم دربانه، حافظ محمد، جمال الدين المغربي.

وكان لكثرة تناول المصطلح في إطار النقد الغربي اثرا بالغا في اضطراب الترجمة لـــه، فتعددت ترجماته مما شكل عائقا في تلقيه فكل يترجمه حسب فهمه لدلالة المصطلح[2]

ومن أشهر النقاد العرب الذين مهدوا للتناص وقدموا تحليلا نقديا له: محمد بنيس، محمـــد مفتاح، سعيد يقطين، ولعل هؤلاء النقاد بحكم ثقافتهم التي تمتح من أصول غربية كانوا السباقين إلى استيعاب المصطلح وتمثله، كما كان ذلك عاملا هاما في اصطباغ آرائهم بصبغة الدراسات الغربية والتأثر بها.

محمد بنيس:

يقدم محمد بنيس رؤيته للتناص تحت تسمية "النص الغائب " وفق تقـــسيم إجرائـــي يعـــد إسهاما منه في ترسيخ الأسس النظرية للمصطلح في إطار النقد العربي، ذلك أنه وإن كان متأثرا بآراء كراستيفا وبارت في ماهية التناص إلا انه قدم تصورا نقديا قائما على اطلاع واسع وفهـــم عميق لدلالته، فهو ليس كما يرى فروق عبد الحكيم دربانه عندما يقول عنه"..قد تبنى ما ذهـــب إليه جنيت من استحضار النص الغائب المشارك في الممارسة النقدية "[3] لان كتاب محمد بنـــيس صادر قبل ثلاثة أعوام من صدور كتاب جيرار جنيت الذي يتناول فيه التناص بشكل مستفيض*

ويوسع بنيس من مرجعيات النص التي لا يمكن القبض عليهاأو حـــصرها جميعا،بحيـــث يصبح النص الشعري عنده ملتقى تتقاطع فيه نـــصوص عـــدة لا تنحـــصر بالمجـــال الأدبـــي

---

1 انظر التناص في شعر أبي العلاء المعري، إبراهيم الدهون، عالم الكتب الحـــديث، اربـــد الأردن 2011 ص 112

2 للاستفاضة في ذلك انظر: التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض، نبيـــل علـــي حـــسنين، كنـــوز المعرفة،ط2010،1،ص26-27

3: التناص الواعي شكوله وأشكاله، فاروق عبد الحكيم دربانه مجلة فصول عدد 63، 2004 ص303

* سنة نشر كتاب محمد بنيس عن دار العودة 1979 بينما صدر كتاب جيرار جنيت اطراس عام 1982 انظـــر حول ذلك مقال من التناص إلى الاطراس جيرار جنيت ترجمة المختار حسني، ص179

خاصة،وإنما هي خليط وهجين مركب من عدة فروع وعلوم ومصادر متباينة تاريخيا مما جعله يرى إلى النص كشبكة[1].

ويقسم محمد بنيس التناص إلى مستويات ثلاثة هي: الاجترار، الامتصاص، والحوار.

فالاجترار عنده أدنى مستويات التناص، حيث تم التعامل مع النص الغائب بوعي سكوني كما يرى بنيس مما جعل هذا النص في عداد الأمر المفروض فرضا دون أدنى اهتمام بدوره في إثراء النص المتناص فيه، إذ أصبح إجراء شكليا لا بد منه لـــدواع تتعلــق بإشــكالية الإتبــاع والتحديث، مما فرغ التناص الواقع في النص من وظيفته، فغدا" أنموذجا جامدا تضمحل حيويته مع كل إعادة كتابة له بوعي سكوني "[2].

بينما يعد الامتصاص مرحلة أعلى في استجلاء النص الغائب، إذ إن الآلية التـــي يتبعهـــا مبدع النص مع النص الغائب تقوم على وعي بقيمه هذا النص وقداسته مما يجعله مهضوما في نتاجه بصفه جوهرا قابلا لإعادة صوغه وفق ظروف تاريخية جديدة، يتم من خلالها المحافظـــة عليه، دون تطرق لنقده وإنما تجديده وفق الإطار الزماني الذي يوضع فيه نصيا مما يسهم فـــي استمراريته، ودوامه ويحول دون جموده او موته[3].

ويقدم بنيس الحوار بصفته أعلى مستويات قراءة النص الغائب بحيث يكون عماده عمليـــة نقدية واعية ترمي إلى نقد الأسس الإيديولوجية التي يتكئ عليها النص الغائب من خلال تحطيم مسلماته وأشكال استلابه التي يمارسها عندما يضرب جدارا من المنع أو المساس به حوله جاعلا من نفسه محضورا التفكير فيه بحكم قداسته التي يقصد الشاعر أو الكاتب الذي يعتمد الحوار في قراءة النص الغائب إلى خلخلتها وتفكيكها، كما يعري القناعات المثالية والتبريرية التـــي تغلـــق النص الغائب خارج إطار قدسية عندما يكون حديثا زمانيا [4].

ويمكن النظر إلى مجهود بنيس في تجلية مستويات التناص وتوضـــيحها كخطـــوة جيـــدة وضرورية ضمن مسيرة تطور استيعاب النقد العربي للمصطلح،ولا يخفى بعض القصور الذي وقع فيه بنيس من حيث اقتصاره على نماذج بعينها دون أخرى استحدثت لاحقا في مسيرة تطور المصطلح غربا وشرقا، لكن يمكن التماس العذر له بصفته من أوائل الممهدين للمصطلح نظريا

---

1 ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس،دار العودة، بيروت 1979ط.1 ص 251

2لمرجع نفسه ص253

3 انظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب محمد بنيس ص253

4 انظر: المرجع نفسه ص253

وتطبيقيا، كما أنه قدم رؤيته النقدية هذه قبل استقرار المصطلح في إطاره العربي الأصيل، فلم يكن بعد قد اشتغل عليه بصورة مستفيضة من قبل كل من جيرار جنيت، ولوران جيني،وميكائيل ريفاتير، وغيرهم من رواد البحث في التناص.

محمد مفتاح:

يعد محمد مفتاح من أبرز النقاد العرب الذين قدموا دراسة مستفيضة وشاملة للتناص في بعديه النظري والتطبيقي، وذلك في كتابه الموسوم ب (تحليل الخطاب الشعري: استراتيجيه التناص)، حيث يعد من الدراسات العربية القليلة التي أسهبت في موضوع التناص، فمفتاح يقدم تحليلا متفرعا للتناص بحيث يعمد إلى تقسيمه إلى نوعين رئيسين هما: المحاكاة الساخرة، والمحاكاة المقتدية [1]، بالإضافة إلى تطرقه للحديث عن قسمين للتناص هما: التناص الداخلي، والتناص الخارجي، مؤكدا على ضرورة الدراسة العلمية في استجلاء التناص الداخلي عند شاعر بعينه، فلا بد من اشتمالها على التدقيق التاريخي" لمعرفة سابق النصوص من لاحقها،كما تقتضي أن يوازن بينها لرصد صيرورتها وسيرورتها جميع، وإن يتجنب الاكتفاء بدراسة نصواحد، واعتباره كيانا منغلقا على نفسه " [2] فهو يؤكد على ضرورة القراءة العلمية المعتمدة على اطلاع واف على منتوج الشاعر، والإحاطة بتطوره الفكريمع مراعاة البعد التاريخي في قراءة التناص الداخلي لدى شاعر بعينه مع الأخذ بعين البحث الموازنة بين نتاجه ككل تتبعا لصيرورته الفكرية المنعكسة على نتاجه الممتد تعاقبيا.

بعد ذلك ينتقل لشرح آليات التناص فهي عنده قسمان: أ – التمطيط ويندرج تحته: – الأناكرام (الجناس بالقلب والتصحيف) 2– الشرح 3الاستعارة 4 –التكرار 5– الشكل الدرامي 6– إيقونة الكتابة [3].

ب– الإيجاز:"هو عنده الإحالة إلى التاريخ من خلال أحداث، أو رموز، أو نصوص تاريخية"[4]

---

1 تحليل الخطاب الشعري " إستراتيجية التناص "، محمد مفتاح المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط. 3. 1992، ص121

2 المرجع نفسه ص 125

3 انظر المرجع نفسه من صفحة 125 إلى 127

4 التناص في شعر أبي تمام قصيدة "الحق أبلج" نموذجا، حكمت النوايسة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب دمشق عدد 431، آذار 2007 وانظر علم التناص المقارن، عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006 ص160

ويتوسع مفتاح في تجلية مفهوم التناصحيث يبحث التنـــاص فـــي الـــشكل والمـــضمون، بالإضافة إلى تناوله التناص من حيث المقصدية، ويخلص إلى نتيجة مفادها أن التناص " إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي، وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقـــي نحـــو مظانه" [1].

هذا وقد نبه في بداية بحثه إلى أن هناك تداخلا كبيرا بين التناص وعدة مفـــاهيم أخـــرى مثل: الأدب المقارن، والمثاقفة، ودراسة المصادر،والسرقات، حين يؤكد على ضرورة دراســـة كل من هذه المصطلحات دراسة علمية تقتضي تمييز كل منها بحيث يستقيم مـــصطلحا علميـــا جامعا مانعا لا يمكن الخلط بينه وبين غيره من المصطلحات المذكورة أعلاه [2].

وينتقد في معرض كلامه عن رواد المصطلح عدم وضعهم لتعريف جامع مانع له لذلك يلتجـــئ إلى استخلاص مقومات مصطلح التناص من خلال تعريفاتهم فهي عنده:

- فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه تقنيات مختلفة.
- ممتص لها يجعلها من عنادياته بتصييرها منسجمة،مع فضاء بنائه ومع مقاصدهمحول لها بتمطيطها،أو تكثيفها بقصد مناقصة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعضيدها [3]

لا شك أن محاولة محمد مفتاح من المحاولات الرائدة علما أنه من أوائل المتطرقين إلـــى التناص بطريقة موسعة[4] ومتفرعة،إلا أن كثرة تفريعاته واستفاضته في تقسيم التناص والتبحـــر فيه جعل منه مفهوما ضبابيا موزعا بين أكثر من نوع وقسم مما يحول دون تطبيقه نظريا لتعدد أقسامه وتفريعاته.

سعيد يقطن:

لعل سعيد يقطين من النقاد العربالقلائل الذين أولوا التناص ذلك الاهتمام النقـــدي الـــدقيق والتفصيلي في آن معا، فقد قدم دراستين عني فيهما بالتناص نظريا وتطبيقيا على حد سواء هما: الرواية والتراث السردي، وانفتاح النص الروائي.

حاول من خلالهما خاصة في دراسته الموسومة ب " انفتاح النص الروائي" تقديم مشروع متكامل لبحث التناص –أو كما يحبذ تسميته بالتفاعل النصي –، بحيث يجيـــب عـــن الأســـئلة

---

1 محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري ص 131
2 المرجع نفسه ص 119
3 المرجع نفسه ص121
4 وانظر علم التناص المقارن، عز الدين المناصرة ص 159

النظرية المتصلة بنظرية الأدب ومتعلقاتها النظرية [1]، بالإضافة إلى أن مشروعه يعد إسهاما حقيقيا في مجال الدراسات التطبيقية.

يعلن سعيد يقطين منذ البداية أن الهدف المنشود من التناص او التفاعل النصي كما يسميه، هو تفكيك النص تفكيكا يتحرى البحث في مكوناته من خلال علاقاته بغيره من النصوص التي تشكل بنيته وبناءه العام " التي حاول تمثلها واستيعابها وتحويلها في بنيتها النصية " [2]،فهو مدرك تمام الإدراك أن النص أي نص ما هو إلا خليط هجين ممتص ومحول ومعدل لا بد من تعرية حجبه بتجليه العلاقات التي يقيمها مع سواه من النصوص مع توضيح آليات اشتغالها فيه وصولا إلى حلولها فيه لحمة وسدى.

يوضح يقطين سبب تفضيله مصطلح(التفاعل النصي) عوضا عن التناص أو حتى المتعاليات النصية خاصة جيرار جنيت _ على أنه نبه إلى أنه يستخدم التفاعل النصي وفق المراد من المتعاليات النصية كما استعملها جنيت _،فالتناصتبعا لذلك يصبح نوعا من أنواع التفاعل النصي كما يراه يقطين المتأثر بطرح جنيت.

هذا ويستبعد استخدام مصطلح المتعاليات النصية للحمولة الدلالية المشحونة بمعان تخرج عن نطاق المقصود منها لا سيماما تشيعه كلمة التعالي [3] في إشارة منه إلى دلالتها الفلسفية المفارقة للواقع.

يتعامل يقطين مع التناص كمشروع نقدي يحتاج عدة مفهومية واشتغال يوضح آلياته وأشكاله وصوره فهو يدرس التناص أو التفاعل النصي من حيث:

1- قسماه، وهما عنده:

النص، والمتفاعل النصي؛ فعملية التفاعل النصي تنقسم إلى قسمين يكونانها، فمن جهة هناك النص أو بنيته المشكلة لهيكله العام من مثل اللغة، الأسلوب، الأحداث والشخصيات...إلخ، ومن جهة أخرى هنالك المتفاعلات النصية،وهي بنيات نصية مثل القسم الأول تماما المستوعبة من قبله وفق آليات متعددة مما يخلق عملية تفاعل نصي حقيقية.

---

1 انظر انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين ص 101
2المرجع نفسه 91
3 انفتاح النص الروائي 92-93

2- أنواعه:

أ – المناصة: هي البنية التي تشترك مع بنية النص الأصلية، وفق مقام وسياق معينين، وتجاورها بحيث تظل محافظة على بنيتها كاملة وعلى استقلالها من حيث هي بنية نصية يكون دخولها طارئا على بنية النص الأصلية، يمكن الاستغناء عنها دون إخلال بالمعنى ظاهريا فإذا حضرت في بنية النص الأصلية " كبنية نصية فمعنى ذلك أن لها وظيفة معينة يجب كشفها وتحليلها " [1]، فهي تأتي مجاورة لبنية النص الأصلية كشاهد تربط بينهما نقطتا التفسير، ويقطين لا يولي عنايته " إلا بالمناصات الداخلية والتي منها العناوين التي تصدر بها المقاطع السردية، والهوامش التي تزحزحها الوقائع الغريبة، وتكون نثرا وشعرا "[2]، وهو يقر بأهمية التناصات الخارجية والتي من ضمنها المقدمة والذيول والملاحق وكلمات الناشر والكلمات والعناوين على ظهر الغلاف وما شابهه –، إلا أنه لا يخصها بالبحث ضمن ما يسميه المناص الذي قدم نماذج توضيحية عنه في دراسته لبعض الأمثلة المأخوذة من روايات كل من حليم بركات في روايته الموسومة بـ" عودة الطائر إلى البحر "، وتيسير السبول في روايته الموسومة بـ أنت منذ اليوم، وإميل حبيبي في روايته الموسومة بـ الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشاكس.

ب- التناص: يكون هذا النوع من أنواع التفاعل النصي بعد التضمين؛ فبنية النص الأصلي تتضمن عناصر سردية أو ثيمية من بنى نصية سابقة عليها، فلا وجود لاستقلال وتكامل كل منهما كما هو الحال في النوع الأول " المناص "؛فالتجاور هنا معدوم ولا وجود له، ويحل محله الإدماج بحيث تبدو تلك البنى المتناصة وكأنها جزء أصيل من بنية النص الأصلي، وقد طبق هذا النوع على الروايات الموضحة أعلاه بالإضافة إلى روايتي الزيني بركات لجمال الغيطاني، والزمن المتوحش لحيدر حيدر.

جـ – المتناصية: هي نوع من أنواع المناصة من حيث هي بنية نصية طارئة على بنية نصية أصلية تحافظ كل منهما على استقلالها وتكامل بنيتها، إلا أن المتناصيةتأخذ بعدا نقديا

---

1 انظر المرجع نفسه ص 114

2 جماليات التناص في شعر عقاب بلخير، سارة زاوي، ماجستير، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، الجزائر 2008 ص 32

بحيث تأتي نقدا للنص قد يكون إيديولوجيا أو تاريخيا أو دينيا، فالنص هنا ينتج بنيتين نصيتين ضديتين تكون الثانية الطارئة على الأولى بمثابة نقد لها واتخاذ موقف منها[1]

3- أشكاله:

أ – التناص الذاتي: ويكون ذلك عندما تدخل نصوص الكاتب في تفاعل نصي مع بعضها، ويتجلى ذلك لغويا وأسلوبيا ونوعيا، فلكل كاتب أسلوب معين ومفردات يحبذها بالإضافة إلى أن موضوعات بعينها تشكل مجتمعة هوية الكاتب وبصمته الأدبية، كما أن بعض الكتاب نجده يغير من أسلوبه ومفرداته والموضوعات التي يتطرق إليها مع كل عمل أدبي جديد، إلا أن هذا الشكل من أشكال التناص لا يكون من إعادة إنتاج نصوص الكاتب نفسها إنما يكون من خلال إضفاء أبعاد وفضاءات جديدة على تلك النصوص،وإلا كان تفاعله النصي تفاعلا سلبيا " ما دام بعد التفاعل فيه يصبح اجترارا وتكرارا لبنية نصية سابقة عند الكاتب نفسه " [2].

ب- التناص الداخلي: ويكون عندما تتفاعل نصوص كاتب معين مع نصوص كتاب عصرهسواء كانت هذه النصوص أدبية أو غير أدبية، وهذا الشكل لا يعني وجود تفاعل نصي بين نصوص كاتب مع نصوص أخرى لكتاب معاصرين وحسب، وإنما المقصود منه " التفاعل الذي يحصل على صعيد إنتاج النص المنتج "[3] ويكون ذلك من خلال عدة عناصر يتصل بعضها بالموقف الكتابي والممارسة الفعلية التي يخوضها الكاتب وهو يحاول اتخاذ موقف من تجربة معينة.

ج- التناص الخارجي: ويكون عندما تتفاعل نصوص كاتب معين مع نصوص كتاب ظهروا في عصور بعيدة قبله.

4-مستوياه:

أ- المستوى العام (الأفقي): وفيه تتداخل النصوص مع بعضهاأفقيا على المستوى التاريخي وعلى مستوى كلي، فنحن أمام بنيتين نصيتين متباينتين تاريخيا وبنيويا [4]،وللتمثيل عليه يحلل يقطين روايتي (الزيني بركات والوقائع الغريبة) ففي الأول يتعالق النص الروائي ببنية تراثية تتجلى من خلال الخطاب التاريخي، بحيث نجد أن هناك تباينا تاريخيا وبنيويا بين

---

1 جماليات التناص في شعر عقاب بلخير ص 99 و 118
2 انفتاح النص الروائي ص124
3 المرجع نفسه ص 124
4 انفتاح النص الروائي 100

الخطاب الروائي (الزيني- الوقائع) الذي له بنيته الخاصة وبين الخطاب التاريخي الذي له بنيته الخاصة كذلك، إلا أن النص الروائي في تفاعله مع النص الآخر (الخطاب التاريخي) يحوله إلى بنيته لينتج نصا جديدا هو النص الروائي، وينطبق ذلك على رواية الوقائع الغريبة التي نجد فيها تعالقا ببنية تراثية أخرى هي الحكي العربي [1]

ب- المستوى الخاص (العمودي) ويكون من خلال تفاعل بنية نصية كبرى مع بنيات جزئية وصغرى، بحيث يتم استيعابهاوتضمينها في إطار بنية النص الكبرى [2].

1 انظر المرجع نفسه ص 126
2 انظر المرجع نفسه ص126

الفصل الأول

التناص مع الشعر الجاهلي

الفصل الأول

التناص مع الشعر الجاهلي

التناص الأدبي:

سأتناول التناص الأدبي مع العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، مقسما التناصات فيه على أبرز الشعراء الذين تناص معهم بشار بن برد، وسيشمل التناص الأدبي توضيح المعاني التي تقاطع معها بشار بن برد مع شعراء هذه العصور، بالإضافة إلى تبيين مواطن تناصه اللفظي معهم بشقيه المباشر وغير المباشر بما يبين أثر هذا الاستدعاء على نصه الشعري، كما سيتم توضيح تناصه مع الصور الفنية عند شعراء هذه العصور والتحويرات التي أضافها بشار إليها في صورتها الأصيلة.

والتناص الأدبي أقصد به: العلاقات التي يقيمها الشاعر مع نصوص شعراء آخرين من حيث المعنى العام أو الخاص، اما باستدعاء المعنى عينه وتوظيفه، أو بتحوير وإعادة صياغته لغة وأسلوبا، من حيث اللفظ بصورته المباشرة القائمة على استدعاء ألفاظ أو تراكيب لفظية بعينها من نصوص شعراء سابقين، وتطعيمها في النص المتناص، وفي صورته غير المباشرة، القائمة على التحوير اللغوي في الألفاظ والتراكيب اللفظية المستدعاة، وعلى استخدام مرادفات لفظية تضارع هذه الألفاظ وتراكيبها، وفي الصورة الفنية القائمة على توضيح التلاقحات في تشكيل الصور الفنية عند الشاعر وتتبعها عند سابقيه، وتجلية أوجه الألتقاء والاختلاف معهم في بنائها وتشكيلها بدراسة عناصرها في نصوص الشاعر المتناص ونصوص الشعراء موضع التناص.

التناص مع الشعر الجاهلي:

سيتم تناول التناص الأدبي بأنواعه في هذا الفصل، من خلال تتبعه عند شعراء العصر الجاهلي،وتوضيح مستويات التناص التي أقامها بشار بن برد في نصوصه مع شعراء هذا العصر،الذي تصدر مكانة بارزة من حيث أنه أكثر العصور التي تجلى أثر شعرها في مجموع بشار بن برد الشعري بصفته العصر المثال في القصيدة العربية، كما يعد شعراؤه روادا في سبك الشعر وتبيين أغراضه ودلالاته وصوره، من جهة أنه عد معيارا نقديا في عصور النقد

الأدبي الأولى، فلم يغفله بشار بل نهل منه ما يقيم به أسلوبه الشعري بما يضمن الأصالة في شعره، والابتكار الذي تأتى له من سعة اطلاعه، ومعرفته لأساليب القول في شعر هذا العصر.

وقد تم تقسيم التناص في هذا العصر وفق أبرز شعرائه؛ فتم تناول التناص مع معظم شعراء المعلقات بتبيين ابرز التناصات التي أقامها بشار معهم معنويا ولفظيا وفي الصور الفنية، بالإضافة إلى تناول التناص الأدبي مع غيرهم من الشعراء الجاهليين وفق ذات الآلية.

التناص مع شعراء المعلقات:

التناص مع شعر امرئ القيس:

يكاد امرؤ القيس أن يكون من أكثر الشعراء الجاهليين الذين فتح بشار بن برد أشعاره على نصوصهم، بطريقة تشعبت معها أشعار ابن برد المتداخلة مع مواضيع و صور و معان في صميم قصيد امرئ القيس، و إن المتفحص لشعر بشار بن برد لابد أن يجد أثر امرئ القيس واضحاً من خلال كثرة من المعاني و الصور الفرعية و الكلية،فقد كان امرؤ القيس " شخصية نموذجية في رحلة الشعر العربي القديم والحديث، فلطالما استلهم الشعراء شعره بأساليب مختلفة ومتعددة "[1]، و لتوضيح تجليات هذا التناص و التلاقح التناصي سأتخذ من بعض الأبيات نماذج تضيء تعالق نص ابن برد مع امرئ القيس.

يتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في صورة الطلل لفظا ومعنى في غير الموضوع.

يقول امرؤ القيس [2]:

عوجا عَلى الطَلَلِ المَحيلِ لعلنا نَبكي الديارَ كَما بَكى اِبنُ حِذام

يخاطب امرؤ القيس صاحبيه حاثا إياهما على تغيير طريق الرحلة والتعريج على طلل المحبوبة للبكاء على آثارها الدارسة، كما بكى قبل (امرئ القيس) ابن حذام[3].

---

1 التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد ط.1 2000 م، ص 11

2 ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، القاهرة، ط.5، ص 114

3 ابن حذام يقول فيه ابن سلام " وهو رجل من طيئ لم نسمع شعره الذى بكى فيه ولا شعرا غير هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس " طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة– (ج1 ص 39)

يقول بشار [1]:

واسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ عَلَى رَسْمِهَا بل حلَّ بالرَّسمِ ولا تركبِ

فالشاعر في هذا البيت يخاطب نفسه مستنهضا الركب المسافر أن يتوقفوا على رسوم المحبوبة المفارقة عند مرورهم بها عرضا أثناء رحلتهم،وحث النفس على المكوث في تلك الرسوم وعدم مفارقتها بالركوب مع المسافرين.

ويتجلى التناص مع امرئ القيس في معنيين: سطحي،و عميق، فهما من جهة اشتركا في تغيير اتجاه الرحلة، و تأخيرها حنيناً لأطلال المحبوبة طالبين من الرحل أنيقفوا معهما على تلك الأطلال،ذلك بالإضافة إلى معنى آخر عميق يتضح من خلال النظر في موقفهما من إشراك الصحب المسافر معهما في عاطفتهما؛فبشار يطلب من المسافرين معه أن يقفوا معه على أطلال محبوبته كما فعل ذلك امرؤ القيس الذي وسع من دائرة إشراكه لصاحبيه في عاطفته لدرجة توريطهم بها،إذ يطلب منهما البكاء معه في دلالة منه على عظيم المصاب الذي ألم به، و الذي يستدعي أن يشاركوه ألمه بألم مثله، إلا أن بشار بن برد في تناصه مع امرئ القيس في ذات الصورة حورها تحويراً جمالياً بطريقة السلب الذي يثبت لنفسه الوفاء حصراً، و الشعور بألم نتيجة هجر المحبوبة و فقدانها، إذ خاطب النفس أن تبقى حالة في المكان الذي يحتوي رسوم ديار المحبوبة المفارقة،و أن لا يلتحق بالركب الذي يظهر من خلال البيت غير آبه بما يقاسيه الشاعر.

ويتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في معنى أثر الوقوف على الأطلال في نفس الشاعر وصاحبيه يقول امرؤ القيس [2]:

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ يقُولون لا تهلكْ أسىً وتجمَّلِ

يطلب امرؤ القيس من صاحبيه الوقوف على الأطلال مبينا أنهم يواسونه وينصحونه بالصبر وعدم إيراد النفس موارد التهلكة،وتحمل العذابات بعزيمة وجلد.

1ديوان بشار بن برد، نشر وتقديم وشرح محمد الطاهر ابن عاشور،الشركة التونسية للتوزيع1976، ج1ص 169

2 ديوان امرئ القيس ص 9

يقول بشار [1]:

وَقفتُ بها القلوصَ ففاضَ دَمعي عَلى خَدّي وَأقصرَ واعِظايَهْ

يظهر بشار أثر ما أصابه من شوق وتبريح أثناء وقوفه على طلل المحبوبة مما تسبب في جريان دمعه بغزارة على صاحبيه اللذين يعظانه بالكفِّ عن حبه وتولعه بمن يبكيها زجرا وإبعادا له عن موضوع شوقه.

ويتجلى التناص في معنى أثر الحالة النفسيّة المترتبة للشاعر في نفس صاحبيه، فامرؤ القيس يقدم صورة نمطيه عن صاحبيه إزاء معاناته وبكائه على الأطلال من حيث اللوم والمواساة والوعظ، بينما نجد بشارا يظهر فاعليته في صاحبيه اللذين يريدان أن ينهياه عن شوقه وحبه، مبيِّنا أنهما امتنعا عن وعظه ولومه؛لأنهما رقا لحاله وأشفقا عليه، مزحزحا موقعهما النمطي عند امرئ القيس من موقع اللوم والتبكيت إلى الرفق بحاله لشدة شوقه وحزنه.

ويتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في صورة مشية المرأة الموصوفة، يقول امرؤ القيس[2]:

وَإذ هِيَ تَمشي كَمَشي النزيـ ـفِ يَصرَعُهُ بالكَثيبِ البُهُر [3]

فامرؤ القيس يصف هذه المرأة بأنها تمشي كالسكران[4] الذي لا يستطيع مواصلة السير لشدة سكره ونزف عقله، منقطع الأنفاس في مسيره.

يقول بشار[5]:

تَمشي الهُوَينى بَينَ نِسوَتِها مَشيَ النَزيفِ صَفَت مَشاربُهُ

يشبه بشار مشية محبوبته بمشية السكران في دلالة على تبخترها وتيهها، إذ هي تمشي بين نسوتها.

وتظهر جماليه التناص في تلاقح بشار مع صورة المرأة ماشية، مشبهة بالسكران من خلال امتصاصه لمعنى امرئ القيس، وإضافة معنى جديد يبعد المرأة الموصوفة عن التعب

---

1 ديوان بشار بن برد، ج 4 ص 253

2 ديوان امرئ القيس ص156

3 " النَّزيفُ السكران، والسكرانُ نَزيف إذا نُزف عقله " لسان العرب مادة نزف ، البهر : انقطاع النفس ، اللسان مادة " بهر "

4 في الأشباه والنظائر " وأول من شبه مشي المرأة بمشي السكران امرؤ القيس بقوله: =

= وإذ هي تمشي...البيت " الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، للخالديين،ت: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ج1 ص 208

5 ديوان بشار بن برد ج1 ص 244

وشدة الإنهاك، كما هو موضَّح في بيت امرئ القيس، فجعلها (بشار) تمشي كالسكران الذي يشرب من خمر صفت مشاربه لا يعوق إطراب مشيتها ولا استمراريتها.

بينما نجد بشارا في موضع آخر يُنزِّل الوصف الذي أورده امرؤ القيس ممتدحا مشية المرأة– على ظبي كنى به عن محبوبته، يقول بشار[1]:

وَالظَّبْيُ تَصْرَعُهُ الْحَبَا ئلُ وهو عن شركٍ يحيدُ

يَمشي الهُوَينا كَالنَزيـ ـفِ لِبُهرِهِ وَهوَ الحَميدُ

فبشار يصف مشية الظبي مشبها إياها بمشيه السكران المضطرب، متناصا في اللفظ مع امرئ القيس في ألفاظ (النزيف، بهره) محوِّرا المعنى المراد عند امرئ القيس، ناقلا إياه إلى صورة جديدة.

ويتناص بشار مع امرئ القيس في تصويره لرقبة المحبوبة بجيد الريم، يقول امرؤ القيس[2]:

وَجيدٍ كَجيدِ الرئمِ لَيسَ بِفاحِشٍ إذا هِيَ نَصَّتهُ وَلا بِمُعَطَّلِ

يشبه امرؤ القيس عنق محبوبته بعنق الغزالة في دلالة جماليَّة على طوله من غير فحش.

ويقول بشار:[3]

وَجيدٌ يُشبهُ الدُرَّ كَجيدِ الريمِ سُلهوبُ [4]

يشبه بشار عنق محبوبته بالدرِّ في دلالة على بياضها، وبجيد الغزالة في دلالة على طولها.

ويتجلى التناص في الصورة الفنية من حيث تشبيه عنق المحبوبة بعنق الغزالة في إشارة إلى طولها،فامرؤ القيس يقدم توصيفا لعنق محبوبته، مبينا أنها تشبه جيد الغزالة من حيث الطول، بالإضافة إلى كون عنقها تتزين بالحلي، فيلتقط بشار هذه الصورة معيدا إنتاجها مركزا على بياض عنق محبوبته المشبه بالدر، مبينا طول هذا العنق متناصا لفظا ومعنى مع امرئ، هذا ونلمح أن بشارا يراوح بيت الأصالة والمعاصرة من حيث الصورة التقليدية لجيد المرأة

---

1 ديوان بشار بن برد ج1 ص 215
2 ديوان امرئ القيس ص 16
3ديوان بشار بن برد ج1 ص232
[4] سلهوب : طويل ، لسان العرب مادة سلهب

المشبه بجيد الغزالة، وفي تشبيهه لجيدها بالدر المنتشر في بيئته الحضارية مستغنيا عن توصيفه مزَّينا بحلي كما في قول امرئ القيس (ولا بمعطل)من خلال جعله (الجيد) زينة بذاته.

ويتناص بشار مع امرئ القيس في صورة شَعَر المحبوبة الغزير يقول امرؤ القيس[1]:

وَفَرعٍ يُغَشِّي المَتنَ أسوَدَ فاحِمٍ أثيثٍ كَقِنوِ النَخلَةِ المُتَعَثكِلِ [2]

يشبه امرؤ القيس شعر محبوبته الطويل المتهادي على ظهرها بفروع النخلة التي خرجت قنواتها دلالة على الكثرة والغزارة.

يقول بشار[3]:

ولَها واردُ الغَدائِرِ كَالكَرَ مِ سَواداً قد حانَ مِنهُ اِنتِهاءُ

يرسم بشار صورة لشعر محبوبته الطويل، مشبها إياه بكرم العنب الأسود الذي حان قطافه.

ويتجلى التناص في صورة شعر المحبوبة المشبه بالنبات المتشاجر شديد السواد،فامرؤ القيس يقدم معنى طول الشعر وسواده بدءا،مبينا غزارته من خلال تشبيهه بفروع النخلة المتداخلة، فيعيد بشار إنتاج هذا المعنى من خلال صورة جديدة تضمنت معاني امرئ القيس جميعها، فمن حيث الغزارة شبه شعر محبوبته بالكرم، وقدم معنى السواد بتوضيح أن هذا الكرم قد حان قطافه.

ويتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في صورة المحبوبة المضطربة عند اللقاء بتشبيهها بالغزال القلق خوفا،يقول امرؤ القيس[4]:

تصد وتبدي عن أسيلٍ وتتَّقي بناظرَةٍ من وَحش وَجْرَة مُطفِلِ

يصف امرؤ القيس إعراض محبوبته وإقبالها أوان اللقاء فهي محتارة مترددة فنظرتها كنظرات الظبية الأم.

وهي صورة استحضرها بشار في بيتين يصف فيهما حال محبوبته أثناء اللقاء متقاطعا مع امرئ القيس في صورتين اثنتين هما: تردد المحبوبة في النظر ثم الإعراض مع وصف وجه

---

1 ديوان امرئ القيس16

[2] الاثيث : الكثير المتراكب ، المتعثكل :الذي دخل بعضه في بعض ،ديوان امرئ القيس ص 115

3 ديوان بشار بن برد ج1 ص 144

4 ديوان امرئ القيس ص 16

المحبوبة، و الصورة الأخرى هي تشبيه عيني المحبوبة بعيني الغزال، يقول بشار[1]:

تُدني القِناعَ عَلى مَحاسِنِ مُشــرقٍ كَالبَدرِ يَحفِلُ عُصفُراً وَعُقــودا

وَكَأَنَّمــــــا نَظَرَت بِعَينَي شادِنٍ حَيــــرانَ أبصَرَ شادِناً مَطــرودا

هنا يرسم بشار صورة للقاء الذي يجمعه بمحبوبته و يصف ترددها و توجسها متناصا مع صورة امرئ القيس أعلاه من حيث الإعراض والنظر الدال على التردد و التــوجس، فــامرؤ القيس يقول إن محبوبته و هي في حالها تلك من الصد و التطلع إليه تبدي خدا طويلا جمــيلا و تخفيه، وبشار يأخذ هذا المعنى مــن امــرئ القــيس، و يــضفي عليــه متطلبــات العــصر الاجتماعية،فالمرأة في قصيدة بشار امرأة مقنعة بالخمار، فهي ترفعه تارة و تدنيه تارة أخــرى في ترقبها له، و عندما ترفعه تبدي وجها شبهه بشار بالبدر المنير،و يواصل بــشار اســتدعاء صورة العينين المضطربتين المتوجستين مشبها إياهما لجمالهما بعيني الغزالة مثلما فعل امــرؤ القيس الذي قدم صورة لعيني المحبوبة تضارع عيني الظبية الأم في خوفهــا مــن أي مكــروه يتربص بصغارها، فهي قلقة النظرة، بالإضافة إلى أن المعنى قد يكون أنها تنظر إليه بلطــف و برقة كما تنظر الظبية إلى أطفالها وهو معنى بعيد، بينما تلقف بشار هذه الصورة و أضفى عليها معنى قويا يوضح المقصود من حيث خوف المحبوبة و اضطرابها المتمثل في نظراتها القلقــة، فهي حيرانة بين صدود لكنها تنظر نظرات مضطربة يشبهها بنظرات الغزالة التي رأت غزالا طريدا تلاحقه الوحوش الكاسرة فأيقن أنه هالك لا محالة، و في معنى بشار صورة فيها ترويــع مفرط، و فيها مبالغة لوصف شدة اضطراب المحبوبة و توجسها.

ويتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في معنى النعيم والرفاهيــة اللــذين تتمتــع بهــا المحبوبة، يقول امرؤ القيس[2]:

وَتُضْحي فَتِيتُ المِسكِ فوق فراشها نؤومُ الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تَفضُّل

يقدم امرؤ القيس صورة لامرأة منعمة مرفهة العيش مخدومة لا تباشر عملا،فهي كثيــرة النوم ضحى، فعملها تباشره عنها خادماتها، أما هي فتنام بين دقاق المسك لدعة العيش، والنعيم الذي هي فيه.

---

1 ديوان بشار بن برد ج2 ص 327
2 ديوان امرئ القيس ص 17

ويقول بشار [1]:

وَصَفراءُ مِثلُ الخَيزُرانَةِ لَم تَعِش ببُؤسٍ وَلَم تَركَب مَطِيَّةَ راعِ

يصف بشار جمال محبوبته فهي صفراء في دلالة على جمال وجهها، بالإضافة إلى أنها رشيقة كالخيزرانة، ثم يقدم صورة لها عن امرأة مرفهة منعمة لم تعرف جفاء العيش ولا قسوته بصفتها متحضرة.

ويتجلى التناص في معنى المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها المرأة المحبوبة، فامرؤ القيس وضح أن محبوبته تتنعم في هناء العيش مبينا أنها مخدومة لا تباشر عملا، لكن بشارا يقدم توصيفا للمرأة المنعمة، فيه جدة بصفته مدشنا للحداثة الشعرية[2] في الصورة و المعنى، فغاية الترفيه هو أن تكون المرأة ابنة مدينة تتوافر فيها مقومات الحياة التي لا تستوجب عناء،بالإضافة إلى أنها و هي ابنة مدينة منعمة لم تعش بؤسا في حياتها، و هنا يقدم بشار صورة مغايرة و جديدة عن مفهوم المرأة المنعمة، من خلال تبيانه لفضل البيئة التي تنشأ فيها المرأة التي يراد توصيفها بدعة العيش،و زيادة على هذا فهي مرفهة و منعمة في ظل بيئة كل من فيها منعم و مرفه من جهة كون حياة المدينة ألطف و أيسر من حياة البادية.

ويتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في تصوير سرعة الفرس، يقول امرؤ القيس[3]:

مكَرٍّ مفرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمودِ صخْرٍ حطه السيل من عل

يقدم امرؤ القيس توصيفا لفرسه يبين طواعيته وسرعته، ففرسه مكر إن طلب منه الكر، ومفر إن أريد منه ذلك، سريع في هجومه كالصخرة المتدحرجة من مرتفع.

ويقول بشار[4]:

وَأفلَتَ يَمري ذاتَ عَقبٍ كَأنَّها حُذاريَّةٌ مِن رَأسِ نيقٍ تَدَلَّتِ

يصف بشار فرسا من حيث سرعته في الفرار من المعركة مشبها إياه في ذلك بالعقاب النازل أعلى جبل لاصطياد فريسة.

---

1 ديوان بشار بن برد ج4 ص 115
2 انظر عن حداثة بشار: تدور على غير أسمائها، نظرة في شعر بشار، حسين الواد، دار الجنوب، تونس ط.1.
3 ديوان امرئ القيس ص 19
4 ديوان بشار بن برد ج2 ص 13

ويتجلى التناص في توصيف سرعة الفرس وتشبيهها إذ ذاك بالشيء الـذي ينـزل مـن مرتفع، فامرؤ القيس يشبه فرسه في سرعته وإقدامه وطواعيته بالصخرة المتدحرجة من مكـان مرتفع، فيلتقط بشار هذا المعنى فيقدمه في صورة جديدة لعقاب يهوى مسرعا من أعالي السماء لالتقاط فريسته في دلالة على شدة السرعة، إلا أن بشارا يدلل في تشبيهه على أحجام هذا الفرس عن الدخول في المعركة هربا،محورا معنى امرئ القيس الذي يوضح سرعة فرسه في المواجهة والمباغتة والقوة.

ويتناص بشار بن برد مع امرئ القيس في صورة الليل، والمعاناة فيه،يقول امرؤ القيس[1]:

وَلَيلٍ كَموجِ البَحرِ أرخـى سُدولَهُ عَلَيَّ بِأنواعِ الهُمـومِ لِيَبتَلي

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَـطّى بِصُلبِهِ وَأردَفَ أعجـازاً وَنـاءَ بِكَلكَلِ

ألا أيُّهـا اللَيلُ الطويلُ ألا اِنجَلـي بِصُبحٍ وَما الإصباحُ مِنكَ بِأمثَلِ

فَـيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأنَّ نُجومَـهُ بِكُلِّ مُـغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَذبُلِ

يصف امرؤ القيس ليله، مشبها إياه بموج البحر الغامر بحيث يقاسي خلاله أنواع الهموم و المصائب الكثيرة، مناشدا إياه أن ينقشع،فأتي صباح لا يختلف عنه مـن حيـث كـدر العـيش والمعاناة، مبينا طول ليله بتشبيه نجومه بالقطع المثبتة بصخور في دلالة علـى عـدم زوالهـا واستمرار الليل.

يقول بشار [2]:

خَليلَيَّ ما بالُ الدُجى لا تَزَحـزَحُ وَما بالُ ضَوءِ الصُبحِ لا يَتَوَضَّحُ

أضَلَّ الصَباحُ المُستَنيرُ سَبيلَـهُ أمِ الدَهرُ لَيلٌ كُلُّهُ لَيسَ يَبـرَحُ

وَطـالَ عَلَيَّ اللَيلُ حَتّى كَأنَّهُ بِلَيلَينِ مَوصـولٌ فَما يَتَزَحـزَحُ

كَأنَّ الدُجى زادَت وَما زادَتِ الدُجى وَلَكِن أطالَ اللَيـلَ هَمٌّ مُبَـرِّحُ [3]

---

1 ديوان امرئ القيس ص 18

2 ديوان بشار بن برد ج4 ص 32

3 في نور القبس في أخبار ابن الأعرابي " قال: وكان يُتَعجب من قول بَـشَّار فـي الليـل:خَليلـيَّ مـا بـالُ الدُجى...الابيات وكان ابن الأعرابي يستملح هذين البيتين " نور القبس المختصر من المقتبس، الحـافظ اليغموري، عني بتحقيقه ردلف زلهايم، دار النشر فرانتس شتايز بقيسبادن 1964 م ص 305

يخاطب بشار صديقيه يشكو لهما طول ليله، مبينا أن علة طول الليل هي الهموم التي يعانيها.

يتجلى التناص في كون بشار يوسع المعنى،و يفتح أفقا جديدا له،ممتصا معنى امرئ القيس في وصفه لطول الليل،و مقاساته كافة أنواع الهموم فيه مضفيا معنى جديداً؛ فالصبح نام و نسي أن يصبح، لذلك فالشاعر محكوم عليه بالليل الأبدي حتى يصحو الصباح الذي يبدو أنه لن يصحو لأن الشاعر ينفي عن نفسه الإصباح تعميقا لوصف مأساته ومقاساته الليل،"وصورة الليل عند بشار فيها حركة، وقد ساعد على حركة الصورة عنده اعتماده على أسلوب الاستفهام؛ فهو يلفت الانتباه بكثرة أسئلته ويحرك مخيلة السامع: ما بال الدجى ليس يبرح ؟ ما بال الصبح لا يتوضح، كما انه يلجأ إلى ألوان البديع.

وإذا ما قارنا قافية أبيات امرئ القيس بأبيات بشار أعلاه نجد في قافية الأول رتابة وثقلا يدلان على الطول ونجد أن قافية بشار المتمثلة بحاءاتها توحي بالحركة الخفية "[1]

و لعل ما يحسب لبشار في أبياته أعلاه تكثيفه و إيجازه للمعاني الواردة في معلقة امرئ القيس فقد " استطاع بشار عن طريق توليد المعاني، وعن طريق العبارة،أن يصوغ قديما في جديد،وأن يقدم صورة مختلفة عن صورة امرئ القيس على الرغم من تأثره بالمعنى الذي تناوله"[2]

التناص مع شعر طرفة بن العبد:

يمتح بشار من معين جاهلي أصيل في شعره بحيث لا يزال مسكوناً بالقصيدة المثال في كثير من شعره لا سيما المقدمات الطللية التي تفتتح بها القصائد الجاهلية، وفي كثير من الأحيان يكاد يتماهى مع روح القصيدة الجاهلية شكلاً ومضموناً ومعنىً، مثلما نجد ذلك في تناصه مع قول طرفة بن العبد [3]:

لِخَولَةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ

---

1 الصورة في شعر بشار ص234

2 الصورة في شعر بشار بن برد ص 234

3 ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط3، 2002 م ص 19

فطرفة يبين أن محبوبته هجرت ديارها منذ مدة من خلال تشبيه أطلالها بالوشم الباقي في ظاهر اليد [1].

يقول بشار[2]:

أشـــــاقكَ مَغنـــى مَـــنزلٍ مُتَأبِّدِ وَفَحوى حَديثِ الباكِرِ المُتَعَهِّدِ

وَشامٌ بحَوضى ما يَريمُ كَـــــأنَّهُ حَقائِقُ وَشمٍ أو وُشومٌ عَلى يَدِ[3]

يوضح بشار –مخاطبا نفسه – شوقه الشديد لديار المحبوبة التي أضحت أطلالها بـــارزة كالوشم، في إشارة لتقدم عهدها.

ففي هذين البيتين تناص مع معلقة طرفة بن العبد في مطلع قصيدته مـــن حيـــث القافيـــة والوزن، بالإضافة إلى تناصه مع تصوير طرفة الأطلال بالوشم الباقي على ظاهر اليد، بقوله " حَقَائِقُ وَشْمٍ أوْ وُشوم على يَدِ"،فالوصف الذي يصف به حوضى– وهو اسم موضع– هـــو ذات الوصف الذي يصف به طرفة برقة ثهمد، فبشار يتبع أسلوب طرفة في إقامة معياره من جهـــة أنه يذكر اسم موضع بعينه يريد وصفه،وهو الموضع الذي كانت تقيم فيه المحبوبة، بالإضـــافة إلى الصورة التي رسمها طرفة لذلك الموضع الذي شبهه بآثار الوشم المتبقية على ظاهر اليـــد للتدليل على قدم العهد وامّحاء الرسوم.

ويمكن ملاحظة الجمالية في هذه الصورة عند الشاعرين، فطرفه في بيته أوجـــز وكثـــف المعنى وقدمه بصورة تلائم مراده الذي أجمله دون تفصيل في الشطر الثاني من بيته ليلل على طول عهد فراقه ومضي وقتٍ ليس بقليل على هجر المحبوبة لديارها.

اما بشار فانه في صورته هذه " كأنه يـــستجمع أجـــزاء الـــديار فـــي صـــورة جماليـــة واحدة،ومعروف أن تجمع الوشم في الحُقِّ يكون مضطرب الوجود ارتفاعا وانخفاضـــا، نتيجـــة تحريك صانعه، وبعد أن أعطى لصورته شكلها التآلفي وبونها الدال على طبيعة مشاعره وتآلفها

---

1 يقول الآمدي " وخص ظاهر اليد لأن دروسه أسرع " الموازنة للآمدي، تحقيـــق الـــسيد أحمـــد صـــقر، دار المعارف – ط.4 ج1 ص 489

2 ديوان بشار بن برد ج3 ص 71

3 حوضى : مكان ، ما يريم : ما يبرح ، ديوان بشار بن برد ج3 ص 71

في إظهار حزنه على الظاعنين أراد أن يصور تبدد آماله من تلك المشاعر المجتمعة فجاء بصورة الوشوم المتبددة "[1]

ونلحظ من تنكيره لوشوم ويد " البعد المعنوي الذي يومي إليه بشار، إنه بعد نفسي بما يختلج من عواطف بتصور الديار متداعية ما بين ظهور واختفاء كما تلوح اليد التي ترجَّع عليها وشوم"[2].

ويتناص بشار مع طرفة في نظرته للموت، في معنى أن الناس مشدودون إلى قدرهم شداً، ولا بد واردوهمهما أحسوا بأنهم في منأىً عن كل أسباب الهلاك، يقول طرفة [3]:

لعمرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى لَكالطِّوَلِ المُرخى وثِنياهُ باليَدِ

فطرفة يؤكد حتمية الموت من خلال رسمه لصورة توضِّح أنه مهما ظن الإنسان أنه في رخاء العيش ودعته فإنه آتٍ إلى أجله الذي سيقبض عليه، ويطوّقه كالحبل إذا شدته اليد.

ويقول بشار[4]:

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ وَإنْ بعُدَ المدَى عَنَقٌ تَتَابَعَ كُلُّهُمْ فِي مِقْوَدِ

يرى بشار الناس الذين هم في شغل عن الموتن والذين عُمروا وابتعدت بهم سنين الحياة،أنهم جميعاً سيلقون الموت قصر بهم العهد أم طال، فهم مربوطون بمصيرهم كما هي الإبل في سيرها لا حرية لها في اختيار طريقها،وإنما تتبع بعضها بعضاً وفق الطريق التي يختارها الذي يقودها.

وبهذا نرى أن بشارا "يأخذ الفكرة ويحورها ويقترب بها من الحس أكثر، فالناس ليسوا سوى الخط الذي يقودهم فيه الجمل الأول الذي بدوره يقوده صاحب الجمل، ومهما بعد المدى فالجميع سيرد المورد نفسه، وسيشرب من الحوض نفسه لا محالة"[5].

---

1 التشكيل الجمالي في شعر بشار بن برد، عبد الكريم صالح الحبيب، أطروحة دكتوراة في الأدب العربي، جامعة البعث، 2007 /2008 ص102

2 المرجع نفسه ص102

3 ديوان طرفة بن العبد ص 26

4 ديوان بشار بن برد ج 3 ص 117

5 الصورة في شعر بشار بن برد ص118

التناص مع شعر زهير بن أبي سلمى:

من الشعراء الجاهليين الذين تأثر بهم بشار وعمل على استلهام نصوصهم وقولبتها فنيا زَهير بن أبي سلمى، فالجانب الحكمي في شعر بشار يحمل بصمات زهير في غير موضع.

ومن أبرز المواطن التي توضح ذلك تلك النظرة المعمقة لانعدام معرفة الغيب، وما يحمله المستقبل من أحداث، يقول زهير [1]:

وَأعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأمسِ قبلَهُ وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمي

يقدم زهير نظرته في موضوع معرفة القادم من أيام في قالب سلسٍ وبسيط يتوخى إيصال الفكرة لتكون دالة دون لبسٍ، ذلك أن الحكمة تتطلب الإيجاز وبساطة الطرح؛ فزهير يتحدث دونما إغراق في التصوير، أو تكثيف، أو التواء أسلوبي قد يُحمِّل بيته أكثر من وجه دلالي أو تأويلي؛ فمقصوده أنه وهو العليم بأحداث أمسه ويومه، لكنه أعمى عن علم مستقبله فلا يستطيع أن يحيط به مطلقاً،" فالصورة لدى زهير عميقة على الرغم من سهولتها، فقد أعطى للغد صورة غامضة مبهمة وجعل السامع يتوقع منه ما لا يحدّ من الأسرار"[2].

يقول بشار متناصا هذا المعنى[3]:

فاسكُن إلى سَكَنٍ تُسَرُّ بِهِ ذَهَبَ الزَمانُ وَأنتَ مُنفَرِدُ

تَرجو غَداً وَغَدٌ كَحامِلَةٍ في الحَيِّ لا يَدرونَ ما تَلِدُ

هنا يقدم بشار حكمة في قالب شعري،وقولاً شعرياً مأثوراً من حيث هو يعظ مخاطبه بأن يكف عن تمنية النفس بما يحمله الغد من جديد قد يغير حال المخاطب، مشبهاً إياه بالمرأة الحبلى التي لا يمكن التنبؤ بما ستلد.

لكننا واجدون عند بشار محاولة في إضفاء معنىً جديد، وابتكار صورة مستحدثة تخدم مراده؛ فبشار بدءاً يحث مخاطبه على اتخاذ زوجة تؤنسه وتسره والسعي بحثاً عن ذلك، فالعمر يتقدم وهو لا يزال وحيداً، وفي امتصاصه لمعنى زهير في بيته يحوِّر معنى عدم معرفة ما يحمل الغيب من طريقته المباشرة التي تحدث عنها زهير – من جهة أنه لا يعلم ما في المستقبل

---

1 شرح شعر زهير بن أبي سلمى، أبو العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط.3، 2008،ص 35

2 الصورة في شعر بشار بن برد ص 235

3 ديوان بشار ج 3 ص 62، المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين، شرح أبي الطاهر إسماعيل التجيبي البرقي، اعتنى به محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد، مصر ص 93/92

مطلقاً من خلال دلالة كلمة "عمي"، – يحوِّرها بشار إلى دلالة تخييرية بين خير وشر، لدالتين: ظاهرة ومبطنة في بيته، الدالة الأولى أن المخاطب في انتظاره وعدم سعيه يرتجي الخير من الغد، وذلك من قول بشار له " ترجو غداً"، والرجاء لا يكون إلا لأمر فيه خير للراجي، والدالة الثانية الخفية تكمن في الصورة التي رسمها بشار عن غدٍ يصفُه بأنه كالمرأة الحبلى التي لا يُعلم ماذا ستنجب ذكراً أو أنثى، وهذا تلميح كنائي من خلال دلالة الذكر على الخير، والأنثى على الشر، فمعنى بشار فيه خروج على المعنى العام لحكمة زهير من خلال استثماره استثماراً يخدم سيرورة الحدث الشعري في بيته،ومقصوده من الاستعانة بهذا المعنى لحث مخاطبه على عدم الركون إلى التمني والرجاء، فالمستقبل قد يأتي بالخير مثلما قد يأتي بالشر أيضاً، فكلاهما غير محسوم حدوثه فالمعنى عن استحالة معرفة ما يحمله المستقبل بالمطلق؛ انتقل إلى حصره بين خير مرتجي وشر متجنب.

وفي موضع آخر يضمن بشار معنى زهير متناصا في قوله[1]:

أريدُ فلا أعطى وأعطى فلم أرد وَقصَّرَ عِلمي أن أنالَ المُغيَّبا

وقد أشار إلى هذا التناص البرقي في شرحه للمختار من شعر بشار بقوله " وقوله – أي بشار – ويقصر علمي أن أنال المغيبا من قول زهير: وأعلم ما في اليوم والأمس قبله...البيت، فهذا ما أجمع عليه الأول والأخر، وأقر به المسلم والكافر أنهم لا يعلمون ما يكون في غد، وأن أطلقوا القول وبالغوا في وصف الذكي الفطن الذي يستدل بصدور الأمور على أعجازها،وبابتدائها على انتهائها، فإنما يقولون يكاد يعلم وكأنه يعلم "[2].

وفي معنى آخر يتلاقح شعر بشار مع زهير في موضوع عشوائية القدر،وعدم إنصافه في اختيار موتاه، فهو كالناقة التي تمشي ليلاً على غير هدىً فتدوس بيديها وأقدامها ما يقع في طريقها؛ فالهالك من تطؤه لا لسبب إلا لأنها لا ترى،والذي لا يكون في مرمى طريقها ينجو ويعمر في حياته، يقول زهير[3]:

رَأيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِب تُمِتهُ وَمَن تُخطِئ يُعَمَّر فَيَهرَمِ [4]

---

1 ديوان بشار ج 1 ص 289، المختار من شعر بشار ص 120

2 المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين، شرح أبي الطاهر إسماعيل التجيبي البرقي، اعتنى به محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد، مصر ص 120

3 شرح شعر زهير بن أبي سلمى ص 34

4 " عَشْواءَ، وهي الناقة التي في بَصَرَها ضعفٌ، تَخْبِطُ إذا مشتْ، لا تتوقَّى شيئاً." الصحاح مادة خبط

بينما يأخذ بشار هذا المعنى، فيقول [1]:

وَما نَحنُ إلّا كَالخَليطِ الَّذي مَضى فَرائِسُ دَهرٍ مُخطِئٍ وَمُصيبِ

فيضيف عليه دلالة أخرى جديدة وهي أن الدهر يتقصَّد هلاكنا، فهو كالسبع أو الوحش الذي يطارد فرائسه الذين شبَّههم بالبشر هنا، فمن تتمكن منه يد الوحش هلك ومات، ومن أخطأته سهام الدهر نجا، فنظرة بشار نظرة سوداوية للدهر تحمله مسؤولية تهديد حياتنا، بينما في بيت زهير نلمح عبثية الأقدار في موضوع الموت بحيث متروك أمر نجاة الأحياء منهم أو هلاكهم للصدفة، " لكن النتيجة في كلا الحالين واحدة، فما نحن إلا كالذين سبقونا، الحي فينا يلحق الميت، والدهر سيعاود شحذ سهامه من جديد ليلتقي بمن أخطاهم في المرة الأولى"[2].

ويتناص بشار مع زهير في المعنى، يقول زهير[3]:

وَمَن لَم يُصانِع في أمورٍ كَثيرة يَضرَّس بِأنيابٍ وَيوطأ بمنسمِ [4]

يقدم زهير نصيحة عامة بأن يداري الإنسان محيطه الاجتماعي، ولا يقف كالقاضي على زلاتهم معاتباً لائماً ومنتقداً؛لأنه لن يسلم من كيدهم وقد يعرِّضه ذلك للأذى البدني والنفسي نتيجة كثرة انتقاده ولومه للآخرين.

ويقول بشار [5]:

إذا كُنتَ في كُلِّ الذُنوبِ مُعاتِباً صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه :

فبشار يقدم حكمة لدوام الصداقة واستيعاب الصديق بحيث ينصح بعدم كثرة لوم الصديق وعتابه على أفعاله كثرت أو صغرت؛ لأنه بشر معرَّضٌ للخطأ والصواب،و في حال دوام العتاب من الإنسان لصديقه سيأتي عليه يوم لا يجد فيه صديقا.

ويتجلى التناص في استيعاب بشار للحكمة العامة القاضية بضرورة مصانعة الآخرين وعدم تبكيتهم على تصرفاتهم نظراً لسوء مآلات تلك التصرفات متحوِّلا إلى أسلوب التعامل مع الناس، فوظفها توظيفاً متساوقاً مع السياق العام لقصيدته من حيث الطريقة المثلى لمعاملة الصديق، فنجده قد شذب قوة المعنى وقسوته البادية في تصوير زهير عندما قال:" يُضرَّس

---

1 ديوان بشار بن برد ج1 ص 256
2 الصورة في شعر بشار بن برد ص 236
3 شرح شعر زهير بن أبي سلمى ص 35
4 المَنْسِمُ: خُفُّ البعير الصحاح مادة نسم
5 ديوان بشار بن برد ج1 ص309

بأنياب " في دلالة على شدة إيذاء الآخرين لمن لا يصانع الناس؛ فالتضَّرسُ هو العض واللـوك نوقد جيء به مبالغاً فيه للتهويل من شأن الإيذاء البدني المحتمل، وعندما قال:"ويوطأ بمنسم" في دلالة على الإهانة والإذلال النفسيين اللذين سيلقاهما الشخص أعلاه، فلم يضِّمن بشار بيته صوراً فنية، وإنما قدم معنى سلساً قريباً إلى النفس موائماً لمقتضى الحال التي يصفها زاجـراً زجـراً لطيفاً دونما تهويل.

ويتناص بشار مع زهير في المعنى، يقول زهير [1]:

صَحا القلبُ عَن سَلمى وَأقصَرَ باطِلُه وَعُرِّيَ أفراسُ الصِبا وَرَواحِلُه

يصف زهير نفسه مقلعا عن حب سلمى كافا عن حبه لها وتولهه بها في استعارة تخيليـة داهشة[2]؛فقد جاء زهير بالأفراس هنا لتدل على حبه وشوقه وصبابته بها، وهو هائم في سـبيل حبها، ولما قد كف عن صبابته عُريت هذه الأفراس عما يحمل عليها من لوازم السفر والتجارة والحج، كالأمتعة والسروج واللجام الخ... من متطلبات الرحلة في دلالة على أن جميع متعلقات عشقه قد انتفت بانتفاء حبه لسلمى، "وهي صورة بعيدة لا تقع إلا في ذهن يكثـر مـن التخيـل والإغراق في التصور،ذهن يتعمق في الأشياء والمعاني حتى يتخيلها أحياء حقيقية"[3].

يقول بشار[4]:

وَرَكّابَ أفراسِ الصَبابَةِ وَالصِبا جَرَت حِجَجاً ثُمَّ اِستَقَرَّت فَما تَجري

---

1 شرح شعر زهير بن أبي سلمى ص 101

2 يقول القزويني " فيحتمل أن يكون استعارة تخييلية، وأن يكون استعارة تحقيقية؛ أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أوان المحبة من الجهل والغي، وأعرض عن معاودته؛ فتعطلت آلاته كـأي أمر وطّنتَ النفس على تركه؛ فإنه تهمل آلاته فتتعطل، فشبه الصبا بجهة من جهات المـسير –كـالحج والتجارة– قُضي منها الوطر فأهملت آلاتها، فتعطلت، فأثبت له الأفراس والرواحل؛ فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوّة، لا بمعنى الفتاء. وأما التحقيـق فـأن يكـون أراد بـالأفراس والرواحل دواعي النفوس وشهواتها، والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، أو الأسباب التي قلّما تتآخذ في إتباع الغي إلا أوان الصبا." بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علـوم البلاغـة – عبـد المتعـال الصعيدي، مكتبة الآداب،ط 17، 1426هـ–2005م ص (354) وانظر الموازنـة للآمـدي، ص ج 1 ص14

3 تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، شوقي ضيف مكتبة المعارف ص331.، وانظر:الصورة الفنية في شعر زهير،عبد القادر الرباعي، دار العلوم، الرياض،ط.1.

4 ديوان بشار بن برد ص ج 3 ص274

" فافراس الصبا هنا استعارة للإقبال على اللهو، والركض استعارة للشدة في ذلك والإكثار "[1].

وبشار يأخذ مشهد أفراس الصبا ويضمنه بيته ليدلل على ركود نفسه واستقراره عند طلب معشوقه، وقد كان تعبير الإقلاع عن المحبوبات عند زهير " عرِّي "،أما عند بشار " ثم استقرت".

وقد امتص بشار معنى بيت زهير في موضع آخر، يقول[2]:

وَما حاجَتي لَو ساعَدَ الدَهرُ بِالمُنى كَعابٌ عَلَيها لُؤلُؤٌ وَشَكولُ

بَدا لِيَ أَنَّ الدَهرَ يَقدَحُ في الصَفا وَأَنَّ بَقائي إِن حَييتُ قَليلُ

فبشار يعرض ويقلع عن الكواعب ملتقيا مع زهير في تضمينه معنى زهديا لترغيب نفسه الإعراض عن النساء؛ فالدهر لا يبقي أحدا والمصير إلى الفناء.

ويتناص بشار مع زهير في تصوير الأخير الحرب بالناقة التي تلقح بمعنى تحمل وتنتج،وتصوير فتك الحرب بالرجال بعرك الرحى للحب، يقول زهير[3]:

فَتَعرُكُم عَرِكَ الرَحى بِثِفالِها وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِم

فزهير يصور الحرب وما تحدثه من فتك في الرجال بالرحى التي تطحن الحب ليخرج طحينا، وإمعاناً في التهويل من شأن الحرب يصفها بأنها تحمل مرتين في السنة، وإذا ولدت تلد توأماً يريد أن الحرب تجر ويلات وشرورا كثيرة "[4].

وقد تناص بشار هذا المعنى من زهير في موضعين، الاول قوله [5]:

وَإِذا الخُطوبُ تَقَنَّعَت عَن لاقِحٍ تَدَعُ الذَليلَ لِنَسرِهِ وَغُرابِهِ

فاشتداد الخطوب يجعلها تتقنع كالفرسان استعدادا للحرب التي عبر عنها بوصفها المبرّز لها "لاقح "، حيث حذف الموصوف وأبقى الصفة للتدليل على شدتها، مشبها إياها بالناقة التي تلقح لتلد أمواتا يتركون للطيور لا يستطيع أهلهم دفنهم.

---

1 ديوان بشار ج 3 ص274
2 ديوان بشار بن برد ج 4 ص172
3 شرح شعر زهير بن أبي سلمى ص 27
4 4 ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدم له علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 1،1988 ص170
5 ديوان بشار بن برد ج1 ص309

والموضع الثاني قوله [1]:

مَهلاً بغَيري اِعرُكوا شَذَاتَكُمُ لِلحَربِ مِمَّن يَحُشُّها حَطَبُ

ويظهر التناص في قوله " اعركوا شذاتكم للحرب "،حيث تصوير الحرب باعراك الرجال كعرك الحب في الرحى، وهو معنى قول زهير "فتعرككم عرك الرحى بثقالها".

وبهذا نرى أن بيت بشار الأول متناص مع الشطر الثاني من بيت زهير،وبيته الثاني متناص فيه مع الشطر الأول.

التناص مع شعر لبيد:

ظهر تناص بشار مع لبيد بشكل واضح؛ " فقد ترك أثرا كبيرا في صور بشار، فقد تأثر بالنهج القصصي الخيالي الذي جاء به لبيد عن الحيوان في معلقته، وسلك فيه مسلكا بعيدا فجاراه وبزه"[2].

فقد تناص بشار مع معلقة لبيد بالفكرة الواردة في بيت الأخير واصفاً حمار الوحش بالغيرة الشديدة على أنثاه (أتانه)، عندما يقول[3]:

يعلوُ بها حدبُ الآكام مسحَّجٌ قد رابَهُ عصياتُهَا ووحَامُها

فهنا يصف لبيد الحمار الوحشي وهو ينأى بأتانه إرهاقاً لها وإبعاباً عن الفحول إذ يختار الأماكن المرتفعة كي ينفرد بها وحده، وما يدلل على شدة غيرته كما يوضح لبيد أنه في ريبة من أمرها إذ هي تعصيه ما بعث الشك في نفسه أنها حبلى، وفي ذلك توصيف بحيث أكسب الحمار الوحشي صفات إنسان البادية برؤيته إلى الأنثى، وضرورة الغيرة عليها والشك إن أوجس منها أمارات تدعو إلى الريبة.

وقد أشار بشار إلى هذا المعنى من حيث غيرة حمار الوحش على أنثاه، فهو يغار عليها من صواحبه، إذ يقول[4]:

غَيورٍ عَلى أصحابِهِ لا يَرومُهُ خَليطٌ وَلا يَرجو سِواهُ صَواحِبُه

---

1 ديوان بشار بن برد ج1 ص 265
2 الصورة في شعر بشار ص 236
3 ديوان لبيد شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه د. حنا نصر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1993 ص211
4 ديوان بشار بن برد ج1 ص 310

وبالموازنة بين مجموع أبيات لبيد في القصص الحيواني وما تناصه بشار يظهر أنهـا – كما يقول د.عبد الفتاح نافع – سارت على التخطيط أو الفكرة العامة، ثم تلجـا إلـى التحليـل والتركيب والتجزئة والربط بطريقة فذة وقدرة عجيبـة علـى الـتمكن مـن اللغـة، ومعرفـة أسرارها،وكيفية استخدام تراكيبها، ولعل الأخذ بالتخطيط العام أو السير في ضوء فكرة هو الذي يدفع النقاد لاعتبار المتأخر سارقا من المتقدم مع أن الفكرة أو المعنى ليس شيئا أذا لـم يحـسن صياغته وتقديمه في زي جميل "[1].

فهذا الذي يشير الدكتور لاعتبار النقاد له سرقة هو عين التناص الذي نتناوله فـي هـذه الدراسة، فاخذ المتأخر من المتقدم يجب أن ينظر إليه بايجابية تظهر من خلاله الجوانب الفنيـة التي تثري العمل المتأخر.

وفي موضع امتداح النفس بالبلاغة والفصاحة يمتدح بشار نفسه مقترباً من معنى لبيد في اعتداده ببلاغته وشجاعته، إذ يقول[2]:

وَمَقـامٍ ضَيِّقٍ فُرَّجتُهُ بِمَقامي وَلِسـاني وَجَـدَل

لَو يَقومُ الفيلُ أو فَيّالُهُ زَلَّ عَن مِثلِ مَقامي وَزَحَل

فلبيد هنا يوضح علو همته قولاً وفعلاً،فهو الذي بشجاعته وفصاحة لسانه يوسع ما ضاق من خطوب تلوح به، إلا إنه يخطئ إذ رأى في فيّال الفيل منزلة عظيمة حيث قال إن فيال الفيل لا يستطيع بلوغ مكانته ومقامه قوةً، وذلك أن فيال الفيل قد يكون طفلاً أو ما شابه ذلك، بينمـا نجد بشارا ممتدحاً نفسه بما لا يخل من مقصوده بل يضفي مكانة رفيعة عليه إذ قال[3]:

وَأملاكُ صِدقٍ ألبَسَتني طِرازَهُم قَصائِدُ ما لي غَيرُهُنَّ شَفيعُ

فبشار وهو الماثل بين يدي ملوك كرام يستأثر بإعجابهم وبفصاحته وبليغ شعره حتـى إن الملوك يخلعون عليه بردهم وحللهم وما طرزوا به من ملابس تكريماً وتعظيماً لشأنه.

ويتناص بشار مع لبيد في فكرة حتمية الموت،وأن لا مناص منه إذ يقول لبيد[4]:

وكلُّ أُنَاسٍ سوْفَ تَدخُلُ بَينَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تصفَرُّ مِنها الأَنَامِلُ

---

1 الصورة في شعر بشار 241
2 ديوان لبيد 131
3 ديوان بشار 120 / 4، المختار من شعر بشار 164
4 ديوان لبيد 145

فلبيد يقر بحتمية الموت مفرقاً للجماعات من حيث ما من معشر إلا ستدخل بينهم مصيبة الموت التي تجعل الأنامل مصفرة دلالة على انقطاع تدفق الدماء فيها، و لبشار أبيات يتناص فيها مع لبيد في قصيدته المقتطف منها هذا البيت إذ يقول[1]:

خَليلَيَّ إنَّ المَوتَ لَيسَ بِناهِلٍ وَلَيسَ الَّذي يَهدي المَنايا بِغافِلِ

خَليلَيَّ يُفني المَوتُ كُلَّ قَبيلَةٍ وَمـــا أنا إلّا في سَبيلِ القَبائِلِ

فبشار يأخذ معنى لبيد مكثفاً إياه صاباً له في بوتقة تجربته الشخصية من جهة تأمله لفنائه الشخصي،منتظراً مقراً أن لا مفر ولا عاصم له من الموت، وتتضح جمالية تناص بشار في امتصاصه لروح معنى لبيد في قصيدته ككل، وفي البيت المقصود بشكل خاص؛ فهو يخاطب خليله بأن الموت سيصيبه حتماً إذ إن مقدِّر الموت ليس بغافل مهما طال الأمد، بالإضافة إلى تأمله وتفكره بالموت الذي أفنى الجموع والشعوب والقبائل مقراً بأنه ملاقٍ ذات المصير حيث ليس هو إلا فرد من هذه القبائل العابرة.

ويتناص بشار لفظاً مع لبيد من حيث مدحه لقومه في مقام شجاعة إذ يقول [2]:

إنّا إذا التقتِ المجَامِعُ لم يَزَلْ منّا لِزَازُ عظيمةٍ جَشّامُها

فلبيد يمدح قومه واصفاً إياهم بالشجاعة في كل موقعة فما تجتمع القبائل للحرب إلا ظهر من قومه رجل يقمع الخصوم ويقهرهم.

ويأخذ بشار كلمة لزاز يوظفها توظيفاً يفيد المدح أيضاً حيث يقول[3]:

فَتى الدينِ قوّاماً بِهِ وَفَتى النَدى وَنِعمَ لِزازُ الحَربِ حينَ تَبَرَّجُ

فممدوح الشاعر اجتمعت فيه خصال الديانة والكرم،وهو "لزاز الحرب "، أي انه شجاع مقدام في الحرب حتى ان الناس يحتمون به.

ويتناص بشار مع تصوير الأطلال بالكتابة في معلقة لبيد إذ قال[4]:

وَجَلا السُيولُ عَنِ الطُلولِ كَأَنَّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أَقلامُها

---

1 ديوان بشار ج 4 ص 165، المختار من شعر بشار 130
2 ديوان لبيد 237
3ديوان بشار ج 2 ص87
4 ديوان لبيد 203

فلبيد يقدم صورة للطلول بعد هطول المطر عليها، وتشكل السيول التي كشفت عنها ما طمرته سنوات هجر ساكنيها لها،بحيث بدت وكأنها كتب تجددت كتابتها، وأعيدت من بعد أن كانت ممحوة ومطموستن " وهو من احسن التشبيه " [1]، ويأخذ بشار هذه الصورة موظفاً إياها توظيفاً فنياً يخدم مراده ولا يقف عند حرفية المعنى المراد منها بل يوسعه إذ يقول[2]:

وأبْدَى البلَى فيها سُطُوراً مُبينَةً عِبارَاتُهَا أنْ كلُّ بيتٍ سَيَدْثُرُ

فبشار يستحضر تصوير الأطلال بالسطور،والديار المهجورة بالكتب إلا إنه يعمق من دلالة الإقفار وتقادم العهد عليها، فالبلى ويد الزمان التي أقفرت ومحت الرسوم من جهة، خطت سطوراً واضحةً بذلك تقول عباراتها أن لا مهرب من فناء الديار وساكنيها، ونلمس هنا المفارقة الجمالية في استخراج الضد من الضد لا سيما في جعل البلى وهو الماحي لمعالم البيت ورسومه مُسطِّراً لعبارات معنوية حتماً مفادها أن هذا مصير كل منزل أو اجتماع بشري، ولبشار بيت آخر يصف فيه الديار الدارسة بالكتب إذ يقول[3]:

كأنَّ بقايا عهدهنَّ بحاجرٍ فبُرْقَةِ حَوْضَى قدْ دَرَسْنَ كتَاب

ويقول في موضع اخر[4]:

لِعَبْدَةَ دارٌ ما تُكَلِّمُنَا الدَّارُ تلوحُ مغانيها كما لاح أسطارُ

فهذه الدار " تظهر للسائر خطوطا في الأرض كما تلوح الأسطار المكتوبة في الصحيفة، وأصل هذا المعنى (أيضا)للبيد،يقول [5]:

فَمَدافِعُ الرَيّانِ عُرِّيَ رَسمُها خَلَقاً كَما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها "[6].

فبشار استخدم هذا التصوير في أكثر من موضع مع اختلاف التوظيف وقوته خدمة لمراده منه.

---

1 التشبيهات لابن أبي عون عني بتحقيقه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبرج ص 167 وقد بين ابن رشيق (العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ابن رشيق القيرواني،تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل ط.5، 1981 ص ج1 ص 290) جماليته بتشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد " فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه بتجديد تلك لتلك "، بل نجد الآمدي يمعن بالثناء عليه بقوله " وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه، وكان الفرزدق إذا أنشده يسجد ويقول: إنا نعرف مكان السجود في الشعر كما تعرفونه في القرآن" الموازنة للآمدي ج 1 ص 489

2 ديوان بشارج4 ص 93

3 ديوان بشار ج1 ص 248

4 ديوان بشارج4 ص 78

5 ديوان لبيد ص 201

6 ديوان بشار بن برد ج4 ص 78

ويتناص بشار مع لبيد في معنى مخاطبة الاطلال وسؤالها،يقول لبيد [1]:

فوقفتُ أسْألُهَا ، وكيفَ سُؤالُنَا صُمّاً خوالدَ ما يُبينُ كلامُها

فلبيد بعد أن وقف بالديار أخذ يسألها عن ساكنيها ولما أيقن أنه لا يمكن أن يحظى بإجابة منها استعجب فعله واستنكره،موضحاً أن لا فائدة ترجى من الحوار مع حجارة لا تسمع ولا تتكلم.

يقول بشار [2]:

أبَى طَلَلٌ بالجزْع أنْ يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيَّما

يوضح بشار امتعاضه وغضبه من الطلل الصامت الذي لم يجب العاشق عن سؤاله.

ويتجلى التناص في صورة الأطلال الصامتة غير المجيبة للعاشق إذ يسألها عن سبيل الأحبة، فلبيد يبين أنه أخذ بسؤال الأطلال عندما وقف بها، فعندما لم تجبه استنكر فعله إذ لا يمكن أن تجيب حجارة صماء بكماء أو تسمع، إلا أن بشارا لا ينكر على نفسه سؤال الأطلال والاستفهام منها إنما يبين ضيقه من عدم إجابتها له وهو العاشق المتيم.

التناص مع شعر عمرو بن كلثوم:

ويتناص بشار مع عمرو بن كلثوم في الصورة لفظًا،ومعنًى عندما يقول عمرو [3]:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأضْيَافِ مِنَّا فَأعْجَلْنَا القِرَى أنْ تَشْتِمُونَا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا

فعمرو بن كلثوم يسخر من اعدائه قائلاً انهم نزلوا منهم منزلة الضيوف؛فهم حلوا في ديارهم، وكان واجبًا على قوم عمرو بن كلثوم أن يكرموا ضيوفهم بتقديم الطعام لهم دون إبطاء، لكن إطعام قوم عمرو قتال، وحرب طاحنة أهلكتهم، وبذلك استخدم الاستعارة والرمز أسلوبا شعريا ناجحا.

---

1 ديوان لبيد204

2 ديوان بشار ج4 ص 184

3 ديوان عمرو بن كلثوم جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي، بيروت ط.1، 1991م،ص 73

ويأخذ بشار هذه الصورة في امتداحه لشجاعة ممدوحه، يقول [1]:

وَيا قِراهُ العَدُوَّ مُرهَفَةً بيضاً وَيا لينَهُ إذا صَحِبا

فبشار يصف ممدوحه بإكرام عدوه بالسيوف الحادة متهكمًا، بالإضافة إلى امتداحه ممدوحه باللين في حال مصاحبته.

ويأخذ بشار هذا الصورة التهكمية في موضع اخر بقوله[2]:

وَما أصبَحَ الضَحّاكُ إلّا كَثابِتٍ عَصانا فَأرسَلنا المَنِيَّةَ تأدِبُه

فجعل المنية تدعوه إلى المأدبة على سبيل السخرية " لكن بيت عمرو ابلغ من بيت بشار، لأن عمرا مهد لها بقوله: نزلتم... الخ، وبشار قال "عصانا "، والعصيان لا يناسب الدعوة إلى المأدبة"[3]

ويتناص بشار في موضوع الفخر لفظًا،وأسلوبًا مع عمرو بن كلثوم في معلقته؛إذ يقول عمرو[4]:

وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ مَعَـدٍّ إذَا قُبَبٌ بِأبطحِهَا بُنِيْنَـا

بِأنَّا المُطْعِمُـوْنَ إذَا قَدَرْنَا وَأنَّا المُهْلِكُوْنَ إذَا ابْتُلِيْنَـا

وَأنَّا المَانِعُوْنَ لِمَا أرَدْنَـا وَأنَّا النَّازِلُوْنَ بِحَيْثُ شِيْنَا

وَأنَّا التَارِكُوْنَ إذَا سَخِطْنَـا وَأنَّا الآخِذُوْنَ إذَا رَضِيْنَـا

وَأنَّا العَاصِمُوْنَ إذَا أطِعْنَـا وَأنَّا العَازِمُوْنَ إذَا عُصِيْنَا

فعمرو يفخر بقومه مضفيًا عليهم صفاتٍ في غاية الكرم والشجاعة؛فهو يعتد بهم؛لأنهم كما يصف كرماء أشداء على من عاداهم،يحمون من استجار بهم،وأنفسهم أبيه.

ويتناص بشار مع روح قصيدة عمرو هذه، يقول [5]:

لقد علـم القبائلُ غير فخـرٍ عَلَى أحَدٍ وإنْ كَانَ افْتِخَـارُ

بِأنَّا الْعَاصِمُونَ إذَا اشْتَجَرْنَـا وَأنَّا الْحَازِمُونَ إذَا اسْتَشَـارُوا

---

1 ديوان بشار بن برد، ج1 ص 278
2 ديوان بشار بن برد ج1 ص 341
3 ديوان بشار بن برد ج1 ص 340
4 ديوان عمرو بن كلثوم ص 88،89
5 ديوان بشار بن برد ج3 ص 251

ضمنـــــا بيعة الخلفاء فينـــا فنحن لها من الخلفاء جـــارُ

بحَيٍّ منْ بَني عَجْلاَنَ شُـــوسٍ يسير الموتُ حيثُ يقالُ ساروا.

فيظهر التناص من حيثُ الأسلوب بتعداد مناقب قومه،واللفظ من خلال استخدامه لـــبعض الألفاظ الوارة في قصيدة عمرو بن كلثوم،:« وَأَنَّا العَاصِمُوْنَ»،و« وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ »

بالإضافة إلى أسلوبه في تعداد مناقب قومه الشبيه بأسلوب عمرو بن كلثوم، فبشار " يستمد معاني الفخر القديمة، ويصوغها صياغة قوية رصينة شبيهه بصياغتهم، ولكنه يضفي إلى معاني الفخر القديمة معاني جديدة مستمدة من الدين " [1]

التناص مع شعر عنترة بن شداد:

يتناص بشار بن برد مع عنترة في اللفظ والمعنى، يقول عنترة [2]:

دَهَتني صُروفُ الدَهر وَاِنتَشَبَ الغَدرُ وَمَن ذا الَّذي في الناس يَصفو لَهُ الدَهرُ

فعنترة يؤكد تغير حاله من خلال المصائب التي حلت به، والغدر الـــذي أصابه،متـــسائلاً مستنكراً في آن عن ذلك الشخص الذي لا يؤلمه دهره ولا يصيبه في نفسه أو ما يحب.

يقول بشار [3]:

وارْضيْ بما رَاعَكَ الزَّمانُ بِهِ ما كُلّ يوْم يصْفُو لكِ الْحلبُ

يسلم بشار هنا بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره مطالباً مخاطبته بأن ترضى بما لاقته من مآس؛ لأن الدهر لا يأتي دائماً بما يروق للناس ففيه الخير والشر، فـــالأحرى أن ترضـــى ونستقبل النائبة بصبر كما نستقبل الأمور الخيرة بفرح، فهذه حال الدهر لا يصفو دائماً فالـــدهر بين خفض ورفع للمرء.

ويتجلى التناص لفظا في قول بشار: " الزمان "، " يصفو لك "، مقابل قول عنترة: " الدهر "،و " يصفو له ".

ومن حيث المعنى يتداخل بشار مع بيت عنترة من خلال التأكيد على عدم ثبـــات الـــدهر على الخير في قوله: ما كل يوم يصفو لك الحلب، مخاطبا محبوبته،في إشارة إلى انقلاب الدهر

---

1 الصورة في شعر بشار ص 120
2 ديوان عنترة، دار بيروت، دار صادر بيروت،ط.1، 1958 ص 155
3 ديوان بشار بن بردج1 ص 264

من الخير إلى الشر، محورا استفهام عنترة الإنكاري عن الذي يصفو له الدهر أبدا، فبشار شبه الدهر بضرع النعجة بحيث لا يصفو حلبه دائما لأحد.

ويتناص بشار مع عنترة لفظاً ومعنىً، يقول عنترة [1]:

مَلِكٌ تَسجُدُ المُلوكُ لِذِكرا ه وَتومي إلَيهِ بالتَفخيمِ

فعنترة يمدح الملك المقصود[2] موضحاً أن الملوك يسجدون له احتراماً وتقديراً، ويشيرون إليه بالتفخيم لجلالة قدره وعظيم شأنه.

ويقول بشار [3]:

وَمَلِكٌ تَسجُدُ المُلوكُ لَهُ موفٍ عَلى الناس يَرزقُ العَرَبا

فبشار يبالغ في بيان مكانة ممدوحه[4] من حيث هو ملك تهابه الملوك فتسجد له احتراماً وتقديراً، فهو الذي عم خيره الناس جميعاً بحيث أصبح مصدر رزق العرب جميعاً.

ويتجلى التناص في معنى عظمة الملك الممدوح، وإن كان بشار قد اقتبس الشطر الأول كاملاً فإنه وسع من دلالة مدحه حيث جعل ممدوحه رازقاً للعرب كلهم يدينون له ملوكاً ورعايا.

ويتناص مع عنترة للتدليل على حفظ عرضه وشرفه رغم وروده موارد اللهو، يقول عنترة [5]:

فَإذا شَرِبتُ فَإنَّني مُستَهلِكٌ مالي وَعِرضي وافِرٌ لَم يُكلَمِ

فعنترة وهو في حال سكره وإنفاقه كل ماله على الشراب يبقى محافظاً على عرضه لا يمكن أن يناله أذىً أو يؤثر فيه شربه.

و يقول بشار:[6]

أقولُ وَقد أبدَيتُ لِلَّهوِ صِحَّتي ألّا رُبَّما ألهو وَعِرضي مُوَفَّرُ

فبشار يبين أنه وإن كان قد عرَّض نفسه للهو وخاضه بكل ما فيه من مزالق؛ إلا إنه في خضم ذلك كله يبقى صائناً لعرضه ولكرامته.

---

1 ديوان عنترة بن شداد ص 209
2 زهير بن جذيمة العبسي، الديوان ص 209
3 ديوان بشار بن برد ج1 ص 342
4 هو الامام المهدي بالله،امير المؤمنين، قال قصيدته فيه في السنة الثانية من خلافته، الديوان ج1 ص 342
5 ديوان عنترة 24
6 ديوان بشار بن برد ج3 ص 260

وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر يقول [1]:

حَتّى أروحَ وَقد قضَيتُ لُبانَةً أندى مِنَ المُتَضَيِّفِ الروّاح

فهو " يروح من بيت نديمه بعد الشراب أكرم من ضيف تضيف ورجع، أي انه لا يصدر منه ما يثلم عرضه "[2].

ويتجلى التناص في كون بشار لم يحصر معنى صيانة العرض أثناء الشرب خاصة،وإنما فتحه على اللهو بشكلٍ عام فجميع أشكال اللهو وليس الشراب فحسب لا ينالون من عرض بشار وكرامته وشرفه، وهنا دلالة بيته أعمق من حيث توضيح عظيم شأنه.

ويتناص بشار مع عنترة في فكرة الإحساس بمفردات الطبيعة وإسقاط الشعور الإنساني عليها بحيث تصبح ناقوساً يدق،باعثاً لواعج القلب وذكرى الأحباب، يقول عنترة [3]:

ومَا شاقَ قلبي في الدُّجَى غيرُ طائرٍ ينوحُ على غصنٍ رطيب من الرَّند

فعنترة يبين مدى شوقه الشديد لمحبوبته ورقة نفسه وشعوره من حبها بحيث أصبح شديد الحساسية تجاه أصوات الطيور التي هيجت ذكرى محبوبته في قلبه.

ويقول بشار[4]:

إذا شِئتُ أبكاني الحَمامُ بِصَوتِهِ وَهاجَ عَلَيَّ الشَوقُ طولَ سُباتي

فبشار يرى بأنه لو أراد لبكى من صوت الحمام الحزين الذي يجعل منه محرضا على البكاء لحزن صوته.

ويتجلى التناص في كون بشار يستدعي صورة اشتعال الأشواق من سماع أصوات الطيور المتخيلة بكاءً، فعنترة يبين أن أشواقه تملكت قلبه لسماع صوت طائر جعل منه نواحا مسقطا شعوره على ذلك الطائر جاعلا من بكائه المفترض علة لتجدد الأشواق واشتعالها، بينما يجعل بشار من بكائه لسماع هديل الحمام خاضعا لإرادته من قوله: " اذا شئت ابكاني ".

---

1 المصدر نفسه ج2 ص 132
2 ديوان بشار بن برد ج2 ص 132
3 ديوان عنترة ص 133
4 ديوان بشار بن برد ج 2 ص44

ويتناص مع عنترة في بيان شجاعة المقاتلين يقول عنترة [1]:

لا أبعَدَ اللّهُ عَن عَيني غَطارِفةً إنساً إذا نَزَلوا جِنّاً إذا رَكِبوا

أسودُ غابٍ ولَكِن لا نُيوبَ لَهُم إلّا الأسِنَّةُ وَالهِندِيَّةُ القُضُــبُ

فعنترة يمتدح مقاتلي قومه، مشبها إياهم بالجن عند ركوبهم الخيل في دلالة على سرعتهم، وبالأسود في دلالة على شجاعتهم في المعارك.

ويقول بشار [2]:

جُنْدٍ كأسْدِ الْغابةِ الصِّعاب صبَّحْتَهُ والشَّمْسُ فِي الْحِلْبابِ

بِغارَةٍ تَحتَ الشَفا أسرابِ بِالمــَوتِ وَالحُرسِيَّةِ الغِضابِ

كــَالجِنِّ ضرّابينَ لِلرقابِ دَأبَ اِمرئٍ لِلوَجَلى رَكّابِ[3]

يصف بشار شجاعة الجنود الذين يقاتلهم عقبة بن سلم ليظهر قوته عند انتصاره علــيهم، مشبها إياهم بالأسود الذين باغتهم عقبة بغارة من جيشه الذي كان كالجن صفة وسرعة مجهــزا عليهم.

و قد التقى الشاعران في وصف شجاعة المقاتلين بوصفهم بالجن، فبشار يصورهم بالجن في حال ضرب الرقاب وهو من المواضع التي تحتاج إلى شدة بسالة وعزم نفس، في حــين أن عنترة وصفهم بالجن إذا ركبوا خيولهم مقدمين على القتال سالين سيوفهم مخترقين الــصفوف، ودلالة الوصف بالجن أنه رمز للخارق العادة؛ فالجن يتنقلون ويسيرون بصورة غير التي نعهدها للإنس، فتشبيه الجند بهم دلالة على البسالة والشجاعة.

وكذلك التقى الشاعران في وصف المقاتلين بالأسد وهو رمز الشجاعة والبطولة.

وتبرز جمالية وصف بشار للجنود أعداء عقبة بالأسود،وجنوده بالجن من خلال أن "الجن يخيفون البشر وهم مستترون عنهم،وربما أشار إلى لطافة جمالية أخرى وهي أن رؤوس أفــراد جيش العدو كانت تتطاير في المعركة من دون أن يُرى ضاربوهم،أو أن فعل جيش عقبة كــان ظاهراً بالعدو بسرعة حركة جنود عقبة وبسالتهم،كل ذلك يرسم في ذهن المتلقي صورة للنصر

---

1 ديوان عنترة ص93

2 ديوان بشار بن برد ج1 ص 166

3 الوجلى:اشتقه بشار من الوجل،وارد موضع الخوف، ديوان بشار بن برد ج1 ص 166

الذي يحرزه هذا الجيش، وهو نصر يسجله التاريخ،لأنه انهزام لجيش العدو الذي كـــان معتـــداً بقوته "[1].

ويتناص مع عنترة في فكرة خيال المحبوبة الذي يؤنس وحشة العاشق إذ يقول عنترة [2]:

أيا عَبلَ لو أنَّ الخَيالَ يَزورُني عَلى كُلِّ شَهرٍ مَرَّةً لكَفاني

فعنترة يوضح أنه يعاني من فراق عبلة ويناشدها أن يزوره خيالها ولو مرة كـــل شـــهر وسيكتفي بذلك.

ويقول بشار [3]:

مَنَعَتكَ أمُّ مُحَمَّدٍ مَعروفُها إلّا الخَيالَ وَبئسَ حَظُّ الغائِبِ

فأم محمد منعت وصالها محبوبها إلا طيف خيالها الذي يزوره، إلا أن بشارا يرى أن هذا الطيفغير كاف بل يذمه.

ويتجلى التناص في انتقاد بشار لمعنى الاكتفاء بزيارة طيف المحبوبة،ويحوره بما يتلاءم مع شدة شوقه وحاجته لمحبوبته، فهو لا يكتفي بخيالها وإنما يريدها حقيقةً.

ويتناص مع عنترة في ذكر المحبوب في حال الشدة كترياق وتعويذة حامية ومصبّرة على الألم يقول عنترة[4]:

ولقد ذكرْتُكِ والرِّماحُ نواهلٌ مني وبيْضُ الهنْدِ تقْطرُ منْ دمي

فعنترة يستحضر ذكرى محبوبته وهو في موقف عظيم،فهو معرَّض لفقدان حياته في أيـــة لحظة نظراً لاحتدام القتال من حوله وإصابته بالسيوف.

ويقول بشار [5]:

لقدْ ذكرْتُكِ والْفوْقانُ يأخُذُني وما نسيتكِ بين الكأس والكوبِ [6]

---

1 التشكيل الجمالي في شعر بشار ص 122/121
2 ديوان عنترة ص 228
3 ديوان بشار بن بردج1 ص 192
4 شرح ديوان عنترة بن شداد للتبريزي " قدم له مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت ط.1، 1992م ص 191
5 ديوان بشار بن برد ج 1 ص222
[6] الفوقان :أراد به الفواق (كغراب) اسم ريح تعترض في الصدر لها صوت تكون عند الاحتضار أو من شدة المرض . ديوان بشار بن برد ج 1 ص222

فبشار يذكر محبوبته وهو في أقسى حالات مرضه،إذ يأخذه ذلك الريح الذي يكتم على الصدر ويصدر أصوات أنين عند اشتداد المرض.

ويتجلى التناص في تداخل بشار مع معنى تذكر المحبوبة عند اشتداد الأزمات حوله، فعنترة يذكر محبوبته عند إشرافه على الموت أثناء المعركة، وبشار يذكر محبوبته في أقسى درجات مرضه لكنه يؤكد هذه الفكرة،ويوسع من دلالة حبه ووفائه لمحبوبته ودوام ذكره لها بإيراد معنى ذكرها أيضاً حيث يكون سعيداً،وفي موقف سرور؛فهو لا يذكرها فقط في حالات الشدة والألم إنما يتذكرها في شدته ورخائه.

التناص مع شعر الأعشى:

تناص بشار مع الأعشى ونهل من معانيه وصوره، وقد " شارك الأعشى في موسيقاه؛ فقد أطرب كلا الشاعرين معاصريهما، وكان شعرهما من السهولة والانسجام ما جعل الناس يرددون أشعارهما "[1].

ومن مظاهر تأثر بشار بالأعشى ما أبداه إعجابا ببيته الذي يصف به الشَّعر:

فأفضيتُ منها إلى جنةٍ تدلَّتْ عليَّ عَنَاقيدُها

فقد فضله على جميع ما قيل في الشَعَر " [2].

يتناص بشار مع الأعشى ميمون في معنى حبه لامرأة تحب غيره، قول الأعشى [3]:

علّقتها عرضاً، وعلقتْ رجلاًغَيري، وَعُلّقَ أُخرَى غيرَها الرّجلُ

فالأعشى يقول إنه أحب امرأة وتعلق بها إلا أنها أحبت رجلاً آخر غيره، وهذا الرجل الآخر لم يبادلها حباً بحب، وإنما تعلق بامرأة غيرها بحيث يقدم الأعشى معنىً فيه مبالغة لمقصوده في التعبير عن عدم مبادلة المحبوب لمن يحبه الحبَ.

ويأخذ بشار هذا المعنى ويعرضه بقوله [4]:

أحبَبتَهُ وَنَأى بهِ ودٌّ لآخَرَ يُحِبُّه

---

1 الصورة في شعر بشار236

2 ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، دار الجيل، بيروت، ص ج1 ص 244

3 ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت لبنان ص 93

4 ديوان بشار ج 1 ص196

فبشار مثل الأعشى أحب، ولكن الذي يحبه يحب آخر،وهذا الآخر لا يحبه، وهو معنى الأعشى نفسه، فالشاعران اشتركا في بيان المفارقة التي تحصل مع المحبين، وأن العواطف قد تخرج عن دائرة سيطرة العقل إلى سلوك يدعو للدهشة.

ويتناص بشار في تصوير مشية المحبوبة بالسحاب مع الأعشى، إذ صور مشية هريرة بمر السحاب حيث قال الأعشى [1]:

كَأنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ

فهريرة كما يصفها الأعشى متئدة في مشيتها لفرط دلالها وثقتها بنفسها،فلا هي بالمسرعة، ولا بشديدة البطء، إنما تمشي تبخترا وتيها كما السحابة في السماء تجري، " فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها "[2].

وهو معنى أخذه بشار فجوده وأخرجه إخراجا فيه من الجدة ما فيه،إذ يقول [3]:

تَيَّمَتني إذ تَهادَت في ثلاثٍ تائِباتِ

بتَهادي مُرجَحِنٍّ مِثلَ مُهتَزِّ القَناةِ

فبشار يصف مشية محبوبته بالتهادي، وهو المشي المطمئن الواثق من خلال إيراده للنعت " مرجحن " للمنعوت المحذوف سحاب لدلالة السياق عليه، وهو السحاب المثقل بالأمطار يجري متئدا لا مسرعا ولا مبطئا، وفي تصوير بشار إضافة تخدم مراده وتوضح مقصوده من مشي محبوبته متهادية إذ إن تصوير مشيتها بالسحاب المثقل بالأمطار يعمق من دلالة تيهها وإفراطها في التدلل والتبختر.

ويتناص بشار مع الأعشى في هجاء من يبخلون بإطعام جيرانهم الجوعى وهم موسرون إذ يقول[4]:

تَبيتونَ في المَشتى مِلاءً بُطونُكُم وَجاراتُكُم جَوعى يَبتنَ خَمائِصا

---

1 ديوان الأعشى 91

2 الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي،القاهرة ط.3 – 1997 م ص (ج 3 ص 41) وقال السري الرفاء عن هذا التشبيه "، وهو من نادر تشبيهات العرب " (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري بن احمد الرفاء، تحقيق مصباح غلاونجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1986ص ج1 ص 284)

3 ديوان بشار ج2 ص53

4 ديوان الأعشى 185

فهو يذم علقمة وقومه بأنهم ملؤوا بطونهم شبعا،ولهم جارات يتضورن جوعا هزلت لفرط عوزهن وحاجتهن للطعام، "قال الكلبي: ولم يهج علقمة بشيء أشد عليه من قوله:

تبيتون في المشتى...البيت،فرفع علقمة يده وقال: لعنه الله ! إن كان كاذباً ! أنحن نفعل هذا بجاراتنا ! "[1].

وهو معنى أخذه بشار في هجائه لحارث المهري إذ يقول [2]:

يا حارثُ المَهريُّ أنتَ اِمرؤٌ شَبعانُ لا يَحمَدُكَ الغارثُ [3]

فبشار يذم مهجوه لأنه شبع وأمن جوعه، بينما له قريب جائعلم يعطه المهجو ما يسد رمقه، ويتضح ذلك من عبارة " لا يحمدك الغارث " لعدم الالتفات إليه وإطعامه.

ويرد الهجاء بذلك في شعر بشار في موضع آخر إذ قال [4]:

قُل لِلأمير إذا نَزَلتَ بِـــهِ إنَّ المَباخِلَ ذَمُّها عَجِـــلُ

بِئسَ المُروءَةُ مِن ذَوي حَسَبٍ جاعَت قَرابَتُهُم وَقَـد ثَمِلوا

شِبَعُ الأمير وَجوعُ صاحِبِـــهِ عارُ الحَياةِ فَأَطعِموا وَكُلوا

فبشار يعد جوع الأقارب في حال شبع مجاوريهم من نواقض المروءة، بل ويعد ذلك عارا على مدى الحياة مطالبا من يهجوهم بان يكونوا عادلين فإذا أكلوا لا ينسون غيرهم المحتاجين للطعام.

ويتناص مع الأعشى في تصوير ثغر المحبوبة وجناه بالرائحة الطيبة، والمذاق اللذيذ، وما شابه ذلك حيث قال [5]:

كأنَّ القرَنفلَ والزنجبيلَ باتا بِفِيها وأرياً مَشورا[6]

---

1 الأغاني لأبي فرج الأصفهاني دار الفكر – بيروت، ط.2 ص (ج9 ص 142) وقال أبو منصور الثعالبي " وكان الأصمعي يقول: أهجى بيت للعرب قول الأعشى في علقمة: تبيتون في المشتى...البيت " خاص الخاص أبو منصور الثعالبي، تحقيق: حسن الأمين دار مكتبة الحياة – بيروت / لبنان –ص(100)

2 ديوان بشار ج2ص 67

3 الغَرَثُ: أيْسَرُ الجوع؛ وقيل: شِدَّتُه؛ وقيل: هو الجوعُ عامَّة. لسان العرب مادة (غرث)

4 ديوان بشار ج 4 ص 176،المختار من شعر بشار 172

5 اللآلي في شرح أمالي القالي،عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري تحقيق: عبد العزيز الميمني،دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1417هـ – 1997،ط.1ص (ج1 ص 176)، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ص ج3 ص 179

6 واري العَسَل ما التزق بجوانب العسّالة،العين مادة أري ، المشارُ: المجتنى للعسل. شرتُ العسل أشوره شوراً ومشارةً. العين مادة شور

فالأعشى يمتدح طيب رائحة ومذاق فم محبوبته من خلال تصويرهما بالقرنفل والزنجبيل، وهما من النباتات العطرية ذات المذاق الطيب، وهو تصوير تتاص معه بشار من حيث وصف لذة مذاق فم عبدة في قصيدته حيث قال [1]:

كَأنَّ بريقِها عَسَلاً جَنِيّاً وَطعمَ الزَنجَبيلِ وَريحَ راح

فبشار لفرط مذاق فم عبدة محبوبته وطيبه وحسن رائحته شبهه بأنـــه ممـــزوج بالعـــسل الصافي الطازج والزنجبيلوالريح الزكية.

وتتاص بشار في تصوير مجلس الشراب وتوضيح طقوسه مع الأعشى عندما قال [2]:

نازَعتُهُم قُضُبَ الرَيحان مُتَّكِئاً وَقهوَةً مُزَّةً راوُوقُها خَضِلُ

فالأعشى يصف مجلس الخمر الذي جمعه بالندامى،شارحا حاله فيه نفهو يشارك أقرانه شم الريحان وهو متكئ بالإضافة إلى مشاركته إياهم الخمرة التي صبت من مصفاة ندية[3].

ويتناص بشار مع هذه الصورة لفظا ومعنى عندما يقول[4]:

وَمُعَدَّلٍ هَجَرَ اللِئامُ حَديثـــــــهُ مُتَعالِمٍ بِفُتُوَّةٍ وَمـــــــــزاح

نازَعتُهُ الرَيحانَ في نَفَسِ الضُحى وَسَماعَ عامِلَةِ اليَدَينِ رَداح

فبشار كان نديمه هذا الرجل الكريم المعدَّل الذي كثر لائموه حيث شاركه وتناوب على شم الريحان أبان شروعهما في الشرب ذاكرا وقت ذلك،وهو أول الضحى،ويتضح تناصه لفظا مـــن خلال عبارته " نازعته الريحان "، بالإضافة إلى تناصه الأسلوبي إذ نجد في بيت الأعشى أنـــه عطف قهوة على قضب بالنصب، وكذلك فعل بشار إذ عطف سماع علـــى الريحـــان بالنـــصب أيضا.

ويتناص بشار لفظا مع الأعشى في تصوير مشية المرأة وامتداحها يقول الأعشى [5]:

غَرّاءُ فَرعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها تَمشي الهُوَينا كَما يَمشي الوَجي الوَحِلُ

---

1 ديوان بشار ج2 ص 113
2 ديوان الاعشى95
3 يروي أبو فرج الأصفهاني عن " حماد الراوية سئل عن أشعر العرب، قال الذي يقول: نازعتهم قضب الريحان متئكا...البيت " الأغاني (ج9 ص 132)
4 ديوان بشار ج2 ص130
5 ديوان الأعشى 91

فبعد أن يمتدح الأعشى محبوبته بما فيها من صفات جسمانية ينتقل لوصف مشيتها التي فيها تدلل وتيه؛ فمحبوبته تمشي متبخترة مترفة متأنية كما يمشي صغير الغزال في الوحل.

ويتناص بشار لفظا في تصويره لمشية الموصوفة مادحا إذ يقول[1]:

لِثقالِ الأعجازِ تَمشي الهُوَينى مِثلَ غُصنِ الرَيحانَةِ المَيّادِ

فهو يستعير العبارة " تمشي الهوينا " إلا أنه يقدم وصفا مغايرا للأعشى في تشبيه مشية المحبوبة، فبشار يشبه مشية الهوينى خاصا المرأة الممدوحة بغصن الريحانة كثير الاهتزاز والتمايل.

وتناص بشار مع الأعشى في تصوير سرعة الناقة، وكأن بها جنا، يقول بشار [2]:

وَغاربٍ أخفى لِخافي البَلَدِ رَيّانَ يَلقى مَعَ طولِ الشَدِّ

فبشار يصف ما بين عنق الناقة وسنامها بالنشاط كناية،عندما يقول بأن غاربها يخفي الخافي وهو الجن، وقد استعار بشار هذا المعنى للدلالة على سرعة الناقة من خلال كونها مجنونة وبها مس من الجن من بيت الأعشى عندما يصف سرعة ناقته مشبها إياها بمس من الجن،يقول [3]:

وَتُصبحُ مِن غِبِّ السُرى وكَأنَّما ألَمَّ بها مِن طائِفِ الجِنِّ أولَقُ [4]

فهي في سرعتها ونشاطها كمن تلبسها الجن،وأصيبت بشبيه الجنون من حيث لا مبالاتها وسيرها بخفية ونشاط،إلا أن بشارا امتص معنى الأعشى وحوره من خلال التكنية، والمجانسة اللفظية التي أضفت بعدا جماليا على بيته،وقدمت المعنى المراد بصورة أعمق دلالة.

ويتناص بشارفي الصورة مع الأعشى عندما امتدح من يمتدحه بتشبيههم بالسيوف يقول[5]:

في فِتيَةٍ كَسُيوفِ الهِندِ قد عَلِموا أن لَيسَ يَدفَعُ عَن ذي الحيلَةِ الحِيَلُ

---

1 ديوان بشار ج2 ص178
2 ديوان بشار ج2 ص 229
3 ديوان الأعشى 257
4 الأوْلَقُ: شبهُ الجنون.الصحاح مادة ولق
5 ديوان الأعشى 95

فالأعشى يمتدح شجاعة الفتية مشبهًا إياهم بسيوف الهند، وهي من السيوف المشهورة عند العرب[1]، فهم أهلٌ لكلِّ ما استعصى، كونهم يعلمون أنه لن تغني صاحب الحيلة حيلته إزاء مصارعتهم له.

ويأخذ بشار هذا التصوير في امتداحه لأجداد المهدي؛إذ يقول[2]:

بيضٌ مَصاليتُ دونَ ضَيمِهِمُ وَعرٌ وَما دونَ سَيبِهِم وَعِرُ[3]

فهو يشبههم بالسيوف الماضية المجردة للطعن والضرب، ولقد أخذ الصورة وقدمها بطريقة أدل على قوتهم فلم يقف عند اللفظ المباشر لمعنى السيف،وإنما استخدم مفردة هي من أسماء السيف (بيض)، ناعتا إياها بالمصاليت يصف الجنود للتدليل على شدة بأسهم،وقوتهم.

ويتناص بشار بالفكرة مع الأعشى في إشارته بأنه أخبر عن فضل شخص دون أن يجربه واقعيًا يقول الأعشى[4]:

وَنُبِّئْتُ قَيْساً، وَلَمْ أَبْلُهُ كمَا زَعَمُوا خَيرَ أَهْلِ اليَمنْ

فالأعشى يشير إلى أنه سمع، وأخبر عن فضائل قيس مبينًا أنه لم يقابله، ويعرفه حقيقة،ويذكر أنه فيما زعموا سيد أهل اليمن في دلالة على أنه كبير قومه.

وتناص بشار مع هذه الفكرة موسعًا إياها،ومبينًا وجة نظره فيما يشاع عن فضل الآخرين دون معرفتهم الحقة، يقول[5]:

دَعاني إلى عُمَرٍ جـــودُهُ وَقولُ العَشيرَةِ بَحرٌ خِضَم

وَلَولا الَّذي زَعَموا لَم أَكُن لِأَمدَحَ رَيحانَةَ قبلَ شَمّ

فبشار يقول:إنه شُغِلَ بعمر لكثرة مادحيه بالكرم،وأراد معرفة هذا الرجل ليتبين صدق ما قالوه موردًا بيتًا يوضح رأيه واصفًا نفسه بالذي لا يأخذ الأقوال أخذً تصديق دون تجريب،فهو لا

---

1 سيوف الهند " يضرب بها المثل في الجودة والصفاء يقال إن السيف إذا كان من صنع الهند ومن طبع اليمن فناهيك به وقد أكثر الشعراء من ذكر سيوف الهند " ثمار القلوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة ط.1، 1965 – (ص 533)

2 ديوان بشار ج3 ص 201

3 سيف إصْلِيتٌ أي صَقِيلٌ ، لسان العرب مادة صلت

4 ديوان الأعشى ص 61

5 المختار من شعر بشار ص 77

يستطيع أن يمتدح وردة لمجرد كونها وردة عليه أن يشمها،ويستبين طيبها من عدمه كي يحكم عليها بأنها وردة متصفة بكمال وصف الوردة.

وهناك ملمح آخر في التناص يظهر في أن أبيات الشاعرين يحملان ضمنا مدحا، (قيس عند الأعشى، وعمر عند بشار) والالتقاء هنا يكمن في إيراد المدح على شكلالنقل عن الناس قولهم، وهو عند الأعشى (كمَا زَعَمُوا خَيرَ..) وعند بشار (وقولُ العشيرة بحرٌ..)وهذا الأسلوب في المدح ذكر أبو القاسم الآمدي انه مما عيب به على الأعشى للتشكيك المتوهم منه، وقد رد على هذا الزعم بقوله: " هذا غلط من قائله لم يقع في بيت الأعشى تشكيك وإنما قال (وقد زعموا ساد أهل اليمن)، وحكايته ليست بشك بل هي أوكد اليقين لأنه أراد أن الناس زعموا فنسب الزعم إلى الكافة ولم يحكه عن نفسه كما جرت به العادة من إفراط الشاعر في مدح الممدوح، وهذا معنى لطيف مستعمل ومذهب مستحسن، ومنه أخذ بشار قوله (دعاني إلى عمر...البيتين)[1]، وهذا يدلل على الفهم العميق من بشار لهذا الأسلوب من المدح وتناصه معه في مدائحه.

ويتناص بشار لفظًا مع الأعشى في مدحه للملك يقول[2]:

وَيُجبى إلَيهِ السَيلَحونَ وَدونَها صَريفونَ في أنهارها وَالخَورَنَقُ

فالأعشى يمتدح الملك النعمان بن المنذر، وامتداد رقعة نفوذه من خلال تعداد المناطق التي تؤدي إليه الجباية(السّيلحونَ،وَالخَوَرْنَقُ).

ويتناص بشار مع الأعشى عندما يمتدح الملك، فيقول[3]:

وَمَلِكٍ يَجبي القُرى لا يُجبى نَزورُهُ غِبّاً وَنُؤتي رَهبا

فبشار يتناص باللفظ « يَجْبي »مع الأعشى،وكذلك في مقام مدحه للملك الذي يبسط نفوذه على أكبر رقعة من الأمصار،إلا أن بشارا يعمق من دلالة مدح الملك عند ما يطلق المناطق التي تؤدي له الجباية، ولا يحددها في إشارة منه على اتساع نفوذ الممدوح، كما أنه يذكر صراحة أن الملك الممدوح لا يؤدي الجباية لأحد،مما يستشعر منه أنه ملك على كافة الملوك المحيطين به،فهو ليس بتابع،ولا يدين بملكه لأحد.

---

1 شرح المختار من شعر بشار للبرقي ص 79
2 ديوان الأعشى 255
3 ديوان بشار ج1 ص 162

ويتناص بشار بالصورة مع الأعشى عندما يصف الفرات بأنه عصي على الملاح،والمتمرس في السباحة،يقول[1]:

مِثلَ الفُراتِيِّ إذا ما طما يَقذِفُ بالبوصِيِّ وَالماهِرِ

فالأعشى يصف ممدوحه بأنه كنهر الفرات إذا ما هاج،لا يستطيع الملاح الماهر أن يسبح فيه،فيقذفه إلى ضفافه.

ويتناص بشار مع هذه الصورة لفظًا مع عكسه لمضمون معنى الأعشى،يقول بشار[2]:

عَطشانَ إن تَأخُذ عَلَيهِ الصَبا يَفحُش عَلى البوصِيِّ أو يَصخَبِ

فبشار يصف نهر الفرات بالعطشان في كناية منه على قلة مائه،فإذا ما هبت عليه ريح الصبا يجاوز حده؛ فلا يستطيع الملاح أن يبحر فيه لشدة ضحالته وصخبه،ويتجلى تناص بشار لفظًا في كلمة «البوصِيِّ»،ومضمونًا في عدم قدرة البوصي على الملاحة في نهر الفرات،بينما يعكس بشار السبب في عدم قدرة الملاح على الملاحة،فالعلة عند الأعشى غزارة النهر،بينما هي عند بشار قلة مائه،وشحه.

ويتناص بشار لفظًا، ومعنى في مدحه سليمان بن داود الهاشميبالشجاعة مع الأعشى؛ الذي يقول[3]:

لَيْثٌ لَدَى الحَرْبِ أوْ تَدُوخَ لَهُ قَسْراً، وَبَذَّ المُلُوكَ مَا فَعَلا

فالأعشى يمدح الملك بأنه ليث في الحرب يرضخ له محاربوه رغمًا عنهم،وأفعاله تفحم الملوك،وتجعلهم دونه لمكانته.

فيأخذ بشار عبارة« لَيْثٌ لَدَى الحَرْبِ »كما هي ليصف بها ممدوحه، يقول[4]:

لَيثٌ لَدى الحَربِ يُذكيها وَيُخمِدُها وَلا تَرى مِثلَ ما يُعطي وَما يَهَبُ.

إلا أنه يتوسع في دلالة مدحه للملك واصفًا إياه بأنه المتنقّذ بالحروب إعلانًا،وإنهاء مضفيًا عليه صفة الكرم المفرط،بله الذي ليس له مثيل.

ويتناص بشار لفظًا مع الأعشى في مقام مدح،يقول الأعشى[1]:

---

1 ديوان الأعشى ص 177
2 ديوان بشار ج1 ص 171
3 ديوان الأعشى ص 273
4 ديوان بشار ج 1 ص 260

أغرُّ أبلجُ يُستَسقى الغَمامُ بهِ لو صارَعَ الناسَ عَن أحلامِهم صَرَعا

فيصف من يمدحه بوضاءة الوجه،وبياضه بالإضافة إلى شدة كرمه من حيثُ إنه من يطلب الغيث منه يستسقى.

ويتناص بشار معه في كلمتي«أغرُّ أبلجُ» في مدحه سليمان،فيقول[2]:

أغرُّ أبلجُ تكفينا مَشاهِدُهُ في القاعِدينَ وَفي الهَيجا إذا رَكِبوا

فيصف ممدوحه بجمال خلقه محورًا معنى المدح في بيت الأعشى بالكرم إلى معنى الشجاعة،فسليمان هذا مواقفه عظيمة في حالتي السلم،والحرب.

ويتناص بشار لفظًا،ومعنى مع الأعشى في مدحه ممدوحه بكثرة غزواته، يقول الأعشى[3]:

وفي كلّ عامٍ لهُ غزوةٌ تحتّ الدّوابرَ حتَّ السَّفَنْ

فممدوح الأعشى له في كل عام غزوة ضاربة في القسوة،والشدة لدرجة أنها تأكل الحجارة.

ويتناص بشار لفظًا،فيأخذ عبارة الأعشى« وفي كلّ عامٍ لهُ غزوة»مضيفًا معنى جديدا في وصف ممدوحه،يقول[4]:

لَهُ كُلَّ عامٍ غَزوَةٌ بمُسَوَّمٍ يَقودُ المَنايا رايُهُ حينَ يَذهَبُ

فممدوح بشار يخوض غزوة في كل عام بجيش فرسانه مسوَّمون في إشارة إلى أن معظم جيشه من الشجعان الواضعين على أنفسهم علامات تميزهم،وهذا الجيش أينما ذهب يحمل الموت لأعدائه.

ويتناص بشار مع الأعشى عندما يصف ممدوحه بأنه يشتري حمده بالثناء،يقول الاعشى[5]:

بأبي الأشعثِ قيسٍ،إنّهُ يشتري الحمدَ بمنفوس الثّمنْ

فممدوح الأعشى يشتري الحمد بالغالي،والنفيس من خلال طيب وكرم طباعه،وشمائله.

ويقول بشار[1]:

---

1 ديوان الأعشى ص 143
2 ديوان بشار ج1 ص 258
3 ديوان الأعشى ص 59
4 ديوان بشار ج1 ص 320
5 ديوان الأعشى ص 395

يَشتَري الحَمدَ بِالثنا وَيَرى الذمـــ ـــمَ فَظيعاً كَالحَيَّةِ الرَقشاءِ

فهو يصف ممدوحه بأنه يشتري الحمد بالثناء على الناس؛فلا يذمهم؛إذ يرى أن الذم أشـد خطرًا من الحية الرقشاء،وهي حية مشهورة بالفتك.

وهو في هذا البيت يتناص لفظًا،ومعنى مع الأعشى الذي أورد العبـارة ذاتهـا(يـشتري الحمد)،ومعنى يتضح التناص من حيث إن الأعشى جعل الممدوح يشتري الحمد بالمال المادي، بينما جعل بشار ممدوحه يشتري الحمد بالثناء المعنوي.

التناص مع شعر النابغة:

ويتناص بشار مع النابغة في صورة المرأة التي يسقط عنها ما يسترها؛فتحاول أن تتقي ما ظهر منها بيدها سترًا لجسمها،يقول النابغة[2]:

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إسقاطَهُ فَتَناوَلَتهُ وَاِتَّقَتنا بِاليَدِ

فالنابغة يصف امرأة سقط عنها غطاء رأسها،فظهر ما سترته عن أعين الناس من جمـال مكنون،فراحت تتناوله مغطية ما ظهر منها بيدها مخافة أن يراها أحد [3].

ويمتص بشار هذه الصورة متنًاصا مع مضمونها من حيث سقوطُ نقاب المرأة عنها عرضًا مما أدى إلى ظهور ما تخفيه من حسن،يقول[4]:

سقط النِّقابُ فَرَاقَنِي إذْ رَاح قُرْطاه وقُلْبُهْ

فبشار أخذ صورة سقوط ما يستر جمال المرأة التي تخفيه،إلا أنه يضمن هـذه الـصورة معاني جديدة جودت توصيفه،وأضفت جمالاً على مقصوده من إيراد هذه الصورة؛فالنقاب الـذي سقط عن وجه المرأة الموصوفة جعلها تبين ما استتر من محاسن من مثل قرطها،وسوارها.

ويتجلى تحوير المعنى عند بشار في استخدام اليد؛فهي عند النابغة تحمل دلالة سلبية،فهي التي تحجب مفاتن موصوفته بينما يستخدمها بشار استخدامًا إيجابيًا؛فهي وإن حاولت حجب مـا ظهر من جمال وجهها،وقرطيها،إلا أنها أظهرت جمال القرط الذي ظهر،وكشف ما كان مخفيـا من فتنتها.

---

1 ديوان بشار ج1 ص 138

2 ديوان النابغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ط.3،ص 93

3 وقد اعتبر ابن رشيق هذا البيت من الاختراعات عند الشعراء وهي عنده": ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمـل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه" العمدة لابن رشيق ج1 ص 262

4 ديوان بشار ج1 ص 195

ويتناص بشار مع النابغة في الصورة عندما يقول النابغة [1]:

يسيرُ بها النعمانُ تغلي قدورهُ ، تجيشُ بأسبابِ المنايا المراجلُ

فالنابغة يمتدح النعمان بشجاعته في الحروب إذا ما صار قاصدًا عدوًا تغلي قدوره توصيفًا لشدة بأسه،وعظيم بطشه سيما،وأن في مراجله تتقد المنايا باعثًا الموت كالنار في صفوف من عاداه.

وأخذ بشار هذه الصورة من خلال إيراده لعبارة « تغلي قدورهُ » للتمثيل على شدة غيرة الغيران،يقول[2]:

وإنّ يصبحُ الغيرانُ تغلي قدورهُ علينا وإنّ غصنُ الشَّبابِ رطيبُ

فبشار يوظف هذه الصورة ليمثل بها على ما يحمله الغيران في نفسه من غيظ،وضغينة. لكن بشارا أخذ عبارة (تغلي قدوره) وحورها من المديح الى الفخر بالذات واصفا الغيرة من كونه شابا غض الشباب.

ويتناص بشار مع النابغة في ذم من يحسب ما يجود به،يقول النابغة[3]:

شَجَاها أن صَاحِبها بخيلٌ يُحَاسِبُ نفسهُ بكَمْ اشتَرَاهَا؟

يصور النابغة كأس خمر اشتراها رجل بالجارية، إذ لام نفسه، وأخذ يحاسبها عن السعر الذي دفعه فيها.

ويأخذ بشار هذا المعنى موضحًا إياه بصورة جلية تبين مضمون فكرة نعت الحاسببالبخل،يقول[4]:

ولَسْتُ بالْحَاسِبِ بَذْلَ النَّدَى إن البخيل الكاتبُ الحاسبُ

فبشار ينفي عن نفسه أن يكون ممن يحسبون ما بذلوه جودًا مؤكدًا أن البخيل الحق هو من يحاسب نفسه على البذل.

ويتناص بشار مع النابغة في استخدام سرعة الخيل للدلالة على السبق إلى المجد،يقول النابغة [1]:

---

1 ديوان النابغة ص 118
2 ديوان بشار بن برد ج1 ص211
3 بدائع البدائه ابن ظافر الازدي، ضبطه وصححه مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت "ط 1، 2007م ص 14، وفي (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ط.1، 1420 هـ ج1،ص 796) 0بلفظ
قذاها أن صاحبها لئيم... يحاسب نفسه بكم اشتراها؟
4 ديوان بشار ج1 ص 253

سبَقْتَ الرّجالَ الباهِشينَ إلى العُلَى ، كسبق الجوادِ اصطادَ قبل الطوارِدِ[2]

فالنابغة يمدح ممدوحه بأنه سبق كل الرجال المسرعين إلى العلا مثلما سبق الجواد الكلاب التي تلحق الطرائد.

ويتناص بشار مع هذا المعنى عندما يريد مدح ممدوحه محورًا إياه خدمة لإفراطه في مدح من يمدح،يقول[3]:

جَرى اللّهاميمُ عَلى إثرِهِ جَرِيَ البَراذين خِلافَ العِراب [4]

فبشار يجعل من ممدوحه سابقًا بأشواط الرجال الكرام،والملوك الأشاوس الذين يسعون إلى اللحاق به مثلما تحاول الخيول الأجنبية اللحاق بالخيول العربية الأصيلة الفارهة دون جدوى، ويتضح استثمار بشار لفكرة النابغة من خلال عكسها، فعند النابغة ممدوحه هو الذي يسبق الكرام بعد أن كانوا يتقدمونه، بينما ممدوح بشار يحاول الملوك والرجال الكرام أن يدانوه منزلة،ومقامًا دون أن يستطيعوا.

يتناص بشار مع النابغة في توضيح الأخير بأنه أحب دون رغبة منه،وإنما صدفة،يقول[5]:

فَريعَ قلبي وَكانَت نَظرَةٌ عَرَضَت حَيناً وَتَوفيقَ أقدارٍ لِأقدار

فالنابغة أحب دون تخطيط مسبق وإنما بمحض الصدفة من خلال نظرة رمته بها محبوبته مؤكدًا أن ما جرى كان قدرا سعيدا ألمَّ به.

وتناص بشار مع هذه الفكرة من جهة أنه لم يحب محبوبته بناء على قرار مسبق وإنما قضيت له حبيبته، أي أن حبه كان قضاء وقدرا، يقول[6]:

لَم تَنَلها يَدي بِحَولي وَلَكِن قُضِيَت لي وَهَل يُرَدُّ القَضاءُ

---

1 ديوان النابغة ص140

[2] الباهش الذي يسبق إلى الصنائع، والطوارد من الخيل والكلاب كل ما طرد فالواحد طارد(المعاني الكبير لابن قتيبة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط.1984،1 ج1 ص 549)

3 ديوان بشار ج1 ص 299

[4] اللهاميم : جمع لهميم وهو السابق الجواد ، البراذين: جمع برذون وهو من الخيل ما ليس بعربي ، العراب : الخيل العربية انظر :ديوان بشار ج1 ص 299

5 ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية، بيروت ط. 1996،3 ص19 وبيته هذا لم اعثر عليه في طبعة المعارف التي اعتمدت عليها في التوثيق.

6 ديوان بشار بن برد ج 1ص144

فبشار يؤكد أنه لم ينل محبوبته بيده كناية عن عدم تصميمه،وإرادته؛ فحبه لها ونيله إياها كان قضاء وقدرا مرحبا به، فبشار هضم فكرة النابغة،وقدمها بأسلوب فني يشي بأنه مباغَت بحبها من حيث هو أمر لا راد له دون أن يبين رضاه عن هذا القضاء، أو تبُرمه منه، مختتمًا فكرته باستفهام إنكاري يحمل ما يحمل من غموضٍ ما يعتور نفسه من تسليم بقضاء الله.

ويتناص بشار مع النابغة الذي استخدم التهكم دلالة على استحالة وقوع شيء يستبعده عندما قال[1]:

فإنكَ سوفَ تحلمُ ، أو تناهى ، إذا ما شبتَ ، أو شابَ الغرابُ

فالنابغة يستبعد أن يعقل مخاطبه واضعًا شرطًا مستحيلا لذلك يتمثل في أن يشيب الغراب،وفي ذلك سخرية،وتهكم يدلان على غواية مخاطبه وجهله[2].

ويأخذ بشار هذه الفكرة ليستخدمها بطريق تدلل على انقطاع الرجاء،يقول[3]:

وَوُلُوعُ الخيَال بي منْ صديِق لا أرَاهُ حَتَّى يَشِيب الغُرَاب

فبشار يستبعد التقاءه بصديقه الذي يشغل خياله استبعادًا حتميًا؛لأنه يسخر بنفسه بقوله إن موعد رؤياه سيتحقق بوقت مشيب الغراب الذي لن يأتي أبدًا.

ويتناص بشار لفظًا،ومعنى مع النابغة في عبارة طلوب الأعادي، بمعنى الشديد الطلب للأعداء تقتيلاً لهم،يقول النابغة مادحًا النعمان[4]:

عتادُ امرئٍ لا ينقضُ البعدُ همه ، طلوبُ الأعادي ، واضحٌ ، غيرُ خامل

حيث يصف النعمان بأنه لا يني ولا يلين لطول بعد من هم أعداؤه؛إذ هو طلوب أعدائه حيثما كانوا ليوسعهم تنكيلاً،فهمته لا تكل وبأسه شديد.

ويأخذ بشار عبارة طلوب،ويوظفها توظيفًا جديدًا من خلال المجانسة اللفظية التي تؤدي معنى إضافيًا،يقول[5]:

---

1 ديوان النابغة ص 109

2 يقول الثعالبي " شيب الغراب، يضرب مثلاً لما لا يكون أصلا؛ فيقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب؛ كما يقال: حتى يبيض القار ويؤوب القارض العنزي، ويلج الجمل في سم الخياط؛ أي لا يكون ذلك أبداً، وهذه من أمثال التأبيد؛ " ثم استشهد ببيت النابغة أعلاه " ثمار القلوب "ج1 ص 462

3 ديوان بشار ج1 ص 349

4 ديوان النابغة ص 147

5 ديوان بشار ج1 ص 362

طلوبٌ ومطلوبٌ إليه إذا غدا وخيرُ خليليكَ الطَّلوبُ المطلَّبُ

فبشار يمدح روح بن حاتمبانه شجاع كريم، أما انه طلوب فلكونه يغشى أعاديه في الحرب حرصًا على هزيمتهم، وأما مطلوب فلكونه يطلب جوده الناس لشدة كرمه،ويضمن هاتين الصفتين حكمة يجعل فيها خير الأصدقاء الكريم الشجاع.

ويتناص بشار مع النابغة في معنى استبعاد الكمال عن النفس في موضع عتاب يقول النابغة [1]:

و لستَ بمستبقٍ أخاً ، لا تلمهُ على شَعَثٍ ، أيُّ الرّجال المُهَذَّبُ ؟[2]

فالنابغة يطلب من معاتبه أن لا يلومه على خطأ أو عيب ارتكبه؛إذ لا يخلو إنسان من عيوب وزلات [3].

ويتناص بشار مع هذا المعنى وفق الحال التي استُخدم فيها، وهي حال عتاب ولوم،يقول[4]:

ما كذا يَصنَعُ المُحِبُّ فقرّي أينَ مِنّا مَن لا يُقارفُ ذَنبا

فبشار يستنكر على محبوبته كثرة لومها له لارتكابه ذنبًا في حقها مطالبًا إياها أن تستكين، وتكف عن عذله متسائلاً باستهجان عمَّن لم يرتكب الذنوب.

ويتناص بشار مع النابغة لفظًا،وأسلوبًا عندما يستنجد النابغة بـ (ليت) في مقام التمني مع إدراك أنها لن تجدي نفعًا،يقول[5]:

ألا يا لَيتَنِي وَالمرءُ مَيتُ وَما يُغنِي مِنَ الحِدثانِ لَيتُ

فهو يتمنى،وهو ميت أن يعود إلى الحياة،ونعيمها مستدركًا ذلك بأن (ليت)عند وقوع القضاء لن تفيد شيئًا.

ويأخذ بشار هذا اللفظ، والأسلوب معًا في المقام نفسه قول[6]:

---

1 ديوان النابغة ص 74

2 خاتمة هذا البيت هي مثال بارز على التذييل البلاغي ، وهو " إن تأتي في الكلام جملة تحقق ما قبلها، كقوله تعالى: " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم "، ثم حقق الكلام بقوله: " ومن أوفى بعهده من الله " (البديع لأسامة بن منقذ ، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي وآخر ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الإمارات ، ص 125)

3 يقول أبو هلال العسكري عن هذا البيت " وليس لهذا البيت نظيرٌ في كلام العرب "(الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي وآخر، المكتبة العنصرية – بيروت، 1419 هـ ص 57)

4 ديوان بشار ج1 ص 292

5 ديوان النابغة ص173

6 ديوان بشار ج2 ص 5

وَأتبَعتُ المُنى بنَجادِ لَيتٍ وَما يُغني عَنِ الطَّرَباتِ لَيتُ

فبشار يتبع أمنياته بمقولة يا ليت ليدلل على استحالة ما يتمنى، ويتناص مع النابغة حرفًـــا في الشطر الثاني دون أن يغير في اللفظ سوى« الطَّرَباتِ »التي هي بمعنى الحدثان.

ويكرر بشار هذا التناص في موضع آخر،يقول [1]:

ألا لَيتَ ما شِعري فَهَل في اللَيتِ مِن قُدرَه

ويتناص بشار مع النابغة في المعنى من حيث إن ريق المحبوبة يستسقى به،يقول النابغة[2]:

زَعَمَ الهُمامُ ، ولم أذُقهُ ، أنّهُ يشفى ، بريا ريقها ، العطشُ الصدي[3]

فالنابغة ينقل عن أحدهم أن ريق المرأة الموصوفة يروي ظمأ العطش،ويشفي صداه[4].

ويأخذ بشار هذا المعنى محورًا مضمونه من الظن إلى اليقين،يقول[5]:

أرى سَقمي يَزدادُ مِن أمِّ مالِكٍ ولَو ذُقتُ يَوماً ريقها لَبَريتُ

فهو يجد أن مرضه وعذابه يزدادان من هجر أم مالك وأعراضها عن حبه وهواه مؤكـدًا أنه سيشفى من سقمه،لو قدر له أن يذوق ريقها،وبشار هنا لا ينقل عن آخـرين قـدرة المـرأة الموصوفة بالإشفاء بريقها، وإنما يؤكد ذلكبناء على اعتقاد جازم لا يخالطه شك.

ويتناص بشار لفظيًا مع النابغة الذي أورد عبارة لم تكتحل مـن الرمـد كنايـة عـن صـفاء العيون،يقول[6]:

اِحكُم كَحُكمِ فَتاةِ الحَيِّ إذ نَظَرَت إلى حَمامِ شِراعٍ واردِ الثمـــــدِ

يَحُفُّهُ جانِبا نيقٍ وَتُتبعُـــــــهُ مِثلَ الزُجاجَةِ لَم تُكحَل مِنَ الرَمَدِ [7]

---

1 ديوان بشارج 3 ص 236

2 ديوان النابغة ص 95

[3] الريا : االريح الطيبة ، الصدي الشديد العطش ، ديوان النابغة 95

4 ذكر غير واحد أن النابغة في بيته هذا كان أول من صور لذة الريق، ثم تابعه الـشعراء انظـر محاضـرات الأدباء ص 2 /325، الأشباه والنظائر ج2 ص 60

5 ديوان بشارج2 ص 39

6 ديوان النابغة ص 23/ 24

[7] النِّيقُ: أرفع موضع في الجبل، والجمع أنْيَاق ونُيُوق ، لسان العرب مادة نيق

فالنابغة يطلب من النعمان أن يكون مصيبًا في حكمه مثل زرقاء اليمامة؛ إذ أعطت العدد الصحيح للحمام المجتمع بين جبلين مشبهًا عينيها بالزجاجة لصفائها؛فهي لم تكتحل بسبب إصابتها بالرمد؛إذ هي صافية لا يشوبها خلل[1].

ويتناص بشار مع هذه الكناية ليوضح جمال وصحة عيني موصوفته،يقول[2]:

قالتْ لحوْراءَ من منَاصِفِهَا كالرِّيم لمْ تكْتحِل من الرَّمد

فهو يورد هذه الكناية للتدليل على أن عينيها صافيتان.

ويتناص بشار في التشبيه مع النابغة الذي يشبه الخيول بالنعام الخاضب للتدليل على السرعة،يقول النابغة [3]:

قُبُّ الأياطِلِ تَردي في أعِنَّتِها كَالخاضِباتِ مِنَ الزُعرِ الظنابيبِ

فهو يصف الجياد ممتدحا إياها،ومبينًا صفاتها فهي ضامرة الخواصر غير مترهلة تعدو مسرعة في طلب العدو مثل النعام إذا احمرت ساقاه،يقول الأصمعي:«إذا أخضب الظليم في الشتاء،فاحمر جلده وساقاه اشتد،ولا تطلبه الخيل؛لأنه في ذلك الوقت أسرع منها»[(4)]. ويتناص بشار في هذا التشبيه للتدليل على شدة سرعة النياق،يقول[5]:

فإذا صَوَّتَ الصَدى أو دَعا الأخـ ـبَلُ طارَت كَالخاضِبِ المَذعور [6]

فهو يقول:إن هذه النياق متيقظة؛ فإذا سمعت صوت بوم،أو طائر الأخبل تركض مسرعة مثل النعام إذا احمرت ساقاها،وجلدها.

---

1 " وقال بعض أصحاب المعاني: أن النابغة لما أراد مدح هذه الحكيمة الحاسبة بسرعة إصابتها شدد الأمر وضيقه ليكون أحسن له إذا أصاب فجلعه حرزاً لطير إذ كان الطير أخف ما يتحرك، ثم جعله حماماً إذ كان الحمام أسرع الطير، ثم كثر العدد إذ كانت المسابقة مقرونة بها، وذلك أن الحمام يشتد طيرانها عند المسابقة والمنافسة، ثم ذكر أنها طارت بين نيقين، لأن الحمام إذا كان في مضيق من الهواء، كان أسرع طيراناً منه إذا اتسع الفضاء، ثم جعله وارد الماء لأن الحمام إذا ورد الماء أعانه الحرص تعلى الماء على سرعة الطيران " مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت (ج1 ص 222)

2 ديوان بشار ج3 ص 6

3 ديوان النابغة ص 51

4 ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية، بيروت ط. 3،199636

5 ديوان بشار ج3 ص 211

6 " والخاضب الظليم لان النعام في وقت الربيع محسر ساقاه ، فتقول العرب قد خضب " ديوان بشار ج3 ص 211

ويتناص بشار لفظًا،ومعنى مع النابغة الذي يستخدم لفظي يريش،ويبري بمعنى يضر،و ينفـــع، يقول[1]:

يريشُ قومَا ويُبْري آخَرينَ بهم للهِ مِن رَائشِ عَمْرٍو وَمِن بَاري

فالنابغة يمتدح عمرو بأنه كالرائش الذي يضع ريشًا في السهم كي يسهل اندفاعه؛فهو نافع لمن يرمي به، وكالباري الذي يبري عيدان السهم مزيلاً عنه قشره ليكون أشد ألمًـــا؛فهو منكـــل بمن يرميهم،فعمرو يساعد في تقدم قومه،واندفاعهم فيكونون كالسهام المريـــشة فـــي المعـــارك فيطلب لهم النفع بانتصارهم،وبضر أعدائهم حيث يكونون شديدي البطش بهم كالسهم المبري.

ويتناص بشار باللفظ في كلمتي يريش،ويبري،ورائش،وباري،يقول[2]:

وكَم رائِشٍ بارٍ ولَولا مُحَمَّدٌ طوَتهُ اللَيالي ما يَريشُ وَلا يَبري

فالنافع،والمضر من الناس يعود الفضل في نفعه،وضره إلى محمد الذي يمتدحه بشار،فإذا أمات لن يريش أحد،أو يَبري بمعنى انتفاء سبب من كان ينفعهم ويضر غيرهم الذي هو محمد.

ويتناص بشار مع النابغة في المعنى،فيقول[3]:

فكَفْكفْتُ مني عَبْرَةً ، فرَدَدتُها على النحر ، منها مستهلٌّ ودامعُ

فالنابغة مسح دموعه في موعد الرحيل على الرّغم من أن دموعه بلت نحره إلا أنه جاهد كي لا يراها أحد.

ويأخذ بشار هذا المعنى أثناء توديعه لصاحباته اللاتي كن يؤنسنه،يقول[4]:

فَلمّا وَدَّعونا وَاِستَقَلّـــوا عَلى صُهبٍ هَواديهنَّ قودُ

شَكَوتُ إلى الغَواني ما أُلاقي وَقُلتُ لَهُنَّ ما يَومي بَعيدُ

فَفاضَت عَبرَةٌ أَشفَقتُ مِنهـــا تَسيلُ كـــأَنَّ وابِلَها الفَريدُ

---

1 التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، أبو المعالي،دار صادر، بيروت ط.1، 1417 هـــ ج4 ص 31

2 ديوان بشار ج 3 ص 289

3 ديوان النابغة ص 31

4 ديوان بشار ج4 ص 50

فبشار يبكي عند توديع صاحباته إلا أنه يخشى أن يراه أحد من عذاله،ولوامـــه،فيعلم أنـــه محب لمن رحلوه؛ إذ جرى دمعه غزيرًا عندما استقلوا على راحلتهم،ومضوا.

ويتناص بشار في المعنى واللفظ مع النابغة الذي يصور ممدوحه بالربيع للتدليل على كرمه،وقت الكرم،وبالسيف الذي استعار الموت ليبطش به في وقت الشدة،والشجاعة،يقول[1]:

وأنتَ ربيعٌ يُنعِشُ النّاسَ سَيبُهُ ، وسيفٌ ، أُعِيَرتْهُ المنيّةُ ، قاطِعُ

فممدوحه كالربيع في إنعاشه الناس بخيراته،وبأنه سيف استعانت به المنايا لشدة شجاعته.

يأخذ بشار هذا المعنى ليمتدح به ممدوحه متبعًا الأسلوب ذاتـــه فـــي المزاوجـــه بـــين الكـــرم، والشجاعة، وشدة الفتك، يقول[2]:

تَروحُ بَأرزاقٍ وَتغدو بَغارَةٍ فأنتَ دُعافٌ مَرَّةً وَرَبيعُ

فبشار يقول لممدوحه أنه يمسي جالبًا الرزق لأهله،ومن هم تحت حكمه،ويصبح محاربًـــا أعداءه؛فهو مرة كالسهم في حلوق أعدائه،وأخرى كالربيع جالبًا للرخاء،والدعة لأهلة،وناسه.

ويتناص بشار مع النابغة في تشبيه النساء بالظباء،يقول النابغة [3]:

وَيَضربنَ بالأيدي وَراءَ بَراغِزٍ حِسانِ الوُجوهِ كَالظِباءِ العَواقِدِ

فيشبه النساء الموصوفات بالظباء،إذا خبأت عنقها حذر الصائدين في دلالة على خجلهم،ويتناص بشار مع هذه الصورة مستخدمًا اللفظ ذاته «عاقد» يقول [4]:

إذا ما ثَنَت جيدَها نَظرَةٌ حَسِبتَ الغَزالَ بِها عاقِدا

فهو يصف محبوبته موضحًا أنها تثني عنقها كمـــا الغـــزال إذا خافـــت وحـــذرت مـــن الصائد،فبشار يأخذ هذه الصورة من النابغة،ويجليها من خلال نقله لصورة حركية توازي بـــين ثني عنق المحبوبة في حال نظر إليها،وبين الغزال إذا ثنى عنقه خوفًا،واستشعارًا لخطر يحيـــق به.

---

1 ديوان النابغة ص 38
2 ديوان بشار ج4 ص 122
3 ديوان النابغة ص 139
4 ديوان بشار ج3 ص 3

التناص مع شعراء جاهليين آخرين:

التناص مع شعر المثقب العبدي:

تناص بشار بن برد مع المثقب العبدي لفظا ومعنى في توصيف عدم وفاء من وعده بوعده، يقول [1]:

فَلا تَعِدي مَواعِدَ كاذِباتٍ تَمُرُّ بها رياحُ الصَيفِ دوني

يطالب المثقب العبدي من محبوبته أن تكف عن وعده وعودا لا تفي بها ناعتا إياها بالوعود الكاذبة،مشبها وعودها التي لا تعود عليه بالخير – لأنها لا تفي بها – برياح الصيف التي لا فائدة ترتجي منها،فهي تأتى بالغبار و العجاج [2].

يقول بشار [3]:

لِمَروانَ مَواعِدُ كاذِباتٌ كَما بَرَقَ الحَياءُ[4] وَما اِستَهَلا

بشار يهجو مروان بن محمد[5] ناعتا وعوده بالكاذبات مشبها إياها بالسحاب الذي يتخلله البرق دون أن يمطر، فهي توهم بالخير لما تبرق إلا أنها لا تعود به.

يتجلى التناص لفظا في عبارة" مواعد كاذبات " الواردة عند بشار، مقابل عبارة" مواعد كاذبات" عند المثقب العبدي.

ويتجلى التناص المعنوي في نعت وعود المخاطب والمقصود بالكذب؛ ففي حين ينهى المثقب محبوبته أن تعده وعودا لا تفي بها مضمرا طلبه بأن تعد وعودا صادقة تفي بها إذا وعدت، نجد بشارا يخصَّصُ وعود مروان بالكذب كلها إذ إنه أخبرَ عنها دون أن ينهى في دلالة على عدم صدقه في جميع مواعده.

---

1 ديوان شعر المثقب العبدي، عني بتحقيقه وشرحه حسن كامل صيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1971ص 138

2 قال الأصمعي " إنما خص رياح الصيف خاصة ولم يذكر غيرها من الأزمنة لان رياح الصيف لا خير فيها، إنما تأتي بالغبار والعجاج " شرح المفضليات،ابن الانباري، تحقيق كارلوس يعقوب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1920 ص 575

3 ديوان بشار ج4 ص 175

4 يقول الطاهر(ج4 ص 175) " ولعل الصواب " كما برق السحاب " إذ لفظ الحياء لا يستحسن هنا ، لان الحيا هو المطر ، فلا يناسب قوله " برق " ، ولان قوله " وما استهلا " ، ولان الحيا مقصور فلا حاجة إلى مده للضرورة

5 هذا ما مال إليه الطاهر بقوله " الظاهر انه مروان بن محمد خاتم خلفاء بني أمية..." والبيت فرد ورد في معاهد التصيص، لأبي الفتح العباسي تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب – بيروت (ج2 ص 52)

كما أن المثقب قارب بين مواعد محبوبته،وبين رياح الصيف غير ذات النفع بله المؤذيـــة بما تحمله من غبار وعجاج،فهي رياح لا تسعف الذي يحتاجها في الجو الحار بل تزيده كـــدرا وإرهاقا، بينما جنح بشار إلى تشبيه مواعد مروان الذي يهجوه في بيته أعلاه، بالسحاب الـــذي يتخلله البرق فيتوهم انه محمَّل بالأمطار وإذ به لا يمطر، وهذا توصيف دقيق من حيث تشبيهه المواعد قبل تنفيذها بالبرق المبشر بالمطر إلا أن خذلان مروان لما وعد بهيجعله كالسحابة التي تبرق ولا تمطر أي لا يوفي ما وعد به.

ويتناص بشار بن برد مع المثقب العبدي في توصيف أعلى صدر محبوبته المتـــشح بـــالحلي، يقول[1]:

وَمِن ذَهَبٍ يَلوحُ عَلى تَريبٍ كَلَونِ العاجِ لَيسَ بِذي غُضونِ [2]

يصف المثقب الذهب الذي يزين صدر محبوبته الذي يشبهه بالعاج لشدة بياضه نافيا عنه أن يكون فيه تثني في الجلد أو تجعدُّات.

و يقول بشار في المعنى ذاته [3]:

في الحَيِّ مِن سَرَواتِ الحَيِّ جارِيَةٌ رَيّا التَرائِبِ في طوقٍ وَأسوارِ [4]

يقول بشار بأن في طرف الحي الجانبية تمكث جارية عطرة أعلى الصدر مطوقة بطـــوق من الحلي وفي يديها السوار.

يتجلى التناص في هضم بشار لمعنى المثقب في بيته إذ يصف محبوبته بلين أعلى الصدر وطراوته مع أكسائه بالقلائد الذهبية، فيحوّر بشار بن برد المعنى ناقلا إياه من لين الصدر إلـــى رائحته الطيبة من خلال لفظ ريّا، ثم يتقاطع مع المثقب الذي زين صدر محبوبته بقلائد الذهب، فيجعل الحلي في رقبتها وأيديها من خلال الطوق والأسوار.

---

1 ديوان شعر المثقب العبدي ص 159

[2] "لتَرائبُ: مَوْضِعُ القِلادةِ من الصَّدْر، وقيل هو ما بين التَّرْقُوة إلى الثَّنْدُوةِ؛ وقيل: التَّرائبُ عِظامُ الصدر؛ وقيل: ما وَلِيَ التَّرْقُوَتَيْن منه؛ وقيل: ما بين الثديين والترقوتين." لسان العرب مادة ترب ، والعاجُ: عظم لفيـــل، الواحدة عاجَةٌ.الصحاح مادة عوج

3 ديوان بشار ج3 ص 167

[4] ريّا : يقال للمرأة الريا إذا كانت عطرة الجهرم ، وريا كل شيء : طيب رائحته ، اللسان مادة " روي "

ويتناص بشار بن برد مع المثقب العبدي في معنى عدم التصدي بقول نعم للأمور التي لا يستطاع تنفيذها، وإلزام منع السائل عن حاجة في حال عدم القدرة على إنفاذ الوعد فيها،يقول [1]:

لا تَقولَنَّ إذا ما لَم تُــرِدْ أن تُتِمَّ الوَعدَ في شَيءٍ نَعَم

حَسَنٌ قَولُ نَعَم مِن بَعدِ لا وَقَبيحٌ قَولُ لا بَعدَ نَعَــم

إنَّ لا بَعدَ نَعَم فاحِشَةٌ فَبِلا فَابدَأ إذا خِفتَ الندَم

فَإذا قُلتَ نَعَم فَاِصبرْ لَها بِنَجاحِ الوَعــدِ إنَّ الخُلفَ ذَم

يقدم المثقب مجموعة من المواعظ والحكم المتعلقة بموضوع القدرة على الوفــاء بالوعــد عند الوعد بتنفيذه؛ فهو ينصح بعدم قول الشخص غير القادر على إتمام وعده بأنه يستطيع القول لا استطيع منذ البداية أفضل من قولها بعد اعتماد السائل على من وعد بتنفيذ طلبه، مؤكدا على من يقول" نعم "إن يتتم وعده وأن لا يخلف فيه لأن ذلك يعد نقيصة ومذمة في حقه.

يقول بشار [2]:

إذا لَم أردْ تَعجيلَ حاجَةِ صاحِبٍ مَنَعتُ وبَعضُ المَنعِ خَيرٌ مِنَ المَطلِ

وَعَدتَ وَلَم تُكرَه وَأخلَفتَ طائِعاً لَعَمري لَقَد بالَغتَ في البُخلِ وَالجَهلِ

يخاطب بشار بن برد مهجوه ليبينله السلوك الأمثل في مسالة الوعد والقدرة على إتمامــه فيقول واصفا نفسه بأنه يمنع الوعد لمن يطلبه إذا أحس بأنه غير قادر على إتمام وعده بأســرع وقت لان عدم الوعد بما لا يقدر على تنفيذه بسرعةأفضل من المماطلة في التنفيذ.

ثم يوجه إليه لوما شديدا لأنه وعد بشئ دون إكراه من أحد لكنه اخلف وعده طائعا غيــر مكره ناعتا إياه بالبخل؛ لأنه لم ينفذ ما وعد به من عطاء، وبالجهل لأنه وعد دون تقدير للأمور من حيث قدرته على إتمام وعده والوفاء به أم لا.

ويتجلى التناص في امتصاص بشار لحِكَم المثقب العبدي في هذا المجال وإعادة صياغتها وتحويرها إلى موقف معيش يحمل الطابع الحواري وفق أسلوب تقريعي وتعليمي لشخص وعد واخلف على الرغم من عدم إكراهه بذلك الوعد، فعندما أخلف كان خلفه لوعده عن طواعية غير

---

1 ديوان المثقب العبدي ص 227 /228

2 ديوان بشار ج4 ص 164

مجبر عليه، بحيث امتص بشار المعاني البارزة في أبيات المثقب وهضمها معيدا إفرازها وفق فضاء حواري يؤثر في نفس المتلقي بصورة أكبر من كونه يلقي مواعظ وحكما.

التناص مع شعر الشنفرى:

يتناص بشار بن برد مع الشنفري في معنى استدعاء سعه الأرض للتدليل على خلاصه،يقول [1]:

وَفي الأرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

يبين الشنفري ضيقه من قومه وما ناله منهم من أذى باستدعاء الأرض وسعتتها في دلالة على أمكانية هجره لقومه الذين آذوه وأبغضوه بحيث يوضح أن في هذه الأرض أماكن بعيده لمن أراد تجنب أذى قومه،كما أن فيها مكانا يعتزل فيه الذين يبغضونه.

يقول بشار[2]:

فَلا مَذهَبٌ عَنكُم لَهُ شَطَّ أو دَنا سِواكِ وَفي الأرضِ العَريضَةِ مَذهَبُ

ينفي بشار أن يكون لقلبه طريق آخر سوى قربه من محبوبته، موضحا أن في هذه الأرض الواسعة طرقا لمن أراد نسيان ما يصيبه من ألم لكنه لم يختر منها أي مذهب سوى مكان من يحب.

يتناص بشار بن برد مع الشنفرى في معنى استدعاء سعة الأرض [3]، مع اختلاف توظيفه له معنويا، فالشنفرى يستخدم الأرض مستحضرا سعتها وقدرتها على أن يكون فيها أماكن يستطيع الانسان أن يعتزل المسيئين له فيها، فكان استدعاء سعة الأرض الحقيقية مقصودا من قبل الشنفرى الذي أراد أن يضاد بها الضيق النفسي الذي ألم به من سوء معاملة قومه له، فكانت هذه السعة مخرجا نفسيا لضيق الشاعر، وإعلانا منه على عقده العزم على هجر قومه المسيئين له، في حين يستحضر بشار الأرض الوسيعة يطرقهاللتدليل على إخلاصه وقوة تمكّن حب محبوبته من قلبه، فهو برغم ما قاساه في حبها من الآم وعذابات، ظل وفيا لها لا يتحول قلبه عنها سواء كان قريبا منها أو بعيدا، فاستحضار بشار للأرض الواسعة وطرقها جاء بمثابة تنبيه المحبوبة إلى إخلاصه، بحيث يستطيع لو أراد خاتمة لعذاباته في سبيل حبها أن يتحول قلبه عنها ويهجرها، ويبتعد عن مكانها إلى أخر، يلقى الهناء فيه، مثلما فعل الشنفرى؛ فبشار استدعى حالة

---

1 ديوان الشنفرى جمع وتحقيق وشرح إميل يعقوب دار الكتاب العربي بيروت، ط.2 1996، ص58

2 ديوان بشار بن برد ج1 ص 313

3 ولبشار موضع آخر حول هذا المعنى المتناص، يقول (الديوان ج1 ص 160):
قُلتُ لَهُ وَلَم أُحَمحِمِ رُعباإِنَّ لَنا عَنكِ مِساحاً رَحبا

الضيق والعذاب الواقع عليه من قبل المحبوبة، كما صوَّر الشنفرى ذلك في توصيف ما ناله من قومه، إلا أن بشارا في استحضاره لسعة الأرض وما فيها من سبل نجاة أراد إعـــلام محبوبتـــه بمدى تعلقه الشديد بها، بخلاف الشنفرى الذي أراد بهذه الدلالة أن يبين العـــزم علـــى تـــركهم (قومه)، وهجران أماكنهم.

التناص مع شعر دريد بن الصمة:

يتناص بشار بن برد مع دريد بن الصمة في معنى عدم ثبوته على حال واحدة، وإنما تقلبه بتقلب أهل زمانه يقول [1]:

وَما أنا إلّا مِن غَزيَّةَ إن غَوَتْ غَوَيتُ وَإن تَرشُدْ غَزيَّةُ أرشَدِ[2]

يبين دريد بن الصمة تعصبه القبلي و تحيزه المطلق لقبيلته غزية من خلال توضيحه أنه ليس له رأي مستقل، وإنما هو ابن قبيلته،"كأنه قال: ما أنا إلا من غزية في حالتي الغي والرشاد، فإنعدلوا عن الصواب عدلت معهم، وإن اقتحموه اقتحمت بهم." [3]، وقد ذهب هذا القول مثلا بين الناس للتمثيل على التعصب لفئة أو جماعة ولمن لا يقبل النصيحة.[4]

يقول بشار [5]:

وَما كُنتُ إلّا كَالزَمان إذا صَحا صَحَوتُ وإن ماقَ الزّمانُ أموقُ[6]

يبين بشار تلون أخلاقه وأفعاله بتلون زمانه وتبدله، فهو تبع له رشدا وغواية.

يتجلى التناص الأسلوبي من خلال استخدام بشار لأسلوب الشرط للتدليل على تقلب حالـــه يتقلب أحوال أهل زمانه، مثلما فعل دريد في استخدامه لهذا الأسلوب في توضيحه لتعصبه لقبيلة غزية.

و من حيث المعنى فإن بشار بن برد يتلاقح مع معنى دريد في بيته الدال على عدم ثباته على حال،، فاستحضر بشار هذا المعنى للتدليل على عدم ثباته على حال تخالف أحوال زمانـــه

---

1 ديوان دريد بن الصمة تحقيق عمر عبد الرسول دار المعارف،مصر سلسلة ذخائر العرب 59 ص 62

2 غَزيَّةُ وهي قبيلة دريد وهو احد أجداده – غزية بن جشم – ديوان دريد ص62 ونسب ذلك لجمهـــرة النـــسب لابن الكلبي .

3 شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط.2003 ص 577

4 انظر: جمهرة الأمثال أبي هلال العسكري،(تحقيق: محمد أبو الفضل إبـــراهيم وآخـــر، دار الفكـــر، ط.2، 1988ص (ج1 ص 195))

5 ديوان بشار ج4 ص 133 المختار من شعر بشار ص 269

6 ماق مشتق من " الموقُ: حُمْقٌ في غباوة " الصحاح مادة (موق)

ناقلا دلالة بيت دريد الموضَّحة موقفه من قبيلته من حيث ولاؤه المطلق لها، ليجعل منها تـــدلل على نفعية مطلقة يتخذها بشار منهجا له في الحياة من حيث عدم مخالفته لأحوال عصره لما فيه من ضرر قد يلحقه بفعل ذلك، فهو لا ينطلق من شخصية مبدئية إنما تتحكم بأفعاله الخُلُقية الحال العامة لأخلاق عصره.

التناص مع شعر حاتم الطائي:

يتناص بشار بن برد مع حاتم الطائي في اللفظ و في معنى عدم ازدراء الفقر به، يقول [1]:

عُنينا زَماناً بِالتَصَعلُكِ وَالغِنى كَما الدَهرُ في أيّامِهِ العُسرُ وَاليُسرُ[2]

فَما زادَنا بَأواً عَلى ذي قرابَةٍ غِنانا وَلا أزرى بأحسابِنا الفقرُ[3]

يوضّح حاتم الطائي اختباره للفقر و الغنى،مصورا حاله تلك بحال الدهر الذي لا يـــستقيم على حال؛ فمرة تكون أيامه هانئة ومرة فيها ضنك وشدة، ثم يوضح بان غناه لم يجعله متكبـــرا أو مترفعا عن أقاربه، بل قريب منهم، كما أن فقره لم يجعله يجلب العيب والعار على نفسه في دلالة على تعففه.

يقول بشار [4]:

وَإنّي لَفَيّاضُ اليَدَينِ عَلى الغِنى وَفي الفَقرِ عَفُّ النَفسُ عَمّا يَذيمُها

يبين بشار كرم أخلاقه واتصافه بمكارمها في حالي الفقر والغنى، فهو في غناه كريم جواد كالبحر، و في حال فقره فإنه يتعفف، فينأى بنفسه عما يعيبها.

فتناص بشار لفظا مع حاتم الطائي في كلمة " الغنى "، مقابل " الغنى و غنانا " عند حاتم الطائي، و كلمة " الفقر " مقابل رديفتها في المعنى " التصعلك " عند حاتم.

---

1 ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت لبنان، 1981 ص 51

[2] " الصُّعْلُوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد. وقد تَصَعْلَكَ الرجل إذا كان كذلك؛ قال حـــاتم طيِّء: غَنِينَا زَماناً بالتَّصَعْلُكِ ...البيت " لسان العرب مادة صعلك

[3] البَأْوُ: الكِبْرُ والفخر ، الصحاح مادة بأا

4 ديوان بشار ج 4 ص 208

و من حيث المعنى فإن بشارا يتقاطع مع معنى حاتم الطائي في توضيح أخلاقه في حالي الفقر و الغنى، فحاتم يبين أنه لا يتكبر على أقاربه و قومه بسبب الغنى في حال كونه غنيا، بالإضافة إلى أنه لا يرتكب ما يلحق العار و العيب بأخلاقه في حال كونه فقيرا، فيعمد بشار إلى تحوير هذا المعنى من خلال توصيف نفسه بالكرم الشديد المشبه بالبحر الفائض في حال كونه غنيا، و العفّة عن ما يلحق المذمّة بنفسه في حال كونه فقيرا.

ويتناص بشار بن برد مع حاتم الطائي في المدح بمعنى عدم عطاء الممدوح طلبا لمدح المادحين يقول [1]:

فلو كانَ ما يُعطي رياءً لأمسكَت بهِ جَنَباتُ اللّومِ يَجذِبنَهُ جَذبا

ولَكِنَّما يَبغي بِهِ اللهَ وَحدَهُ فأعطِ فقد أربَحتَ في البَيعَةِ الكَسبا

يوضح حاتم أن ممدوحه لا يعطي رياء الناس و طلبا لقولهم إنه كريم جواد، فلو فعل ذلك للام نفسه كثيرا،و لمنعه ذلك اللوم عن التكرّم ابتغاء امتداح الناس له، فممدحه حين يعطي لا يبتغي سوى مرضاة الله و فضله، موجّها ممدوحه أن يعطي لأن مبتغاه رابح لا محالة.

يقول بشار [2]:

لَيسَ يُعطيكَ لِلرَجاءِ وَلا الخَو فِ وَلَكِن يَلَذُّ طعمَ العَطاءِ

لا وَلا أن يُقالَ شيمَتُهُ الجو دُ وَلَكِن طَبائِعُ الآباءِ

ينفي بشار عن ممدوحه ترجي منفعة أو خوف مصيبة عندما يعطي؛ فهو لا يعطي يرجو ممن أعطاه شيئا، و لا يدفعه الخوف أيضا إلى العطاء، إنما يعطي لأن العطاء يطيب له، بالإضافة إلى أن بشارا ينفي عن ممدوحه ابتغاء امتداح الناس له حين يعطي فيردّ كرم عطاء ممدوحه إلى طباع أصيلة ورثها عن ابائه.

و يتناص بشار معنويا مع حاتم الطائي في نفي الرياء عن ممدوحه إذا أعطى، فبشار يبين أن ممدوحه لا ينتظر إذا أعطى قول القائلين أنه أعطى،و أنّه جواد كريم، وهو ما صرّح به حاتم عندما نفى الرياء في كرم ممدوحه و عطائه، ففي حين يردّ حاتم كرم ممدوحه إلى ابتغاء مرضاة الله، فإن بشارا يوسّع من دائرة مكارم ممدوحه الخلقية، فهو لا يعطي يرتجي شيئا ممن أعطاه، يدلل بذلك على أنه غنيّ عنهم، وهو لا يخاف فيعطي في دلالة على شجاعته و قوّته، و

---

1 ديوان حاتم الطائي ص 30
2 ديوان بشار بن برد ج1 ص 136

يردّ بشار كرم ممدوحه إلى التذاذه بالكرم حين جعل العطاء بمثابة الأمور التي تجلب الرخاء و السعادة و اللذّة إلى النفس، و العلّة الأخرى للعطاء هي أنه سليل بيت كرم بالوراثة.

التناص مع شعر قيس بن الخطيم [1]:

يتناص بشار بن برد مع قيس بن الخطيم في معنى بخل المحبوبة بالنظر الوافي اليه، يقول [2]:

تَبَدَّت لَنا كَالشَمس تَحتَ غَمامَةٍ بَدا حاجِبٌ مِنها وَضَنَّت بِحاجِبِ

يصف قيس بن الخطيم محبوبته عندما كان ينظر إليها مشبها إياها بالشمس التي يختفي جانب من جوانبها بفعل غيمة لكنها بخلت بالجانب الآخر من وجهها فاختفى.

ويقول بشار في هذا المعنى [3]:

ضَنَّت بِخَدٍّ وَجَلَت عَن خَدِّ ثُمَّ اِنثَنَت كَالنَفسِ المُرتَدِّ

يوضح بشار أن محبوبته لم تظهر وجهها كله له،و إنما كشفت له عن خد من خديها بينما بخلت بالكشف عن الآخر، مشبها إعراضها عنه بعد أن أرته خدها بالنفس المرتد إلى الصدر

ويتجلى التناص بالمعنى من خلال تقاطع بشار بن برد مع معنى قيس بن الخطيم في وصف عدم إظهار المحبوبة كامل وجهها له بالبخل، لأنها كانت قادرة على إظهاره كله لكنها أظهرت واحدا فقط، كما يحور بشار تشبيه ظهور جانب منوجه المحبوبة بالغمامة التي تغطي

---

1 هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، وكان ممن شهد يوم بعاث بين الأوس،والخزج، وروي أن النبي-ﷺ- عرض عليه الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة فقتل قيس في بعض حروب الأوس والخزرج قبل الهجرة.انظر: الأغاني (ج3 ص 3وما بعدها) الكامل في التاريخ (ج1 ص 538وما بعدها)،و الإصابة في تمييز الصحابة (ج1 ص 393).

2 ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ص 79

3 ديوان بشار بن برد ج2 ص 222

جزءا من الشمس؛ فيقدم تشبيها جديدا، يجعل فيه من ظهور المحبوبة بحذر ثمّ إعراضها كالنقس حين يرتد شهيقا إلى الصدر بعد الزفير [1].

التناص مع شعر خداش بن زهير[2]:

يتناص بشار بن برد مع خداش بن زهير في معنى طاقة البشر المحدودة في التحمل من خلال نفي أن يكون الإنسان مصنوعا من حديد، يقول[3]:

وَإنَّ المرءَ لَم يُخلَق سِلاماً وَلا حَجَرا ولَم يُخلَق حَديدا

ينفي خداش أن يكون الإنسان مخلوقا من حجارة أو من حديد،في إشارة إلى تأثره بما حوله، بالإضافة إلى فنائه الحتمي من حيث عدم تحمله لصروف الدهر وجريان يد الزمان عليه. يقول بشار [4]:

إنَّ المُحِبَّ يَذوبُ مِن مَضَضِ الهَوى دونَ السَرابِ وَلا يَكونُ حَديدا

---

1 هذا المعنى المطروح تناصا هنا مثال حي على حقيقة التناص وان النصوص تتوالد من بعضها البعض، فقد أشار أبو هلال العسكري (ديوان المعاني، (ج1 ص 229)) إلى أن معنى قيس بن الخطيم مأخوذ من قول النمر بن تولب " و قالوا أحسن ما قيل في الوجه، من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم:
تَبدَّتْ لنا كالشمس...البيت، مأخوذ من قول النمر بن تولب:
فصدَّتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجبِ
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة،"
والمعنى تسلل بعد قيس حتى وصل بشار يقول ابن عبد ربه(العقد الفريد لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية – بيروت ط.1، 1404 هـ ج6 ص 187) " وقال قيس بن الخَطيم:
تَبدَّت لنا كالشَّمس...البيت،أخذه بعضُ المُحدثين فقال:
فشبَّهتُها بدراً بدَا منه شِقُّه وقد سَترتْ خدا فأبدت لنا خَدا
وأدْرت على الخَدّين دمعاً كأنه تنَاثُر درّ أو نَدى واقع الوَرْدا
وأخذه آخر فقال:
يا قمرا للنِّصف من شَهره أبْدَى ضياءً لثمانٍ بَقينْ
وأخذه بشّار فقال: ضنت بخدّ...البيت،فلم يُفسد الآخر قولَ الأول، ولم يكن الأولُ أولى بالمعنى من الآخر".
وهكذا يظهر التناص بين خمسة شعراء كل واحد يتناص من الآخر، وهذا يدل على تنبه القدامى على وجود التناص وان لم يسموه باسمه، فقد قال ابن عبد ربه قبل نصه السابق(ج 6 ص 186) " وأكثر ما يجتلبه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء فإنما يجري فيه الآخر على سنَن الأول. وقلَّ ما يأتي لهم معنى لم يَسبق إليه أحد، إما في مَنظوم وإما في مَنثور؟ لأن الكلام بعضه من بعض "

2 هو خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة؛ وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول خداش بن زهير أشعر في عظم الشعر، يعني نفس الشعر، من لبيد، إنما كان لبيد صاحب صفاتٍ.، انظر: الشعر والشعراء (ج2 ص 631)لابن قتيبة،و الإصابة في تمييز الصحابة (ج2 ص 300)الأعلام للزركلي (ج2 ص 302)

3 ديوان خداش بن زهير العامري، صنعة يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986، ص40

4 ديوان بشار ج2 ص 261

يصف بشار حال المحب وعذابه فالمحب يذوب من وجع وحرقه الهوى والغـرام مثلمـا يذوب السراب، نافيا عنه أن يكون كالحديد من حيث قوّة التحمل.

يتجلى التناص في اقتناص بشار بن برد لمعنى خداش بن زهير في نفي خلق الإنسان من حديد لأنه عرضه للتأثر الشديد بـصروف الـدهر وتقلباتـه، وفـي إشـارة إلـى محدوديـة تحمله،فالإنسان ليس حديدا يتحمل أقسى الظروف بل هو مخلوق من لحم ودم وعواطف سريعة الانعطاب بمؤثرات الزمن، فيشبه بشار حال المحب المتيم بمن أحبها بالسراب الذي لا يتماسـك إنما يذوب، نافيا عن العاشق أن يكون حديدا من حيث تحمله لحرقة العشق والأشواق.

يتناص بشار بن برد مع خداش بن زهير في اللفظ والمعنى من حيث إلحاق الهزيمـة النكـراء بالخصم والاستعانة بالخيول المجهزة لذلك، يقول [1]:

جَلَبنا الخَيلَ ساهِمَةً إلَيهِم عَوابِسَ يَدَّرِعنَ النَقعَ قودا [2]

يصف خداش كيفية إلحاق الهزيمة بأعدائه قائلا إن قومه جلبوا خيولهم المكرهـة علـى السير في إشارة إلى شدة غضبها وفتكها، ناعتا إياها بأنها عابسة تتدرع بغبار المعركـة جعلـه درعا لها في دلالة على قوتها في إثارة الغبار إذ تتقدم نحو الخصم،كما يصف الخيـول بأنهـا طويلة الأعناق.

يقول بشار [3]:

وَبالكوفَةِ الحُبلى جَلَبنا بخَيلِنا عَلَيهِم رَعيلَ المَوتِ إنّا جَوالِبُه

يصف بشار فتك قومه بأعدائهم في مدينة الكوفة واصفا إياها بالحبلى، لعله يريد أنها حبلى بالفتن[4]؛ فقد أتوا بالموت إلى أعدائهم من خلال خيولهم التي أضافها إلى الموت من حيـث مـا تسببه من هلاك في الأعداء الذين يحاربهم قوم بشار، مؤكدا على أنهم جلابون للموت إذ يقاتلون أعداءهم.

يتناص بشار لفظا من خلال عبارة "خيلنا" مع ما يقابلها في بيت خداش بن زهير وهـي كلمة " الخيل " بالإضافة إلى عبارة " جَلَبنا " مع نظيرتها في بيت خداش.

---

1 ديوان خداش بن زهير ص 44

[2] ساهمة : " فرس ساهم الوجه محمول على كريهة الجري " اللسان مادة (سهم)

3 ديوان بشار ج1ص 339

4 انظر: ديوان بشار ج1ص 339

ومن حيث المعنى فان بشار بن برد يستخدم الخيل للإشارة إلى فتك قومه بخصوصهم، في حين أن خداشا ينعت الخيول بصفات تدل على البأس والقوة؛ فقد جلب على أعدائه خيولا مكرهة على المسير عابسة تثير الغبار الشديد في مسيرها بالإضافة إلى اتصافها بصفات الخيول الجيدة من حيث طول العنق،و يكني بذلك كله على الدمار الذي الحقته بأعدائهم.

أما بشار بن برد فانه يضيف هذه الخيول إلى الموت بذكره صراحة من جهة كونه مصير القوم الذين جلب إليهم هذه الخيول التي تسبب الموت مؤكدا في عبارة " إنّا جَوالِبُه "على أن قومه يعودون بالموت على من عاداهم لأنهم معتادون على ذلك.

التناص مع شعر الحادرة [1]:

يتناص بشار بن برد مع الحادرة في مدح قوم الممدوح بكونهم سواسية في السيادة والمجد، يقول[2]:

وَإنّا سَواءٌ كَهلُنا وَوَليدُنا لَنا خُلُقٌ جَزلٌ شَمائِلُهُ جَلدُ

يفخر الحادرة بقومه مساويا بينهم سواء في حال كونهم ولدوا حديثا أو بلغوا الكهولة من حيث اتصافهم بالأخلاق الحميدة، والطبائع الشديدة المتينة.

يقول بشار [3]:

خُلِقوا سادَةً فكانوا سَواءً كَكُعوبِ القَناةِ تَحتَ السِنانِ

يمدح بشار بن برد قوم ممدوحه ناعتا إياهم بأنهم مولودون سادة بالفطرة وذلك جعلهم جميعا سواء من حيث السيادة مشبها إياهم بفقرات قناة الرمح التي تكون متساوية جميعها.

فبشار يلمح إلى معنى الحاردة في جعل قومه سواسية من حيث كرم الأخلاق ومتانتها فلا فرق بين كبيرهم وصغيرهم فيها، فيوظف هذا المعنى في مدح قوم ممدوحه بجعلهم مولودين سادة مساويا بينهم في السيادة فجميعهم سادة بحكم الفطرة التي فطروا عليها، كما أن بشارا يورد تشبيها يقارب من خلاله حال هؤلاء القوم الممدوحين إذ شبههم في تساويهم من حيث السيادة

---

1 قطبة بن محصن بن جرول بن حبيب بن عبد العزى ابن خزيمة بن رزام من ذبيان، وهو مقل جداً وهو شاعر جاهلي مجيد،والحادرة الضخم، انظر: الأغاني (ج3 ص 268وما بعدها)

2 ديوان شعر الحادرة، حققه وعلق عليه ناصر الين الأسد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 15 ج 2 ص 329

3 ديوان بشار ج 4ص 234

بفقرات قناة الرمح لا تفاوت فيها فجميعها متساوية،و ناهيك عما في توصيفهم هذا من دلالة على القوة والبطش.

التناص مع شعر المتلمس الضبعي:

يتناص بشار بن برد مع المتلمس الضبعي في معنى عدم قبول الإقامة في مكان يلحق العار والهوان بالمقيم، يقول [1]:

فَما الناسُ إلاّ ما رَأوا وتَحَدَّثوا وَما العَجزُ إلا أن يُضاموا فَيَجلِسُوا

يصنف الملتمس الضبعي الناس محددا إياهم فيما يرونه ويحدثون عنه، من حيث إن الرؤية هنا هي الاعتبار بما يشاهدونه من أحداث، أو ما روي عن الآخرين من أخبار، فتؤخذ العبرة من ذلك كما أنهم مثلما يتحدثون به فإن كان حسنا فهم كذلك وإلا فهم غير ذلك.

ثم ينقل حكمة يحدد من خلالها معنى العجز وكيف يكون إذ بجعله قبول الضيم والهوان دون رد حازم وحاسم عليه.

يقول بشار [2]:

وَما أنا راضٍ بالهَوانِ إذا اِحتَبى عَلى الذُلِّ في دارِ الهَوانِ رَتوعُ

ينفي بشار عن نفسه الرضا عن الإقامة في المكان الذي يستريح فيه من استمرأ الذل وتعايش معه على الهوان الذي يلحق به جراء إقامته في هذا المكان.

يتجلى التناص لفظا في استخدام بشار لكلمات الذل، الهوان مقابل ما يرادفها في المعنى عند المتلمس الضبعي مثل " الضيم"في عبارة " يضاموا "، واستخدام بشار لعبارة " اِحتَبى" بمعنى الجلوس والاستراحة، وكلمة " رتوع " أي المقيم مقابل ما يرادفها في بيت المتلمس الضبعي في المعنى مثل " جلسوا ".

ومن حيث المعنى فإن بشار بن برد يلمح الحكمة التي أوردها المتلمس في بيته من حيث حصر العجز في الإقامة على الضيم في المكان الذي يضام فيه الإنسان ويهان، فيعيد بشار صياغة البيت بإضافة نفسه إليه نافيا عنها القبول بالإقامة في مكان لا يلحق بالمقيم سوى العار

---

1 ديوان شعر المتلمس الضبعي،عني بتحقيقه وشرحه حسن كامل الصيرفي، منشورات معهد المخطوطات العربية،جامعة الدول العربية، 1970 ص 112

2 ديوان بشار ج4 ص 120

والمذلة، فبشار قدم معنى حكمة المتلمس بأسلوب بالغ فيه في توصيف العجز الذي وضحه المتلمس من خلال نفي بشار الإقامة في مثل هكذا مكان يرضى فيه العاجز بالذل.

التناص مع شعر سويد اليشكري [1]:

يتناص بشار بن برد مع سويد اليشكري في معنى زيارة خيال المحبوبة له ليلا وتهييج شوقه، يقول [2]:

هَيَّجَ الشَوقَ خَيالٌ زائِرٌ مِن حَبيبٍ خَفِرٍ فيهِ قدَع [3]

يقول سويد اليشكري بأن ما زاد شوقه وهيجه طيف محبوبته الذي جاءه زائرا ليلا، ناعتا محبوبته بأنها حييه من حيث إنه يدعوها فيجيب حياؤها.

يقول بشار [4]:

لَقد زادَني شَوقاً خَيالٌ يَزورُني وَصَوتُ غِناءٍ مِن نَديمٍ مُغَرِّدِ

يقول بشار بأن ما سبب زيادة أشواقه إلى محبوبته خيالها الذي يزوره ليلا، بالإضافة إلى غناء صديق له يجعله يتذكر محبوبتهبسبب جمال صوته الذي شبهه بالتغريد ز

يتناص بشار بن برد مع سويد اليشكري لفظا في عبارة بشار " زادني شوقا " مع ما يرادفها في المعنى عبارة " هيج الشوق، وعبارة بشار " خيال يزورني " مع ما يقابلها عند سويد وهي عبارة " خيال زائر ".

ومن حيث المعنى فإن بشارا يتقاطع مع سويد اليشكري في معنى كون الخيال الزائر له ليلا هو علة ازدياد أشواقه إلى المحبوبة وتهيجها، إلا أن بشارا يضيف عاملا آخر كان سببا في ازدياد أشواقه بالإضافة إلى خيال المحبوبة الذي يزوره ليلا، وهو صوت نديمه الذي يشجيه ويطربه مذكرا إياه بمحبوبته في دلالة على سهره وقصد السلو في أماكن اللهو التي لا تنفك تذكره بالمحبوبة.

---

1 سويد بن أبي كاهل واسمه غطيف أو شبيب بن حارثة بن حسل بن مالك بن سعد بن عدي بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر اليشكري، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكانت العرب تسمي قصيدته«العينيه اليتيمة» لما اشتملت عليه من الأمثال وهي من أطول القصائد، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (ج3 ص 271). الأعلام للزركلي (ج3 ص 146)

2 ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، جمع وتحقيق شاكر العاشور، ط.1،1972 ص 24

3 " والخَفَر، بالتحريك شدّة الحياء. تقول منه: خَفِر بالكسر، وجارية خَفِرَةٌ ومُتَخَفِّرَةٌ." الصحاح مادة خفر ، والقَدْعُ: الكَفُّ والمَنْعُ ، اللسان مادة قدع

4 ديوان بشار ج3 ص 73

التناص في شعر أمية بن أبي الصلت:

يتناص بشار بن برد مع أمية بن أبي الصلت في تشبيه انفراج الشدائد والأزمات بحل العقال، يقول [1]:

رُبَّما تَجزَعُ النُفوسُ مِنَ الأمرِ لَهُ فُرجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ

يقول أمية بان بعض الناس يكرهون أمورا يعتقدون أنها شديدة لا انفراج لها، فإذا هم تبينوا وأعادوا النظر فيها وجدوا لها فرجة وحلا مثلما يحل عقال البعير.

يقول بشار[2]:

وَاِصبر عَلى غِيَرِ الزَمانِ فَإِنَّما فَرَجُ الشَدائِدِ مِثلُ حَلِّ عِقالِ

يحث بشار مخاطبا مفترضا بصيغة وعظية على الصبر على حوادث الدهر ومصائبه مصورا انفراج المصائب المؤلمة والمضيقة للعيش بانحلال عقدة عقال البعير.

يتناص بشار بلاغيا مع أمية بن أبي الصلت في تشبيه انفراج الأزمات بحل عقال البعير من حيث سرعة زوالها.

ومن حيث المعنى، فإن بشارا يوظف هذا التشبيه المأخوذ عن أمية بن أبي الصلت في أسلوبه ذي الطابع الوعظي الحكمي من حيث حثه على الصبر عند اشتداد الأزمات على الإنسان، ففي حين يمثل أمية بن أبي الصلت على تشبيهه بأمر قد يظن أن لا حل له واذ فيه طريق للحل، فإن بشارا يعمم تشبيهه ليشمل كل الشدائد التي يرى أن فرجها في سرعته مثل حل عقدة الحبل الذي يربط به الجمل.

---

1 ديوان أمية بن أبي الصلت جمعه وحققه سجيع الجبيلي،دار صادر، بيروت ط.1، 1998،ص 189
2 ديوان بشار ج 4 ص168

التناص مع شعر زهير بن جناب الكلبي [1]:

يتناص بشار بن برد لفظا ومعنى في كونه قد نال كل ما يشتهيه الإنسان، يقول [2]:

كلَّ الذي نالَ الفَتى قد نِلتُهُ إلّا التَحِيَّة [3]

في معرض تعداده لمآثره وما ترك لأولاده من بعده من مجد وسيادة، يقول لهم بأنه نال كل ما يطلبه الفتى من معالي الأمور باستثناء الملك فانه لم ينله، يقول بشار [4]:

مِن كُلِّ لَذّاتِ الفَتى قد نِلتُ نائِلَةً وَعُرفا

يفتخر بشار بنفسه إزاء صدود واعراض بعض الحسناوات عنه، يقول بأنه نال كل ما يشتهيه الفتى من نعيم الشباب، بالإضافة الى أنه قد نال كرم النفس من خلال جوده وعطائه.

يتجلى التناص في اللفظ من خلال القلب المكاني لجملة زهير بن جناب في بيته،وهي " كل الذي نال الفتى قد نلت " الذي أجراه بشار على بيته في جملة " من كل لذات الفتى قد نلت ".

ومن حيث المعنى فان بشارا يستثمر مقولة زهير بن جناب في كونه قد نال كل ما يحلم به الفتى من معال في شبابه باستثناء نوله الملك.

وهكذا يتبين من خلال دراسة التناص الأدبي في الشعر الجاهلي، أن بشار بن برد يمتح في بناء معانيه و ألفاظه وصوره من مثال الشعر العربي و أنموذجه، فقد تجلت تناصاته بمختلف مستوياتها مع شعراء هذا العصر سيما مع شعراء المعلقات، الذين أكثر من التناص معهم معنويا ولفظيا،ثم في الصورة الفنية، ومع غيرهم من شعراء هذا العصر.

هذا وقد أبدى بشار حرفية عالية في توجيه المعاني والدلالات النصية الأصيلة عند استدعائها إلى نصوصه الشعرية، فقل عنده التناص المباشر الاقتباسي،وعمل على إعادة تشكيل هذه النصوص لغويا وأسلوبيا ومعنويا، بما يضمن الجدة لها في النصوص المتناصة عنده، كما

---

1 زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.
شاعر جاهلي وهو أحد المعمرين وكان سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة في غزواته، انظر: الأغاني (ج3 ص 121)،و(ج19 ص 19وما بعدها)

2 ديوان زهير بن جناب الكلبي،صنعة محمد شفيق البيطار، دار صادر بيروت،ط.1، 1999،ص 114

3 قال ابن قتيبة " التَّحيّات المُلْك وأصلُه إنَّ الملِك كان يُحَيّا فيقال أنعِمْ صباحاً وأبَيْتُ اللَّعْن ولا يقال ذلك لغيره قال الشاعر : ولكل ما نال ... بيت زهير أعلاه " غريب الحديث " تحقيق : د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد ط.1 ، 1397ص (ج1 ص 168)

4 ديوان بشار ج4 ص 129

قل عنده التناص اللفظي المباشر، متحيزا للتناص اللفظي غير المباشر في إعادة إنتاج ما تقاطع معه من نصوص هيكليا، كما تجلى أثر بناء الصورة عند الشعراء الجاهليين في شعره، مع إعادة تشكيلها بما يخرجها أحيانا عما وضعت له في صورتها الأصيلة، أو ببث معانٍ ودلالات جديدة فيها.

وتنوعت الأغراض الشعرية التي أفاد منها في تلاقحاته مع شعراء هذا العصر وتراوحت بين الوصف والغزل والمدح والفخر.

فالشعر الجاهلي لم يغب عن اهتمام بشار بن برد بل كان رافدا مهما في تكوين شـــعريته، التي عمد إلى تلقيحها بأمثلة الشعر العليا، معيدا إنتاج معانيها وتحوير دلالاتها فلم يقف أمامهـــا وقفه المقدس لها، والقاصر عن تجاوزها، بل استوعبها وهضمها، بما يضمن له توليـــد معـــان جديدة منها.

الفصل الثاني

التناص مع شعر صدر الإسلام

والشعر الأموي

الفصل الثاني

التناص مع شعر صدر الإسلام والشعر الأموي

أولا: التناص مع الشعر الإسلامي

سأتناول في هذا المبحث التناص الأدبي بأنواعه مع شعراء العصر الإسلامي الذي برز فيه مجموعة من الشعراء الذين تأثر بهم بشار بن برد من خلال توضيح ابرز أشكال التناص الأدبي معنويا ولفظيا وفي الصورة الفنية.

كما يعد هذا العصر من أفقر العصور تناصيا مع مجموع بشار الشعري، نظرا لقلة الشعراء فيه، والذين أغلبهم كانوا ممن عاصروا الجاهلية إلا أنهم برزوا في الإسلام بصفتهم ممن أسهم في الذود عن الدعوة ونصرتها بالقول، ولكنهم عاشوا اغلب عمرهم في عصر صدر الإسلام.

ولعل قلة الاهتمام بالشعر الإسلامي عند بشار وغيره من الشعراء المحدثين راجع إلى انصراف الناس في ذلك العصر عنه إلى غيره من مستجدات حضارية وعملية واجتماعية أفرزتها الدعوة الإسلامية، ونظرا لثبات الدين الإسلامي،والانشغال بعلومه وفروضه.

التناص مع شعر حسان بن ثابت

يتناص بشار بن برد مع حسان بن ثابت في امتداح شعره، و تصويره بالسيف الذي يسلّط على اللئام فيخشى لسانه، يقول [1]:

لِساني صارمٌ لا عَيبَ فيهِ وبَحري لا تُكَدِّرُهُ الدِلاءُ[2]

يصور حسان لسانه بالسيف القاطع الذي لا عيب فيه يقصد بذلك قوة شعره في هجاء أعدائه، و يقول بان بحر شعره لا يتلوث بمن يستقي منه، في دلالة على ورود ذكر مهجوُّيه في شعره.

---

1 ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه وليد عرفات، دار صادر، بيروت،ط.1، 2006، ج 1 ص 18

[2] قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح ويروى: "لساني صارم لا عتب فيه" السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وآخران ،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط.2، – 1955 م ج2 ص 424

يقول بشار [1]:

إن أمس مُنقبضَ اليدَين عَنِ الغِنى وَعَنِ العَدُوِّ مُخَيَّسَ الشَيطـــان

فلَقد أروحُ عَلى اللِئامِ مُسَلَّطـــــاً ثَلِجَ المُقيلُ مُنَعَّمَ النَدمـــــــان

في ظِلِّ عَيشٍ عَشيرَةٍ مَحـــــمودَةٍ تَندَى يَدي وَيُخافُ فُرطُ لِساني

يقول إذا كان قد زهد بالمال و كف عن هجاء أعدائه، و ذلك من عبارة " مُخَيَّسَ الشَيطانِ "، أي مذلل الشيطان،و الشيطان هنا يقصد به شيطانه الشعري، كما جرت عادة الـشعراء فـي إدعاء قرين من الجن لهم [2]، يقول إذا أمست هذه حاله، فلا ينظرن إليه على أنه أصبح غير قادر على ما كف عنه، فأنه عندما يلقى اللئام يسلط لسانه عليهم بالهجاء، و ينعم بقيلولة مطمئنة هانئة باردة و بندامى يكرمونه و يجلونه، فهو في حين أقام بين كرام يستحقون كرمه فإن يديه تغدقان في العطاء كرما، و ذلك لا ينفي مخافة القوم لسانه و شعره إذا ما رأى ما يسيئه فيهم.

و يتجلى التناص المعنوي في افتخار الشاعر بشعره و تصويره بالسيف البتـار، فبـشار يشبه شعره بالسيف المسلّط على رقاب اللئام إذا أراد هو ذلك، أما حسان فنعت لسانه بالـصارم يقصد السيف القاطع الذي لا عيب فيه،فهو بتار لا يقصّر عن الفتك بأعدائه من خـلال شـعره هجاء لهم، فبشار كثف هذا المعنى ووجهه توجيها فنيا ليوضح ما أشكل على من رآه حيث كف عن هجاء الأعداء زهدا فيتوهم انه لا يستطيع هجاء أعدائه خوفا من خلال كناية مبتكرة بجعـل شيطان شعره مقيدا فهو لا يهجو، فيرد على ذلك بتوصيف لسانه بالمسلّط على اللئام في دلالـة على كونه سيفا يُذلُّ به رقابهم بشعره إذا لقيهم فهجاهم، بالإضافة إلى أن لسانه السليط موضـع رهبة و خشية من الأقربين و الأبعدين.

و يتناص بشار بن برد مع حسان بن ثابت لفظا و معنى في الافتخار بشجاعة و مكـارم قـوم ممدوحه في معرض النيل من شخص المهجو،يقول [3]:

لنا في كُلِّ يَومٍ مِن مَعـَدٍّ قِتالٌ أو سِبابٌ أو هِجـــاءُ

نَحكِمُ بِالقوافي مَن هَجانا وَنَضربُ حينَ تَختَلِطُ الدِماءُ

ألا أبلِغ أبا سُفيانَ عَنّـــي فأنتَ مُجَوَّفٌ نَخِـــبٌ هَواءُ

---

1 ديوان بشار بن برد ج4 ص 225

2 انظر ديوان بشار (شرح الطاهر ابن عاشور) ج 4ص 225 وانظر تاريخ النقد الأدبي إحـسان عبـاس دار الشروق، ط.1،الإصدار الرابع، 2006،ص 16

3 ديوان حسان بن ثابت، ج 1 ص 18

بأنَّ سُيُوفنَــا تَركَتْكَ عَبدَا وعبد الدار سَادتُها الإمـــاءُ

يقول حسان بأن المسلمين أصابهم الضرّ من قريش الذين سبوهم و هجــوهم و قــاتلوهم؛ فيرد حسان على ذلك بأنّ المسلمين يدافعون عن أنفسهم بهجاء من يهجــونهم،و يقــاتلون مــن يقاتلونهم إذا اشتدت المعركة، موجها كلامه إلى أبي سفيان [1]المهجو في هذه القــصيدة مخاطبــا شخصا افتراضيا بأن يبلغ أبا سفيان كلاما ينقل عن حسان نفسه بان أبا سفيان رجل مجوف أي لا لب له فهو ليس إلا جبان خائف، فلقد جعلته سيوف المسلمين ذليلا صاغرا.

يقول بشار [2]:

أَلَم يَبلُغ أبا العَبّاسِ أنّا وَتَرناهُ وَلَيسَ بِهِ اِتّئَارُ

يقول بشار بأن يسمع أبو العباس [3]بأن جيوش مروان بن محمد قتلت له قتيلا يقصد أخــا أبيالعباس المهجو، وهو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس [4]، فلا يستطيع أن يأخذ بثأره من مروان بن محمد، لأنه جبان في دلالة على إذلال مروان بن محمد له.

يتناص بشار بن برد مع حسان بن ثابت لفظيا في العبارة "ألم يبلغ "مقابل عبارة حسان "إلا ابلغ".

ومن حيث المعنى تجد بشار بن برد يأخذ عن حسان صيغه إبلاغ المهجو بما يريد إخباره به في دلالة على الترفع عن مخاطبته وجها لوجه؛ فمضمون بلاغ حسان كان بأن المسلمين بعد أن هزموه تركوه ذليلا صاغرا لا سيادة لقومه إلا النساء الجواري إمعانا في النيل مــن قومــه، وبشار يتفق مع مضمون بلاغ حسان إلا أن بشارا يجعل من بلاغه استفزازيا ليعمق من إحساس الدونية في نفس المهجو الذي يُهجى بقتل أخيه، وبأنه لا يستطيع أخذ ثأره.

---

1 " أبو سفيان هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمي القرشي، احد الأبطال الــشعراء فــي الجاهلية والإسلام، كان مظهرا العداء للنبي صلى الله عليه وسلم – وكان رد حسان عليه أعلاه في تلــك الحقبة – ثم اسلم وحسن إسلامه فرضي عنه النبي صلى الله عليه وسلم. الإصابة في تمييز الصحابة،ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت ط.1، 1412 ج7،ص 179 الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين ط.15، 2002 م– (ج7 ص 276)

2 كان هذا قبل أن يستتب الأمر للعباسيين، انظر:ديوان بشار بن برد ج3 ص 252

3 هو اول خلفاء بني العباس، عبدالله السفاح بن محمد بن الإمام إن على السجاد بن عبدالله الحبر بن العباس بن عبدالمطلب القرشى الهاشمي أمير المؤمنين وأمه ريطة، كانت خلافته أربع سنين وتسعة أشــهر وكــان أبيض جميلا طويلا أقنى الأنف جعد الشعر حسن اللحية حسن الوجه فصيح الكلام، البداية والنهاية لابن كثير،مكتبة المعارف – بيروت ج10 ص 58

4 شرح ديوان بشار، الطاهر ابن عاشور،ج3 ص 252

ويتناص بشار بن برد مع حسان بن ثابت في معنى الدعاء للشخص المرثي بأن يصلي الله عليه، يقول [1]:

صَلّى الإلَهُ عَلى الَّذينَ تَتابَعوا يَومَ الرَجيع فَأكرموا وَأثيبوا

يدعو حسان بن ثابت الله تعالى أن يرحم السبعة رجال الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فغدرت بهم عضل و القارة، فقتلوهم[2] في منطقة الرجيع، فكان استشهادهم تكريما لهم ومثوبة من عند الله.

يقول بشار [3]:

وَلَقد أقولُ غَداة يَنأى نَعشُها صَلّى الإلَهُ عَلَيكِ أُمَّ مُحَمَّدِ

يقول بشار بأنه سيدعو الله أن يرحم محبوبته أم محمد عندما يبتعد المشيعون بنعشها ليواروه التراب.

و يتجلى التناص لفظا من خلال عبارة "صلى الإله "، التي ضمنها بشار بيته، إذ نجد بشارا يتقاطع مع حسان بن ثابت في المعنى؛فيوظف هذه العبارة في سياق رثاء، طالبا الرحمة لإنسان يعزّ عليه هي أم محمد، كما هو حال حسان بن ثابت الذي دعا الله أن يرحم قتلى الرجيع، فبشار يتناص معنويا و لفظيا مع حسان بن ثابت، لكنه يوظف العبارة المتناصة بأسلوب مختلف عن حسان بن ثابت من حيث أن بشارا يوازي بين موقف ابتعاد النعش عن مرمى بصره في دلالة على إيداعها القبر، و بين دعائه لها بالرحمة، لأن أول ما يطلب للميت بعد دفنه الرحمة من الله، بينما دعا حسان بن ثابت لهم بالرحمة بعد أن قتلوا و دفنوا على سبيل الرثاء و الافتخار بما نالوه من تكريم و مثوبة.

---

1 ديوان حسان بن ثابت ج 1 ص 189
2 انظر السيرة النبوية لابن هشام ج2 ص 169
3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 118

التناص مع شعر كعب بن زهير:

و يتناص بشار بن برد مع كعب بن زهير في معنى إخلاف المحبوبة وعدها بالوصل مع تحوير بشار بن برد فعل زهير، يقول[1]:

يا وَيحَــها خُلَّةً لَو أنَّها صَدَقَت ما وَعَدَت أو لَو أنَّ النُصحَ مَقبولُ

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إلّا الأباطيـــــــلُ

فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت إنَّ الأَمانِيَ وَالأحلامَ تَضـــــــليلُ

يتوجع ويتعجب كعب من عدم إيفاء محبوبته لما وعدت به من وصل؛ فهي لا تسمع منـــه نصحا، ثم يساوي وعودها بمواعيد عرقوب المضروب به المثل في الخلف بالمواعيد، ناعتا ما تَعِدُ به بالأباطيل معمقا من خلفها في المواعيد التي تعده بها، ثم يخاطب نفسه يعظهـــا بـــان لا تنخدع بما تمنيه (محبوبته) به من نعيم ولقاء، وبما تعد به من وصال؛ إذ إن الأماني والأحـــلام تضلل الإنسان عن الحقيقة.

يقول بشار[2]:

وَقد وَعَدَت صَفَداً في غَدٍ وَكَم وَعَدَتكَ وَلا تُصفدُ[3]

وَإنّي عَلى طولِ إخلافِها لَأرجو الوَفاءَ وَلا أحقُدُ

يخاطب بشار نفسه يقول بأن محبوبته تعده كلما لقيها أن تعطيه الوصال فـــي الغـــد، ثـــم يستدرك معبرا عن كثرة وعودها إياه دون أن توفي ما وعدت به من وصال، ثم يقول مبينا حبه الشديد وإخلاصه العظيم لها بأنه برغم كثرة إخلافها وعودها بالوصال إلا أنه لا يحقد عليها، إنما يرتجي ويتأمل منها الوفاء بما وعدت.

يتناص بشار بن برد مع كعب في معنى إخلاف المحبوبة بما وعدت من وصال، فمحبوبة بشار تعده بقرب الوصال، ولكنها لا تعطيه من ذلك شيئا مثل محبوبة كعب التي لا تَصدق بمـــا وعدت، إلا أن بشارا لا يتفق مع كعب في النتيجة التي وصل إليها جراء كثرة إخلاف محبوبته

---

1 ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة مفيد قميحة،دار الـــشواف، الريـــاض، السعودية، ط.1، 1989ص 110 / 111

2 ديوان بشار بن برد ج3 ص 121

3 " والصَفَدُ بالتحريك: العَطاءُ. وأصْفَدْتُهُ إصْفاداً، أي أعْطَيْتُهُ مالاً" الصحاح مادة صفد

الوعد؛ فكعب توصل إلى أن مواعيد محبوبته وتمنيتها نفسه بالوصل ما هي إلا أباطيل وأكاذيب حاضا نفسه على عدم الالتفات إلى ما بعده كي لا ينخدع ويضل عن الحقيقة.

أما بشار فانه يحض نفسه برغم كثرة إخلاف محبوبته على عدم الحقد عليها وكرهها، بالإضافة إلى عدم انقطاع رجائه من أن تفي بما وعدت به، يريد بذلك أن ينزهها عن الإخلاف المطلق بما وعدت به، ويتضح ذلك من خلال توضيحه لعدم وفائها بما وعدت به، إذ لم يذكر ما يدلل دلالة سلبية على زيف ما تقول أو كذبها فيما تدعي، إنما اكتفى بإيراد كلمة "لا تصفد" أي لا تعطي.

و يتناص بشار بن برد مع كعب بن زهير لفظا ومعنى في حض محبوبته على الصبر وامتداحه، يقول [1]:

ما صَلاحُ الزَوجَين عاشا جَميعاً بَعدَ أن يَصرمَ الكَبيرُ الكَبيرا

فَاصبري مِثلَ ما صَبَرتُ فَإنّي لا أخال الكَريمَ إلّا صَبورا

يقول لزوجته التي عزمت على تركه لما كبر بأن لا خير لزوجين بعد أن عاشا مع بعضهما زمانا طويلا أن يترك الكبير في السن زوجته الكبيرة في السن أيضا،ثم يحضها أن تتصبر على كبره مثلما صبر على كبرها جاعلا من الصبر شيمة من شيم الكرام.

أما بشار فيقول[2]:

عَبدَ إنّي إلَيكَ بالأشواق لِتَلاقٍ وَكَيفَ لي بالتَلاقي[3]

أنا وَاللَهِ أشتَهي سِحرَ عَينَيكِ وَأخشى مَصارعَ العُشّاق

وَأهابُ الحَرسِيَّ مُحتَسِبَ الجُندِ يَلُفُّ البَريءَ بالفُسّاق

فَاصبري مِثلَما صَبَرتُ فَإنَّ الصَبرَ حَظٌّ مِن صالِحِ الأخلاق

يخاطب محبوبته (عبده) موضحا لها انه مشتاق إليها كثيرا، لكنه ليس بيده حيلة في لقاء يجمعهما، مقسما لها أنه يشتهي رؤية عينيها إلا أنه يخشى عاقبة عشقه لها، وذلك بسبب الحارس

---

1 ديوان كعب بن زهير ص 66

2 ديوان بشار بن برد ج4 ص 137

[3] جاء في زهر الاداب وثمر الألباب، أبو إسحاق الحصري القيرواني ، تحقيق : يوسف على طويل دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ط.1 ، 1417 هـ – 1997م ص (ج1 ص 381) " وأنشد له أبو تمام،(يقصد هذه الأبيات) وكان يقول: ما رأيتُ شعراً أغزل منه " ولعله يقصد البيت الثاني كما مال إليه الطاهر ابن عاشور " ديوان بشار ج4 ص 137 "

الذي يحرس بيتها ليلا من حيث هو لا يأتمر لقائد فيما يفعله،إنما ينفذ ما يراه مناسبا من خـــلال الفتك بكل من يقترب من مكان حراسته ليلا بحيث يستوي عنده البرئ –يقصد نفسه –والفاسق، بعد ذلك يحضها على الصبر على عدم التلاقي كما صبر هو على ذلك كثيرا جاعلا من الصبر من الأخلاق الصالحة والحميدة.

ويتجلى التناص اللفظي في عبارة " فاصبري مثلما صبرت "،ومن حيث المعنى فان بشارا يوظف هذه العبارة في سياق وموقف مختلفين عنهما عند كعب الذي وظفها في معـــرض حـــث زوجته التي أنفت ملازمته لكبره في السن على الصبر على كبره مثلما صبر هو على كبرهـــا، بينما هي (العبارة) عند بشار موظفة لحث المحبوبة على الصبر على اللقاء مثلما صبر كثيـــرا على لقائهالعلة الفتك به إذا ما جاء زائرا لها ليلا.

ويتناص بشار بن برد مع كعب بن زهير في امتداح علي بن أبي طالب بأنه خير ما حمل على حامل،يقول[1]:

يا خَيرَ مَن حَمَلت نَعلاً لَهُ قدَمٌ بَعدَ النَبيِّ لديهِ البَغيُ مَهجورُ

يقول بأن علي [2]أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم، مؤكدا أن الظلم مفارق لـــه، مرددا أنه خير من حملت قدمه نعله كناية على انه افضل الناس بعد الرسول عليه السلام.

يقول بشار [3]:

بَني أبي جَعفَرٍ يا خَيرَ مَن حَمَلَت عَلى غَواربِها العِيدِيَّةُ الأَجُدُ[4]

يخاطب بشار قوم ممدوحه بأنه خير من حملت على ظهورها النياق القوية المتينة.

ويتجلى التناص في مدح الممدوح بأنه خير الناس من خلال الكناية بما يحمل عليه، وذلك أن كعبا نعت عليا بأنه خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " يا خَيرَ مَن حَمَلـــت

---

1 ديوان كعب بن زهير ص 81

2 بيته من قصيدة له في مدح علي بن أبي طالب، يقول ابن مبارك قبل إيرادها في منتهى الطلب " وقال كعب يمدح أمير المؤمنين علياً عليه السلام وكانت بنو أمية تنهي عن روايتها وإضافتها إلى شعره،أنشدنيها ابن خطاب صاحب الخبر وكان أديباً من غلمان أبي زكريا التبريزي"(منتهى الطلب من أشعار العرب، جمع محمد بن المبارك بن ميمون، تحقيق محمـــد نبيـــل طريـــف دار صـــادر، بيـــروت، ط.1، 1999، ج 2 ص 109)

3 ديوان بشار بن برد ج2 ص 292

4 العيديَّة: نوق نجائب منسوبة معروفة ، تنسب إلى حي بنو العيد ؛ وقيل:العِيدية منسوبة إلى عاد بن عاد، وقيل: إلى عادِيّ بن عاد إلا أنه على هذين الأخيرين نَسَبٌ شاذٌّ، وقيل: العيدية تنسب إلى فَحْلٍ مُنْجِب يقال لـــه عِيدٌ كأنه ضرب في الإبل مرات "المحكم والمحيط الأعظم مادة عود ، وانظر : لسان العرب مادة عود ، ، " وناقة أَجُد اَي قوية موثقة الخلق." لسان العرب مادة اجد

نَعلاً لهُ قدَمٌ "من خلال كناية ما يُحمل على النعل، فالناس جميعهم يلبسون نعالا، وعلي افـضلهم من حيث بعده عن الظلم، بعد النبي صلى الله عليه وسلم، بينما جعل بشار من قوم ممدوحه خير الناس من خلال ما تحمل عليه النياق القوية الشديدة، إلا أن بشارا من خلال ما كنّى بـه نجـده يعلي من شأن ممدوحه إعلاءً يفوق إعلاء كعب لممدوحه، إذ إن كل الناس يلبسون النعل كريمهم و لئيمهم، بينما لا يركب النياق العيديِّة المتصفة بالقوة و الشدة إلا الفـوارس الأشـداء؛ فقـوم ممدوحه هم الأفضل بين أفاضل الناس، فكان خصهم بين خاصة القـوم و ذلـك مبالغـة فـي تفضيلهم.

ويتناص بشار بن برد مع كعب بن زهير في معنى عدم إفشاء السر إلا لثقة و يزيد عليه بمنعه على الإطلاق، يقول [1]:

لا تُفشِ سِرَّكَ إلّا عِندَ ذي ثِقَـةٍ أو لا فَأفضَلُ ما اِستَودَعتَ أسرارا

صَدراً رَحيباً وَقلباً واسِعاً صَمِتاً لَم تَخشَ مِنهُ لِما اِستَودَعتَ إظهارا

ينهى كعب مخاطبه الافتراضي عن إفشاء سره إلا لمن يكون ثقة لكتمانه، و عدم البـوح به، ففي حال عدم وجود شخص ثقة، فمن الأفضل عدم إفشائه، موجها مخاطبه إلى ما يتمتع به من ثقة و من صفات لأجلها استحق أن يكون أهلا لعدم افشاء السر عنده، فمما يتصف به رحابة الصدر في دلالة على الحكمة، و كثرة صمته عن الهنات؛ فلا يحدِّث إلا مفيدا.

يقول بشار [2]:

تَبوحُ بِسِرِّكَ ضيقاً بِـــــهِ وَتَبغي لِسِرِّكَ مَن يَكتُمُ

وَكِتمانُكَ السِرَّ عَمّن تَخافُ وَمَن لا تَخَوَّفُهُ أحـزَمُ

إذا ضاعَ سِرُّكَ مِن مُخبِـرٍ فَأنتَ إذا لُمتَهُ أَلـــوَمُ

يتعجب بشار ممن يفشي سره لأنه ضاق ذرعا بكتمانه، و في نفس الوقت يطلب من غيره كتمانا لسره، ثم يوجهه إلى أن عليه أن يكتم السر عن كل إنسان سواء خاف أن يفـشيه أم لـم يخفه، و ينتهي بإلحاق اللوم بمن أباح سره بين الناس راجيا كتمانه، فإذا ما أذاع سره فهو الملوم دون من باح به.

---

1 ديوان كعب بن زهير ص 82
2 ديوان بشار بن برد ج4 ص 205

يتجلى التناص المعنوي في إفادة بشار بن برد من مضمون بيتي كعب الذي نهي عن إفشاء السر إلا عند ثقة يتصف بالحلم،و الكتمان و الحكمة،و يؤمن إظهاره السر و البوح به؛ فنهي كعب نهي مقيد بانتفاء وجود ثقة، ففي حال وجوده يزول المانع، بل و يحضُّ على إفشاء السر عنده، غير أن بشارا ينتقل بالنهي من نهي مقيد إلى نهي كلي،دون استخدام أيٍّ من أدوات النهي، بل يقدم ذلك كله بأساليب جديدة من مثل التعجب السماعي ممن يرجو لسره كتمانا، في حين لم يستطع هو نفسه أن يكتمه في نفسه فباح به، وهو معنى مبتكر يلتفت إلى حيثيات الفعل الأصيل و دلالاته، كما أن بشارا يوافق معنى كعب الذي يحث فيه على عدم إفشاء السر، فنجد بشارا يشمل بمنع الإفشاء الثقة و غير الثقة بل يجعل كتمان السر عن الثقة من الناس أكثر حزما و جلدا، لقد بدأ بيته باستغراب من سلوك رجل يقدم على سر نفسه، ثم يفتش عن آخر يحفظ له السر ولا يفشيه فهذه مفارقة عجيبة، وبذا تتسق خاتمة مقطوعته الشعرية مع مقدمتها التي يعجب فيها من حال من لم يستطع أن يكتم سره في نفسه طالبا غيره بكتمانه.

و يتناص بشار بن برد مع كعب بن زهير في معنى نصح المحبوبة حبيبها بعدم اقترابه من ديارها قصد زيارتها نظرا لما ينتظره من مخاطر يقول [1]:

وَقالَت تَعلَّم أنَّ بَعضَ حُمُوَّتي وَبَعلي غِضابٌ كُلُّهُم لكَ كاشِحُ

تنصح محبوبة كعب أن لا يزورها، فأخوان زوجها و زوجها غاضبون منه مبغضون له في إشارة إلى معرفتهم أنه يحبها، وانتظارهم قدومه للانتقام.

يقول بشار [2]:

أنتَ المُشَهَّرُ في أهلي وَفي نَفَري وَدونَكَ العَينُ مِن جارٍ وَمُغتَرِبِ

تخاطب محبوبة بشار بشارا ناهية إياه عن الاقتراب من ديارها لأنه بات معروفا بين أهلها، و الكل يترقب مجيئه لما ذاع من سر حبهما بين أهلها.

و يتجلى التناص في المعنى من حيث النهي عن الزيارة للمحبوبة بسبب ما ينتظر العاشق من مخاطر جراء افتضاح أمره بين أهل محبوبته، فمحبوبة كعب في بيته تحذره من كيد زوجها و إخوته الذين يكنّون له الضغينة و الحقد لأنه أغضبهم بحبه لها، بينما يعمم بشار من دائرة من

---

1 ديوان كعب بن زهير ص 52
2 ديوان بشار بن برد ج 1 ص 288

يتربص به فيجعل أهل محبوبته كلهم على علم بأمره ثم يجعل من جيرانهم و المغتربين عنـــدهم يترصدونه، وفق تحذير المحبوبة له.

التناص مع الأقيشر الأسدي[1]:

يتناص بشار بن برد مع الأقيشر الأسدي في معنى الحث على التمتع باللذات يقول [2]:

تَمتَّعْ مِن شَبابٍ ليس يَبْقى وَصِلْ بِعُرَى الصَّبُوح عُرَى الغَبُوق [3]

يحث الاقيشر نفسه على التمتع بملذات الشباب الذي لن يدوم،جاعلا من عدم دوامه علـــة في مباكرة التمتع به، ثم يشبه وقتى الغداة والعشاء بمدخلي الزر من القميص طالبـــا وصـــلهما بشرب الخمر في دلالة علىالحث على اللهو.

يقول بشار [4]:

فقُل لِلَّذي يُبقي لِمَن لَيسَ باقِيـــاً تُصيبُ وَلَم تُعقِب نَجاحاً وَلا رُشدا

تَمَتَّع مِنَ اللذّاتِ وَاِستَبق مَنصِباً فَإِنَّكَ لاقي القَومِ قد جَفَلوا بـــَردا

يذم بشار من لا ينفق ماله لأنه يدخره لورثته الذين لن يخلدوا بل سيفنون؛ فهو قد كـــسب المال وادخره فلم يستفد هو منه، إنه بذلك لم يترك شيئا ذا قيمه وخاب سعيه ولم يرشد،ثم يحثّـــه على أن يتمتع بماله لأنه أولى بالتمتع به، بحيث سيصيب القوم البرد خيفة واشمئزازاً منه حـــين يموت، فلا أحد سيحترمه ويقترب منه عند الموت حتى أولئك الذين ادخر ماله لهم.

ويتجلى التناص اللفظي في عبارة بشار "تمتع من اللذات" مقابل عبارة الاقشير "تمتع مـــن شباب"، وعبارة بشار "ليس باقيا" يصف بها الورثة، مقابل عبارة الاقشير " ليس يبقى " يـــصف بها الشباب.

ومن حيث المعنى فان بشارا يتداخل مع معنى الحثّ على التمتع عند الاقيشر الذي يحصر التمتع بالشباب،فيعمم بشار التمتع ليشمل الملذات كلها دون تحديد مرحلة عمرية يقتصر عليهـــا هذا التمتع، فعلّة التمتع عند الاقيشر هيكون الشباب فانيا، بينما هي عند بشار الموت،وعدم كنز

---

1 الأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه كالمقشر واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بـــن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وكان الأقيشر كوفيا خليعا ماجنا مدمنا لـــشرب الخمر، الأغاني (ج11 ص 252وما بعدها)

2 ديوان الاقيشر الاسدي، صنعة محمد علي دقة، دار صادر، بيروت لبنان، ط. 1997، ص 98

3 " الغُبُوق: الشرب العشي " لسان العرب مادة (غبق)

4 ديوان بشار بن برد ج3 ص 59

الأموال، و الضنانةبها؛ ففي بيت بشار توجيه فلسفي عميق من حيث تقريع من يدخر المال بعده لأنه سيموت، فينبهه إلى أن من سيترك لهم ماله سيموتون أيضا، وهي من مـــؤثرات الفلـــسفة الداخلية على الفكر الإسلامي جرَّاء الانفتاح على فلسفات الأعراق الأخرى لاسيما فلسفة مزدك الداعية للذة.

ويتناص بشار بن برد مع الاقيشر الاسدي في ذم البخل بوصفه شرا، سيما البخل في الوصـــال من المحبوبة.،يقول الاقيشر [1]:

ألا إنَّما الإنسانُ غِمدٌ لِقلبـــــــهِ وَلا خَيرَ في غِمدٍ إذا لَم يَكُن نَصلُ

وَإن تَجمَع الآفاتِ فالبُخلُ شَرُّها وَشَرٌّ مِنَ البُخلِ المَواعيدُ وَالمـــَطلُ

يشبِّه الاقيشر الإنسان بالغمد الذي يحفظ القلب، مشبها قلب الإنسان بالسيف إذ يقول بأن لا خير في غمد لا يوجد فيه نصل، ثم يجعل من البخل أكبر الشرور، ويجعل من الإبطاء في أداء المواعيد والالتزام بالعهود أكثر شرا من البخل نفسه.

يقول بشار [2]:

" حُبَّ " إنَّ البُخلَ شَرٌّ لَيسَ مِن فِعلِ السَراةِ

فَصِلِيني أو دَعينـــي نُصُباً لِلزائـــــــــِرات

يخاطب محبوبته (حبَّى) موضحا لها أن البخل شر لا يفعله الأشراف يقصدها موجها لهـــا أن تكف عن البخل في وصاله، طالبا منها أن تصله أو تتركه كالحجر المنصوب مـــن مرضـــه تعوده العائدات.

ويتضح التناص لفظا من حيث عبارة بشار " إن البخل شر "،مقابل عبارتيالاقيشر " فالبخل شرها "و" شر من البخل".

و من حيث المعنى يأخذ بشار عن الاقيشر نعت البخل بالشر، فالاقيشر يجعل من البخـــل أكثر أنواع الشرور ضررا،جاعلا مماطلة الموعودين بالإيفاء شرا منه، فيحـــور بـــشار هـــذين المعنيين جاعلا من البخل في الوفاء بمواعيد المحبوبة شرا،حاضا محبوبته على الوفاء بالوصل أو تركه مريضا عاجزا، فيدمج معنيي الاقيشر ويخرجهما إخراجا فنيا يتفق مع مقـــصوده فـــي

---

1 ديوان الاقيشر الاسدي ص104

2 ديوان بشار بن برد ج2 ص 37

بيته، بحيث جعل البخل شرا قارنا إياه بعدم الإيفاء بالوعود بالوصل التـــي قطعتهـــا المحبوبـــة ومماطلته إياها بحيث يفهم ذلك من طلبه منها أن تصله أو تتركه.

ويتناص بشار بن برد مع الاقيشر الاسدي في نعت قوم المهجو باللؤم يقول [1]:

فَأنتُمُ لِئامُ الناسِ لا تُنكِرونَهُ وَألأمُكُم طُرّاً حُرَيثُ بنُ جَندَلِ

يخاطب الاقيشر مهجوه ناعتا قومه تميم[2] بأنهم أكثر الناس لؤما قائلا بأنهم لا يـــستطيعون لذلك إنكارا جاعلا حريث بن جذل وهو منهم أكثرهم لؤما.

يقول بشار[3]:

أباهِلَ فيكُم عُصبَةٌ مُستَفادَةٌ لِئامُ القِرى فُطسُ الأُنوفِ جِعادُ

يهجو قبيلة باهلة، بتخصيص عصبة منهم بالبخل والقباحة وجعودة الشعر دلالة على أنهم عبيد.

ويتجلى التناص اللفظي في عبارة بشار " لئام القرى " مقابل عبارة الاقيشر الاسدي "لئـــام الناس" وعبارة" ألأمُكُم ".

ومن حيث المعنى يخصص بشار اللؤم عند مهجوِّيه في الطعام ناعتا إياهم بعدم إكـــرام الضيف فهم لئام القرى، بينما يجعل الاقشير من اللؤم شاملا كل أفعال مهجوِّيه بجعلهم الأكثـــر لؤما بين الناس.

---

1 ديوان الاقيشر الاسدي ص 111

2 ورد في الأغاني (ج11 ص 260) سبب أبيات الاقيشر " مر أعرابي من بني تميم كان يهزأ بالأقشير، فقـــال له:

أبا معرض كن أنت إن مت دافني إلى جنب قبر فيه شلو المضلل

...الابيات

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميم ثم أحد بني الهجيم بن عمرو بن تميم، فقال الأقشير:

تميم بن مر كفكفوا...الابيات

فصار إليه شيوخ من بني الهجيم واعتذروا إليه واستكفوه فكف."

3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 108

التناص مع شعر العباس بن مرداس[1]:

يتناص بشار بن برد مع العباس بن مرداس في معنى الصفح عن أخطاء قومه في حقه يقول [2]:

أراني كُلَّما قارَبتُ قومـــــــي نَأوا عَنّي وَقطعُهُمُ شَديدُ

سَئِمتُ عِتابَهُم فَصَفَحتُ عَنهُم وَقُلتُ لَعَلَّ حِلمَهُمُ يَعــودُ

يصف ابن مرداس ظلم قومه له بابتعادهم عنه،و مجافاته كلما حاول الاقتراب مــنهم، و تجاوز أخطاءهم موضحا أن أثر ذلك يكون شديدا في نفسه، مبينا أنه مل من معاتبته إياهم على ما يبدر منهم من إساءة في حقه، فوجد أن أفضل السبل هو الصفح عنهم و مــسامحتهم علــى إساءتهم المتكررة في حقه، راجيا أن يعودوا إلى رشدهم و صوابهم و يكفوا عما يرتكبونه مــن إساءة.

يقول بشار [3]:

وَحَلَفتُ أَصفَحُ عَن غُواةِ عَشيرَتي كَرَماً وَعِندي بَعدَهُم تَنكيرُ

يقول بشار بأنه أقسم و قطع على نفسه عهدا أن يصفح عن المسيئين لــه مــن عــشيرته ويسامحهم تكرما منه، موضحا أنه رغم ذلك ينكره قومه.

ويتجلى التناص اللفظي في عبارة بشار: " أصفح عن غواة " مقابل عبارة بن مــرداس: " فصفحت عنهم " و كلمة بشار " قومي " مع ما يقابلها في المعنى عن ابن مرداس" عشيرتي ".

ومن حيث المعنى فإن بشارا يتناص مع ابن مرداس في معنى الصفح عن الآخــرين إذا أساؤوا، فابن مرداس بعد أن ملَّ من معاتبة قومه على إعراضهم عنه و مجافاتــه ســامحهم و صفح عنهم و انتظر راجيا أن يعودوا إلى حلمهم، بينما يكون موقف الصفح عن قومه المسيئين له عند بشار مبدئيا من خلال جعله عهدا يقطعه على نفسه مضمنا ذلك معنى تحريميا و حظــرا مطلقا في دلالة على تقديسه لروابط الدم التي تجمعه بهم و تبريزا لتكرَّمه على المسيء منهم.

---

1 العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة، وكان العباس فارسا شاعرا شديد العارضة والبيان سيدا مطاعًا في قومه من كلا طرفيه وهو مخــضرم أدرك الجاهلية والإسلام ووفد إلى النبي عليه السلام واعطاه مع المؤلفة قلوبهم، انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»(ج3 ص 633)،والأغاني (ج14 ص 294وما بعدها)،

2 ديوان العباس بن مرداس السلمي،جمع وتحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرســالة، بيــروت لبنــان ط.1 ء، 1991 ص 52

3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 297

يتناص بشار بن برد مع العباس من مرداس في تصوير التماع السيوف في المعركة بالكواكب، يقول [1]:

كَأنَّ السِهامَ المُرسَلاتِ كَواكِبٌ إذا أدبَرَت عَن عَجِّها وَهيَ تَلمَعُ

يصور ابن مرداس السهام المترامية في أرض المعركة بالكواكب التي تلمع بعد أن تفارق القوس مصدرة صوتا يشبه الصياح.

يقول بشار [2]:

كَأنَّ مُثارَ النَقعِ فَوقَ رُؤُسِهِم وَأسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه

يصف بشار بن برد وقع المعركة و فتكهم بأعدائهم، مشبها المعركة في إثارتها للغبار مما يغطي الضوء فيصبح كالليل في إشاعته للعتمة، بالإضافة إلى السيوف النازلة على رؤوس أعدائهم بالكواكب المتهاوية فلا يستبان بريقها من كثرة نزولها عليهم في دلالة على فتكهم بأعدائهم.

يتجلى التناص بلاغيا من حيث تصوير السيوف بالكواكب إلا إن بشارا لم يعمد إلى هذه المباشرة في التشبيه،إنما أراد نقل الهيئة التي بدت عليها المعركة من حيث الغبار المتراكم جراء كثرة عدو الخيول ونزول السيوف على الأعداء بحركات متتابعة بحيث شبه هذا الموقف تشبيها مركبا جامعا تشبيهين في تشبيه واحد يقول الجرجاني" التشبيه هناك...مركَّب وموضوع على أن يُريَك الهيئة التي ترى عليها النَّقْع المظلم، والسيوفُ في أثنائه تبرُق وتُومِض وتعلو وتنخفض، وترى لها حَرَكات من جهات مختلفة كما يوجبه الحال حين يحمَى الجِلاد، وترتكض بفرسانها الجياد."[3]

ويقول في موضع اخر " إلاّ أنك تجد لبيت بشّار من الفَضل، ومن كَرَمْ الموقع ولُطْف التأثير في النفس، ما لا يَقِلُّ مقداره، ولا يمكن إنكاره، وذلك لأنه راعَى ما لم يُراعه غيره، وهو أنْ جعل الكواكب تهاوَى، فأتمَّ الشَّبه، وعبّر عن هيئة السيوف وقد سُلَّت من الأغماد وهي تعلو وترسُب، وتجيء وتذهب، ولم يقتصر على أن يُريك لَمَعانها في أثناء العجاجة...، وكان لهذه الزيادة التي زداها حظٌّ من الدقة تجعلُها في حكم تفصيل بعد تفصيل، وذلك أنّا وإن قلنا إن هذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها إنما أتت في جملةٍ لا تفصيلَ فيها، فإنّ حقيقة تلك

---

1 ديوان العباس بن مرداس ص 102
2 ديوان بشار بن برد ج1 ص 335
3 اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، صححه محمد رشيد رضا، دار الفكر، ص 170

الهيئة لا تقوم في النَّفْس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة، وذلك أن تعلم أنّ لها في حال احتدام الحرب، واختلاف الأيدي بها في الضرب، اضطراباً شديداً، وحركاتٍ بسرعة، ثم إن لتلك الحركات جهاتٍ مختلفة، وأحوالاً تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض، وأنّ السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل، ويقع بعضها في بعضٍ ويصدِم بعضها بعضاً، ثم أن أشكال السيوف مستطيلة، فقد نَظَم هذه الدَّقائق كلها في نفسه، ثم أحضرك صُوَرَها بلفظةٍ واحدة، ونبّه عليها بأحسن التنبيه وأكملِه بكلمة، وهي قوله: تَهَاوَى، لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها، وكان لها في تهاويها تواقُعٌ وتداخلٌ، ثم إنها بالتهاوي تستطيل أشكالها، فأمّا إذا لم تَزُلْ عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة" [1]

و يتناص بشار بن برد مع العباس بن مرداس في امتداح الحياء يقول [2]:

حَياءً وَمِثلي حَقيقٌ بهِ وَلَم يَلبَس القومُ مِثلَ الحَيا

يمتدح نفسه بأنه جدير بأن يكون حييا مشبها الحياء بأفضل الأثواب التي يلبسها الناس.

يقول بشار [3]:

فَلا وَأبيكَ ما في العَيشِ خَيرٌ وَلا الدُنيا إذا ذَهَبَ الحَياءُ

يقسم بشار أن الخير ينتفي عن العيش، والدنيا في حال انتفى الحياء عنهما.

و يتجلى التناص المعنوي في الإعلاء من شأن الحياء فابن مرداس، يمتدح الحياء من خلال تصويره بأفضل الثياب التي يرتديها الإنسان من حيث كونه سترا للإنسان، بينما يعمد بشار إلى القسم لتعظيم شأن الحياء من خلال قسمه بأنه لا خير في معيشة و دنيا غاب عنهما الحياء.

---

1 أسرار البلاغة ص 151،152 وانظر دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د.محمد التنجي دار الكتاب العربي – بيروت ط.1995،1 ص (304، 389)

2 ديوان العباس بن مرداس ص 36

3 ديوان بشار بن برد ج4 ص 12

التناص معشعر القتال الكلابي[1]:

يتناص بشار بن برد مع القتال الكلابي لفظا ومعنى من حيث امتداح ذويه وعشيرته، يقول[2]:

أنا إبنُ الأكرَمينَ بَني قُشَيرٍ وَأخوالي الكِرامُ بَنو كِلابِ

يفتخر القتال بآبائه بني قشير، وباخواله بني كلاب.

يقول بشار [3]:

أنا اِبنُ الأكرَمينَ أباً وَأمّاً تَنازَعَني المَرازبُ مِن طُخار[4]

يفاخر بشار بنسبه من جهة أمه وأبيه، مشيرا إلى أصله الفارسي من حيث اتصاله برؤسائهم المقيمين في طخارستان.

يتجلى التناص اللفظي في عبارة بشار "أنا ابن الأكرمين"مع نظيرتها عند القتال،إلا إن بشارا تصرف أسلوبيا بمعنى القتال الذي استغرق بيته كله، بينما جاء بشار بالتمييز والاسم المعطوف (أبا و أما)، ليوضح المعنى الذي أراده القتال في فخره بآبائه بني قشير وآباء أمه بني كلاب.

ومن جهة ثانيه نجد أن بشارا يوسع دائرة الفخر بنسبة وفق ما هو ظاهر عند القتال، ليشمل فخره الفخر بعرقه الفارسي، وفي ذلك يتفوق على القتال الذي حصر فخره في دائرة الفخر بالنسب الشخصي.

يتناص بشار بن برد مع القتال الكلابي في تشبيه ريق المحبوبة بالمسك المطحون يقول القتال[5]:

كَأنَّ سَحيقَ المِسكِ مِن صِنِّ فارَةٍ يُشابُ بِها غادٍ مِنَ الثلج قارسُ

---

1 القتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكه بخصومه.،واسمه عبد الله بن مجيب بن المضرحي ابن عامر الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة، وهو من شعراء الجاهلية وقد سجنه مروان بن الحكم في قتل ابن عمه فيكون على هذا من المخضرمين، انظر الأغاني (ج24 ص 139وما بعدها) والإصابة في تمييز الصحابة (ج5 ص 98)

2 ديوان القتال الكلابي، حققه وقدم له إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ط.1 1989ص 37

3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 229

4 المرازب :جمع مَرزُبان وهو الرئيس من الفرس ، وطُخار : مدينة من بلاد فارس يقال لها : طخارستان مركبة من طخا وستان ، وستان كلمة تدل على المكان او الارض أي قبيلة طخار " ديوان بشار شرح الطاهر ابن عاشور ج3 ص 229

5 ديوان القتال الكلابي ص 67

تُصَبُّ عَلَيهِ قَـرقفٌ بابِلِيَّـــــــةٌ بأنيابها وَاللَيلُ بِالطلِّ لابـــِسُ

يرسم القتال الكلابي صوره مركبة لرائحة ريق محبوبته وحلاوته،فهو يشبه ريقها بالخمر التي مزجت بدقيق المسك المشوب بالثلج البارد.

يقول بشار [1]:

بوَجهٍ زاهِرِ الحُســـنِ	زَهاهُ الجيدُ وَاللـــيتُ[2]
كَأنَّ الـــرَوحَ وَالرَيحا	نَ فيهِ المِسكُ مَفتوتُ
جَرى فـــي ماءِ خَدَّيكِ	وَفي الأنيابِ تَنبيـــتُ
كَأنَّ القَولَ مِن فيكِ	لَنا دُرٌّ وَياقـــوتُ

يتناص بشار بن برد لفظا مع القتال الكلابي في عبارة "المسك مفتوت" مع عبارة القتـــال المرادفة لها في المعنى "سحيق المسك"،وكلمة بشار " الأنيابِ " مع عبارة القتال "بأنيابها"

ومن حيث التناص البلاغي يتناص بشار في التشبيه المركَّـــب لرائحـــة فـــم المحبوبـــة وطيبه،لكن بشارا يوضح جمال وجه محبوبته المزدان بجيدها وليتها مصورا وجهها جماليا من حيث كونه كالروضة الغناء التي تكون مصدرا للراحة والسرور، بالإضافة إلى اشـــتماله علـــى الرائحة العطرة وردا ودقيق مسك تختلط كلها في ماء خديها النَظرين،مصور أسنانا مرصـــوفة مشذبة،لينتقل بعد هذا التوصيف الحسي إلى توصيفها معنويا من حيث رجاحة قولهـــا وحـــسنه المشبه بالمجوهرات النفسية.

فبشار في هذه الصور والتشبيهات يأخذ من القتال لفظا ويخالفه معنى؛ فالقتـــال يرســـم صورة لريق محبوبته ورائحة فمها موضحا طيبه وذكاوته من خلال تشبيهه بالخمر الممـــزوج بدقيق المسك والماء المثلج جامعا في آن طعمه ورائحته، في حين أن بشارا يوظف المشبه (دقيق المسك) لينقل صورة حسية بتشبيه الوجه بالروضة التي تجري فيها الأنهار وتعبـــق بالرائحـــة الزكية، ومعنوية من حيث الطمأنينة والراحة النفسية والسرور وكلها نتائج للنظـــر إلـــى تلـــك الروضة التي يشبه بها وجه محبوبته، بالإضافة إلى أنَّه حور التشبيه المقصود مـــن اســـتخدام عبارة "بأنيابها" عند القتال الكلابي، جاعلا من استدعاء ذات الكلمة "الأنياب" دلالة على أســـنان

---

1 ديوان بشار بن برد ج2 ص 20

2 " اللِّيتُ: صفحة العُنُق، والجمعُ: لِيتةٌ."العين مادة ليت

صقيلة مشذبة، وعندما شمل وصفه جمال الوجه والرقبة ومحيطها والفم مصقول الأسنان أضاف تشبيها متعلقا بمخرجات الفم منتقلا من الجمال الحسي المقصود بتشبيه الريق بدقيق المسك الممزوج بالخمر عند القتال إلى الجمال العقلي المتمثل بالكلام المشبه بالدر والجواهر الثمينة.

ويتناص بشار بن برد مع القتال الكلابي في اللفظ و معنى إقفار ديار المحبوبة بدلالة اتخاذ الحمام لها سكنا، يقول [1]:

تَجوبُ عَلى وُرقٍ لَهُنَّ حَمامَةٌ ومُنثلِمٌ تَجري عَلَيهِ الأداهِسُ[2]

يوضح القتال إقفار ديار المحبوبة التي أصبح الحمام يجوب في أركانها المتداعية الخربة التي استحالت إلى لون الرماد، وغطت حيطانها المتهالكة الرمال.

يقول بشار [3]:

كَأنَّ الحَمامَ الوُرقَ في الدارِ وُقَّعاً مَآتِمُ ثكلى مِن بَواكٍ وَعُوَّدِ

يصف إقفار دار المحبوبة من جهة خلوِّها من ساكنيها حيث أصبحت مرتعا للحمام الذي شبهه بجماعة النساء اللائي جئن يعزين امرأة ثكلى بولدها؛فمنهن البواكي حزنا ومنهن الزائرات للاطمئنان والمواساة "،وهو تمثيل بديع صالح لتشبيه الهيئة بالهيئة وتشبيه أجزاء إحدى الهيئتين بأجزاء الأخرى "[4].

يتجلى التناص لفظا من خلال استخدام بشار لكلمات من مثل: " الحمام " مقابل كلمة القتال "حمامة "،و كلمة بشار " الورق " يصف بها الحمام من حيث لونه،و كلمة القتال " ورق " التي جاءت صفة لمنعوت محذوف تقديره ديار أو بيوت.

و من حيث المعنى فإن بشارا يتقاطع مع القتال في استحضار الحمام الماكث في الديار المهجورة في دلالة على خلوّها من ساكنيها، إلا أنّه يجعل من الحمام حزينا على ما آلت إليه الديار من هجر أهليها لها، بتشبيهه الحمائم بجماعات من النساء اللواتي جئت معزيات امرأة فجعت بابنها، و كأنه يجعل من هديلهن نواحا و نحيبا على هجران المحبوبة ديارها.

---

1 ديوان القتال الكلابي ص 65

2 " الدَّهْسُ: المَكَانُ السَّهْلُ اللَّيِّنُ ليس برَمْلٍ ولا تُرَابٍ ولا طِينٍ، يُنْبِتُ شَجَراً، وتَغِيبُ فيه القَوَائمُ. وقيلَ: الدَّهْسُ: الأَرْضُ التي يَثْقُلُ فيها المَشْيُ، وقيل: هي التي لا يَغْلِبُ عليها لَوْنُ الأَرْضِ، ولا لَوْنُ النَّبَاتِ، وذلِك في أَوَّلِ النَّبَاتِ. والجَمْعُ: أَدْهَاسٌ".تاج العروس مادة دهس ، والمقصود هنا الأتربة

3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 71

4 ديوان بشار ج3 ص 71

كما أن بشارا يقتنص توصيف القتال للديار بالورق أي المائلة إلى اللون الرمادي في دلالة على قدم عهد هجر أهلها لها، ليصف به الحمام الماكث في الديار المهجورة وليدّلك على حالة الحداد بكون الحمامات على هذا اللون الباعث على الحزن و الفجيعة و الألم.

التناص مع شعر حميد بن ثور[1]:

يتناص بشار بن برد مع حميد بن ثورلفظا و معنى في إكبار الشيء المتبدي لجماعة من النساء بتسبيحهن الله تعالى، يقول [2]:

فَسَبَّحنَّ واستَهلَلن لَمّا رأينَهُ بها رَبذاً سَهلَ الأراجيح مِرجَما

فلم ترَ عيني مثلَ ليلى ظعينةً ولا مثلَهُ حمـــلا اجلَّ وأعظما

يوضح حميد ردة فعل النساء اللائي رأين جمله وهو يقل محبوبته، مبينا أنهن سبحن بسبب اندهاشهن من جمال محبوبته، ومن جمله لاتصافه بأفضل صفات الجمال المنتخبة.

يقول بشار [3]:

وَرَآها النِساءُ تَغلو فَسَبحْـ ـن غَلاءً لَمّا اِستَبانَ الغَلاءُ

يقول بشار إن النساء لما رأين محبوبته تشب سريعا،قمن بتسبيح الله تعالى تسبيحا جاوز الحد لشدة تعجبهن من سرعة نضوجها و ظهور علامات الشباب عليها.

من حيث اللفظ فأن بشار بن برد يتقاطع مع حميد بن ثور في عبارات: " رآها النساء " مقابل عبارة حميد: " رأينه " و عبارة " فسبحن " مقابل نظيرها عند حميد.

ومن حيث المعنى فإن بشارا يتقاطع مع استدعاء جمع من النساء المتعجبات من اندهاشهن بروعة رأينه، فسبحن الله تعالى، موظفّا ذلك في توصيف جمال محبوبته التي شبت و بدت عليها أمارات النضج سريعا، محوّرا هذا الموقف عند حميد في معرض توضيح تعجّب النساء من رؤية محبوبته على الجمل المتصف بالعظمة و الرشاقة.

---

1 هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، وهو من شعراء الإسلام،وهو من قرناء نهشل بن حري وأوس بن مغراء، وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الشعر في أيامه، وقد أدرك الجاهلية أيضا، انظر الأغاني (ج4 ص 350وما بعدها)

2 ديوان حميد بن ثور جمع و تحقيق محمد شفيق البيطار،المجلس الوطني للثقافة الكويت،السلسلة التراثية 23، ط.2002،1 ص247

3 ديوان بشار ج1 ص 142

و يتناص بشار بن برد مع حميد بن ثور في معنى إعراض الغواني عنه عندما شاب رأسه يقول حميد[1]:

جفاني الغواني أن رأين مفارقي علاهن صبغٌ واضحُ اللونِ أشهبُ

يبين حميد سبب مجافاة الغواني له قائلا: إن ما جعلهن كذلك هو الشيب الذي غزا وسط رأسي.

يقول بشار[2]:

قُلتُ عَينٌ بَكَت مِنَ الشَيبِ إذ حَلـ ـلَ وَأُخرى مِمَّن يُريني الصُدودا

كَيفَ لا يَكثُرُ البُكاءُ وَقَد كُنـ ـتُ رَبيحاً عِندَ الغَواني صَيودا

يجيب بشار على ما أسهره و جعل النوم مجافيا له موضحا أن ذلك بفعل عينه التي بكت حزنا بسبب الشيب الذي حل به و عينه الأخرى التي بكت بسبب إعراض محبوبته عنه.

ثم يبرر بكاءه بافتقاده للأجواء التي كان ينعم بها مصاحبا الغواني رابحا عندهن ممثلا على ذلك بكثرة اصطياده لهن و إيقاعهن في شباكه.

و يتضح التناص في المعنى من حيث ذكر الشيب علّة لهجر المحبوبة و إعراض الغواني عنه، إلماحا لا تصريحا، وهو ما فعله حميد عندما صرّح بأن ما أبعد الغواني عنه هو رؤيتهن للشيب يغزو رأسه، في حين يلّمح بشار إلى هذا المعنى من خلال جعله للشيب علّة في بكائه بسبب ما عاد عليه من هجران محبوبته له، و افتقاده لصحبة الغواني.

التناص مع شعر عروة بن حزام [3]:

يتناص بشار بن برد مع عروة بن حزام في معنى يأس الأطباء من شفائه مصابا بداء العشق، يقول[4]:

فقالا شفاكَ اللهُ واللهِ ما لَنا بِما ضُمِّنَتْ منكَ الضّلوعُ يَدانِ

---

1 ديوان حميد بن ثور ص33

2 ديوان بشار بن برد ج2 ص 188

3 هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير ابن عذرة شاعر إسلامي أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى لا يعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه عقال بن مهاصر وتشبيبه بها، انظر: الأغاني (ج24 ص 123وما بعدها

4 ديوان عروة بن حزام، جمع وتحقيق أنطوان القوال، دار الجيل، بيروت لبنان، ط.1، 1995، ص 40

يتحدث عروة عن يأس العرّافين اللذين استدعاهما لعلاجه من مرض العشق؛فبعد أن نفدت كل حيلهم و باء علمهم كله بالفشل في شفائه، أوكلا أمر شفائه إلى الله، نافيين عن نفسيهما القدرة على علاج ما ألم به من داء مقيم بين ضلوعه في دلالة على قلبه المضنى عشقا.

يقول بشار [1]:

وَيَقولُ الطبيبُ في رَحمَةِ اللـ ـهِ غَناءٌ وَلَيسَ عِندي غَناءُ

يوضح بشار يأس طبيبه من علاجه،عندما بادره بالقول إن أمره مفوّض إلى رحمة الله تعالى، نافيا عن نفسه القدرة على علاجه.

يتجلى التناص من حيث المعنى في تقاطع بشار بن برد مع عروة بن حزام، في معنى يأس من يعالج داءه باستدعاء الطبيب الذي وضح له عدم قدرته على علاجه، بينما نجد عروه يستدعي عرافين لشفائه، كما يتداخل بشار معنويا مع عروه في رده فعل المعالج بعد أن فقد الأمل في علاج الداء بأن أوكل أمر الشفاء إلى رحمه الله،وهو تحوير لدعاء العرافين لعروة بأن يشفيه الله بعد أن يئسا من شفائه.

ويتناص بشار بن برد مع عروة بن حزام في لفظ التعجب و معناه لاجتماع الضدين، يقصد العاشق و المعشوقة من حيث موطنهما يقول عروة [2]:

يقولُ لِيَ الأصحابُ إذْ يَعْذُلُونَني أشَوْقٌ عِراقِيٌّ وأنتَ يَمانِ

يعجب العذال من عروة فيلومونه منكرين عليه اشتياقه لمحبوبة من العراق،وهو يماني المولد.

يقول بشار[3]:

عِراقِيَّةٌ أهدى لكَ الشَوقُ ذِكرَها وَأنتَ عَلى ظَهرِ شَآمُ المَوارِدِ

يتعجب بشار من اشتياقه لامرأة عراقيه على الرغم من كونه شامي المولد.

يتضح التناص لفظا من خلال كلمة بشار" عراقية " مقابل كلمة عروه "عراقي"، و كلمة بشار "الشوق" مقابل كلمة عروة "أشوق ".

---

1 ديوان بشار بن برد ج1 ص 139
2 ديوان عروة بن حزام ص 39
3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 77

ومن حيث المعنى فان بشارا يتقاطع مع معنى التعجب من اجتماع قلبي عاشقين مختلفي المولد، فعروة ينقل تعجب عذالة من اشتياقه لامرأة عراقية في حين هو يمني، يستنكران عليه هذا الفعل ويعدانه دافعا قويا للومه، في حين يلتقط بشار هذا المعنى فيسقطه على نفسه متعجبا من غير إنكار أو استهجان لاشتياقه هوى امرأة عراقية وهو شآمي.

وفي ختام التناص مع الشعر الإسلامي يمكن القول إن أبرز التناصات التي عقدها بشار مع شعراء هذا العصر لم تخرج من حيث بناؤها العام والخاص عن الموضوعات والبنى التي اتخذتها القصيدة الجاهلية، نظرا لقرب عهد الشعراء الذين تناص بشار مع نصوصهم في الجاهلية،علما أن معظمهم عد من الشعراء المخضرمين.

فتوزعت موضوعات تناصه مع شعراء هذا العصر على المعاني التقليدية للمدح والفخر والنسيب، فكان للتناص المعنوي غير المباشر النصيب الأكبر في تناصات بشار مع هذا العصر، في دلالة على أن بشارا لم يركن إلى استدعاء النصوص دون إعمال الجهد فنيا فيها، كما قل التناص في الصورة الفنية لديه، وكذلك التناص اللفظي.

كما ظهر أن بشارا لم يفد من ثقافة هذا العصر الدينية من خلال الأشعار التي تحمل بعض المضامين الدينية، منصرفا إلى المعاني والمضامين التي تعد امتداد للقصيدة الجاهلية فيه

ثانيا: التناص مع الشعر الأموي:

سأتناول في هذا المبحث التناص الأدبي بأنواعه مع شعراء العصر الأموي الذين فتح بشار بن برد نصوصه الشعرية على أشعارهم، فقد عني بشار بشعر هذا العصر، وتجلى أثره واضحا في شعره، ذلك أن الشعر بأغراضه وأساليبه قد تطور فيه بفعل الصراعات السياسية، وبروز أولى علامات النقد المنهجي أدبيا مع وضع الإعجام، وبروز رواة الشعر، وتأثر الشعراء بالبيئات الجديدة المواكبة للفتوحات الإسلامية، مما أدى إلى بروز شعراء عرفوا بأغراض شعرية معينة، فتحددت أساليب القول فيها وظهرت المؤثرات الحضارية والثقافية عليها، كما برزت أغراض جديدة شعريا قام عليها شعراء عرفوا بها من مثل شعراء النقائض والشعراء العذريين.

وقد قسمت التناص الأدبي في هذا المبحث على التناص مع شعراء النقائض الذين تجلى تناص بشار معهم في غرضي الهجاء والفخر، بالإضافة إلى التناص مع الشعراء الغزلين، العذريين منهم والحسيين، بالإضافة إلى دراسة التناص عند غيرهم ممن برزوا من شعراء هذا العصر.

التناص مع شعراء النقائض:

التناص مع شعر الفرزدق:

يتناص بشار بن برد في معنى طول الليل بسبب آلام الفراق لا على وجه التحقيق مع الفـــرزدق في قوله[1]:

يَقولونَ طالَ اللَيلُ وَاللَيلُ لَم يَطُل ولكنَّ منْ يَبْكِي مِن الشَّوق يَسْهرُ

فالفرزدق ينفي عن ليله طوله مفندا مقولة من قالوا بطوله،إذ يوضح أن ما يدعو إلى عـــد الليل طويلا على قصره هو الشوق الباعث على السهر بحيث يصير ليل العاشق القصير علـــى وجه التحقيق إلى ليل طويل بسبب ما يعانيه من آلام الفراق التي تؤجج في قلب العاشق أحزانه.

ويتناص بشار مع هذا المعنى بقوله[2]:

لَم يَطُل لَيلي وَلَكِن لَم أَنَم وَنَفى عَنّي الكَرى طَيفٌ أَلَم

ينفي بشار عن ليله الطول معللا ذلك بأنه بقي ساهرا حيث منع عن عينيه النعاس خيـــال محبوبته الذي ألم به وأحاطه،فبشار في شغل عن نومه بسبب تفكيره بمحبوبته التي تمثلت أمامه طيفا لشدة اشتياقه مما أدى إلى بقائه مستيقظا حتى الصباح.

وتتضح جمالية التناص في بيت بشار من خلال حسن تمثله لفكرة الفرزدق في بيته أعلاه القائلة بتعليل توهم طول ليل العاشق على قصره بآلام الشوق،فنجد بشارا يمتص معنى الفرزدق وفكرته موضحا إياها في قالب جديد يقترب من آنية اللحظة الشعورية التي يكاد يراها العاشـــق من حيث إنه يحايث التجربة الشعورية للساهر شوقا مقدما تعليلا عمليا معاشا يعمق من دلالـــة الشوق الباعث على عد الليل طويل.

فبشار ينفي عن ليله الطول مفندا رأيا افتراضيا ضمن تضمينا من معنى نفيه في بيته ولم يذكره صراحة كما فعل الفرزدق إذ قال "يقولون...."،فتعليل رفضه عد الليل طويلا هـــو عـــدم نومه بدءا وهنا نلمح معنى نفسيا يريد به أن يوضح أن طول الليل طول يُستشعر نفسيا وإن كان زمانه قصيرا، كما انه بتعليله أنه " لم ينم " يشير إلى أن النائم لا يشعر بمدة نومـــه حتـــى وإن

---

1 الامالي لأبي علي القالي،مع شذور الأمالي و النوادر، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصـــمعي، دار الكتب المصرية،ط.2، 1926م ج 1 ص 100، التشبيهات لابن أبي عون ص 208،زهر ألاكم فـــي الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيـــضاء، ط.1 1981ص179 المختار من شعر بشار ص 19

2 ديوان بشار ج 4 ص 87، المختار من شعر بشار ص18

طال، والساهر ليله يخيل إليه أنه طويل حتى وإن كان قصيرا، لكن بشارا ينتقل من شعور عام يحسه كل البشر إلى تعليل آخر لعدم عده ليله طويلا وهو أن طيف محبوبته جاءه زائرا نافيا عنه النعاس،فطول الليل المتوهم يعود إلى أمرين: أولهما عام والثاني خاص،وما تقديمه العام إلا خدمة للسبب الثاني،فأسباب عدم النوم ليلا كثيرة ولكن عدم نومه هو بالذات ناتج عن تفكير حثيث بالمحبوبة حتى خيل له أنه يرى طيفها لشدة انهماكه في التفكير بها، وهذا التقسيم يراعي ضمان عنصر المفارقة من حيث إنه قدم المعلول على علته،بينما نجد الفرزدق ينفي طول ليل العاشق بطريقة عامة، وهي نظرية أكثر من كونها تراعي حيثيات المعاناة التي يكابدها العاشق المفارق ليلا،فهو يعلل توهم طول الليل بالبكاء شوقا مما يبعث على السهر.

وهذا التكثيف المحكم للمعنى من بشار هو ما جعل النقاد يقدمون بيته على غيره، يقول ابن داود الأصفهاني:" ولقد أكثر الناس في استطالة الليل، وأصح ما قيل فيه معنى قول بشار: لم يطل... البيت "[1]

وقد كرر بشار التناص في موضع آخر بقوله [2]:

طالَ هَذا اللَيلُ بَل طالَ السَهَر وَلَقد أعرفُ لَيلي بالقِصَر

لَم يَطُل حَتّى جَفاني شادِنٌ ناعِمُ الأطرافِ فُتّانُ النَظَر

وَكَأنَّ الهَمَّ شَخصٌ ماثِلٌ كُلَّما أبصَرَهُ النَومُ نَفَر

فطول السهر وعدم النوم هو الذي جعله يشعر بطول الليل وهو بهذا ملتق مع الأبيات السابقة.

ويتناص بشار بن برد في الصورة والمعنى في مقام هجاء مع الفرزدق يقول [3]:

رأيتُ الناسَ يزدادونَ يوماً ويَوماً في الجَميلِ وأنت تنقصُ

كمثلِ الهر في صغرٍ يُغَالى به حتى إذا ما شَبَّ يَرخصُ

يهجو الفرزدق مهجوه بأنه كلما كبر في السن قلت هيبته ونقص احترام الناس له، بينما غيره من الناس كلّما كبروا وازدادوا في تعميرهم في الحياة يزدادون في الجميل من الأخلاق

---

1 النصف الأول من كتاب الزهرة لأبي بكر الأصفهاني، اعتنى بنشره لويس البوهيمي، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت 1932 ص 289

2 المختار من شعر بشار ص 19

3 وفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ج6 ص 190،ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي ص(411)

والحكمة التي مرجعها التجربة بعكس مهجوه الذي لا تزيده التجارب إلا نقصانا في كل ما يجمل الإنسان،موضحا (الفرزدق)أن مثل مهجوّه كمثل القط الصغير في السن يكون سعره غاليا ويطلب بائعه فيه سعرا عاليا حتى إذا ما كبر في السن رخص ثمنه،وآية تشبيهه مهجوه بالقط الذي يرخص سعره مع تقدّمه في السن هي أن مهجوه هجر ما كان عليه من عادات حسنة وشيم كريمة لما كبر في السن على الرغم من أنها كانت من الأمور التي يحرص عليها في صغره.

يقول بشار[1]:

أبا خالِدٍ ما زلتَ سَبّاحَ غَمرَةٍ صَغيراً فَلَمّا شِبتَ خَيَّمتَ بِالشاطي

وَكُنتَ جَواداً سابِقاً ثُمَّ لَم تَزَل تُؤَخِّر حَتّى جِئتَ تَخطو مَعَ الخاطي

فَأَنتَ بِما تَزدادُ مِن طولِ رِفعَةٍ وَتَنقُصُ مِن جَدٍّ لِذاكَ بِإِفراطِ

كَسِنَّورِ عَبدِاللَهِ بيعَ بِدِرهَمٍ صَغيراً فَلَمّا شَبَّ بيعَ بِقيراط

بشار يهجو "يزيد بن منصور الذي يجري له وظيفة في كل شهر ثم قطعها "[2] بأنه مفارق لما كان عليه من عادات وطباع حميدة صغيرا،فلما شاب وكبر في السن،أصبح شحيحا،كما أن هذا الممدوح كان سباقا في الجود والعطاء في كل شيء ذي قيمة إلا أنه أصبح بعد أن تقدم به العمر يؤخر من مسيره نحو الجود والكرم،فلم يعد سباقا في المعالي بل أصبح سيره بطيئا كمشي الخاطئ،كما أن أبا خالد هذا وإن كان قد ازداد رفعة وسموا في ما مضى من عمره فإنه يفتقد ذلك وتنقصه هذه الرفعة والمكانة السامية كلما كبر لانعدام جده إليها،فهو كحال سنور عبدالله فعندما كان صغيرا بيع بدرهم لكن عندما كبر غدا ثمنه رخيصا لا يتعدى القيراط.

يتجلى التناص في معنى نقصان قيمة الشخص كلما كبر في السن الذي استفاد منه بشار كما ورد عند الفرزدق،بالإضافة إلى التناص بالصورة و هي صورة القط غالي الثمن صغيرا ورخيصه كبيرا، إلا أن بشارا طور المعنى ووسع من دلالاته من خلال الكنايات التي أراد بها الدلالة على معان معينة كالكرم و الجود مما كان يتمتع به مهجوه صغيرا بالسنور الذي بيع وهو صغير بدرهم لكنه بيع وهو كبير بقيراط؛فالعلاقة التي رسمها بشار في تصوير التضاد الواضح في الأخلاق المتصف بها ممدوحه صغيرا وكبيرا علاقة متكاملة من حيث مقصوده من عبارة "سباح غمرة"، أي كثير الكرم المكنى عنه بالماء الكثير المحيط بهذا السباح دائم الغوص في

---

1 ديوان بشار ج4 ص 111
2 العقد الفريد، ج 1ص 237

غماره في دلالة على عدم انقطاعه عن عادة الكرم يوما وهو صغير، بينما نجد الصورة التي يقدمها بشار عن حال الشح التي آل إليها مهجوه عندما كبر مرتبطة بسابقتها و التي توضح كرمه صغيرا، فعبارة "خيمت بالشاطي" تدلل على مكوث المهجو في خيمته المنصوبة إزاء البحر، دون الخوض و التعمق فيه، إذ إن من ينصب الخيمة على الشاطئ ينصبها لكي يخوض في غمار البحر لا لأجل البقاء فيها، بالإضافة إلى أن بشارا في تناصه لفظا و معنى مع الصورة المضروبة كمثل المهجو في بيت الفرزدق انزاح بها عن نمطية الأخذ أو الاتباع ليمهرها بتوقيعه الخاص إذ وضح سعر السنور صغيرا وهو الدرهم وكبيرا وهو القيراط، بعكس الفرزدق الذي لم يحدد قيمة القط الشرائية كبيرا و صغيرا،لكنه اعتمد الفرق في الثمن بينهما: علوا في الصغر وكسادا في الكبر.

واستيضاح القارئ لمدلول التناص في أبيات بشار يسهل عليه معرفة المراد بـ (سِنَّورِ عَبدِاللهِ) وهذا ما وضحه ابن خليكان بقوله " قلت: لقد كشفت عن سنور عبد الله المظان، وسألت أهل المعرفة بهذا الشأن، فما عرفت الخبر عن ذلك، ولا عثرت له على أثر، والله أعلم، ثم ظفرت بقول الفرزدق، وهو:

رأيت الناس...البيتين، ومن هاهنا أخذ بشار بقوله، وليس المراد هراً بعينه، بل كل هر تكون قيمته في صغره، وينقص منها في كبره، والله أعلم"[1].

ويتناص بشار بن برد في اللفظ و الصورة والأسلوب مع الفرزدق يقول[2]:

وكانَت يَدا بِشرٍ : يَدٌ تُمطِرُ النَدى وَأُخرى تُقيمُ الدينَ قسراً عَلى قسرِ

يرثي الفرزدق بشر بن مروان بذكر صفاته التي كان يتصف بها في حياته؛ فهو الذي كانت له يدان:واحدة تمطر الندى،و الجود، شبهها بالغيمة الممطرة بكثرة عطائها وسخي جودها، بينما كانت يده الثانية تقيم دين الله رغما عن أعداء الدين الذين يتربصون به فتنة و كيدا، فيده الممطرة جودا تشمل أحبته ومن يرضى عنهم، ويده الثانية التي تقيم الدين قسرا مسلطة على أعدائه أعداء الدين فهو الباطش لهم بيده أي المهلك لهم.

---

1 وفيات الاعيان لابن خليكان ج6 ص 190

2 ديوان الفرزدق،ضبط وشرح ايليا حاوي،دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط1، 1983 ج1ص 367

ويتناص بشار بن برد هذا المعنى بقوله في عقبة بن سلم [1]:

أريَحِيٌّ لَهُ يَدٌ تُمطِرُ النَيــــلَ وَأُخرى سُمٌّ عَلى الأعداءِ

بشار هنا يمتدح عقبه بن سلم بأنه كريم خلوق له يدان أولاهما ممطرة للنيل،يدلل بـــذلك على شدة كرمه،و عطائه، و اليد الأخرى هي بمثابة السم على الأعداء أي تسقيهم السم و تقطر لهم ما يميتهم.

ويتضح التناص أعلاه في وجهين أولها: لفظي في الكلمة من مثل كلمة "يد" الواردة فـــي بيت بشار مقابل "يد ويدا" الواردتين في بيت الفرزدق، وتناص لفظي في العبارة من مثل عبارة "تمطر النيل" عند بشار وما يقابلها عبارة "تمطر الندى" عند الفرزدق.

وثانيهما: معنوي تصويري؛ فبشار أخذ عن الفرزدق صورة اليد الممطرة تـــدليلا علـــى الكرم، إلا أن بشارا يجعل من يد ممدوحه ممطرة للنيل مبالغة منه في اتصاف ممدوحه بالكرم.

ويتناص بشار بالمعنى مع الفرزدق في مقام المديح، يقول الفرزدق[2]:

الـــضاربونَ إذا الكَتيبَةُ أحجَمَت وَالنازلونَ غَداة كُلَّ نـــزالِ

وَالضامِنونَ عَلى المَنِيَّةِ جارَهُم وَالمُطعِمونَ غَداة كُلَّ شَمالِ

فالفرزدق يضفي على تميم الذين يفتخر بهم عديد من الصفات النبيلة التي يمدحهم بهـــا؛ فهم إذا اشتدت المعركة أقدموا على القتال، ضرَّابون في وقت الحاجة إليهم، بالإضافة لممارستهم للنزال في المعارك، كذلك هم يحفظون حق جارهم، بل يبذلون روحهم في سبيل حماية الجوار، مع ما يقدمونه من طعام وزاد لأضيافهم في كل وقت.

وقد اخذ بشار هذه الصفات متناصا إياها بقوله[3]:

بِهِمو تَفَرَّعتِ العُـــلى وَنَزَلتَ مِن بَلَدٍ دِمـــــاثه

النازلينَ عَلى المَنِيــــ ـــيَةِ بِالسُيوفِ لَهُم حِثاثه

فَالضامِنينَ لِجارهِـــمِ وَلِكُلِّ مُنتَجَـــعِ غِيـــــاثه

---

1 ديوان بشار بن برد ج1 ص 137
2 ديوان الفرزدق ج2 ص 327
3 ديوان بشار بن برد ج2 ص 60

فممدوحي بشار – خداش بن يزيد بن مخلد ووالداه – جمعوا نفس الصفات التي ذكرها الفرزدق، حيث الشجاعة والإقدام في القتال، بالإضافة إلى حفظ حق الجار، والجود والكرم لكل من له حاجة.

ويظهر التناص من خلال التلاصق في المعنى مع تقارب في نسق الصياغة الواردة فيها.

التناص مع شعر جرير:

يتناص بشار بن برد في تنزيه المحبوبة عن صفات الإماء،مع جرير يقول [1]:

مِنَ البيضِ لَم تَظعَن بَعيداً ولَم تَطأ عَلى الأرضِ إلّا نيرَ مِرطٍ مُرَحَّلِ

فجرير ينفي عن محبوبته الامتهان ويرفعها عن التخلق بأخلاق الإماء و الجواري و الخدم، فهي امرأة من الحرائر، بدلالة وصفه لها بأنها من البيض، رمزا على أنها حرة سيدة، إذ يقول بأنها لم تسر في الظعائن لمسافات بعيدة تتكفل بخدمة الظاعنات فيها، بل هي منعمة مكرمة، كما يصفها بأنها لا تطأ الأرض إلا بأذيال ثوبها الحريري المخطط،يدلل على دلالها وعلو شانها بصفتها سيدة مخدومة، لا تمشي على الأرضبل تركب ماشية لأن مكانتها العالية وتكبرها يحولان دون أن تتصف بصفات الإماء.

ومن ذلك قول بشار [2]:

مِنَ البيضِ لَم تَسرَح عَلى أهلِ غُنَّةٍ وَقيراً ولَم تَرفَع حِداجَ قعودِ[3]

يؤكد بشار على أن محبوبته امرأة حرة لا تتصف بما تتصف به الإماء من خلال نفيه عن محبوبته القيام بالأعمال الموكلة للخدم،و الإماء؛فهي لم ترع الغنم يوما في الوديان، ولم تحمل على ظهرها الوقر، بالإضافة إلى أنها لا تقوم بتجهيز الحداج المخصصة لركوب النساء الحرائر.

ويتضح التناص في بيت بشار من خلال تنزيهه محبوبته عن القيام بالأفعال التي تقوم بها الإماء، بالإضافة إلى عدِّه محبوبته امرأة حرة من خلال تناصه باللفظ مع جرير في عبارة "من البيض"، و إن كان جرير يترفع بمحبوبته على أن تمشي على الأرض على قدميها، مبيّنا

---

1 ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ت:نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ط. 3 ص 945

2 ديوان بشار بن برد ج2 ص 160 وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى هذا التناص بقوله " ويشبه أن يكون بشار اخذ بيته هذا من بيت جرير "

3 وادٍ أغَنُّ، أي كثير العشب،... ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غَنَّاءُ ، الصحاح مادة غنن الحداج جمع حِدْج بالكسر: الحِمْلُ، ومَرْكَبٌ من مراكب النساء أيضاً،الصحاح حدج

رفاهيتها وتنعمها من خلال توضيح ثوبها الذي يدل على ذلك، فإن بشارا ينفي عن محبوبته أن تكون قد قامت بعمل من أعمال الخدم و الإماء بصورة أوضح فهو ينفـــي الرعـــي و تجهيـــز الظعائن عن محبوبته لأنها من الحرائر.

ويتناص بشار بن برد في الإعلاء من شأن شعره مع جرير يقول جرير [1]:

وَعاوٍ عَوى مِن غَيرِ شَيءٍ رَمَيتُهُ بِقارِعَةٍ أَنفاذُها تَقطُرُ الدَمـــــا

وَإِنّي لَقَوّالٌ لِكُلِّ غَـــــــــــريبَةٍ وَرودٍ إِذا الساري بِلَيلٍ تَرَنَّما

خَروجٍ بِأَفواهِ الرُواةِ كَأَنَّـــــــــها قَرى هُنُدُوانِيٍّ إِذا هُزَّ صَمَّمـــا

فجرير يقدم صورة إعلائية عن شعره، من خلال استهزائه بخصومه ممن يقفون ندا لـــه يصفهم بأنهم كالذئاب الجائعة تعوي دون قدرة على التهديد، فهو قد رماهم بكلام كالسيف أطرافه النافذة فيهم تقطر من دمائهم في دلالة على مضاء كلامه وحدّته،كما أنه يفتخر معتدا بنفسه ناسبا لها قول كل غريب غير مألوف من الكلام من حيث هو الشاعر المجدد غير المقتدي بغيره إنما باعث لكل ما هو جديد وغريب في القول، حتى إذا قال هذا الشعر ذاع وانتشر في الأقطار وبين الناس،فأصبح على لسان كل مسافر ليلا لعظيم جماله وبلاغته، كما أن شعره هذا يكون في أفواه الرواة الذين يروونه كالسيف ومتنه لا يخطئ ضربته إذا سدد.

ويتناص بشار في المعنى نفسه بقوله [2]:

تَزِلُّ القوافي عَن لِساني كَأَنَّها حُماتُ الأفاعي ريقُهُنَّ تَصَبُّبُ

فبشار يصور القوافي التي تخرج من فمه كأنها السم الفاتك الذي تخرجه الأفـــاعي مـــن لسانها عبر ريقها فيكون سببا لموت الأعداء.

يتجلى التناص في بيت بشار من خلال ناحيتين أولاهما الاعتداد بشعره،و ثانيهما تصويره هذا الشعر تصويرا يظهر أنه فاتك قاتل لمن يتعرضون له فيهجوهم، فجرير قد جعل مما يقولـــه من شعر كالسيف القاطع البتار الذي إذا ضرب به أعداءه نفذ فيهم يقطر من دمائهم، أما بـــشار فقد قدم صورة تشخيصية لتبيان فتك شعره وقدرته على النيل ممن يهجوهم، إذ جعل منه ســـما نقيعا لا منجاة و لا شفاء منه إلا بالموت، وهي صورة فيها بعد حركي ينتقل بالجملة الـــشعرية من إطار الإنشاء إلى فضاء التمثيل الباعث على استحضار الصورة المشهدية أثناء القراءة.

---

1 ديوان جرير ص 980
2 المختار من شعر بشار ص 90

ولعل محاولة بشار التناص مع جرير لما تحمله أبياته من معنى جامع مؤثر فقد روى ابن سلام قول أبي البيداء " مر راكب يتغنى:

وعاو عوى... البيتين،فسمعه الراعي، فأتبعه رسولاً فقال: لمن البيتان؟ قال: جرير. قال: والله لو اجتمعت الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم! ألام على أن يغلبني مثل هذا!" [1].

وقال ابن الأثير عن هذه الأبيات " ولو لم يكن لجرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء"[2].

ويتناص بشار بن برد في الآثار النفسية المترتبة على حدث جلل مع جرير يقول [3]:

حَمَلَت عَلَيكَ حُماةُ قيسٍ خَيلَها شُعثاً عَوابِسَ تَحمِلُ الأبطالا

ما زِلتَ تَحسِبُ كُلَّ شَيءٍ بَعدَهُم خَيلاً تَكرُ عَلَيكُمُ وَرِجالا

يهجو جرير الأخطل بأنه بعد أن نزلت بقومه أهوال قبيلة قيس من غزوهم لديار الأخطل على ظهور الخيول التي يقودها الفرسان الشجعان بعد ذلك، ولهول ما أصاب قومه وما أحدثه من أثر نفسي شديد، وباعث لخوف أبدي عليهم، أصبح الأخطل يظن أن كل شيء يمر من ناحية قومه، أو من أمامه أبطالا و خيولا تريد الفتك به وبقومه.

يقول بشار متناصا [4]:

يُرَوِّعُهُ السَرارُ بِكُلِّ أمرٍ مَخافَةَ أن يَكونَ بِهِ السِرارُ

فبشار يتكلم عن نفسه موضحا آثار فقدانه محبوبته التي كان سببها الوشاية،وإسرار الواشين لبعضهم البعض بأخباره هو ومحبوبته، فتكونت لدى بشار حالة من الكره الشديد التي وصلت به إلى حد الخوف و الرعب من كل أمر يتسارّ به الناس، فإذا ما رأى متسارّين قلق واضطرب خوفا من أن يكون هو موضوع إسرارهم.

ويتجلى التناص في اقتناص بشار بن برد لفكرة جرير عن آثار ما بعد الصدمة فنجد بشارا ينتقل بهذه الفكرة إلى حياته الشخصية وتجربته العاطفية التي عاناها،وكانت الوشاية،و

---

1 طبقات فحول الشعراء، لابن سلام ص 438 وانظر الأغاني ص (ج8 ص 12) والشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق احمد شاكر دار المعارف القاهرة ط.2 1967 ج1 ص 466

2 المثل السائر، ج2 ص 179

3 ديوان جرير ص 53

4ديوان بشار ج 3 ص 247 المختار من شعر بشار ص7

الإسرار سببا في هذه المعاناة،ومن ثم الفراق؛ فقد أصبح يحمل عقدة نفسية تجعله يتمثل هذه التجربة القاسية وهذا ملمح نفسي يدل على خبرة بشار بخبايا النفوس وحسن استفادته من هذه الفكرة الواردة عند جرير التي وظفها توظيفا يخدم غرض الهجاء تعميقا من تحقيره لمهجوه، أما بشار فوظف آثار ما بعد الصدمة على نحو يخدم توصيف الحالة النفسية المتردية التي آل لها بعد فراق المحبوبة.

وهذا المعنى المتناص مسبوق بقول الله تعالى عن المنافقين الذين أظناهم الاضطراب " يحسبون كل صيحة عليهم..."[1]،ولذا "روي أن الأخطل لما أنشد هذا البيت بهت عنده وكثر تعجبه منه وقال: من أين لابن المراغة هذا؟ فقيل له: إن هذا المعنى في القرآن،وتلي عليه قول الله جل وعز: " يحسبون كل صيحةٍ عليهم، هم العدو" فقال الأخطل: أنا من أين لي مثل كتاب محمدٍ آخذ منه وأستعين به؟! والذي أتى القرآن به في هذا مبر على ما قاله الشعراء فيه لأمرٍ متفاوت في قلة عدد حروفه وقرب مأخذه ووضوح معناه"[2].

ويتناص بشار مع جرير في معنى خفقان القلب واضطرابه،يقول جرير[3]:

وَخافوكَ حَتّى القومُ تَنزو قُلوبُهُم نُزاءَ القَطا اِلتَفَّت عَلَيهِ الحَبائِلُ[4]

فخوف القوم من الممدوح جعل قلوبهم تضطرب و تكاد تسقط كسقوط القطا.

ويتناص بشار بقوله [5]:

إذا لاحَ الصِوارُ ذَكَرتُ سلمى وَأَذكُرُها إذا نَفَحَ الصِوارُ

كَأَنَّ فُؤادَهُ كره تنـــــــزى حِذارَ البَينِ لَو نَفَعَ الحِذارُ

---

1 سورة المنافقون آية 4

2 الجليس الصالح الكافي لأبي الفرج المعافى النهرواني، ت احسان عباس، عالم الكتب، بيروت،ط.1، 1987، ص 108 /3وقد أشير إلى تلاقي بيت بشار مع الآية في: المختار من شعر بشار ص9 و التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، ج2 ص 449الحيوان تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي، منشورات محمد الداية، بيروت ط.3 1969 ج5 ص240، الصناعتين ص 220، الموازنة الامدي ج 1ص 79

3 ديوان جرير ص403 والبيت منسوب إلى الفرزدق بلفظ " كنزو " بدل " نزاء " في التذكرة الحمدونية ج5 ص 431 والتشبيهات ص 211والمختار من شعر بشار ص 10

4 تنزو قلوبهم : ترتفع من الخوف ، ديوان جرير ص 403

5 ديوان بشار ج 3 ص 247، المختار من شعر بشار ص7

فبشار يجعل ما يحدثه الفراق في القلب من اضطراب كالكرة التي تتمايل وتضطرب توشك أن تقع عند تحريكها،وهو بهذا يدلل على الأثر الذي يحدثه الفراق، بل وترقبه من أثر في نفوس العاشقين.

وبهذا نرى بشارا يمتص هذا المعنى في اضطراب القلب وينقله من موضع المدح إلى الغزل، حيث اضطراب قلب العاشق، لكن بشارا لم ينقل المعنى مجردا دون تجويد فقد تفوق على الفرزدق وغيره من الشعراء الذين أوردوا هذا المعنى فقد " أغرب بذكره الكرة، وذكره علة الخفوق، وأخبر أنه غير منتفع بها،ولا وادع بسببها، وكل ذلك في بيت واحد؛ فكأنه استظهر شيئا على الجماعة بتمكن بيته في الصناعة " [1].

التناص مع شعر الأخطل:

يتناص بشار بن برد في تصوير الانتشاء و الكبرياء اللذين يعقبان السكر يقول الأخطل [2]:

إذا مـــا نَدِيمِي عَلَنِي ثُمَّ عَلَنِي ثلاثُ زُجِاجاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ

خرجتُ أجرُ الذيلَ زهواً كأنني عليكَ أميرَ المؤمنين أميرُ

فالأخطل يوضح ما يصيبه بعد أن يفرط في شرب الخمر من يد نديمه الذي يسقيه ثلاث زجاجات فوارة كأن فقاقيعها تحدث صوتا كالهدير، فإذا ما شربهن جميعهن خرج من الحانة لا يستطيع شد ثوبه عليه لشدة سكره الذي يحدث في نفسه الكبر و الخيلاء؛ فيمشي يجر ذيل ثوبه حوله تكبرا جعله يخاطب أمير المؤمنين خطابا فيه من العظمة و الشعور بالكبرياء للدرجة التي جعلته أميرا على أمير المؤمنين نفسه. وهذه الصورة في وصف نشوته جعلت أبا هلال العسكري يقول:" أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشي قول الأخطل يخاطب عبد الملك:

إذا ما نديمي... البيتين، وإنما صار ذلك، أحسن من غيره، لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال: أنا أمير عليك في ملك الحال"[3].

1شرح المختار من شعر بشار ص 12

2 الاغاني (ج20 ص 337) نهاية الأرب، النويري يحيى الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2004 ج4 ص102 ديوان المعاني ج 1 ص 314

3 ديوان المعاني ج1ص 314

يقول بشار متناصا مع الأخطل[1]:

وَغَدَوا أو تَرَوَّحوا بَعدَ أخدا نـاً يَجُرّونَ حينَ راحوا البُرودا

بشار يصف قوما من الأصدقاء و الخلان الذين اجتمعوا في مجلس سكر فلما هموا بالانصراف راحوا يجرّون ذيول أثوابهم مزدهين بأنفسهم بفعل الخمر فيهم.

يتجلى التناص في المعنى من حيث إن بشارا تأثر بأبيات الأخطل مبينا أثر الخمر في نفسه كونه باعثا للشعور بالعظمة و الخيلاء عبر دلالة هي جره لذيل ثوبه[2]، فبشار يعمم هذه التجربة الشعورية مضفيا إياها على على مجموعة من الأصحاب الذين اجتمعوا في مجلس خمر واصفا فعلها فيهم من جهة كونهم إذا ما ذاقوها يجرون وراءهم ذيول أثوابهم تيها و خيلاء.

ويضمن بشار هذا المعنى في موضع آخر، يقول [3]:

فَخابَ مِن ذاكَ وَلاقى تَعبـا وَقَد أراني أريَحِيّاً نَدبا

أروي النَدامى وَأجُرُّ العَصبا أزمانَ أغدو غَزِلاً أقبّا[4]

و يتناص بشار بن برد مع الأخطل في صورة الافتخار ببأس قومه فتكا بالملوك يقول [5]:

إذا المَلكُ آلى أن يُقيمَ قناتَنـا فَلَيسَ عَلَينا يَومَ ذاكَ بِقادِرِ

إذا الأصيَدُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أقمنا لَهُ مِن خَدِّهِ المُتَصاعِرِ

يفتخر الأخطل بقومه الذين لا يخشون الملوك إذا شنوا عليهم حربا، مبينا أنهم (قومه) ليسوا بالقوم الذين تسهل هزيمتهم، كما أنهم لا يسكتون على إهانة الجبابرة لهم بتكبرهم.

يقول بشار [6]:

إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَينا إلَيهِ بالسُيوفِ نُعاتِبُه[7]

فبشار يبين شجاعة قومه الذين لا يسكتون على تكبر الملك الباطش، بل يردون إساءته لهم بالقتال.

---

1 ديوان بشار ج2 ص 191

2 جر الثوب يدلل على الكبر والتعاظم، وهذا علة النهي عن إسبال الثياب في الأحاديث النبوية الشريفة

3 ديوان بشار ج1ص 160

[4] العصب :ضرب من برود اليمن ، الاقب : الذي به قبب أي دقة قامة وضمور ، ديوان بشار ج1ص 160

5 ديوان الاخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 1994 ص 133

6 بشار ج1 ص 334

[7] في عنقه وخدّه صعر: ميل من الكبر، يقال: "لأقيمن صعرك" ، اساس البلاغة مادة صعر

و يتضح التناص على مستويين، مستوى لفظي، و أخر معنوي؛ فبشار يضّمن بيته ألفاظا وردت بعينها في بيتي الأخطل من مثل: " الملك، الجبار، صغر خده ".

وعلى صعيد المعنى نجد بشارا يقيم علاقة دلالية مع بيتي الأخطل، الذي يفخر بقومه لكونهم لا يخضعون للملوك إذا ما أغاروا عليهم، بالإضافة إلى أنهم يواجهون إساءة المتكبر المعرض عنهم صلفا بتقويم ميل خده من خلال إذلاله.[1]

فيلتقط بشار هذا المعنى ويقدمه من خلال صورة مفارقة تجعل من إساءة الملك الجبار لقومه بتكبره عليهم، دافعا للمعاتبة التي بين إنها تكون من خلال السيوف، فأنزل عدوه منزلة الصديق الذي يعاتب إن أخطأ لكن هذا العتاب يكون بقتاله.

و يتناص بشار بن برد مع الأخطل في تصوير لذة الحديث بالخمر يقول [2]:

فأسرَينَ خَمساً ثُمَّ أصبَحنَ غَدوَةً يُخَبِّرنَ أخباراً ألَذَّ مِنَ الخَمرِ

فالأخطل يصف نسوة سرن ليلا و طلع عليهن الصباح وهن يتحادثن فيما بينهن،واصفا ذلك الحديث لجماله بأنه ألذ من الخمر طيبا.

يقول بشار [3]:

مِن فتاةٍ صُبَّ الجَمالُ عَلَيها في حَديثٍ كَلَذَّةِ النَشوانِ

يصف بشار فتاة جميلة مبينا طيب حديثها الذي هو في ذلك كلذة شارب الخمر من حيث فتنته وما يثيره من نشوة في أذن السامع.

و يظهر التناص في التصوير الذي يقارب حديث المرأة أو النسوة بلذة الخمر و ما يحدثه في نفس الشارب، فبشار يتلاقح مع هذه الصورة لكنه تلاقح مولد لمعنى توضيحي إضافي؛ فالأخطل يجعل من حديث النسوة اللائي يصفهن ألذ من الخمر، موضحا بهذا التفصيل مدى لذة هذا الحديث من جهة اشتماله على ما هو طيب و محبب للنفس؛ بينما يقدم بشار بن برد صورة لحديث الفتاة الموصوفة توضح مفعول هذا الحديث فيمن يستمع إليه بدليل " كلذة النشوان "، أي بما يشعر به النشوان من لذة مفعول الخمر فيه.

---

1 ومن ذلك قول المتلمس: وكُنّا إذا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُأقمنا لهُ مِن مَيلِهِ فَتَقَوَّما
يقول ابن منظور " يقول: إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله " اللسان مادة صعر
2 ديوان الأخطل ص115
3 بشار ج4ص 235

ويتناص مع الأخطل في تصوير زقاق الخمر الكبيرة من خلال ملمح طريف، يقول الاخطل [1]:

أناخوا فَجَرّوا شاصِياتٍ كَأنَّها رجالٌ مِنَ السودانِ لَم يَتَسَربَلوا

فقد حط هؤلاء الركب الرحل وانزلوا آنية الخمر العظيمة الحجم كالناقة المرتفعة القوائم، وهذه الآنية تشبه العبيد السود الغرة الذين تميزوا بالطول مع حسن القوام.

وينقل بشار تشبيه الانية بالعبيد بقوله[2]:

وَكَأنَّ الزقَّ مَملوءاً إذا ما بَطحنا الزقَّ زنجِيٌّ سَرَق

فبشار يصور الزق المملوء بالخمر، والذي يتناول منه الخمر بالزنجي الذي " سرق في اهله فلا يزالون يقرونه، وهو يبوح كل مرة ببعض مسروقة " [3]

ويكمن موضع التناص في القران بين أوعية الخمر والعبيد الذين عبَّر عنهم الأخطل بقوله " رجال من السودان "، وبشار بقوله " زنجي ".[4]

ويتناص بشار مع الأخطل لفظا في بيان اثر النسب الرفيع في انتقاله الى اتباعه، يقول الأخطل[5]:

وَكانَ ذلِكَ مَقسوماً لِأوَّلِهِم وراثةً وَرِثوها عَن أبٍ فَأبِ

فالصفات الحسنة التي يشير إليها الأخطل كانت مورثة لهم عن آبائهم، وهي تنتقل من أب إلى ابنه،وهكذا يبقون في فلك تلك الخصال الحميدة المتولدة في طيب المنبت.

وقد التفت بشار إلى قول الأخطل " ورثوها عن أب فأب " وضمنه قوله [6]:

ألقى إليهِ عُمَرٌ شيمَةً كانَت مَواريثَ أبٍ عَن أبِ

---

1 ديوان الأخطل ص 223
2 ديوان بشار ج4 ص 136
3 ديوان بشار، شرح الطاهر ابن عاشور ج4 ص 136
4 وقد المح إلى هذا الترابط الراغب في محاضرات الأدباء، (ج1 ص 815)، حيث أوردهما متتابعين في وصف آنية الخمر.
5 ديوان الأخطل ص 37
6 ديوان بشار ج 1 ص174 ويقول ايضا (الديوان ج3 ص126):
سَبَقتَ بِأيّام المَكارِمِ وَالعُلاتُراثَ أبٍ نالَ المَكارِمَ عَن جَدِّ

فبشار يمدح ابن هبيرة ويبين شجاعته وبسالته في التصدي للخوارج في اشـــتداد النـــزاع بظهور الخوارج والفتن في آخر الدولة الأموية، وقد كان الملهم لشجاعته ما ورثه من أبيه عمر، وكذلك هي الصفات تنتقل من الأب إلى ابنه.

وتناول هذا التناص عبارة سائرة اقرب إلى المثل، وتضمينها في موضع المـــدح لدلالـــة الإقناع التي تحملها.

التناص مع الشعراء الغزلين:

التناص مع شعر (مجنون ليلى) قيس بن الملوح:

يتناص بشار بن برد مع المجنون في توصيف فضل النسيم القادم من أرض المحبوبة في تسكين الآم الفراق يقول المجنون[1]:

أيا جَبَلَي نَعمانَ باللّهِ خَلِّيـــــا نَسيمَ الصَبا يَخلُص إلَيَّ نَسيمُـــها

أجِد بَردَها أو تَشفِ مِني حَرارَةً عَلى كَبِدٍ لَم يَبقَ إلّا صَميمُـــــها

فَإنَّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تَنَسَّمـــَت عَلى نَفسِ مَحزونٍ تَجَلَّت هُمومُها

يخاطب المجنون جبلين بعينهما يتلقيان نسيم الصباح القادم من ارض المحبوبة يسألهما أن لا يعترضا طريقه عله يستنشق ريحها،فهذه الريح ستبرد نار شوقه وتخفف حرارته المتقدة فـــي كبده حزنا على الفراق؛ فهذه الريح القادمة من ديار المحبوبة هي الوحيدة القادرة على تخفيـــف هموم العاشق بل استئصالها كليا.

يقول بشار[2]:

ما هَبَّتِ الريحُ مِن تِلقاءِ أرضِكُمُ إلّا وَجَدتُ لَها بَرداً عَلى الكَبِدِ

يقول بشار بأنه كلما هبت الريح من ارض محبوبته تكون بمثابة البرد المخفف لنار الشوق تعتور كبده ألما و حزنا.

---

1 ديوان مجنون ليلى شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت ط.1 1992،ص 173، الأغاني – (ج2 ص 26)، محاضرات الأدباء ج2 ص 574 ثمرات الأوراق ابن حجة الحموي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار الجيل، بيروت ط.3 1997، ص 42، ويقول في موضع اخر (الديوان 205):
ولا هَبَّتِ الريحُ الجَنوبُ لأرضِهامِنَ الليلِ إلّا بتُّ لِلريحِ حانِيا

2 ديوان بشار ج2 ص 316، المختار من شعر بشار ص82 ويقول في موضع آخر (الديوان ج1 ص 205):
إذا شِئتُ هاجَ الشَوقُ وَاِقتادَهُ الهَوىإليكِ مِنَ الريحِ الجَنوبِ هُبوبُ

و يتضح التناص في صورته اللفظية من خلال استخدام بشار لألفاظ من مثل:"الريح، برد، كبدي"،و من حيث المعنى فانه يأخذ عن المجنون أهمية الريح القادمة من ارض المحبوبة،فهي خير شافٍ لما يصيب كبد الشاعر الحرَّى.

وقد قال المجنون وبشار هذا القول عن الريح " لأن الريح هبت عليهما من ناحية ارض أحبابهما، وكل من له حب بناحية فإنما يرتاح إلى هبوب الريح من تلك الناحية صبا كانت،أو جنوبا، أو شمالا، أو دبورا، قال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه: إني لارتاح للصبا لأنها تأتينا من ناحية زيد يعني أخاه، لأن زيدا رحمه الله كان قد استشهد باليمامة، وقان عمر هذا وهو بالمدينة " [1]

و يتناص بشار بن برد مع مجنون ليلى في تنزيه محبوبته عن من سواها من النساء.

يقول المجنون [2]:

أراكَ مِنَ الضَربِ الَّذي يَجمَعُ الهَوى وَدونَكِ نِسوانٌ لَهُنَّ ضُروبُ

يرى مجنون ليلى بطريقة تجعل منها متفردة من حيث هي مثال للمرأة التي يجتمع عشق المحبين اليها دون سعيها، فهي أهل لذلك، كما أنه ينفي عن باقي النساء هذه الخصيصة لأنهن أنواع أخر غير التي تنتمي إليه ليلى.

يقول بشار[3]:

خُلِقَ النِساءُ خِلافُها ضُرُباً وَلَيسَ لَها ضَريب

يقول بشار بأن محبوبته تمتاز عن باقي النساء فهي الفريدة التي ليس لها مثيل في كل النساء في الحسن و البهاء.

و يتجلى التناص في تنزيه المحبوبة عن أن تكون مثل سواها من النساء، فإن كان المجنون قد خص محبوبته بميزة اجتماع القلوب على عشقها و هواها،فإن بشارا قد نزهها تنزيها مطلقا عن أن تشابه النساء في أي شيء، فهي عنده مثال لا مثيل لها في الحسن و الجمال.

---

1 شرح المختار من شعر بشار ص 84

2 ديوان مجنون ليلى ص 30، وقد نسبه بعضهم إلى الأقرع بن معاذ القشيري، انظر الامالي لأبي علي القالي (ج2 ص 40)

3 ديوان بشار ج1 ص 199

لقد جاء التناص اللفظي من خلال إيراد بشار لألفاظ " ضربا، و ضريب، " مقابل "ضروب "عند المجنون، و" النساء" مقابل "نسوان "عند المجنون،مع اختلاف معانيها بحكم السياق الواردة فيه عند بشار.

ويتناص بشار مع المجنون في بيان لذة ريق المحبوبة،يقول المجنون [1]:

كَأنَّ عَلى أنيابها الخَمرَ شَجَّها بِماءِ سَحابٍ آخِرَ اللّيلِ غابِـــقُ

وَما ذِقتُهُ إلّا بِعَيني تَفَرُّســـاً كَما شيمَ في أعلى السَحابَةِ بارقُ

فطعم رحيق محبوبته من لذاذته كأن أسنانها مضمخة بالخمر الذي يشتهي شمه، خصوصا في المساء وقت شرب الخمر.

وهو يشبه حلاوة هذا الريق بأفضل ما يراه من مشموم ومذاق مدحا وثناء.

ويتناص بشار هذا المعنى قائلا [2]:

يا أطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مُختَبَرٍ إلّا شَهادَةَ أطرافِ المَساويكِ

فبشار يمتدح محبوبته حيث يراها أطيب الناس في حلاوة ريقها وكأني به يأخذ مسواكها فيذوق بقايا ريقها على طرفه في دلالة على حسن تذوقه إياه.

وقد جمَّل بشار معنى تذوق ريق المحبوبة بالسواك دلالة على طعمه، يقول الطاهر " وشهادة بشار بالمساويك أفصح وأغزل " [3].

---

1 ديوان مجنون ليلى ص 140 الأغاني ج2 ص 31 وقال بعدها " ومن الناس من يروي هذه الأبيات لنصيبٍ، ولكن هكذا روي في هذا الخبر،"ديوان المعاني ج 1ص 241 وقال " وقول بشار من قول قيس "، الأشباه والنظائر ص 60، البيت الثاني وقبله عنده:
وتجلو بمسواك الأراك مُفلّجاً له أُشُرٌ عذبٌ متى ذاقَ ذائقُ
ص، وفي حماسة القرشي (تحقيق خير الدين قبلاوي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا 1995) منسوبة إلى نصيب ص252

2 ديوان بشار ج4 ص 144 ويرد عند بشار طيب ريق وفم المحبوبة في موضع آخر، يقول(ج2 ص 102):
حَسَنُ الدَلال عَلى ثَنِيَّتِهِمِسكٌ يُحَيِّيني إذا نَفَحا

3 ديوان بشار ج4 ص 144

التناص في شعر جميل بثينة:

يتناص بشار بن برد مع جميل بثينة في صورة قصر جفن المحب سهرا و قلقا يقول جميل[1]:

كَأنَّ المُحِبَّ قصيرُ الجُفونِ لِطولِ السهادِ ولَم تَقصُرِ

يقول جميل بأن المحب لفرط سهره و قلقه على محبوبته، –مما يحول بينه و بين نومه – قصير الجفون معللا ذلك بسهاده،و عذابات العشق.

يقول بشار[2]:

جَفَت عَيني عَنِ التَغميضِ حَتّى كَأنَّ جُفونَها عَنها قِصارُ

يقول بشار بأن عينه لم تعد قادرة على التغميض و النوم معللا ذلك بقصر هذه الجفون التي لم تعد تؤدي وظيفتها من تغطية العيون.

و التناص في بيت بشار تناص لفظي من خلال إيراده لعبارة "قصير الجفون "،بالإضافة إلى انه تناص تشبيهي؛ فبشار يستخدم نفس أداة التشبيه و يقدم الصورة نفسها و هي قصر الجفون، و من حيث المعنى فإن بشارا يقتفي أثر جميل في بيته من حيث ردِّه قصر الجفون إلى مجافاة النوم لعيون العاشق،وكأن جميلاقد سبق إلى توضيح السبب الحقيقي لسهر المحبوهو السهاد وكثرة التفكير بالمحبوبة.[3]

يقول عبد الفتاح نافع " والصياغة في بيت بشار أقوى والدلالة أعمق، فعين المحب ترفض حتى مجرد التغميض على الرغم من أن صاحبها ألح عليها، ويفهم ذلك من قوله: جفت التغميض، وعدم قوله النوم مثلا، لان العين بطبيعتها جرت العادة أن تنام لا شعوريا أما التغميض فهو فعل إرادي يلجا إليه الانسان وهو يشعر به ويحسه ويحاوله، فبشار يحاول ان ينام فلا يستطيع فيحاول ان يلزم عينيه بالتغميض فتأبيا الإطباق، فيتهيأ له أن الجفون قصرت عن حقيقتها فلم تعد تستطيع الإطباق "[4].

1ديوان جميل، جمع وتحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة،ط. 1،وانظر: زهر الآداب الحصري ج2 ص 324

2 ديوان بشار ج3 ص 249

3 أشار الحصري في زهر الآداب(ج2 ص 324) إلى أن بيت بشار مأخوذ من جميل وقد أحسن فيه، وان العتابي اخذ منهما فأساء، ثم يقول: " وإنَّ حقَّ من أخذ معنًى قد سُبق إليه أن يصنعه أجود من صَنْعَة السابق إليه، أو يزيد عليه، حتى يستحقه، وأمّا إذا قصّر عنه فهو مسيءٌ مَعِيب بالسرقة، مذموم على التقصير." وهذا ملمح تدقيق من نقادنا القدامى في التفرقة بين السرقة المذمومة، والتأثر المفيد (التناص).

4 الصورة في شعر بشار ص243

وقد كان بعض النقاد المتقدمون يفضلون بيت جميل مع تحمل بيت بشار لدلالة أدق،ولعل ذلك يعود الى " الوضوح والتقرير البادِيين فيها واللذين كان القدماء يلحون عليهما ويضعونهما شرطا للتعبير الجيد "[1].

ويتناص بشار بن برد مع جميل في تفنيد مقول الواشين من أن الهجر يدعو إلى النسيان يقول[2]:

لحى الله أقواماً يقولون إنّني وجدتُ طوَالَ الدّهر للحبّ شافِيا

يستنكر جميل بشده ما يقوله بعض الناس[3] من أن ابتعاد دار المحبوبة و هجرانها يشفي المحب من الآم عشقه من خلال النسيان.

و يقول بشار[4]:

قالَ هَجرُ الحَبيبِ يُسليكَ عَنها لَن تَنالَ السُلُوَّ قبلَ اِجتِنابِ

قُلتُ يَأبى الهَوى عَلَيَّ وَنَفسي لا تُطيعُ العَدُوَّ في الأحبابِ

ينقل بشار ما نصحه به أحدهم من أن الابتعاد عن المحبوبة أفضل السبل لنسيانها؛ إذ إن نسيان الأحبة المفارقين لا تنال إلا بعد اجتناب مقاربتهم،فيرد ذلك بشار بأن حبه ونفسه المتعلقين بهوى من يحب ترفضان ذلك رفضا قاطعا؛ لأنهما لا يطيعان من يحاول الحؤول بينه وبين محبوبته ناعتا إياه بالعدو.

ويظهر التناص من حيث المعنى من خلال هضم بشار للفكرة الواردة في بيت جميل أعلاه وتمثلها تمثلا فنيا يحمل حيوية وحركية تبدت بإدخال عنصر الحواريِّة في تبيان الفكرة القائلة بنسيان الأحبة المفارقين والرد عليها، بحيث تجد رد بشار على من ينصحه بنسيان من يحب شديدا،وموضحا ما هو عليه موقفه من حزم تجاه القائلين بهذا الرأي، بخلاف جميل الذي اكتفى بالدعاء عليهم تلميحا برفضه مقولهم.

---

1 المرجع نفسه ص243

2 الأغاني ج2 ص 85 وفي محاضرات الأدباء ج 2 ص 75 التذكرة الحمدونية ج6 ص 72 بلفظ "إننا..طوال النأي "

3 هو بقوله يرد على ابن عمه زهير بن حباب العذري، ففي محاضرات الأدباء(ج 2 ص 75) " قيل لجميل: أما سمعت قول ابن عمك زهير بن حباب:
إذا ما شئت أن تسلو خليلاً فإكثر دونه عدد الليالي
فما سلى حبيباً مثل نأيٍ ولا أبلى جديداً كابتذال
قيل: فلو نأيت عنها لسلوت؟فخرج عنها ليلة ثم رجع وهو يقول:
. لحا اللّه أقواماً... البيت "

4 ديوان بشار ج 1 ص 368

وتناص بشار بن برد مع جميل في كون جمال المرأة وفتنتها نابعين منها ذاتها لا مما ترتديه من زينة وحلي، يقول [1]:

إذا ابْتَذَلَتْ لَم يَزْرِهَا تَركُ زينةٍ وفِيهَا إذا ازْدانتْ لِذِي نِيقِةٍ حَسَبُ

يصف جميل امرأة غاية في الحسن وإن خلا ما ترتديه من زينة،رادا جمالها الذاتي النابع من طبيعتها الأصيلة هو العلة في فتنتها، فان تجردت من زينتها المتمثلة في الملابس الفاخرة والحلي الثمينة لم يشنها ذلك، كما أنها إذا ما لبست الزينة وتأنقت كانت مثالا لمن يغالون في التأنق ويحرصون على الظهور بمظهر لائق جميل.

يقول بشار[2]:

زَينُ المَلابس حينَ يَلبَسُها وَإذا تَسَلَّبَ زانَهُ سَلَبُه

بشار يصف جمال امرأة في حال تزينها بالملابس الزاهية وفي حال خلعها لتلك الملابس، فهي جميلة إن لبست وان لم تلبس، فهي جميلة في الحالتين معا.

ويتضح التناص في إفادة بشار من معنى جميل الوارد في بيته أعلاه من أن المرأة التي يصفها جميلة في كل أحوالها سواء تزينت أم تجردت من زينتها.

ويتناص بشار بن برد مع جميل في ردة فعله على صمت المحبوبة عن سؤاله لها،يقول [3]:

بُثِينَ اِلزَمي لا إنَّ لا إن لَزمتِهِ عَلى كَثرَةِ الواشينَ أيُّ مَعونِ

فجميل يحث محبوبته على أن تجيبه بلا إن طلب منها وصلا أو سألها ما يتعلق بشؤون العشق؛ خوفا من الواشين الكثر الذين يتربصون بهما كي يفصحوا حبهما؛ فهو يحثها على قول (لا) أمام الواشين،والتي ستكون بالنسبة إليه بمثابة المعرفة المبينة عما في قلبها من حب وإصرار على الوصال.

يقول بشار [4]:

وَإذا قُلتُ لَها جودي لَنا خَرَجَت بالصَمتِ عَن لا وَنَعَم

---

1 _اللآلي في شرح أمالي القالي – (ج2 ص 947) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص 997

2 ديوان بشار 28 /4 ويقول في موضع اخر (الديوان ج4 ص245):
إنَّ المَليحَةَ مَن تُزَيِّنُ حَليَهاالا مَن غَدَت بِحُلِيِّها تَتَزَيَّنُ

3 ديوان جميل ص 208

4 ديوان بشار ج4 ص 187

يصف بشار ردة فعل محبوبته إزاء طلبه منها أن تجود له بالوصال وتمنحه من نفسها ما تمنح العاشقة للعاشق، بحيث يكون جوابها الصمت مما يولد لديه حالة من الحيرة والاضطراب.

ويتضح التناص في تصرف بشار في معنى بين جميل من جهة انزياحه عن تفضيل (لا) جوابا خوف الواشين وقيلهم وقالهم ليخلق حالة من التوتر المتأتي من صمت المحبوبة وعدم إجابتها بلا أو نعم على سؤاله لها بالجود، مما يولد اضطرابا نفسيا نلمحه من تبرمه من إجابتها عليه هذه الإجابة.

ويتناص بشار بن برد مع جميل في فكره استدعاء المحبوبة لفك خدر الرجل يقول [1]:

إذا خَدِرَت رجلي وَقيلَ شِفاؤُها دُعاءُ حَبيبٍ كُنتِ أنتِ دُعائِيا

فجميل يقول بأنه في حال أصيبت رجله بالخدر، وقال له الناس إن شفاء خدرها يكون بذكر من يحب كانت حبيبته أول من تذكر لشفاء رجله من الخدر.

يقول بشار [2]:

إذا خَدِرَت رجلي وَقيلَ شِفاؤُها دُعاءُ حَبيبٍ كُنتِ أنتِ دُعائِيا

يقول بشار بأنه عندما تصاب رجله بخدر يعالج هذا الخدر بذكر محبوبته وهو دائم الاستنجاد بذكر اسم محبوبته عندما تصاب رجله بالخدر.

ويتجلى التناص في صورته اللفظية من خلال عبارة " إذا خدرت رجلي " الواردة في كلا البيتين، بالإضافة إلى التناص المعنوي من أن ذكر المحبوبة في حال خدر الرجل يجلب الشفاء منه، إلا أن بشارا في تحويره قول جميل لا ينتظر أن يشير عليه أحد ناصحا بذكر المحبوبة في حال خدر الرجل، وإنما يفعل ذلك من تلقاء نفسه، في إشارة منه على تعمقه في شؤون العشق،وما قيل فيه.

ويتناص بشار مع جميل في تصوير مشهد التنكير له من البعض، مع انه يعرفه القاصي والداني، يقول جميل[3]:

فلَيتَ رِجالاً فيكِ قد نَذَروا دَمي وَهَمّوا بِقتلي يا بُثينَ لَقونِي

إذا ما رَأوني طالِعاً مِن ثَنِيَّةٍ يَقولونَ مَن هَذا؟ وَقد عَرِفوني

---

1 ديوان جميل ص221
2 ديوان بشار ج1 ص 313
3 ديوان جميل ص 206 /207

فجميل يصور مشهد حضوره لبثينة مع تربص أهلها الذين وثبوا عليه، وهموا بقتله من خلال تظاهرهم بعدم معرفته؛ لكن جميلا يعلم معرفتهم إياه، وهو الذي بلغ خبر حبه الآفاق.

وينقل بشار مشهد قوله " يَقولونَ مَن هَذا؟ وَقَد عَرفوني" بقوله [1]:

وَنُبِّئتُ قوماً بِهِم جِنَّــةً يَقولونَ مَن ذا؟ وَكُنتُ العَلَم

ألا أيُّها السائِلي جاهِداً لِيَعرِفَني أنا أنفُ الكـــــرَم

فبشار ينكر على المنكرين له إنكارهم إياه بزعمهم عدم معرفتهم به؛ لذا يصفهم بالجنون؛ فالذي لا يعرف بشار كأنه لا يعقل شيئا فهو المعروف، بل هو أنف الكرم.

فبشار يحاكي أسلوب جميل الذي ينقل من خلاله تنكر البعض له، مبرزا مكانته وأنه علم للجميع،وبذلك يكون بشار ناقلا التناص من موضوع الحب عند جميل الى موضوع الفخر.

وقد المح إلى هذه المتابعة الحصري في زهر الآداب[2]، وفي جمع الجواهر، فقد قال بعد أن أورد قصيدة بشار " البيت الأول يشبه قول جميل: نبئت رجالا...البيت"[3].

التناص مع شعر كثير عزة:

يتناص بشار بن برد مع كثير عزة في تصوير المحبوبة في إعراضها وبخلها بالغيمة التي لم تمطر يقول[4]:

وَإنّي وَتَهيامي بِعَزَّة بَعدَمــا تَخَلَّيتُ مِمّا بَينَنا وَتَخَلَّـــتِ

لَكَالمُرتَجي ظِلَّ الغَمامَةِ كُلَّما تَبَوَّأَ مِنها لِلمَقيلِ اِضمَحَلَّتِ

كَأَنّي وَإيّاها سَحابَةُ مُمحِــلٍ رَجاها فَلَمّا جاوزَتهُ اِستَهَلَّتِ

يرسم كثير عزة صورة لحاله مع المحبوبة بعد أن انقضى عهد وصالهما، فهو ييأس من وصالها، مشبها موقفه إزاءها بموقف من يرتجي المطر إذا ما لاحت في الأفق غيمة منتظرا أن تمطر فإذا بها تتلاشى بعيدا عنه،فكثير كلما يقترب من محبوبته ابتعدت عنه ولم تصله بشيْ مما كان بينهما فيما مضى، فيصف حاله و إياها كحال رجل أصيب بمحل شديد يقيم في أرض مقفرة

---

1 ديوان بشار ج4 ص 178
2 زهر الآداب ج2 ص 382
3 جمع الجواهر في الملح والنوادر، الحصري تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت ط.2 1987 ص 347
4 ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1971م ص 103

مجدبة، وكلما ظهرت سحابة فوق أرضه أسرف في رجائها أن تمطر فلا تفعل، لكنها إذا ما تجاوزت أرضه أمطرت.

يقول بشار[1]:

بَرَقت لي حَتّى إذا قُلتُ جادَت أقلَعَت عَن جَهامَةٍ تستمر

تركتني وما أؤمِّل منها كالمرجِّي سحابة لا تدر

أيُّها البارقُ الَّذي لَيسَ يُجدي قد عَرَفناكَ فَالتَمِس مَن تَغُرُّ

يصف بشار محبوبته التي ظهرت له بعد امتناع فظن أنها ستصله وتجتمع به؛إلا أنها كانت مثل الغيمة المثقلة بالأمطار التي رآها فظن أنها ستمطر بغزاره وإذ بها تذهب دون ذلك،مخاطبا محبوبته بعد ذلك مؤنبا بأنه قد عرف خلفها لمواعيدها فأصبح لا يغتر بها، وإن كان قبل ذلك قد غرر به من قبلها.

ويتضح التناص في بيتي بشار في تصوير المحبوبة في امتناعها عن مواصلة الحبيب بالغيمة التي يظن أنها تحمل أمطارا، فلا تمطر، فبشار ينقل صورة لقائه بمحبوبته التي تعده بوصاله فإن هي ظهرت وجاءت إليه لم يحصل منها على شيء، كالغيمة المثقلة بالمطر التي تحبس عنه أمطارها، وهي صوره مأخوذة من كُثيِّر باختلاف استخدامها وظيفيا؛ فكُثيِّر يصور محبوبته بالغيمة التي لا تمطر كلما اقترب منها ورجاها المطر خالفت رجاءه،أي أن كُثيِّرا هو من يطلب قرب محبوبته ويسعى إليها وهي المتمنعة المعرضة عنه، بينما يستخدم بشار هذا التصوير في سياق آخر موظفا إياه في معرض خلف المحبوبة ونكثها لمواعيدها؛ فهي التي تبرق له لكنها تتمنع،بخلافذلك بشار فهو لا يرجوها إنما يؤنبها بنبرة تحذيرية أن لا تحاول خداعه ثانية؛ فقد عرف طباعها ولن تستطيع بعد الآن خداعه بمواعيدها التي لا تفي بها.

---

1 المختار من شعر بشار 167 وبدون البيت الثاني ديوان بشارج4 ص 89 ولبشار في هذا المعنى قوله أيضا(الديوان ج4 ص104):

أظلَّت عَلينا مِنكَ يَوماً سَحابَةٌأضاءَت لنا بَرقاً وَأبطى رَشاشُها

فَلا غَيمُها يُجلى فَيَيأسُ طامِعٌوَلا غَيثُها يَأتي فَيُروى عِطاشُها

وفي الأغاني – (ج3 ص 179) عن هذه الأبيات " ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومطله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

أظلت علينا...البيتين، فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابة حتى تبلك إن شاء الله".

و يتناص بشار بن برد مع كثير عزة في تصوير منع المحبوبة وصال محبوبها بالدين المستحق للمحب يقول[1]:

قضى كُلُّ ذي دينٍ فَوفّى غَريمَهُ وَعَزَّةُ مَمطولٌ مُعنّىً غَريمُها

يعاتب كثير عزة قائلا لها بأن كل من عليه دين من الناس قد وفى و سدد دينه لمدينه إلا أنت يا عزة تماطلين في أداء الدين الذي عليك،و يقصد بالدين [2]هنا ما يتعلق بشؤون الوصال الذي يدور بين العاشقين.

يقول بشار في المعنى ذاته [3]:

طالبتُها دَيني فَراغَت بهِ وَعَلَّقت قلبي مَع الدَين

يقول بشار بأنه طالب محبوبته بدينه لها يقصد وصالها، فلم تؤده دينه هذا بل تحايلت عليه بمنعه مواصلتها؛فتعلق قلبه مع هذا الدين الذي لم تعطه إياه فأصبح لم يحصّل ما تدين به له بالإضافة إلى ضياع قلبه مع دينه.

و يتضح التناص في صورتيه: اللفظية من خلال ايراد بشار لكلمتي " ديني و الدين " مقابل كلمة " دين " التي أوردها كثير، و التشبيهية من خلال تشبيه ما تمتنع المحبوبة عن أدائه من شؤون الوصال و ما يعلق به بالدين المستحق للمحب،إلا أن بشارا يضفي معاني جديدة على هذا التصوير الذي لم يأخذه كما هو دون تصرف إنما حوره بطريقة توضح سعيه الحثيث بمطالبة المحبوبة الوفاء بما تدين به له،بخلاف كثير الذي اكتفى بالشكوى و التلميح دون التصريح و المطالبة من عزة ان تفي بالتزاماتها له، بالإضافة إلى أن بشارا لا يستشهد بالآخرين لحث محبوبته على الوفاء بدينها، إنما يطالبها علانية وشاهده قلبه الذي أظهر شدة تعلقه بها.

و يتناص بشار بن برد مع كثير عزة في إضفاء الرائحة الزكية على نعل الممدوح يقول[4]:

إذا طُرِحَت لَم تَطَّبِ الكَلبَ ريحُها وَإن وُضِعَت في مَجلِسِ القَومِ شُمَّتِ

---

1 ديوان كثير عزة ص 143 وله في موضع اخر (الديوان ص 187):
قضى كُلَّ ذي دَينٍ وَعَزَّةُ خُلَّتْلهُ فَهوَ عَطشانُ قامِحُ

2 في الشعر والشعراء (ج1 ص 501)" ودخلت عزة على أم البنين فقالت لها أم البنين: أرأيت قول كثير:
قضَى كُفُّى ذي دَيْنِ...البيت، ما كان ذلك الدين؟ قالت: وعدته بقبلة فتحرجت منها، فقالت أم البنين: أنجزيها وعلى إثمها."

3 ديوان بشار ج4 ص 222

4 ديوان كثير ص 324

فكثير يمدح نعل أبي ليلى بأن نعله إذا ما هو خلعها من قدميه لم تستمل الكلب الذي يهجم على النعال التي تكون ذات رائحة كريهة، فهي طيبة الريح حتى إذا ما وضعت في مجلس القوم الذين يعدون من الأعيان فيه شموها ولم يأنفوا من رائحتها لطيبها.

يقول بشار [1]:

إذا وَضَعَت في مَجلِسِ القومِ نَعلَها تَضَوَّعَ مِسكاً ما أصابَت وَعَنبَرا

فبشار يقول بأن نعل محبوبته إذا ما وضعت في مجلس القوم انتشرت رائحة المسك و العنبر منها فهو يريد المبالغة في توصيف جمال و فتنة محبوبته.

و يتجلى التناص بنقل الموضوع من المدح الى الغزل، فصورته اللفظية في عبارة: "إذا وضعت في مجلس القوم نعلها" الواردة في بيت بشار مقابل عبارة " وان وضعت في مجلس القوم شمت "الواردة في بيت كثير، وهو تناص يكاد يكون حرفيا من حيث اللفظ، و من حيث المعنى فإنه يخدم ذات الدلالة و هي المبالغة في توصيف جمال و تنزيه الموصوف،لكن بشارا يوضح بعبارات صريحة تخدم دلالته ما يفوح به نعلها من خلال كلمتي " المسك و العنبر "،بخلاف كثير الذي ألمح إلى طيب رائحة نعل ممدوحه بتبيان عدم اقتراب الكلب منها لشمها،بالإضافة إلى تصويرها بالشيء الذي يشمه عِلِيَة القوم،و لعل موضع التشبيه لا يتناسب من حيث القبول الذوقي له في بيت كثير الذي يمدح به رجلا، بينما نجده عند بشار يستساغ نظرا لأنها تصف محبوبته الأنثى التي يلائمها تصويرها بذلك،و لا يعد عصيا على الاستيعاب ذوقيا.

و يتناص بشار بن برد مع كثير في تشبيه جسم المحبوبة بالخيزران.

يقول كثير [2]:

ألا إنَّما لَيلى عَصا خَيزُرانَةٍ إذا غَمَزوها بِالأَكُفِّ تَلينُ

يشبه كثير قدَّ محبوبته بعصا الخيزران للينها ومشيتها التي فيها دلال،فما أن تناولها وحاول ثنيها تلين.

---

1 ديوان بشار ج4 ص 67

2 الأغاني ج3 ص 147، زهر الآداب ج1ص 28، العقد الفريد ج6 ص 121

يقول بشار [1]:

إذا قامَت لِمَشيَتِها تَثنَّت كَأنَّ عِظامَها مِن خَيزُران

يصف بشار لين محبوبته فهي تتمايل في مشيتها إذا ما مشت مشبها عظامها كالخيزران توضيحا لسلاستها في مشيتها.

و يتضح التناص في الصورة من حيث تصوير لين المشية و سلاستها بتشبيه الماشية بالخيزران، ففي حين نجد كثيرا يجعل من محبوبته كلها عصا خيزران تثنى بسهولة و تلين في حال تم شدها، أما بشار فقد خص الخيزران لعظامها،و لم يجعلها كلها كالخيزران،لأن ذلك يهضمها حقها من توضيح جمالها الذي لا يستوي مع توصيفها بالعصا كما وضح ذلك، يقول " قاتل الله أبا صخْر! يزعم أنها عَصاً ويعتذر بأنها خيزُرانَة، ولو قال: عصا مخٌّ، أو عصا زُبْد؛ لكان قد هَجَّنَها مع ذكر العصا، هلاّ قال كما قلت:

ودَعْجَاء المَحاجر...البيتان "[2]

فبشار قصد أن يتناص مع كثير لتصويب تشبيهه،و نفي صفة العصا عن المحبوبة و تشبيه علة اللين في المشية،و هي العظام بالخيزران وحدها دون تعميمها على كل الجسد.

التناص مع شعر عمر بن أبي ربيعة:

و يتناص بشار بن برد مع عمر بن أبي ربيعة في فكرة حسد النساء لمحبوبته،يقول [3]:

زَعَموها سَألَت جاراتِها وتَعَرَّت ذاتَ يَومٍ تَبتَرِد

أكَما يَنعَتُني تُبصِرنَني عَمرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقتَصِد

فتضاحكنَ وقد قُلنَ لها حسَنٌ في كلِّ عَين مَن تَوَدّْ

حَسَدا حَمَلنهُ من أجْلِها وقديمَا كانَ في النَّاسِ الحَسَدْ

يصف عمر محبوبته بين أترابها، و قد نزعت عنها ثيابها لتستحم،فسألتهن عن مدى مطابقة ما يقوله في حسنها ووصفها باكتمال الوصف،أم إن وصفه مبالغ فيه، ثم ينقل عمر ردة فعلهن، فقد بادرنها بالسخرية منها قائلات:إن عين المحب ترى محبوبها جميلا،و هن يضمرن

---

1 ديوان بشار ج4 ص 219المختار من شعر بشار ص 34

2 زهر الآداب للحصري ج1 ص 28،29

3ديوان عمر بن أبي ربيعة،قدم له ووضع هوامشه فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط. 2، 1996، ص 106 الاشباه والنظائر ج2 ص 297

الحقد و الحسد لها، يبخسنها جمالها فلم ينصفنها،و إنما اكتفين برد جمالها إلى توهم عين المحبوب التي ترى حبيبها جميلا بصرف النظر عن حقيقة هذا الجمال من عدمه.

يقول بشار [1]:

وَسَألتُ النِساءَ أبصَرنَ ما أبصَرتُ مِن حُسنِها فقالَ النِساءُ

دونَ وَجهِ البَغيضِ وَحشَةُ هَولٍ وَعَلى وَجهِ مَن تُحِبُّ البَهاءُ

فبشار يسأل النساء المجاورات لمحبوبته و يرينها مثلما يراها هو، أيرين ما يراه هو من جمالها الفتان، فأجبنه جوابا يدل على حسدهن إياها، بأن وجه من يبغضه الإنسان يكون قبيحا في عينيه، بينما يكون وجه من يحب جميلا بهيا.

و يتضح التناص في تقاطع بشار مع عمر بن أبي ربيعة في المشهد الشعري الذي يبين سؤال السائل عن مدى حقيقة وصف يضفى على المحبوبة،فبشار يحور المشهد من خلال جعل العاشق نفسه هو من يتساءل عن ما يتصوره من جمال و فتنة في محبوبته، بينما يكون السائل في أبيات عمر بن أبي ربيعة هو المحبوبة عينها.

كما يتناص بشار من حيث ردة فعل النساء المسؤولات، فعند عمر لا يجبن صراحة على سؤال المحبوبة،و إنما يرجعن ذلك إلى تأثير الحب على عين المحب مما يجعله يرى محبوبته متصفة بالجمال المطلق،و النساء اللواتي سألهن بشار وضحن ما يراه بشار من فتنة في محبوبته بأسلوب حكمي بأن من يبغض إنسانا معينا يراه قبيحا،و من يحب إنسانا يراه جميلا بغض الطرف عن جماله أو قبحه،كما أن مرجع ردة الفعل هذه يعود عند بشار كما عند عمر إلى الحسد الذي تكنه النساء إلى المرأة الموصوفة باكتمال الحسن.

ويتناص بشار بن برد مع عمر بن ابي ربيعة في تمني الموت حلًا لما يقاسيه في حبه يقول[2]:

يا ليتَني مِتُّ وَماتَ الهَوى وَماتَ قبلَ المُلتَقى واصِلُ

فعمر يتمني الموت لينتهي من عذابات غرامه وحبه محبوبته كما انه يتمنى ان يموت الواصل بينهما قبل أن يلتقيها.

---

1 ديوان بشار ج1 ص 145
2 ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 271

يقول بشار[1]:

لَيتَني مِتُّ قبلَ حُبِّكِ يا قُر رَةَ عَيني أو عِشتُ في غَيرِ حُبِّ

فبشار يتمنى أنه مات قبل أن يغرم بمحبوبته أو أنه عاش دون أن يحب أساسا.

ويتضح التناص في تمني بشار الموت حلا لعذابات الغرام وما لاقاه في العشق، كما هو الحال عند عمر الذي تمنى الموت له ولغرامه وللواصل الذي بينه وبين محبوبته،إلا أن بشارا يتمنى أن قد كان مات قبل أن يحب،مدللا على أن ذلك سيمنع وقوع الحب أساسا، بخلاف عمر الذي يتمنى أنه قد مات بعد أن عانى من غرام محبوبته.

ويتناص بشار بن برد مع عمر بن أبي ربيعة في كونه مطلوبا لا طالبا للنساء يقول عمر على لسان من تحبه[2]:

قالت: تَصَدَّي لَهُ لِيُبصِرَنا ثُمَّ اِغمُزيهِ يا أُختُ في خَفَرِ

قالَت لَها قد غَمَزتُهُ فَأبى ثُمَّ اِسبَطرَّت تَسعى عَلى أثري

يصف عمر بن أبي ربيعة مشهدا جمع بين امرأتين أولاهما تحث الأخرى على إعلام عمر بحبها من خلال غمزه بحياء كي يعلم أنها تريده،فتجيبها الأخرى بأنها قد غمزته، فتمنع وأعرض عنها، ويصف عمر رده فعل هذه المرأة بعد إعراضه عنها حيث أخذت تحث الخطى وراءه متتبعة أثره.

يقول بشار [3]:

وَمُخَضَّبٍ رَخصِ البَنا نِ بَكى عَلَيَّ وَما بَكَيتُه

يقول بشار بأن امرأة مخضبه الكفين طريه الأصابع بكت عليه من فرط حبها وتعلقها به،بينما هو لم يبادلهاالشعور نفسه فلم يبادلها بكاء ببكاء.

ويظهر التناص في المعنى المبين في بيت بشار من أنه مطلوب من النساء لا طالبا لهن،فقد بكته امرأة جميله لشدة تعلقها به دون أن يبكيها هو في المقابل،وهذا المعنى في التمنع وجعل المرأة طالبة متعلقة بالرجل المحبوب مأخوذ من عمر بن أبي ربيعه الذي وضح في أبياته

---

1 ديوان بشار ج1 ص 296
2 ديوان عمر بن ابي ربيعة ص 160 / 161
3 ديوان بشار ج2 ص 25

تعاليه وتمنعه عن المرأة التي تجهد للفت انتباهه إليها، فيعرض عنها، بل يجعلها تقتفي أثره تسير خلقه أملا بمحادثته.

ويتناص بشار بن برد مع عمر بن أبي ربيعه في معنى نسيان بعض الفروض الدينية بسبب محبوبته وانشغاله بها يقول عمر [1]:

بَدا لِيَ مِنها مِعصَمٌ يَومَ جَمَّرَت وَكَفٌّ خَضيبٌ زُيِّنَت ببَنانِ

فَلَمّا اِلتَقَينا بِالثَنِيَّةِ سَلَّمَت وَنازَعَني البَغلُ اللَعينُ عِناني

فَوَاللَهِ ما أدري وَإِنّي لَحاسِبٌ بِسَبعٍ رَمَيتُ الجَمرَ أم بِثمانِ

يصف عمر تأثير رؤيته لمحبوبته أثناء شعائر الحج، فقد أنسته رؤيته إياها كم رمية جمر رمى، أسبع رميات أم ثمان.

يقول بشار [2]:

أعُدُّ سُجودي بِالحَصى وَتَلومُني وَلَولا الهَوى أوهَمتُ بَعضَ سُجودي

يقول بشار بأنه نسي كم سجدة سجد في صلاته مستعينا بالحصى ليعرف كم سجدة أدى في صلاته، رادا ما أصابه من توهم في بعض سجوده إلى هواه وحبه لمحبوبته.

ويتجلى التناص في كون بشار يرد نسيانه لعدد سجداته أثناء صلاته إلى شدة تولهه وتعلقه بمحبوبته، بينما كان نسيان عمر بن أبي ربيعه لعدد رمياته الجمرات في الحج أسبع هن أم ثمان بسبب رؤيته لمحبوبته أثناء رمي الجمرات؛ فبشار امتصهذه الفكرة العميقة عن أثر المحبوبةفي الذهول والنسيان، ووظف ذلك في موقف هو عدد ركعات السجود في الصلاة، وهو أكثر موقف يكون العبد فيه متصلا بربه خاشعا متذلا له؛ فيجعل من هوى من يحب سببا في إلهائه عن عدد السجدات، كما أن بشارا لا ينسى بعض الشعائر الدينية بسبب المشاهدة المباشرة للمحبوبة مثلما هو حال عمر، بل إن هوى محبوبته وشدة تعلقه بها دون رؤيتها جهرا هما ما يجعلانه يزل في عدد سجداته، وذلك يؤدي دلالة توضح عمق مشاعره التي يكنها لمحبوبته.

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة ص 362
2 ديوان بشار ج2 ص 106

ويتناص بشار بن برد مع عمر بن أبي ربيعه في معنى إعلان المحبوبة لحبها جهرا على أعين الرقباء يقول[1]:

فقالَت وَأرخَت جانِبَ السِترِ: إنَّما مَعي فَتَحَدَّث غَيرَ ذي رقبَةٍ أهلي

فقُلتُ لَها ما بي لَهُم مِن تَرَقُّبٍ وَلَكِنَّ سِرّي لَيسَ يَحمِلُهُ مِثلـــي

يصف عمر ما دار بينه وبين محبوبته التي طالبته أن يتحدث معها علانية، مطمئنة إياه بأن أهلها لا يراقبونها،فيرد عليها بأنه لا يعبأ بمراقبتهم، ولكن أمثاله لا يخفون أسرارهم دلالة على صراحتهم بما يحملون من مشاعر، وعدم خوفهم من أن يبوحوا بها.

يقول بشار [2]:

فقالَت عَلى رُقبَةٍ إنَّني رَهَنتُ المُرعَّثَ خَلخالِيَه

بمَجلِسِ يَومٍ سَأوفي بِهِ وَلَو أجلَبَ الناسُ أحوالِيَه

يصف بشار بن برد صراحة محبوبته التي جهرت بحبه أمام الرقباء الذين يترصدونها، وقالت بأنها أودعته خلخالها مصرحة بلقبه، وبأنها ستوفي بوعدها الذي قالته على سبيل الإخبار بأنهاستوفي وعدها في مجلس على الملأ ولو كان ذلك سببا في جريان فعلها على السن الناس همزا ولمزا.

ويتجلى التناص في تصريح المحبوبة بحبها أمام الرقباء في بيتي بشار،الذي عكس مضمون بيت عمر بن أبي ربيعة الذي حرضته محبوبته على البوح بحبها لأن أهلها لا يراقبونها، بينما نجد محبوبة بشار بن برد تجاهر هي بحبهاأمام الرقباء مصرحة بكنيته (المرعث) غير آبهة بهم، وهي تقسم أن توفي بعهدها له مهما كانت النتائج المترتبة على فعلها من ذم الناس لها.

يتناص بشار بن برد مع عمر بن أبي ربيعه في توصيف المرأتبدقة الخصر والقوام المعتدل يقول[3]:

أسيلاتُ أبدانٍ دِقاقٌ خُصورُها وَثيراتُ ما التَفَّت عَلَيهِ المَلاحِفُ

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة ص 265
2ديوان بشار ج4 ص 252
3 ديوان عمر ص 232

يصف مجموعة من النساء اللائي جمعهن به مجلس بأنهن طويلات الجسم ناعمات الجسد خصورهن مهفهفة،أردافهن اللاتي تلتف عليها المآزر ممتلئة.

يقول بشار[1]:

أزِرَت دِعصَةَ وَتَمَّت عَسيباً مِثلَ أيمِ الغَضا دَعاهُ الأباءُ [2]

يصف بشار محبوته بأنها لبست إزارا على ردفها المشبه بكثيب الرمل للدلالة على أمتلائه ولينه، بالإضافة إلى أنها طويلة القد المشبه هنا بجريدة النخيل المستقيمة،موضحا هذه الصفات مجتمعة فيها من خلال توصيفها في تشبيهه مشيتها بالحية البيضاء التي تمشي متهادية نحو قضيب القصب.

ويتجلى التناص في توصيف دقة خصر المرأة وطول قدها، بالإضافة إلى توصيف مكان إزارها بالسمنة،فينقل بشار هذه المعاني بتشبيهات مختلفة،وهي التي وصفها عمربطريقة مباشرة دون تشبيه، فكانت أكثر وقعا في النفس وتأثيرا فيها،لأنها تعمل على توجيه الذهن إلى حيثيات الصورة مشفوعة بعنصر الحركة مما يعزز الحيوية النصية في المشهد الشعري.

التناص مع شعراء أمويين متعددي الأغراض:

التناص مع شعر ذي الرمة:

يتناص بشار بن برد مع ذي الرمة في التشبيه و اللفظ معا، يقول ذو الرمة [3]:

تَرى قُرطها في وَاضِحِ اللّيتِ مُشرِفاً عَلى هَلَكٍ في نَفنَفٍ يَتَرجَّحُ[4]

يصف ذو الرمة هذه المرأةبطول العنق من خلال رسمه لصورة القرط الذي يحاذي صفحة عنقها ناعتا إياه بالإشراف على أذنها وأسفل جيدها مشبها ذلك بالهلك والنفنف، وهما ما بين أعلى الجبل وأسفله للدلالة على طول جيدها.

---

1 ديوان بشار ج1 ص 143

[2] الدعصة : القطعة المستديرة من الرمل ، العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها ، الأيم : ذكر الحية الأبيض اللطيف ، الأباء : القصب جمع أباءة ، ديوان بشار ج1 ص143

3 ديوان ذي الرمة، شرح الباهلي،تحقيق عبد القدوس أبو صالح،مؤسسة الايمان، بيروت، لبنان، ط.2، 1982، ج 2 ص 1202

[4] يقول الباهلي (شرح الديوان ج 2 ص 1203) :" قوله " مشرفا على هلك " والهلك : مثل النفنف : وهو ما بين أعلى الجبل وأسفله ، فضربه مثلا ، يقول : "قرطها على هلك " وأراد أنها طويلة العنق ، والنفنف : اللوح وهو الهواء وكذلك الهلك ."

يقول بشار[1]:

تَرى قُرطها مُستَهلكاً دونَ حَبلِها بِنَفنَفِهِ مِن واضِحِ الليتِ أجيَدا

يصف بشار امرأةبطول العنق من خلال رسمه لصورة القرط متضائلا بالكاد يرى بالمقارنة مع طول عنقها الذي وصفه بالبياض والطول في غير فحش.

ويتجلى التناص من حيث اللفظ من خلال عبارات استخدمها بشار في بيته وردت بعينها في بيت ذي الرمة من مثل: "ترى قرطها" و"واضح الليث "، وكلمات من مثل:"نفنفها" مقابل كلمة "نفنف" الواردة في بيت ذي الرمة.

ومن حيث التشبيه والمعنى المراد به، نجد بشارا يدلل على طول عنق المرأة الموصوفة من خلال تصويره للقرط بالتضاؤل منظورا إليه إزاء عنقها الطويل المشبه ما بين أسفله من جهة منبت العنق إلى إذنها بما بين أعلى الجبل وأسفله، بينما نجد ذا الرمة يصف هذه القرط موضع الشهادة في البيتين على طول العنق يصفه بالإشراف على طول هذه العنق،دون تقييد، بخلاف بشار الذي ميز هذا العنق بكونه أجيدا أي طويل طوله جيد ملائم، فبشار استعار هذه الصورة وشذبها تشذيبا فنيا من خلال التركيز على صورة القرط بتوصيفه بتناهيالصغر مقابل طول عنقها مما يوجه الذهن إلىاكتناه هذا التوصيف اكتناها دالا على طول عنق هذه المرأة، بالإضافة إلى أن بشارا قيد ما قد يتوهم من طول مفرط في تشبيه ما بين أعلى العنق وأسفله بما بينأعلى الجبل واسفله بإيراد كلمة أجيدا التي أكدت على تناسق طول عنقها دون أن يكون فيه إفراط قد يفهم من هذه التشبيه المبالغ فيه.

ويتناص بشار بن برد مع ذي الرمة في تصوير الإبل التي تحمل الظاعنين بالشجر.

يقول ذو الرمة [2]:

نَظرتُ إلى آظعانِ مَيٍّ كَأنَّها نَواعِمُ عُبريٍّ تَميلُ غُصونُها

يصف ذو الرمة مشهد رحيل قافلة حبيبته مي مشبها الظعائن التي تحملها الإبل بأغصان أشجار على شاطئ تميلها رياح البحر.

---

1 ديوان بشار ج3 ص 31 وله في هذا المعنى قوله (ج2 ص216):
وَالقُرطُ في مَهلوكَةٍمَجراهُ مِن جَبَلٍ بَعيدُ
2 ديوان ذي الرمة ج 2 ص 825

يقول بشار[1]:

أأبجَرُ هَل تَرى بِالنَقبِ عيراً تَميلُ كَأنَّها سَلَمٌ وَطلحُ[2]

يسائل بشار رفيقه بجيرا فيما إذا كان قد رأى الإبل، ناعتا هذه الإبل بالتمايل كما تميل أشجار السلم والطلح وهي من العضاة الصحراوية.

ويتضح التناص في تصوير الظعائن التي تحمل المسافرين بالأشجار المتمايلة؛ فنجد بشارا يوظف هذا التشبيه في سياق حواري مع رفيقه بجير، بخلاف ذي الرمة الذي يوظفه في سياق إخباري،كما أن بشارا يستوضح عن عير لبني يزيد، بينما ينقل ذو الرمة مشهد رحيل محبوبته "مي".. ولدلالة الأشجار المشبه بها عند بشار معنى يبعث على الصلابة والعسر لاستخدامه في ذلك أقسى أشجار الصحراء وأكثرها شوكا في حين تدلل الأشجار التي يشبه بها ذو الرمة الظعائن على التمايل والتراخي، فهي أشجار تنمو على الشطآن يميل بأغصانها نسيم البحر.

و يتناص بشار بن برد مع ذي الرمة من خلال قلب الدلالة المعنوية لشحيج الغراب، يقول ذو الرمة [3]:

وَمُستَشحِجاتٍ بِالفِراق كَأنَّها مَثاكيلُ مِن صُيّابَةِ النُوبِ نُوَّحُ[4]

يصور ذو الرمة غربانا أصدرن شحيجا فدله ذلك على اقتراب فراقه من محبوبته،مصورا هذه الغربان بنساء نوبيات خلّص ثكلن بأبنائهن ينحن عليهم.

يقول بشار[5]:

وَلا بُدَّ أنّي راحِلٌ لِلِقائِـــــــهِ فَقد بَشَّرَت بِالنُجح عَينٌ تَخَلَّجُ

لَقد سَرَّني فَألٌ جَرى مِن مُوَفَّقٍ وَتَأويلُ ما قالَ الغُرابُ المُشَحِّجُ

يؤكد بشار على أنه سوف يلاقي محبوبته معللا ذلك باختلاج عينه أي اضطرابها وتحركها فجأة،وهو من الأمور التي تدل عند العرب على اقتراب لقاء المحبوب" يقولون من

---

1 ديوان بشار ج2 ص 146

[2] السلم : شجر من العضاة ، الواحدة سلمة ، الصحاح مادة سلم ، الطلح : شجر عظام من شجر العظاة ، الصحاح مادة (طلح) .

3 ديوان ذي الرمةج 2 ص 1207

[4] شحيج الغراب : صوته ، من صيابة النوب : شبهها بالنوب لسوادها ، تاج العروس مادة (شحج)

5 ديوان بشار ج2 ص 86

اختلجت عينه أبصر محبوبه"[1]، بالإضافة إلى فأل حسن وقع له لم يوضحه، وتأويله لصوت الغراب الذي يستخدمه استخداما ايجابيا دلاليا بقرب اللقاء.

ويتجلى التناص في توظيف بشار بن برد لشحيج الغراب للدلالة على أمر ايجابي،بخلاف ذي الرمة الذي دلَّ عنده على دلالة سلبيةتؤذن بالفراق،بينما دلالته عند بشار مؤذنة باقتراب اللقاء التناص مع شعر الأحوص:

يتناص بشار بن برد مع الأحوص في معنى التظاهر بعدم الاكتراث بالمحبوبة مخافة أن ينتبه احد لحبهما،يقول [2]:

يا بَيتَ عاتِكَةَ الَّذي أتعـــــزَّلُ حَذَرَ العِدى وَبِهِ الفؤاد مؤَكَّلُ

أصبَحتُ أمنَحُكَ الصُدودَ وَإِنَّني قسَماً إِلَيكَ مَعَ الصُدودِ لأميَلُ

فالاحوص يخاطب بيت محبوبته عاتكة يعلل اجتنابه لمقاربته بخوفه أن يعلم أحد من الواشين بحبهما فيسبب لهما مآزق كبرى، فهو و إن تنحى وابتعد عن بيتها إلا أن فؤاده معلق بهذا البيت حبا وعشقا.

يقول بشار [3]:

فإنّي مِنكِ يا بَصَري وَسَمعي وَمِن قلبي حَمَيتُكِ في جِهادِ

يَميلُ إِلَيكُمُ وَأميلُ عَنكُـــــم فَآتي جُهدَهُ دونَ اِجتِهادي

فبشار يصف شدة تعلقه بمحبوبته التي هي منه بمثابة سمعه وبصره، يوضح لها أنه حماها من نفسه فلم يحاول التقرب منها مخافة أن يعلم بذلك أهلها فيلحقوا بها الضرر،كما أنه يجاهد في الميل لها والميل عنها مجاهدة عظيمة تورثه عذابا أليما.

وموضع التناص هو التظاهر بعدم محبة المحبوبة لحمايتها من إلحاق الضر بها؛ فبشار يوضح انه لا يطيع قلبه المشدود إلى وصال المحبوبة ليحميها، مثل الاحوص الذي يتحاشى الاقتراب من بيت محبوبته كي لا يلحقها أذى إذا انتبه أحد إليهما، لكن بشارا يقدم هذا المعنى

---

1 محاضرات الأدباء ج2 ص 66

2 شعر الاحوص الانصاري، جمع عادل جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1990، ص 207

3ديوان بشار ج3 ص 139 ومن أبياته الأخرى التي تدور في فلك هذا المعنى المتناص قوله (الديوان ج1 ص 121):

يَرى الناسُ أنّا في الصُدودِ وَتَحتَهُمَداخِلُ تَحلولي لنا وَتَطيبُ

وقوله (ج1 ص 129):

وَكَم مِن هاجِرٍ لِفَتاةِ قَومٍوَبَينَهُما إِذا اِلتَقَيا صَفاءُ

بأسلوب يبين مدى خوفه وحرصه الشديدين على محبوبته التي يحميها حتى من نفسه من خلال تحمله لعذابات مجاهدة النفس ومغالبتها على الرغم من توقها الشديد الى وصال المحبوبة.

وتناص بشار بن برد مع الأحوص في تشبيه نفسه بالشمس يقول الأحوص [1]:

إني إذا خَفِيَ الرجالُ وجَدتُني كالشَّمسِ لا تَخْفَى بكل مَكَانِ

فالأحوص يمتدح نفسه بالثبات في المواقف التي تستدعي الرجال الأشداء الذين يكثرون عند الحاجة إليهم، " فيقول: إذا غشي الرجال خمولٌ ألفيتني في شهرتي ونباهتي كالشمس التي يتصل شعاعها بكل مكان، ويعرف شأنها في كل نفسٍ وكل زمانٍ."[2]، بعكس الرجال الاخرين الذين يختفون عند اشتداد الأزمات.

يقول بشار[3]:

أنا المُرَعَّثُ لا أخفى عَلى أحَدٍ ذَرَّت بيَ الشمَسُ لِداني وَلِلنائي

يصف بشار نفسه بالشهرة، فهو علم لدى كل الناس يعرفونه لشهرته، مشبها نفسه بضوء الشمس الذي ينير كل مكان ويعم ضوؤها كل الناس سواء بعدوا أم قربوا.

ويتجلى التناص في تشبيه بشار نفسه بضوء الشمس للدلالة على كونه معلوما مشهورا ذائع الصيت بين الناس، فقد وظف بشار الشمس في تشبيهه نفسه بضوئها توظيفا يقصد من خلاله بيان شهرته وعدم كونه نكره من عامة الناس،بينما شبه الأحوص نفسه بالشمس للدلالة على عدم اختفائه فهو ساطع ومرئي في كل المواقف والأزمات مثلما الشمس موجودة لا تحفى على أحد وبهذا يكون بشار امتص معنى الأحوص ووضعه في سياق مختلف.

---

1 الأمالي ج2 ص 3 شرح الحماسة للمرزوقي ص 163، التذكرة الحمدونية ج4 ص 305 وجمهرة الأمثال ج2 ص 233، وقد أشار إلى هذا التناص بقوله " ومن أجود ما قيل في الشهرة والنباهة قول بشار:
أنا المرعث لا أخفى...البيت، وهو من قول الأحوص الأنصارى:
إني إذا خفي الرجال...البيت "

2 شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص 164

3 ديوان بشار ج 1 ص 148

التناص مع شعر رؤبة بن العجاج:

و يتناص بشار بن برد مع رؤبة في معنى استغراب النساء الخليلات لهدايته.

يقول رؤبة [1]:

لِلَّهِ دَرُّ الغانِياتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

يقول رؤبة بأن خليلاته استعجبن مما آلت إليه حالته من هداية و صلاح، و سبحن الله على ذلك بعجب شديد.

يقول بشار[2]:

وَنُبِّئتُ نُسواناً كَرِهنَ تَحَلُّمي ولِلّهِ أبلي أكثرَت أم أقلَّتِ

يقول بأنه علم بأن بعض النساء اللائي كان يجمعه بهن عشرة و مجالس لهو انزعجن و كرهن ابتعاده عن اللهو والمجون، والتزامه الزهد و الحكمة، فهو يرى أن مرجوعه إلى الله الذي في إتباع أوامره و اجتناب نواهيه فيه الخير كله.

و يتضح التناص في تبيان تغير حال النساء اللائي كان يصاحبهن بشار و كرههن و عدم استساغتهن لعودته إلى رشده و كفه عن الغواية و اللهو، وهو ما تطرق إليه رؤبة في بيته، مبينا تعجب خليلاته من تحوله إلى طريق الهداية و الدين، فبشار ينقل معنى عدم محبة خليلاته لما آلت إليه حاله من تعقل و حكمة، بالإضافة إلى تأكيده على اقتناعه بما هو عليه من صلاح حال؛لأن أوبته كانت لله و هي- حسبه -خير أوبة.

ويتناص مع رؤبة في مقام الهجاء، حيث تشبيه من يوصف بالحوت في نهمه.

يقول رؤبة [3]:

كَالحُوتِ لا يُرْوِيهِ شَيْءٍ يَلْهَمُهْ يُصْبِحُ ظَمْآنَ وَفِي البَحْرِ فَمُهْ

فهو يذم مهجوه بأنه مشابه للحوت الذي اتصف بالنهم، فهو مع أن فمه في البحر إلا انه لا يرتوي يريد المزيد.

---

1 مجموع اشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بترتيبه وتصحيحه وليم بن الورد،مصورة دار ابن قتيبة، الكويت، ص 165

2 ديوان بشار ج2 ص 10

3 مجموع اشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج ص 159

ويأخذ بشار هذه الصورة متناصا[1]:

يا أيُّها الراكِبُ الغادي لِطِيَّتِهِ لا تَطلُبِ الخُبزَ بَينَ الكَلبِ وَالحوتِ

دينارُ آلِ سُلَيمانٍ وَدِرهَمُهُم كَالبابلِيَّـــــن حُقّا بالعَفاريـــــتِ

فبشار يهجو آل سليمان بالبخل والشح والنهم الدائم، فهم يطلبون المزيد ولا يشبعون مـــن اللهث وراء المال، إنهم كمثل الحوت الذي لا يشبعه شيء.

وأضاف بشار على وصف رؤبة الكلب؛ فهو أيضا دائم النهم لا يشبع.

فهو يقول إن طلبك العطايا من آل سليمان كأنك تريد أن تأخذ خيرا يتقاتل عليـــه الكلـــب والحوت اللذين يضرب بهما المثل في النهم والجشع.

التناص مع شعر نصيب بن رباح [2]:

يتناص بشار بن برد مع نصيب بن رباح في تشبيه الموصوف بالبدر، يقول نصيب [3]:

هُو البَدر وَالناسُ الكَواكِب حَولَه وَهَل تشبِه البَدر المُنير الكَواكِب

يصف نصيب ممدوحه مشبها إياه بالبدر في مجلسه،و الناس حولـــه بالكواكب،مـــستفهما بقصد تعزيز مدحه لممدوحه، في دلالة على تفوق ممدوحه على سائر الناس الذين يكون بيـــنهم من حيث بروزه في كل أمر مثل البدر الذي تلتفُّ حوله الكواكب.

يقول بشار [4]:

إذا جَلَسَ المَهديُّ عَمَّت فُضُولُهُ عَلَينا كَما عَمَّ الضِياءُ مِنَ البَدر

يصف بشار كرم ممدوحه المهدي الذي إذا جلس على عرشه تكرم و تفضل على القـــوم حتى يكفيهم حاجتهم و يزيد، مثل نور البدر في الليلة الحالكة يعم المدجنين.

---

1 ديوان بشار ج2 ص 56

2 هو نُصَيْبُ بن رباح الأكبر شاعر المشهور بل هو أشعر الحُبش- كما شهد له جرير-ويكنى أبا محجن، مولى عبد العزيز بن مروان؛ وأمه نوبية فجاءت به أسود، فوثب إليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه!.، وكان شاعراً فحلاً مقدّماً في النسيب والمديح، يعدّ مع جرير وكثير عزّة ولم يكن له حظ في الهجاء،وهو من الطبقـــة السادسة من شعراء الإسلام ومن شعراء الحماسة. انظر: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (ج1 ص 262وما بعدها- وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر).

3 شعر نصيب بن رباح،جمع وتقديم داوود سلام،مكتبة الارشاد،بغداد، العراق،1967 ص 59

4 ديوان بشار ج 3 ص 289

و يتجلى التناص في اللفظ من حيث كلمة "البدر" الواردة في بيت بشار، و يتضح التناص البلاغي في تشبيه بشار ممدوحه بالبدر المنير الذي يعم ضياؤه من يمشون في ركابه، مثل تشبيه نصيب ممدوحه بالبدر المضيء يغطي ضوؤه الكواكب المجاورة له، فبشار يستلهم هذا المعنى ويوظفه في سياق مدحي مخصوص وهو الكرم و العطاء، إذ إن فضل المهدي يضارع في تمامه و عمه الناس ضوء القمر في الليلة المظلمة، في حين نجد نصيب يشبه ممدوحه بالبدر ليظهر فضله على الناس أجمعين من حيث كل ما يدعو إلى الفضل و المدح من صفات حميدة، واصفا الآخرين بالكواكب المظلمة التي لا يمكن أن ترى أوان سطوع ضوء البدر.

و يتناص بشار بن برد مع نصيب بن رباح في القسم بالمقدسات المتعلقة بشعائر الحج فيما يتعلق بمن يحب، يقول نصيب[1]:

حَلَفت بِمَن حجت قُرَيش لِبَيتِـــه وَأهدَت لَهُ بُدناً عَلَيها القَلائِـدِ

لَئِن كُنت طالَت غيبَتي عَنكَ إِنَّني بِمَبلَغ حَولي في رِضاكَ لجاهِد

يوضح نصيب لممدوحه هشام بن عبد الملك توقه للقائه معتذرا عن تأخره عن موافاته،مبينا انه باذل أقصى جهده و استطاعته في سبيل نيل رضاه، وذلك بإخباره أنه أقسم بالله الذي تحج قريش لكعبته،و نذبح النياق المقلدة له، ليدلل على عظيم توقه و اشتياقه مع تأكيده أنه صادق وتائق الى رضاه.

يقول بشار[2]:

حَلَفتُ بِمَن حَجَّ المُلَبّونَ بَيتَهُ وَبِالخَيفِ وَالرامينَ لِلجَمَراتِ

لَتَقبيلُ خَدَّيها وَمَصُّ لِسانِها أَلَذُّ مِنَ الباكينَ في عَرَفـاتِ

يقسم بشار بالله الذي يحج له الملبون لندائه، و من ثم يقسم بمسجد الخيف المحاذي لموقع رمي الجمرات، فيقسم بهم أيضا، أن تقبيل وجنتي محبوبته و امتصاص لسانها أثناء التقبيل ألذ[3] عنده من لذة الباكين في جبل عرفات.

و يتجلى التناص الأسلوبي و اللفظي في القسم بالله من خلال ذكر فعل عبادة له في تلبيتهم لندائه للحج، إلا أن بشارا يمعن في القسم بحيث يحلف بمسجد الحيف و بمن يرمون الجمرات،

---

1 شعر نصيب بن رباح ص76

2 ديوان بشار ج2 ص 58

3 يقول الطاهر عن البيت أعلاه الذي يحمل هذا المعنى " بئس هذا البيت صناعة وديانة !"الديوان ج2 ص 58

بخلاف نصيب الذي يقسم بالله وحده من خلال توضيح ما يفعله عبيده من حج للكعبة و نحر للنياق، فالمقصود من قسم نصيب إظهار مدى صدقه و تأسفه على عدم لقاء هشام فقرن قسمه بشعائر الحجيج، بينما المقصود من قسم بشار المبالغة و استدعاء القدسيإزاء ما هو مدنس ومنهي عنه شرعا، لإضفاء عنصر المفاجأة والمفارقة التي تحدثها المقارنة بين مجال الحج وشعائره، ومجال مواصلة امرأة بشؤون العشق الحسية، فبشار يقصد هذه المقاربة وتكثر في شعره.

ويتناص بشار بن برد مع نصيب بن رياح في صورة الطيران شوقا إلى ديار المحبوبة يقول نصيب [1]:

أتصبر عَن سعدى وَأنتَ صَبــور وَأنتَ بِحُسن الصَبر مِنكَ جَدير

وكَدِت ولَم اخلِق من الطير ان بَدا سَنا بارق نَحو الحِجاز أطيــر

يسائل نصيب نفسه منكرا صبره على مواصلة سعدى محبوبته، مثبتا لنفسه الصبر الجميل على فراقها،مبينا في ذات الوقت عظيم شوقه لها بحيث يقول: انه يوشك على الطيران إلى ديارهامع أنه ليس من فصيلة الطيور كلما لمع ضوء برق نحو الحجاز أرض المحبوبة.

يقول بشار [2]:

أكادُ مِن زَفرَةٍ تُباكِرُني أطيرُ في الطير حينَ تَبتَكِرُ

يصف بشار شدة شوقه لمحبوبته؛ فهو كلما هيج الشوق إشجانه إلى محبوبته صباحا يكاد يطير مع الطيور حين تطير صباحا إلى ديار محبوبته.

ويتجلى التناص في الصورة التي يرسمها بشار بوشكه على الطيران مع الطيور كلما تذكر محبوبته صباحا،مما يصعِّد من توقه إليها، وهو ذات المعنى الموضح في صورة نصيب الذي أوشك على الطيران تجاه الحجاز ارض المحبوبة سعدى، إلا أن بشارا يجعل من دافعه إلى الطيران آلامه التي تباكره كل صباح،فيفهم من ذلك سهره طول ليله ومجافاة النوم له،في حين نجد الدافع إلى الطيران عند نصيب رؤيته لضوء برق من جهة ديار سعدى.

---

1 شعر نصيب بن رباح ص 91
2 ديوان بشار ج2 ص 265

يتناص بشار بن برد مع نصيب بن رباح في المدح من خلال سؤاله للركب العائد عن ممدوحه يقول نصيب [1]:

أقولُ لِركب قافِلين رَأيتَهُـــــم قِفا ذات أوشال وَمَولاك قارب

قفوا خبروني عَن سُلَيمان إنَّني لِمَعروفِه من آل وَدّان طالِــب

فعاجوا فَاثنوا بِالَّذي انتَ اهلِــه وَلَو سَكَتوا اِثنت عَلَيكَ الحَقائِب

يسرد نصيب لممدوحه قصته في سؤاله عن فضله وذيوع صيته بين الناس،فبينا نــصيب يقصد مكان الماء الشحيح ليرتوي، وافته قافلة قادمة إليه، فهرع إليها يسألها عن فضل ممدوحه سليمان بن عبد الملك،لما تأكد أنهم من أهل قرية ودان،فانعطف الركب على نصيب،و اثنوا على سليمان ثناء يستحقه مما دفعه الى مخاطبة سليمان قائلا لو سكتوا لأثنت عليك حقــائبهم لكثــرة الخير الذي تحمله منك.

يقول بشار[2]:

وَلَقد أقولُ لِقافِلينَ رَأيتُهُــم بِقفا المَسالِحِ يَقسِمونَ قصيدا

كَيفَ الأميرُ لِزائِرٍ مُتَخَيِّـــرٍ تَرَكَ الأقاربَ وَالبَعيدَ بَعيـــدا

فَتَبادَروا طُرَفَ الثناءِ بِفَضلِهِ فَكَأَنَّما نَشَروا الثناءَ بُـــرودا

يقول بشار إنه عندما قصد ماء للشرب رأى مجموعة من الرجال عائدين من عند الأمير وكانوا ينشدون بعض القصائد، فهرع إليهم يسألهم عن الأمير من حيث معاملته لزائر هجر أهله وأقاربه،يقصد نفسه الذي يريد زيارة الأمير، فكانت إجابتهم ثناء على الأمير المقصود ثناء يماثل نشر الأردية الواسعة (البرود).

ويتجلى التناص من حيث الغرض؛ فالشاعران قصدا مدح ملك لقومــه، والمعنــى إذ إن الشاعران أرادا سؤال أناس عائدين من سفر عن فضائل هذا الممدوح فكانت الإجابــة بالثنــاء عليه، كما يتضح التناص من جهة الاسلوب؛فبشار يسرد قضية حدثت معه مبينا فضل هذا الأمير الممدوح، كما فعل نصيب من قبله، إلا أن بشارا ينزاح بالمعنى من حيث فحوى سؤاله للمبالغة في مدح ممدوحه. إذ إن هذا السؤال يعكس شمول فضل الأمير الممدوح للقاصي والداني،الغريب والبعيد،لأنه سألهم بالتحديد عن كيفية معاملته لزائر متغرِّب عن أهله وصحبه علــى الإطــلاق

1 ديوان نصيب ص 59
2 ديوان بشار ج2 ص 337، 338

سواء عرفه أم لم يعرفه فكانت الإجابة انه يكرم ضيفه ويجزل عطاءه،بخلاف نصيب الذي سأل عن فضل ممدوحه بشكل عام دون تخصيص، فتخصيص بشار السؤال في حيِّز كيفية معاملة ممدوحه للزائر الغريب أغنت عن الإكثار من تعداد فضائله من جهة أن هذا ممدوح يعامل من لا يعرفهم بهذه الطريقة الحسنة فكيف هو حال من يعرفهم؟.

التناص مع شعر ثابت قطنة العتكي [1]:

يتناص بشار برد مع ثابتقطنة في معنى زوال الحياة إلى فناء يقول ثابت[2]:

يا هِندُ أظُنُّ العَيشَ قد غَـدا وَلا أرى الأمرَ إلّا مُدَبَّراً نَكدا

إنّي رَهينَةُ يَومٍ لَستُ سابِقُهُ إلّا يَكُن يَومُنا هذا فَقد أفِـدا

يخاطب ثابت قطنة امرأة تدعى هند يسر لها بقرب انتهاء عيشه، وانقضاء حياته، فقد آل الى حال لا يرجى بعدها هناء، وإنما رحيل ومعاناة، موضحا لها بأنه رهن يوم وفاته الذي أزف و اقترب.

يقول بشار [3]:

قومي اِصبَحِينا فما صيغُ الفتى حَجَراً لكِن رَهينَة أجداثٍ وَأرماسِ

قومي اِصبَحينا فإنَّ الدَهرَ ذو غِيَـرٍ أفنى لُقيماً وَأفنى آلَ هُرماس

فبشار يناشد المرأة التي تصب الخمر صباحا أن تسقيه الخمر،ولا تكترث بشيء؛فما خلق الإنسان من حجارة صلبه خالدة، وإنما خلق ضعيفا مصيره الى زوال، فهو رهين القبور وهي مآله.

ويتجلى التناص في فكرة زوال العيش إلى فناء الوارد عند بشار، وهي ذات الفكرة التي وضحها ثابت في بيته إزاء مخاطبته هند باقتراب موته، على اختلاف توظيف هذه الفكرة عند بشار الذي جعل منها حافزا على الالتذاذ بالحياة وعدم الزهد فيها، ومعاجلة ما يسر الانسان فيها

1هو ثابت بن كعب وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا العلاء أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك وقيل بل هو مولى لهم،وله شعر جيد.وكان مرجئًا.
ولقب قطنة لأن سهما أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنة وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية.، انظر الأغاني(ج14 ص256وما بعدها). الأعلام للزركلي (ج2 ص 98).

2 شعر ثابت قطنة العتكي، جمع وتحقيق ماجد السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، سلسلة كتب التراث 13، ص 39

3 ديوان بشار ج4 ص 99

حيث إن مصير الإنسان هو الموت، في حين ترد عند ثابتفي سياق تحسري ندبي، على ما آلت إليه حاله من انقطاع رجاء وصدود عن لذائذ الحياة.

ويتناص بشار بن برد مع ثابت قطنة في اللفظ" شـط المـزار"،للدلالـة علـى ابتعـاد أرض المحبوبة،يقول ثابت [1]:

بَدَلتُ مِنها وَقد شَطَّ المَزارُ بِها وادي المَخافَةُ لا يَسري بِها الساري

ويقول ثابت بأنه أبدل بها (محبوبته)واديا مخيفا لهول ما فيه لا يسري به أحد ليلا، فبعـد أن هجرته هام على وجهه حزنا وألما على فراقها.

يقول بشار[2]:

وَلستُ أدري إذا شَطَّ المَزارُ بِكُم هَل تَجمَعُ الدارُ أم لا نَلتَقي أبَدا

يقول بشار بأنه في حيرةمن أمره في حال ابتعدت عنه المحبوبة هل سيلتقي بهـا أم لـن يلتقيا أبد الدهر.

ويتضح التناص اللفظي في عبارة "شط المرار" الدالة على الابتعاد والهجر، الواردة فـي بيت بشار الذي لم يصبه هجر المحبوبة بعد، وإنما قال بيته أثناء تجهز محبوبته(عبدة) للرحيـل متسائلا عن مصير حبهما ولقاءاتهما معا، هل سوف تنتهي إلى الأبد أم لها عود جميل،في حين وقع الفراق والهجر بثابت الذي بيَّن هول مصابه به؛ فقد أحاله إلى التهيام على وجهه في أكثـر الأماكن وحشة ورعبا، ومن خصائص تناص بشار أنه حول الضمير من كونه غائبا عند ثابـت الى ضمير متكلم فخاطب صاحبه خطابا مباشرا بخلاف ثابت الذي تحدث عنها وهي غائبة.

---

1 شعر ثابت قطنة العتكي ص 47
2 ديوان بشار ج3ص 68

التناص في شعر العرجي [1]:

يتناص بشار بن برد مع العرجي في حرمة الاقتراب من النساء امتثالا لمشيئة المحبوبة.

يقول [2]:

فإن شِئتِ أحرَمتُ النِساءَ سِواكُمُ وَإن شِئتِ لَم أطعَم نُقاخاً وَلا بَردا[3]

فالعرجي يخاطب محبوبته قائلا: انه لو شاءت لحرم النساء سواها على نفسه. بالإضافة إلى تحريمه الماء العذب إن أرادت ذلك و طلبته منه.

يقول بشار [4]:

فإن شِئتِ أحرَمتُ وَصلَ النِساء وَإن شِئتِ لَم أطعَمِ الباردا

وبشار مستعد أن يتخلى عن وصل النساء امتثالا لمشيئة محبوبته، بالإضافة إلى استعداده أن يكف عن تناول الماء البارد إرضاء لها.

ويتجلى التناص لفظا و معنى، فبشار أعاد صياغة فكرة العرجي بتصرف طفيف مع المحافظة على مضمون صياغته.

يتناص بشار بن برد مع العرجي في كون التحلم وقاية للإنسان من الفاحشة، يقول العرجي [5]:

فَسَكَتُّ إضرابَ الحَليمِ وَإنَّما يُنجى الحَليمَ عَن الخَنا إضرابُهُ

فالعرجي يوضِّح سبب سكوته عن المسيئين إليه، فهو ليس سكوت جبان أو ناجما عن ضعف، بل هو إعراض الحليم عما يجعله في خانه واحده مع المسيئين، فهو قادر على الرَّد وإنما كفُّه عن الرد عليهم متأت من قناعة العرجي بأن الإعراض عن المشاركة في فحش الفاحشين بالرد عليهم يقي الحليم من مجاراتهم في فجورهم.

---

1 هو أبو عمر عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي،إنما لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف، وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منها ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصا عليهما قليل المحاشاة لأحد فيهما ولم يكن له نباهة في أهله، انظر: الأغاني(371/1وما بعدها).

2 ديوان العرجي جمع وتحقيق سجيع الجبيلي، دار صادر، بيروت، لبنان ط.1 1998 ص 206

3 النُقاخُ: الماء العذب الذي يَنْقَخُ الفؤادَ ببرده.الصحاح مادة نقح

4 ديوان بشار ج3 ص 148

5 ديوان العرجي ص174

يقول بشار [1]:

يا سَلمَ إنّي اِمرُؤٌ يُوَقّرُني حِلمي إذا القومُ في الخَنا وَثبوا

يخاطب بشار امرأة تدعى سلمى موضحا لها أنه رجل يتسم بالحلم والترفع عن صغائر البشر الضالعين فيالفحش والفجور، فيكف عن مجاراتهم إن هم تطاولوا في فجورهم و فحشهم فيكون حلمه إذ ذاك وقارا له.

و يتجلى التناص في اللفظ والمعنى، فبشار يمتص فكرة العرجي بأن الحلم و الكف عن مجاراة ذوي الفحش في فجورهم بالرد عليهم يعدُّ بمثابة الوقاية للإنسان من الفحش. و من هذه الأفكار صاغ بيته الذي أجراه في سياق حواري يعلل فيه للمرأة التي يخاطبها سبب عدم رده على فحش المتطاولين عليه، مثلما علل العرجي سبب سكوته عن المسيئين إليه، وإن كان بشار لم يصرِّح انه تعرض للإساءة المباشرة،وإنما لمَّح إلى ذلك تلميحا كما يفهم من تلازم حلمه و خنا القوم الذين يتحدث عنهم.

التناص مع شعر ابن مفرع الحميري[2]:

يتناص بشار بن برد مع ابن مفرع الحميري في معنى اكتفاء الحر بالملامة و العتاب،وضرورة ضرب العبد إذا أخطأ، يقول الحميري [3]:

العبد يُقْرَعُ بالعصا والحُرُّ تكفيه المَلامَهْ

هنا يوضح الحميري أن افضل وسيلة لردع العبد عن خطئه و تجاوزه أن يضرب بالعصا جزاء على فعلته، بينما إذا أخطأ الحر يردعه اللوم عن خطئه.

---

1 ديوان بشار ج1 ص 265

2 هو الملقلب بالسيد الحميري واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ويكنى أبا هاشم، وكان شاعرا متقدما مطبوعا يقال إن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة بشار وأبو العتاهية والسيد فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع، انظر الأغاني (ج7 ص 248وما بعدها)

3 انظر الاغاني ج18 ص 269 البيان والتبيين أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي دار صعب – بيروط.1، 1968ص(ج1 ص 409) الشعر والشعراء ج1 ص 355 جمهرة الامثال ج1 ص 262

يقول بشار [1]:

الحُرُّ يلحى وَالعَصا لِلعَبدِ وَلَيسَ لِلمُحلِفِ مِثلُ الرَدِّ

يؤكد بشار على أن الحر يلام ويعاتب على أخطائه، بينما لا يصلح سوى العقاب بالعصا للعبد إن اخطأ، مضيفا أن أفضل وسيلة لكف الملح عن الحاجة الرد عليه.

و يتضح التناص لفظا ومعنى في بيت بشار الذي أعاد صياغة معنى ابن مفرع مع محافظته على مضمون البيت ومراده من أن الحر المتصف بالأخلاق الحميدة،عندما يخطئ فإن الأسلوب المناسب لردعه عن خطئه هو لومه ومعاتبته، بينما لا يجوز التهاون مع العبد المتصف بالخسة والنذالة التي بهما أصبح عبدا بل يجب أن يعاقب بالضرب حتى يرتدع،إلا أن بشارا يكثف المعنى ويوجزه في شطر واحد، مضيفا حكمة أخرى تتمثل في أن الرد على كثير الإلحاح هو السبيل الأمثل لاتقاء إلحاحه..

التناص مع شعر عدي بن الرقاع [2]:

ويتناص بشار بن برد مع عدي بن الرقاع في تصوير طول الليل بلاغياً،يقول[3]:

وَكَأنَّ لَيلي حينَ تَغرُبُ شَمسُهُ بِسَوادِ آخِرَ مِثلِهِ مَوصولُ

يصور عديطول ليله من خلال صورة يجعل فيها هذا الليل حين انقضائه واوان موعد طلوع الصباح عليه، وكأنه وصل وربط بسواد ليل آخر غيره، في دلالة على طوله واشتداد ألم عدي فيه.

يقول بشار[4]:

وَطالَ عَلَيَّ اللَيلُ حَتّى كَأَنَّهُ بِلَيلَينِ مَوصولٌ فَما يَتَزَحزَحُ

فبشار يعلل طول ليله الذي لا يتزحزح ليفسح المجال لصباح اليوم الذي يليه، بتشبيه يصور الليل فيه بليلين غيره، فلا ينجلي ليله عن صباح،وإنما يبقى ثابتا وكأن زمانه توقف عنده.

---

1 المختار ص 277

2 هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث، وكان شاعرا مقدما عند بني أمية يشهد له بشاعريته مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك وكان أبرص وله بنت شاعرة يقال لها سلمى وهو في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام،انظر: الأغاني (ج9 ص 350وما بعدها)

3 التذكرة الحمدونية ج5 ص 333 الامالي ج1 ص 100 نهاية الارب ج1 ص 131

4 المختار ص 17

ويتضح التناص في التشبيه الذي استخدمه بشار معللا به طول ليله، بحيث جعل من ليله موصولا بليلين آخرين، مما جعل ليل بشار لا يتحرك فيظهر صباحا،وهو تشبيه أصله عدي الذي شبه عند اقتراب موعد انقضائه بأنه موصول بليل آخر، في دلالة على طوله وبطئه في الانقضاء.

ويتناص بشار بن برد مع عدي بن الرفاع في تصوير النعاس في عيني الموصوف دون أن يكون نائما، يقول عدي [1]:

وَكَأَنَّها وَسَطَ النِساءِ أعارَها عَينَيهِ أحوَرُ مِن جَآذِرِ جاسِمِ

وَسنانُ أقصَدَهُ النُعاسُ فَرَنَّقَت في عَينِهِ سِنَةٌ وَلَيسَ بِنائِمِ [2]

يصف عدي جمال عيني محبوبته،قائلا أنها وهي بين النساء في جمال عينيها كأن جؤذرا ناعسا أعارها عينيه الحوراوين لجمالهما، فهو يصف جمال عيني ابن البقر هذا الذي شبه به المرأة الناعسة الحوراء العينين.

يقول بشار[3]:

دارَت لَهُ الكَأسُ حَتّى زاحَ باطِلُهُ فَطَرفُهُ نائِمٌ في عَينِ يَقظانِ

بشار يصف رجلا أفرط في الشرب حتى غفا طرفه،على الرغم من كونه مستيقظا لم ينم بعد.

ويتجلى التناص في معنى النعاس المضفى على عينين مستيقظتين،فعدي جعل من هذا التوصيف سمة جمالية، مصورا به الوسن الذي يكون في عيون بعض النسوة،وهو مما تحمد في عيونهن،ويعد سمة جمالية،بينما بشار يصف بهذا التصوير تأثير الخمر على شاربها المستيقظ،على الرغم من جعلها(عينيه) تغمض لا نوما بل سكرا.

---

1 ديوان عدي بن الرقاع جمع وشرح حسن نور الدين دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط.1، 1990، ص 100/99

[2] رنقت : رنق النوم في عينيه : اذا خالطهما ولم ينم ، تاج العروس مادة (رنق).

3 المختار ص270

التناص مع شعر عبيد الله بن قيس الرقيات:

يتناص بشار بن برد مع عبيدالله بن قيس الرقيات بمدح ممدوحه بنصاعة الوجه يقول[1]:

إنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللَـــ ـــهِ تَجَلَّت عَن وَجهِهِ الظلماءُ

يمدح عبيد الله مصعب الزبير بنعته بأنه شهاب من الله، في دلالة على أنه ماحق للشر من حيث إن الشهاب يرسله الله عقابا حارقا للشياطين التي تريد استراق أخبار الغيب، ويضيف في مدحه بأنه رجل أزيحت عن وجهه الظلمة فهو ناصع وضاء.

يقول بشار[2]:

مالِكِيٌّ تَنشَقُّ عَن وَجهِهِ الحَر بُ كَما اِنشَقَّتِ الدُجى عَن ضِياءِ

يمتدح بشار ممدوحه بأنه رجل بفضله تنكشف ظلمة الحروب بانتصار مبين، مثلما تتمخَّض الظلمة عن ضياء يكون سببا في إنهائها.

ويتضح التناص بلاغيا في الصورة التي رسمها بشار لممدوحه وجعله كنور الصباح يزيل ويمحي ظلمة الليل في معرض حديثه عن كشف ممدوحه لغمَّة الحرب، بينما يصف عبيد الله ممدوحه بنصاعة الوجه بصورة مباشرة،كما أن بشارا يقصد من تشبيهه الإعلاء من قيمة ممدوحه من حيث شجاعته،وجمال وجهه.

التناص مع شعر العجير السلولي[3]:

يتناص بشار بن برد مع العجير السلولي في تصوير طيب المحبوبة بالدالِّ على نفسه يقول[4]:

إذا ما مَشَت نادى بما في ثيابِها ذكيُّ الشَذا والمندلِيُّ المطيَّرُ

يصور الشاعر العجير عطر وطيب رائحة المحبوبة بإنسان ينادي يدلُّ على نفسه، فان مشت اخبر عما في ثيابها من رائحة جميلة تشبه شذا الأزهار وعود المندلي.

---

1 ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق وسرح محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ص 91
2 ديوان بشار ج 1 ص 135 المختار ص 93
3 هو العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط–وقيل سبيط– بن جابر بن عبد الله بن سلول،وقيل غير ذلك.
ويكنى أبا الفرزدق شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام، انظر: «الأغاني»(ج13 ص 64وما بعدها)
4 انظر: المحب والمحبوب للسري الوفاء ج 3 ص 165 تاج العروس مادة طير لسان العرب مادة " طير "

يقول بشار [1]:

وَتَوَقَّ الطيبَ لَيلَتَنا إنَّهُ واشٍ إذا سَطعا

يحذر بشار محبوبته أن تتطيب بالعطر طوال الليلة التي ستجمعه بمحبوبته مشبها إياه بالواشي المخبر عن اختلائهما معا لوضوح رائحته وشدة تأثيرها.

ونلحظ التناص في تصوير الرائحة التي تتطيَّب بها المحبوبة بالدالِّ على نفسه من جهة كون تشبيه بشار الطيب الذي تتطيب به المحبوبة بالواشي الذي يشعر الآخرين بخلوته بها فيفضح لقاءهما سرا، وهو معنى ابتدعه العجير الذي جعل من رائحة جسد المحبوبة المشبه برائحة الورد وعود المندلي، مناديا يخبر عما تخفي من طيب وعطر، إلا أن بشارا يستخدم هذا المعنى في سياق تحذيري ينهى فيه محبوبته عن التطيب مخافة أن يفتضح أمرهم.

التناص مع شعر ابن الدمينة[2]:

يتناص شعر بشار بن برد مع ابن الدمينة في معنى الأنين لذكر المحبوبة، يقول ابن الدمينة [3]:

إذا ذُكِرَت عِندِى أنِنُّ لذِكرها كما أنَّ وَقع السِّلاح جَريحُ

يقول ابن الدمينة إنه يئن ألما وشوقا كلما ذكرت محبوبته أمامه و على مسمع منه، مثلما يئن جريحمن آلام السلاح في جسده.

يقول بشار[4]:

إذا عَرَضَ القومُ الحَديثَ بِذِكرها أنِنُّ كَما أنَّ المَريضُ المُوَصَّبُ

يصف بشار حاله إذا ما ورد ذكر محبوبته في حديث جلسائه، فهو يئن عندها،كما يئن مريض مصاب بأشد الأدواء.

ويتحلى التناص لفظا من حيث عبارات "بذكرها" و "أئن" و"كما أن" الواردة في بيت بشار، مقابل عبارات:"لذكرها" و "أئن" و "كما أن"الواردة في بيت ابن الدمينة، ومن حيث المعنى

---

1 ديوان بشار ج4 ص 123

2 هوعبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب، والدمينة أمه وهي الدمينة بنت حذيفة السلولية، وهو من العرب العرباء من بني عامر،وهو من أرق شعراء المدينة بعد كثيّر عزة وقيس بن الخطيم، وشعره في غاية الرقة، انظر الأغاني (ج 17 ص 98وما بعدها)

3 ديوان ابن الدمينة، قام بشرحه وضبطه، محمد الهاشمي البغدادي، مطبعة المنار، مصر، ط. 1، 1918، ص 34

4 ديوان بشار ج 1 ص 314 ويقول أيضا " الديوان ج 1 ص 255 ":
أئِنُّ مِنها إلى الأدنى إذا ذُكِرَتكَما يَئِنُّ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ

نجد بشارا يلتقط فكرة التوجع والأنين لمجرد الحديث بذكر المحبوبة، إلا أن بشارا يحاول تعميق دلالة ألمه و توجعه، من خلال تشبيه أنينه كلما ذكرت محبوبته بأنين المريض المصاب بأقسى أنواع التعب، لاسيما أن بشارا يصف المريض بصفة مبالغة تفيد التكثير هي "الموصَّبِ"

وفي الختام يمكن القول إن بشارا أفاد من شعراء هذا العصر في أغراضه الشعرية نظرا لاستقرار حدودها وأساليبها بفعل بروز شعراء مخصوصين ببعضها، فكانت أبرز تناصاته مع الشعراء الغزلين الذين تأثر بهم في بناء معانيه ودلالاته وتشكيل صوره سيما العذريين منهم في قصائده التي توجه بها إلى محبوبته (عبده)، علما أنه برع في مجال الغزل الحسي خاصة في تناصه في الصور الفنية في توصيف جمال المرأة التي يصفها، فغلب على تناصه أن يكون تصويريا مع الشعراء الغزلين.

ثم إن بشارا أفاد من شعراء النقائض معنويا ولفظيا في غرضي الهجاء والفخر.

هذا وقد تجلى تأثره بشعراء هذا العصر من خلال التلاقحات المعنوية التي أقامها مع ثلة من شعرائه.

الفصل الثالث

التناص الديني والتاريخي

والتناص مع المثل

الفصل الثالث

التناص الديني والتاريخي والتناص مع المثل

سيتم تناول التناص الديني والتاريخي والمثلي في هذا الفصل بحيث يتم تتبع هذه الأنـــواع التناصية الثلاثة في ديوان بشار بن برد، وتوضيح الوجوه التي خرجت إليها.

وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول فكان للتناص الديني بقسميه التناص مع القران الكريم والتناص مع الأحاديث النبوية الشريفة، أما المبحث الثاني فكان للتناص التاريخي وقد اشتمل على التناص مع الأحداث والشخصيات التاريخية مقسمة إلى حقب تاريخية.

اما المبحث الثالث فكان للتناص المثلي بحيث تم توضيحها في النماذج الشعرية من ديوان بشار بن برد وتبيين أوجه التناص فيها.

أولا:التناص الديني:

لقد تجلى أثر النصوص الدينية واضحا في مجموع بشار بن برد الشعري من خلال تناصه مع القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

ويقصد بالتناص الديني " تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القران الكريم أو الحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النص الأصلي للقصيدة بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري وتؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما معا"[1].

ذلك أن لاستدعاء النصوص الدينية أثرا بالغا في توجيه الدلالات الشعرية وتكثيفها بحيث يعمد الشاعر إلى تطعيم نصوصه الشعرية بهذه النصوص المقدسة لإعطائها بعدا تفضيليا مـــن حيث قوة الدلالة والمصداقية.

وقد توزع التناص الديني في ديوان بشار بن برد على التناص مع القران الكريم،والتناص مع الأحاديث النبوية الشريفة، فكثر استحضار معاني وألفاظ الآيات القرآنية اقتباسا وامتـــصاصا بحيث تم حصرها حيث وردت في ديوان بشار وتبيين أثرها في نصوصه الشعرية.

---

1 ظاهرة التناص في الشوقيات مهند عباس علي، رسالة ماجستير، الجامعة العراقيـــة، بغـــداد، آب 2011، ص 53،وانظر أيضا التناص نظريا وتطبيقيا الزعبي ص 11

كما كان للأحاديث النبوية الشريفة حضور بارز في ديوان بشار بن برد، من خلال الإشارة إليها باللفظ أو بالمعنى.

التناص مع القران الكريم:

ظهر التناص القرآني عند بشار بن برد بأمثلة متعددة، فمن ذلك قوله:[1]

تَمَنَّيتَ أن تَلقى الرَبابَ وَرُبَّما تَمَنّى الفَتى أمراً وَفيهِ شَقاءُ

يقول الشاعر مخاطبا نفسه انك تمنيت وحرصت على ملاقاة الرباب لأنك ترى فيها الراحة والمستقر،ولكن الأمور لا تسير بنحو ما يريده الإنسان،فربما يُحرص على شيء أشد الحرص لأنه يرى فيه نفعا وخيرا له، وإذ به عكس ذلك؛فقد يكون فيه الشقاء والبلاء فيحصل له الضرر من حيث قدر أن النفع فيه، وهو في هذا يتناص مع قوله تعالى: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[2] فالآية جاءت في سياق الحديث عن فريضة الجهاد وأن النفوس ربما تكرهه لما فيه من " تعب ومشقة وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتآلف ومع هذا فهو خير محض "[3].

والشاعر يلتقي مع الآية في هذا الموضع حيث يتمنى الإنسان الشيء ظنا منه أن فيه راحته ولكن فيه شقاءه وخذلانه، فيمتص هذا المعنى من الآية ويوظفه في سياق تعزيته نفسه عن عدم لقائه الرباب، وبذلك يحصل له الرضا بما قدره له الله تعالى.

ويتناص مع هذه الآية في موضع آخر بقوله[4]:

وَاللَهِ لَولا رِضى الخَليفَةِ ما أعطيتُ ضَيماً عَلَيَّ في شَجَـــن
وَرُبَّما خيرَ لِابنِ آدَمَ في الـــ ـــكُرهِ وَشَقَّ الهَوى عَلى البَدَن

فبشار يذكر معاناته جراء امتثاله لأمر الخليفة الذي نهاه عن التغزل بالنساء، فنفسه تميل إليهن ومشغوفة بالتغزل بهن لكنه يترك ذلك امتثالا لأمر الخليفة، وهو هنا يعزي نفسه من خلال إشارته لمضمون الآية " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، " فمع أنه يرى في امتثاله لأمر الخليفة شرا وهمًّا عليه، إلا أنه ربما يكون فيه الخير له من حيث لا يشعر.

---

1 ديوان بشار بن برد ج1 ص152
2 سورة البقرة آية 216
3 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي مؤسسة الرسالة،بيروت، ط.2002،1 ص 97
4 ديوان بشارج4 ص 230

فالبيت السابق يتناص مع الشطر الثاني من الآية، وهذا البيت يتناص مع الشطر الأول من الآية.

ويقول بشار [1]:

ككُعوبِ القناةِ مُشتَبِهاتٍ وَكَأنَّ الرَبابَ أُمُّ الكِتابِ

حيث يتناص مع قوله تعالى " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ " [2]،فبشار يصف منزلة الرباب عنده ويصورها بأنها الأصل الذي يُرجع إليه ولا يُشبهها احد، وبقية النساء متشابهات يشبهن الكثير ليس لهن ميزة تنفردن بها.فهو يستحضر الآية التي تتحدث عن آيات القران الكريم فمنها أم الكتاب وهن"أصله المعتمد عليه في الأحكام"[3]،واللاتي لا يشكل على أحد تأويلها.

ومنها المتشابه وهي التي يلتبس معناها على الكثير من الناس، فقد يتبادر على الأذهان غير المراد منها؛ فالشاعر صور الرباب بأم الكتاب أي أنها ذات منزلة مرموقة لا تشوبها شائبة يُرجع إليها في التشبيه، وما سواها من النساء فهن كالآيات المتشابهة الآتي يرجع في تهاويلهن إلى محكم القرآن الكريم.

إن اقتناص بشار لهذه الصورة يدل على تشربه النص القرآني،وتوظيفه له لإبراز معناه الشعري الذي يرنو إليه؛ فهو ينظر بعين العاشق المحب الذي يصور الأمور بمبالغة وهيام؛ فالرباب عنده لها مكانة تفوق نساء العالمين تستحق منه هذا الحب والعشق لاستحقاقها له دون غيرها بصفتها المثال الأكثر كمالا للمرأة المعشوقة.

ويقول بشار [4]:

لا أحمِلُ اللَومَ فيها وَالغَرامَ بها ما كَلَّفَ اللَهُ نَفساً فوقَ ما تَسَعُ

يتناص بشار في هذا البيت مع قوله تعالى " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.... " [5]،فبشار يتحدث عن الخلجات المتنازعة في نفسه أثناء حبه، فهو لا يستطيع أن يحمل في نفسه اللوم و العتاب و الهيام بالمحبوبة،لأنه يرى أن نفسه لا تحمل الجمع بين النقيضين اللوم و الغرام،و

---

1 ديوان بشار ج1 ص 368
2 سورة آل عمران آية 7
3 تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، قدم له وعلق عليه محمد كريم راجح،دار القلم بيروت لبنان ص 63
4 ديوان بشار ج4 ص 118
5 سورة البقرة آية 286

يبرر لنفسه هذا الأمر من كون النفس لا تطيق هذا،و الله لا يكلف النفس فوق وسعها و استطاعتها، و هذا التعليل امتصه من الآية السابقة،فالله لا يكلف عباده ما ليس بطاقتهم فالتكليف بالاستطاعة.

و توظيف بشار للنص القرآني يعطي دلالة على أنه يُحكِّم عقله فيما يختلج في نفسه من تناقضات و اتجاهات مختلفة، ثم أنه يشعر بنوع من الضعف الذي يصيبه أثناء عشقه فهو كثير اللوم و العتاب في غرامه؛لأنه يرى أن هذا السلوك يتعب نفسه و يجعلها تخرج عن طاقتها.

ويقول بشار [1]:

دَعهُنَّ لِلمُسهَبِ الضَلّيلِ موردُهُ ياقلبُ كُلُّ اِمرئٍ رَهنٌ بِما اِكتَسَبا

يتناص في هذا البيت مع قوله تعالى (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)[2] فهو يحث نفسه على ترك هؤلاء النسوة اللواتي احتجبن و ترفعن عنه، فيقول مخاطبا قلبه كل إنسان محيط به عمله الذي كسبه فمن سعى في خير حصل عليه، ومن سعى في ضلال أحاط به،وهو في هذا المعنى يتناص مع الآية تناصا مباشرا؛ فالآية تشير إلى هذا المعنى الذي أورده فكل إنسان" بما عمل من خير أو شر مرتهن به، لا يؤاخَذ أحدٌ بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه" [3].

وبهذا يتجلي التناص في البيت من خلال الألفاظ المشتركة التي اقتنصها بشار فيه منالآية الكريمة،إذ يقول: (كل امرئ رهن بما اكتسبا)،والآية (كل امرئ بما كسب رهين) لكنه تصرف في اللفظ فقدم رهين،وأخر اكتسبا لحرص الشاعر على أبراز دلالة (رهن) وما تحمله من معنى يعالج به الشاعر ما انتاب قلبه،ولذلك رأيناه يبتدئ بيته (يا قلب).

كما يتجلى التناص قي المعنى المشترك، وهو أن كل فرد يؤاخذ على عمله ويرتهن به، فنتيجةالعمل تعود على صاحبها، ويراد بهذا التناص إبراز نبرة الشكاية من جراء المعشوقة وما تبديه من جفوة

ويعلل بشار تركه لهؤلاء النسوة بالتناص مع آية كريمة إذ يقول [4]:

قد حَصحَصَ الحَقُّ وَاِنجابَت دُجُنَّتُهُ وَعَرَّضَ الدَهرُ شَطرَيهِ لِمَن حَلَبا

---

1 ديوان بشار ج1 ص 370
2 سورة الطور آية 21
3 محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، تحقيق محمد عيون،دار الكتب العلمية، بيروت،ط.1، 1418،(ج9 ص 51)
4 ديوان بشار ج1 ص370

فالحق ظهر وانجلت الغمة عن سلوك هؤلاء النسوة، وظهور الحق عنده يـذكره بتجلـي الحق في قصة يوسف عليه السلام لما ظهرت براءته واعترفت امرأة العزيز بما كادت له حيث قالت: (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ.) [1] فبشار يقتنص هذا الموضع ليوظفـه فـي محاججته، لأنه يرى أن الأمور تكشفت وتجلت عنده. وهذا يدل على مـدى غـوص الـشاعر وتعمقه في فهم النص القرآني وتوظيفه في المكان المناسب ليعطي دلالة موجهة وداعمة للفكرة التي يريد أن يثيرها في ذهن سامعه.

ويقول بشار[2]:

فقُلتُ إذ شَهِدَت عَيني بِحُبِّكُمُ وَلَم أجِد عَن جِوارٍ فيكِ مُلتَحَدا

يتحدث بشار عن محبوبته عبده ويصور انفعاله بسبب بخلها عليه بالتـسليم ممـا هـيج بكاءه؛وهو في هذا الموضع يخاطبها ويبين لها شهادة عينه بحبه لها، ولم يجد ملجأ عن القـرب عنها وجوارها فهي المؤنسة والمبهجة له.

وهو في قوله (وَلَم أجِد عَن جِوارٍ فيكِ مُلتَحَدا) يتناص مع الآية الكريمة: (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا)[3]،أي " لن تجد من دون الله موئلاً تئل إليه، ومعدلاً تعدل عنه إليه. لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمرٍ أراد به" [4]

فبشار يستثمر المعنى الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يكون موئلـه إلـى ربـه،و يوظفه أثناء تغزله بمحبوبته؛ فهو لا يستطيع الاستغناء عنها لأنها ملجؤه، وهذا يدل على مـدى تعلقه بها.

فتحصل أن التناص جاء متناسقا في اللفظ والمعنى؛ ففي اللفظ في البيـت: (لـم أجـد... ملتحدا)، وفي الآية (لن أجد ملتحدا).

وهذا التناول النصي للآية جعل هذا التناص يؤثر على بقية القصيدة، فنظرة عاجلة تظهر مدى التناص ما بين الفاصلة القرآنية في سورة الكهف وما بين قافية القصيدة.

---

1 سورة يوسف51 آية
2 ديوان بشار ج3 ص 68
3 سورة الكهف آية 27
4 محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، ج 7 ص 27

أما في المعنى؛ فالاشتراك بيِّن في أن المُتَحدث عنه لا يستغني عنه،ففي القصيدة يريد الشاعر أن يبين أن عبده لا يستغني عنها،. وكذلك الحال في الآية الكريمة تبين أن لا ملجأ ولا موئل إلا الله،فهو الهادي والعاصم.

فمع أن النتيجة متفاوتة بين الآية والبيت " التعلق بعبدة " و " الالتجاء إلى الله" إلا أن ذوق بشار وحسن تصرفه في المعنى جعلاه يوظف مضمون الآية الكريمة في خدمة مقصود بيته بفنية تدل على الاحتراف.

وقد كرر بشار التناص مع هذه الآية في موضع آخر، يقول [1]:

لِلَّهِ دَرُّكُمو مِن أهلِ مَملَكَةٍ ما إن لَها عَنكُمو في الأرضِ مُلتَحَدُ

يقول في معرض مدحه المهدي وموسى، إن الملك اختصهم فمملكتهم التجأت إليهم لأنهم الأحق.

وموضع التناص في الشطر الثاني (ما إن لَها عَنكُمو في الأرضِ مُلتَحَدُ) مع الآية السابقة:(ولن تجد من دونه ملتحدا).

ومضمون التناص يتجلى في أن مملكتهم لم تجد في الأرض كلها سواهم ملوكا يستأهلون ملكها، وفي الآية لن تجد ملجأ دون الله

والمعنى المتناص في البيتين ورد في آية أخرى،(قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا [2]"، فالتناص مع الآيتين طاهر جلي مكثف للمعنى المراد فيهما مع تناسق وتناسب لفظي وأسلوبي.

ويقول بشار[3]:

إذا ما دَعا ثابت إلَيهِ عَصائِبٌ كِرامٌ أعينوا بِالصَلاةِ وَبِالصَبرِ

يتحدث بشار في معرض مدحه المهدي،حيث إنه إذا ما أراد النصر والظفر؛ فانه يثوب إليه و يندفع رجال أشداء أقوياء أعانتهم قوة إيمانهم من خلال محافظتهم على الصلاة واستعانتهم بالصبر، وهو في وصفهم هذا يتناص مع قوله تعالى: " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ

---

1 ديوان بشار ج2 ص 292
2 سورة الجن آية 22
3 ديوان بشار ج3 ص 283

إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ"[1]،فالاستعانة بالصبر و الصلاة من أقوى صفات المؤمنين الذين جمعوا بين حاجة الروح من خلال الصلاة، و حاجة الجسد من خلال التمرن على الصبر.

و بشار في تناصه للآية يظهر مدى شجاعة الرجال الذين يستنجد بهم المهدي؛ فهم رجال يقدمون على الموت دون خوف و ضعف لهم جلد على القتال،و صابرونمرابطون لا يخشى عليهم، و قد أعطى التناص تكثيفا للمعنى الذي أراده الشاعر لان إجمال اللفظين و اختصاصهما يعطي توسعة لمدى الصورة التي اتسموا بها.

و قد تصرف بشار قليلا في لفظ التناص؛ ففي الآية " استعينوا بالصبر و الصلاة " وفي البيت "أعينوا بالصلاة و الصبر"، و تقديمه الصلاة للأهمية؛ فهو يريد أن يبرز مدى التزامهم بشعائر الدين من حيث إن قتالهم مبني على عقيدة راسخة مما يعطي انطباعا بالاستماتة فيه.

ويقول بشار [2]:

ذَهَبَت نَفسي إِلَيهِنَّ بِقَلبي حَسَراتِ

يقول الشاعر موضحا الآلام التي يقاسيها في حب النساء اللاتي الحقن به الأذى وخلفن الحسرات في قلبه لخيبة أمله بهن جميعا.

ويتناص بشار في بيته مع قوله تعالى " فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ "[3] فقد قرنت الآيةالحسرات في النفس، مع النهي عن الذهاب إلى هذه الحالة.

و قد امتص بشار هذا الوصف للنفس ووقوع الحسرات فيها مستشفا حالة النبي صلى الله عليه و سلم عندما اعرض قومه عن دعوته، فأسقطها على نفسه مع فارق الحال؛ فبشار وقعت الحسرات في قليه من هجر النساء اللاتي أحبهن، بينما في الآية الكريمة نجد أن الحسرات لم تقع بعد في نفس النبي صلى الله عليه وسلم إنما تم نهيه عنها.

و حالة الحسرة الواقعة عندالشاعر، و التي تناص فيها مع الآية وردت عنه في موقع آخر.يقول[4]:

فَإِذا ذَكَرتُكِ يا عُبَيدَ تَقَطَّعَت نَفسي عَلَيكِ وَعادَني حَسَراتُ

---

1 سورة البقرة آية 45
2 ديوان بشار ج2 ص 51
3 سورة فاطر آية 8
4 ديوان بشار ج2 ص 36

فالشاعر إذا ما تذكر محبوبته عبيدة خالجته حالة الوجد التي تبعث في نفسه الحسرات، فيبقى هائما حائرا من الحالة التي يقاسيها.

و قد أعطى تناصه مع الآية في الموضعين توضيحا في تصوير الحالة التي بلغها من مكابدة النفس جراء ما أصابها من عشق، و حب لم يكتمل فولد الحسرة فيها.

كذلك أعطى التناص لفظيا جرسا موسيقيا من خلال صياغة " الحسرات " التي لها وقع في بيان الحالة النفسية، وجعلها في قافية القصيدة.

ويقول بشار [1]:

وَما ذَنبُ مَقدورٍ عَلَيهِ شَقَاؤُهُ مِنَ الحُبِّ عِندَ اللَهِ في سابق الكُتبِ

يذكر الشاعر عتاب صحبه له على حبه لعبدة الذي أرّقه و اضعف قواه، فيعترض على ذلك بأن هذا الحب قد قدر عليه و سجل له في اللوح المحفوظ فلا حيلة بيده لدفعه عنه.

و نرى من عبارته (في سابق الكتب) تناصا مع الآيات الكريمة التي ذكرت أن أعمال العباد مقدرة و مسجلة في اللوح المحفوظ،يقول تعالى " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا"[2] فكل ما يصيب العبد في الدنيا من خير أو شر مكتوب في اللوح المحفوظ،و هذا نفس المعنى الذي ذكره بشار و تعذر به.

و تناص بشار هذا يظهر البعد التوظيفي لمعنى الآية حيث إنه أعطى به لنفسه مسوغا لحبه و عشقه،فضلا عن أنه حاجج به اللائم له بمستند شرعي لا جدال فيه بحيث تظهر براعة بشار في اختزال النصوص القرآنية وتوظيفها في سياقها المناسب.

ويقول بشار [3]:

أفيئي فإنّا لاحِقونَ فإنَّما يُؤَخِّرُنا أنّا يُعَدُّ لَنا عَدّا

يخاطب الشاعر امرأة كانت تلومه على تنازله عن حديقة صارت إليه بالميراث من بعض عصبته[4]، وهو في خطابه يزهدها بالدنيا بتذكيرها أن مصيرهما الموت،وأن اللهيؤخرنا في الدنيا

---

1 ديوان بشار ج1 ص 215
2 سورة الحديد آية 22
3 ديوان بشار ج 3 ص 58
4 ديوان بشار ج 3 ص 58

فيمهل لنا وسيلاقينا الأجل المحتوم فنرىما أعده الله لنا من الجزاء على أفعالنا،فعلينا أن نـــدخر صالح العمل لذلك اليوم.

و في هذا الشطر يتناص مع الآية القرآنية الكريمة،(فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَـــدًّا)[1]، فالله يمهل العبد في الدنيا وفيها يفعل ما يشاء، لكن عمله محفوظ سيلاقيه في الآخرة إنخيرا فخير وإن شرا فشر.

وفي هذا التناص يضفي على معناه بعدا تقويا يتناسب مع حالة الإقناع التي يخاطب بهـــا المرأة التي تلومه على إنفاقه مع تحويره الخطاب من الوعيد في الآية إلى الوعد الذي ينتظـــره، فهو يرى أن المال لا يكسب العز والحمد بل عمله الصالح هو الذي يرفع قدره، يقول في البيت السابق لهذا البيت [2]:

وَما كُنتُ إلّا كَالأصَمِّ اِبنِ جَعفَرٍ رَأى المالَ لا يَبقى فَأبقى لَهُ حَمدا

فهو يريد أن يشبهنفسه بجعفر بن سليمان، حيث يرى أن المال لا يبقى الذكر الحسن وحده إذا لم يقرن عمله بالصالحات، وهو متلاق مع الآية الكريمة " وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُـــمْ بِـــالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً " [3].

فالمال لا يقرب بذاته الإنسان يوم القيامة إذا لم يقرنه بالإنفاق في وجوه الخيـــر وعمـــل الصالحات.

ويقول بشار [4]:

لَمّـــا رَأونا نُواليكُم وَنَنـــصُرُكُم ثاروا إِلَينـــا بِأضغانٍ وَأحقـــادِ
قالوا: بَنو عَمِّكُم مِن حَيثُ نَنصُرُكُم قـــولُ الرَسولِ وَهَذا قولُ صُدّادِ

يتحدث الشاعر عن مناصرته للعباسيين هو وشيعته من الموالي وغيرهم؛ فيقول إن بعض الطوائف من الأمويين وغيرهملما رأونا ننصركم ونواليكم ثاروا علينا وجعلوا في صدورهم الغل والأحقاد علينا، "وقالوا نحن بنو عمكم ولم ينصروكم من حيث نحن الذين ننصركم "[5]، فبـــشار ومن معه يرون أنهم أنصار الخليفة وأتباعه.

---

1 سورة مريم آية 84
2 ديوان بشار ج 3 ص 58
3 سورة سبأ آية 37
4 ديوان بشار ج 2 ص 302
5 ديوان بشار ج 2 ص 302

وبشار في قوله (قول الرسول) يتناص مع آيةكريمة ومع حديث شريف،أشار إليها الطاهر ابن عاشور بقوله: " (وقوله قول الرسول...الخ) لف ونشر معكوس راجع إلى الجملتين،أي إن نصرنا هو القرابة الحقة،فنحن أهلكم،يشير إلى قوله تعالى (وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)[1] وفي الحديث (الأنصار كرشي وعيبتي)[2] " [3].

يعني أن الشاعر يعيب عليهم أن يقتنصوا معنى الآية والحديث فيستشهدون بهما على ما يريدون من معنى النصرة على القرابة وهم في حقيقتهم صادون عن الحق.

والتناص إشاري يفهم منه المراد من الآية مع عدم ذكرها صراحة، وهذا يدل على دقة فهم بشار للنصوص الدينية، وحسن توجيهها، واستخدامها الاستخدام الأمثل الذي يعطي القارئ ومضات تضيء له ربط العلاقات الإنسانية في شتى المناحي.

لاشك أن تناص بشار الإشاري أعطى بيته دقه وحسن سبك من خلال جمع المعاني وتكثيفهافي لفظ موجز يوصل المعنى المراد بأقل لفظ،وهذا ما جعل الطاهر ابن عاشور في نهاية تعليقه على البيت يقول "وفي البيت كما رأيت إيجاز قوي"[4].

ويقول بشار [5]:

لَمّا رَأيتُ الهَوى يَبري بِمُديَتِهِ لَحمي وَحَلاَّني الزُوّارُ وَالسَمَرُ
أصبَحتُ كَالحائِمِ الحَرّانِ مُحتَبَساً لَم يَقضِ وِرداً وَلا يُرجى لَهُ صَدَرُ
يَرعى الشِفاءَ وَأهوالاً تُرَوِّعُهُ دونَ الشِفاءِ فَلا يَأتي وَلا يَذَرُ

يصف بشار عذاب الهوى له، فقد أضناه روحا وجسدا، ثم يعمق من غربته النفسية فيذكر إعراض الصحب عنه واعتزاله ليالي السمر،مشبها نفسه بالطير الظمآن الذي حبس فلا يستطيعورود الماء، ليصل إلى مقاربة حاله تلك بأنه يرى شفاءه وما به يداوي آلامه إلا أنه يحول بينه وبين شفائه أهوالومصاعب شاقة، فلا الشفاء يأتي ليخلصه من آلامه،ولا الهوى يترك من نفسه وجسده شيئا لشدة وقعه واستعار ألمه، وبشار يتناص مع تركيب قرآني جاء في

---

1 سورة الأنفال آية 72
2 متفق عليه:البخاري في صحيحه " تحقيق: محمد الناصر،دار طوق النجاة، بيروت (مصورة عن السلطانية) ط.1، 1422هـ(ج 5 ص 34)،و(ج 5 ص 35)،ومسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط.1 (ج 4 ص 1949)
3 ديوان بشار" ج2 ص302
4 المصدر نفسه ج2 ص302
5 ديوان بشار بن برد ج3 ص159

معرض وصف جهنم وعذابها فهي لا تدع شيئا إلا وتأتي عليه إحراقا وفناء، فبشار يستحضر هذا التركيب القرآني في قوله " وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر "[1] مجريا عليه تعديلا ففي قوله: لا يأتي ولا يذر " يعود الضمير في قوله " لا يأتي" على الشفاء الذي تحول دونه الأهوال فيستحيل قدومه، بينما يعود الضمير في " ولا يذر " على الهوى المشبه هنا ضمنيا بسقر الواردة في الآية الكريمة لأنه لا يترك منه شيئا ألما وتعذيبا.

وقد استثمر هذا التناص من هذه الآية في موقع آخر يقول [2]:

ضَمَّ العِراقَ وَقد هَزَّت دَعائِمَهُ صَمّاءُ عَمياءُ لا تُبقي وَلا تَذَرُ

وهذا البيت من قصيدته في مدح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فهو الأمير العادل الذي ضم العراق ولم شملها بعد أن أضنتها الفتن والأمور العظام التي لا تبقي شيئا ولا تذره.

والتناص ظاهر من خلال وصف الفتنة التي حصلت للعراق ب(لا تبقي ولا تذر)؛ فهو مطابق لوصف الآية للنار (لا تبقي ولا تذر)،وهذا التناص يدل على شدة هذه الفتنة وصعوبتها التي لحقت بالعراق.

ويقول بشار[3]:

مَقامُكَ مَغمورٌ وَأنتَ مُدَفَّعٌ وَبَيتُكَ بَيتُ العَنكَبوتِ عَلى العَمَد

يتحدث الشاعر لرجل يهجوه فيقول له:إن منزلتك عند الناس وضيعة وأنت مغمور لا يعرفك أحد ومدفوع لا تكرم، ونسبك كبيت العنكبوت لا سند له.

وبشار في وصفه لبيت مهجوه يتناص مع الآية الكريمة التي تبين ضعف بيت العنكبوت، يقول تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[4] فبيت العنكبوت " لا يحتمل مس أدنى الحيوانات ولا اضعف الرياح ولا يدفع شيئا من الحر و البرد "[5].

وتظهر جمالية التناص من الآية الكريمة حيث جاءت لبيان ضعف دين المشركين، ووهن أوليائهم الذين يتخذونهم أندادا من دون الله؛ فهم كمثل نسيح العنكبوت لا يقوى على شيء،

---

1 سورة المدثر آية 27 / 28
2 ديوان بشار بن برد ج3 ص174
3 ديوان بشار بن برد ج3 ص 113
4 سورة العنكبوت آية 41
5 تفسير الجلالين " حاشية محمد راجح " ص 526

وكذلك الحال في بيت بشار فهذا الرجل نسبه واهٍ لا يصلح أن يقوم أمام المقامات الرفيعة والأنساب العالية سرعان ما ينهدم ويندثر.

هذا وقد تناص بشار مع هذه الآية في موضع آخر يقول [1]:

لَم تَكوني لِتَصلُحي لِوَدادٍ لِكَريمٍ كَحُلَّةِ العَنكَبوتِ

فهذا البيت قاله لصاحبته حبى العامرية مظهرا لها أنها لا تصلح لان يحبها ويودها رجل كريم مثله، شبهها ببيت العنكبوت على اعتبار عدم مناسبتها له من حيث هو قوي كريم، أما هي فضعيفة واهية لا تحفظ عهدا.

و يحتمل أن المقصود بحلة العنكبوت تشبيه نفسه فيكون معناه "لم تكوني لتصلحي أن توادي كريما قد صيره الحب كحلة العنكبوت من الوهن"[2].

وقد أعطى هذا التناص تركيزا وتكثيفا للمعنى من خلال الإيحاءات الموسعة لتوصيف الموقفين ببيت العنكبوت،وبه يكون بشار قد أوصل ما يرمي إليه بالإشارة؛ فهو لم يذكر التشبيه بكامل أركانه وإنما ذكر العنكبوت إيحاء للمعاني المعلومة من هذا التشبيه من خلال الآية الكريمة المشار إليها بالتناص.

ويقول بشار [3]:

لا يُطيعُ العُذّالَ في هَجر سَلمى أو تَصوغوهُ صَخرَةً أو حَديدا

يبين بشار رفضه وإعراضه عن لوم العذال له على حبه سلمى التي هجرته مبينا أنه سيبقى على حاله تلك مطالبا إياهم بأن يجعلوه صخرة أو حديدا كي لا يشعر، ويتناص بشار مع الآية القرآنية في قوله تعالى " قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا " [4]، يرد بها سبحانه على المشركين الذين أنكروا أن يبعثوا بعد أن يموتوا فيصبحون رفاتا وعظاما، مبينا لهم أنهم لو كانوا حجارة أو حديدا فان الله تعالى قادر على إعادتكم إلى صورتكم البشرية يوم الحساب، وموضع التناص لفظي في قوله " أو تصوغوه صخرة أو حديدا "، ومن حيث المعنى فإن بشارا يورد هذا التركيب ليبين مدى تعلقه بمحبوبته وتعجيز لوامه من طلبهم أن يكف عن حب سلمى، في حين جاء ورود هذا التركيب في الآية الكريمة ليبين قدرة الله تعالى على إعادة الخلق كما أنشاه أول

---

1 ديوان بشار ج2 ص2
2 نفسه ج2 ص2
3 ديوان بشار ج2 ص186
4 سورة الإسراء آية 50

مرة حتى في حال استحال هؤلاء المنكرون إلى حجارة أو حديد، أو إلى أي صورة يظنـــون أن فيها من القوة والمنعة ما يحول دون قدرة الله عليهم فإنه سبحانه قادر على إمضاء أمره فيهم من بعث بعد الموت.[1]

ويقول بشار [2]:

وَاللهُ يَبرأُ مِمَّن لا يُحِبُّكُمو يَومَ القِيامَةِ إذ لا يَنفَعُ الحَفَدُ

يبين بشار مكانة ممدوحه الرفيعة فينزله منزلا عظيما بجعله ممن يبرأ الله من باغظيه في الوقت الذي لا ينفع فيه الأعوان يوم القيامة متناصا بالمعنى في عجز بيته مع قوله تعالى " " يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ "[3].

وذكر بشار لمعنى عدم نفع الأعوان يوم القيامة توصيف لانشغال الناس بأنفـــسهم عمـــن سواهم بحيث يؤكد أن من كان من محبي الممدوح سيكفيه الله هذه المحنة وسيظله بظله ويغفر له ذنوبه.

ويقول بشار[4]:

كَيفَ لا تَحمِلُ الأمانَةَ أرضٌ حَمَلَت فوقها أبا سُفيان

يتحدث بشار عن رجل اسمه أبوسفيان ثقيل الظل، فيقول معرِّضاً بـــه كيـــف لا تحمـــل الأرض الأمانة التي استثقلها وعليها أبو سفيان ثقيل الظل فطالما استطاعت الأرض حمل أبـــي سفيان على ثقل ظله فإنها قادرة على حمل ما عظم من الأثقال ومن ضمنها الأمانة.

و في هذا البيت متناص مع قوله تعالى"إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَـــةَ عَلَـــى الـــسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا "[5]،فبشار استثمر معنى إيباء الـــسموات والأرض حمـــل الأمانة الواردة في الآية، وتعجب من دوامه مع وجود أبي سفيان ثقيل الظل الذي يثبـــت ثقلـــه أركان الأرض.

---

1 وقد تناص مع هذه الآية الكريمة في موضع آخر يقول (الديوان ج 2 ص 8):
أمِن حَجَرٍ فُؤادُكِ أم حَديدِوَما يَدري العَشيرُ بما دَرَيت

2 ديوان بشار ج 2 ص 294

3 سورة الشعراء آية 88 /89

4 ديوان بشار ج4 ص221

5 سورة الأحزاب آية 72 وانظر في استيضاح المعنى " روح المعاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربـــي – بيروت، ج 22 / ص 96

وفي تناصه هذا يوجه الحقيقة الكونيةلخدمة نقده الذي يوجهه لأبي سفيان على سبيل السخرية وهذا يدل على حرفية عالية في تناول النص القرآني وتوجيهه فنيا.

ويقول بشار [1]:

ما العَيشُ إلّا لِحَمّادٍ أبي عُمَرٍ لَم يَدرِ أنَّ لَهُ رَبّاً بِمِرصادِ

يقدم بشار بيته هذا في معرض هجائه لحماد عجرد فيصف حاله في تماديه باقتراف المنكرات، و كأن حماداً غافل عن أن له رباً يراقبه ويحاسبه على ما اقترفه من ذنوب، وهو هنا يتناص مع الآية الكريمة " إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ "[2]،فالآية تتحدث عن أن الله " يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شئ ليجازيهم عليها "[3]،وهذا المعنى هو الذي أراد بشار أن يوصف به حال حماد.

والتناص يظهر بلفظه ومعناه، فاللفظ أخذه بكامله إلا أنه حور فيه قليلاً ليناسب سياق الخطاب لحماد فالآية " إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ " والبيت "إن له ربا بمرصاد""".

أما من حيث المعنىفإن المعنى يتطابق مع الآية من حيث نبرة الوعيد في أن الله عنده أعمال العباد يجازي عليها إن خيرا فخير وإن شراً فشر.

ونلاحظ أن التناص أعطى البيت جودة و سبكا من خلال نبرة الزجر والتهديد الواردة فيه؛ فالتناص كثف المعنى وجعل البيت يتناول معاني كثيرة في لفظ موجز؛ فهو استغنى عن تعداد أفعال حماد وترددها بالإشارة إليها بهذا الوعيد.

ويقول بشار [4]:

إذ نَلتَقي حَلَقاً وَنَسترَقُ الهَوى سَرَقَ العَفاريتِ السَماعَ مَذودا

يتحدث الشاعر عن اجتماعه مع رفاقه في مجلس اللهو في أخر يوم من رمضان حيث يحاولون تتبع مجامع النساء واسترق هواهن، لكنهم لا ينالون شيئاً؛فيقذفون بالدفع والخذلان،مصورا حالهم هذه بحال الشياطين عندما يسترقون السمع من السماء ومحاولتهم الاطلاع على اخبار الغيب، لكنهم يقذفون بالشهب فتدفعهم فلا ينالون شيئاً.

---

1 ديوان بشار ج3 ص2 وله في المعنى المتناص(الديوان ج 2 ص 182):
حَتّامَ أدعو الصِبى وَأَتبَعُهُوَالمَوتُ دانٍ وَاللهُ بالرَصَدِ
2 سورة الفجر آية 14
3 تفسير الجلالين ص 806
4 ديوان بشار ج2 ص259

وهذا هو المذكور في قوله تعالى " وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ* إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ " [1]،فبشار يستلهم من الآية معنى الاسترق لبيان حالهم وهم يحاولون الإيقاع بالنساء المقصودات في حبهم إذ يكونون حذرين من ردة فعلهن التي تحققت برفضهن هذا الحب.

ويقول بشار[2]:

خَليلَيَّ إنَّ العُسرَ سَوفَ يَفيقُ وَإنَّ يَساراً في غَدٍ لَخَليقُ

يشكو بشار العسر الذي يصيبه منقلة المال و صعوبة الأحوالفيشبهه في ملازمته إياه بنائممملازم مرقده[3]،و سوف يستيقظ هذا العسر، و يأتي بعده اليسر، فبعد العسر لا بد من مجيء اليسر.

وفي هذا المعنىيتناص مع قوله تعالى " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً " [4]وقد نبه الطاهر ابن عاشور في شرحه إلى هذا التناص إذ يقول " وأخذ المصراع الثاني من قوله تعالى (فإن مع العسر يسرا) أي إن بعد العسر يسرا"[5].

وتناص بشار مع الآيةجاء ليثبت المعنى الذي يريد أن يؤكده وهو أن بعد العسر و الضيق و الشدة مجيء اليسر لا محالة، و قد جاءت الآية مؤكدة هذا المعنى من خلال التكرار " فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا " [6]

ولتناصه وظيفة نفسية يقارب فيها حاله في وقت ضيقه بحال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي واساه الله ووعده بأن بعد عسره يسرا.

ويقول بشار [7]:

قتَلتُ السِرَّ كِتماناً وَقَتلُ السرِّ أبقى لَه

---

1 سورة الحجر آية 17 / 18
2 ديوان بشار ج4 ص 133
3 انظر شرح ديوان بشار ج4 ص 133
4 سورة الشرح آية 5
5شرح ديوان بشار ج4 ص133
6 انظر عن دلالته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – لبنان – 1993م ط. 1(ج 5ص 468)
7 ديوان بشار ج4 ص 169

يتناص في هذا البيت مع قوله تعالى " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[1] حيث يتحدث عن تعامله مع الأسرار التي تكون مع العشق والشوق،فيقول إنه احكم كتمان سره فلا يظهره؛ لأنه يرى أن قتل السر – وهو شدة إخفائه –أبقى له فهو ضامن لاستمراره، وهو في هذا الشطر أخذ هذا المعنى من الآية الكريمة " ولكم في القصاص حياه "؛ فكما أن قتل القائل هو مدعاة لوقف استمرار الاقتتال بالتالي وقف القتل،فكذلك إخفاء السر وكتمانه يبقيه مخفيا لا يظهر للعيان ويحافظ على بقائه.

وهذا التناص يعطي المعنى الذي يريد إظهاره قوة لما يضفيه من دلالة مشار إليها مختزلة في الآية الكريمة التي تعالج قضية تشريعية كبرى.

ويقول بشار [2]:

كَأَنَّ فُؤادي في خَوافي حَمامَةٍ مِنَ الشَوق أو صُنع النَوافِثِ في العُقد

يصور بشار مدى الاضطراب الذي ينتاب قلبه من أثر محبته " سعدى المالكية "،فقلبه كأنه ريش الخوافي من الحمام، وهو الريش الذي يبتدئ اضطرابه عند الطير، دلالة على اضطراب قلبه، وكذا كان هذا القلب عنده من صنع النوافث –وهن الساحرات –اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها في عمل السحر.

وصورة النوافث في العقد التي شبه قلبه بها يتناص بها مع قوله تعالى " وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ [3].

ويظهر التناص في اللفظ من خلال أخذ لغة الآية والتصرف فيها،ففي البيت " النوافث في العقد "، وفي الآية " النفاثات في العقد "، وقد بقي جمع المؤنث على حاله " لأن غالب من يعالج أمور السحر من النساء "[4].

أما المعنى فالآية تتحدث عن الاستعاذة من الشر الناتج من الساحرات اللاتي يعقدن الأسحار وينفثن فيها مع طقوس شيطانية مشوبة بالاضطراب والتقلب، وقد تناول الشاعر نفث الساحرات ليوضح معنى النفث وما يرافقه من اضطراب،ليدلل على مدى ما أصاب قلبه من قلق واضطراب وهياج بسبب حبه لسعدى المالكية.

---

1 سورة البقرة آية 179
2 ديوان بشار ج3 ص70
3 سورة الفلق آية 4
4 شرح ديوان بشار ج3 ص70

وقد أشار بشار إلى عقد السحرة في موضع آخر [1]:

أحورَ عَبّى لَنا حَبائِلَهُ بالحُسن لا بالرُقى وَلا العُقَدِ

فبشار ينفي أن يكون تأثير محبوبته متأتيا من السحر والنفث في العقد، بل هو حسنها وما اكتسبته منصفات تجذب الرجال لها، مشيرا إلى معنى " النفاثات في العقد " لكنه ينفي استخدامها له في جلب المحبوب.

ويقول بشار [2]:

يا صاحِبَيَّ دَعا لَومي وَتَفنيدي فَلَيسَ ما فاتَ مِن أمرٍ بِمَردودِ
ما لِلفَتى غَيرُ ما أعطى الإِلَهُ وَما يَمنَع فَذَلِكَ شَيءٌ غَيرُ مَوجودِ

يصور بشار وجده بمحبوبته (حبى)، ويشتكي لوم أصحابه له،فيقول لهم إن هذا أمر قد قضاه الله و قدره عليَ فما أعطاه الله للفتى فذلك واقع لا دافع له، وما يحرمه فهو غير موجود لا يحصل بالتمني و الإرادة، فالعطاء والمنع من الله عز وجل وهو في هذا المعنى يتناص مع الآيات الكريمة التي تدلك على عطاء الله ومنعه يقول تعالى(اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ)[3] فبسط الرزق وتقديره من الله عز وجل،وما يمنعه عن احد فلا وجود له، وقال تعالى " وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ "[4]،فالضر والنفع من الله عز وجل لا راد لأمره.

والشاعر في استلهامه لهذا المعنى من الآيات يحاول أن يبرر لمعناه الذي يُحاجّ به صاحبيه، فإضفاء نزعة شرعية على خطابه إياهم بعد لومهم يسد عليهم باب اللوم والمماطلة فيه.

ويقول بشار[5]:

أشتَهي قُربَها عَلى العُسر وَاليُسـ ـر وَعِندَ الضِيا وَيَومَ التَنادي.

---

1 ديوان بشار ج3 ص66
2 ديوان بشار ج2 ص203
3 سورة الرعد آية 26
4 سورة يونس آية 107
5 ديوان بشار ج2 ص180

يذكر الشاعر مدى حبه وتعلقه بمحبوبته (حبى) حيث إنه لا يمل لقاءها في كل حين سواء أكان في حال فرح وسرور وبسط حال، أم كان في ضيق وإعسار، بل إنه يشتهي لقاءهـــا يـــوم فزع الناس من قبورهم يومالقيامة يوم التنادي.

والشاعر اخذ من أسماء القيامة (يوم التنادي) متناصا من قوله تعالى"وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَـــافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ "[1] وهو اليوم العظيم الذي تكشف فيه حقائق الأشياء ويُنادى كل إنسان بعمله.

فبشار يستدعييوم القيامة ليبين مدى رسوخ حبها في قلبه فهو محب مخلص لها في كـــل وقت وحين.

ثم يتناص مع معنى قرآني آخر في البيت الذي يليه مصورا فيه شوقه ووحدته كالمجاهـــد الصابر الذي بلغ أعلىالدرجات بما يقدمه من تضحيات، ومعلوم أن مصطلح الجهاد مـــصطلح قراني شرعي، يقول[2]:

قُل لَها يا فُريرُ إِنّي مِنَ الشَو ق إِلَيها وَحِدَّتي في جِهادِ

ويقول بشار[3]:

لا تَعجَل الأمرَ قبلَ مَوقِتِهِ ما حُمَّ آتٍ وَالنَفسُ في كَبَدِ

يذكر الشاعر نصيحة أحد أصحابه له إذ يقول له لا تكن عجولا في أمورك وتـــأنَّى، ولا تحاول أن تحصل على الشيء قبل مجيئه؛فكل ما قدره الله عز وجل آت بأجل مسمى، لكن النفس جبلت على التعب و المشقة.

وبهذا المعنى يتناص مع القرآن الكريم؛ففي الشطر الأول يتناص مع قوله تعـــالى (خُلِـــقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ)[4] فالشاعر استشف معنى العجلة والإسراع الذي جبل عليه الإنسان المـــذكور في الآية الكريمة وضمنة بيته؛ فكان الشاعر ينبه المخاطب مجانبة هذه الجبلة التي فطر عليهـــا الناس استئناسا بالآية الكريمة.

---

1 سورة غافر آية 32
2 ديوان بشار ج2 ص180
3 ديوان بشار ج2 ص 182
4 سورة الأنبياء آية 37

وفي الشطر الثاني يتناص مع قوله تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " [1]فالآية تشير إلى أن الإنسان خلق في " نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة "[2]، فبشار يستحضر هذا الوصف من الآية الكريمة ليعلل تعجل بعض الناس لما قدره الله لهم.

ويقول بشار [3]:

غَبِيُّ العَينِ عَن طَلَبِ المَعالي وَفي السَوآتِ شَيطانٌ مَريدُ

يهجو بشار ابن قزعة (المكنى بأبي يحيى) فيصفه بقصر النظر لا يعمل إلا في سفاسف الأمور ولا يرتفع إلى طلبالمعالي، وإذا جاءه أمر فيه شر ومفسدة تجده يتحايل مستخدما كل ذكائه فيالوصول إلى ما يريد وكأنه شيطان مريد.

ووصف المهجو بشيطان مريد فيه تناص مع قوله تعالى عن الشيطان الرجيم (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَاناً مَرِيداً)[4]، فإبليس وصف بشيطان من " شطن، أي: بعد، سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة،[5]" وهو مريد " أي متجرد من كل خير لا خير فيه البتة"[6] وهذا الوصف أراد بشار أن ينقله لابن قزعة لأنه يراه متصفا بالخبث والشر الشديدين مما يجعله ذلك مبرَّزا في كل أمر سيء خافت الصيت والذكر في معالي الأمور ومكرماتها، وهو نفس الوصف المتصف به إبليس لعنه الله[7].

فالغاية من التناص هو التنفير من المهجو ابن قزعة وبيان قبح فعلته وما يطمح إليه منالشرور والمفسدات.

ويقول بشار [8]:

وَلا يَدفَعُ المَوتَ الأَطِبّاءُ بِالرُقى وَسَيّانِ نَحسٌ يُتَّقى وَسُعودُ

---

1 سورة البلد آية 4
2 تفسير الجلالين ص 808
3 ديوان بشار 19 /3
4 سورة النساء آية 117 وفي الآية الأخرى " وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ " الحج آية 3
5 معالم التنزيل، أبو محمد البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع ط. 4، 1997 م ج 1 ص83
6 أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط.5، 2003م ص ج3 ص 450
7 يقول الرازي " فلا جرم سمي كل متمرد من جن وإنس ودابة شيطاناً لبعده من الرشاد والسداد، قال الله تعالى: {وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نَبِىّ عَدُوّا شَيَـاطِينَ الانس وَالْجِنّ} (الأنعام: 112) فجعل من الإنس شياطين" ((تفسير الفخر الرازي،: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي(ج1 ص 39))
8 ديوان بشار ج2 ص162

يتحدث الشاعر عن بعض الحكم التي اكتسبها في حياته، فيقول إن الموت إذا حل بالإنسان لا راد له، وهو واقع لا تدفعه رقية راقٍ،ثم يوضح حكمة بان ما هو مكتوب على الإنسان لا بد مصيبه سواء كان ذلك خيرا أم شرا.

وهو في تصويره لدفع الموت بالرقى يتناص مع قوله تعالى (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) [1]. فطلبه الرقي في تلك الحالة لا ينفعه شيئا، والموت واقع عليه لا دافع له.

ويقول بشار[2]:

يَصدُقُ في دينِهِ وَمَوعِدِهِ نَعَم وَيُعطى النَدى عَلى كَذِبِه

يتناص مع قوله تعالى " وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ "[3]،فالشاعر يثني على ممدوحه حيث إنه يعطي الجوائز و الهدايا التي يعد بها، و أن موعده نافذ فلا يخلفه، و الخليفة يكرمه بالعطايا على كذبه، و المراد بالكذب شعره الذي يشتمل على المبالغات و التجاوز، و هذا ما عبرت عنه الآية " وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ" فالشاعر لا يُصدَّق كل كلامه و لا يُحمل محمل الجِد، ففيه من الخيال و مخالفة الواقع الكثير.

فبشار تشرب معنى الآية التي تذكر تجاوز الشعراء و كذبهم،و نقله إلى شعره حيث إنه من عداد الشعراء و يحمل التجاوزات مثلهم.

وهذا من تناص المعنى حيث يحمل الشاعر معنى الآية و يتشربه و يضمنه بيته خادما المعنى المراد شعريا

ويقول بشار[4]:

لَعَلَّكَ تَرجو أن تَعيشَ مُخَلَّداً أبى ذاكَ شُبّانٌ لَنا وَكُهولُ

يحاول بشار أن يرجع إلى ربه ويزهد في الدنيا ويعترف بأنها زائلة فانية وهي جديرة بان تكون مبغوضة؛ فيسال نفسه أتريد أن تعيش خالدا في الدنيا، لكن هذا مستحيل فالخلود غير ممكن، كيف ونحن نرى عجلة الحياة تسير؛ فنرى الصغير يكبر حتى يصبح كهلا إلى أن توافيه المنية، فهذا كله يدل على عدم خلود الإنسان.

---

1 سورة القيامة آية 26 /27
2 ديوان بشار ج1 ص184
3 سورة الشعراء آية 224_ 226
4 ديوان بشار ج4 ص173

وهذا التشكيل في مسيرة عمر الإنسان من الولادة إلى الموت يتناص فيه مع الآيات الكريمة التي تبين المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان، قال تعالى " ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ..." [1]

فالحياة تسير من الطفولة إلى الشباب إلى الرجولة إلى الكهولة إلى الموت فلا خلود في الدنيا، ويقول تعالى "... ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً "[2]

فتناص بشار يكمن في أن تطور نمو الإنسان من طفولة إلى شباب إلى شيخوخة يدل على الفناء وعدم الخلود، فاستثماره لمضمون الآيات يريد أن يحاجج به نفسه لترعوي وتعرف حقيقة الوجود.

ويقول بشار [3]:

أعيذُكَ بالرَحمَنِ مِن دَحسِ حاسِدٍ تَنامُ وَما نامَت بِلَيلٍ عَقاربُه

يتناص مع قوله تعالى " وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ "[4] فبشار يعوّذ الممدوح من شر الحساد الذين يكيدون له ليلا نهارا وهوفي غفلة عنهم؛ فالحاسد تبقى جمرة حسده كل الليل،والممدوح في غفلة لا يعلم شيئا.وقد استخدم بشار أسلوب النصح لهذا الممدوح من خلال التناص مع الآية الكريمة التي يستعاذ بها من شر الحاسد،" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)"[5].

وهذا فيه لفت نظر له وتنبيه على خطر الحساد حيث يقرع صدى هذه الآية في أذنه، فبداية البيت جاءت " أعيذك " وفي الآية " قل أعوذ برب.."، فالإعاذة فيها دفع ورد لشر هذا الحسد، وفي البيت " من دحس حاسد..."، وفي الآية " ومن شر حاسد إذا حسد " والدحس هو الإفشاء وهو من الشر، فالحاسد فيه مجمع الشر والفساد، وبه يظهر مدى التقارب اللفظي في التناص مع إرادة المعنى المذكور في الآية.

---

1 سورة الحج آية 5
2 سورة غافر آية 67
3 ديوان بشار ج1 ص267
4 سورة الفلق آية 5
5 سورة الفلق آية 1/ 5

ويقول بشار [1]:

فأصبَحَ عَيشُنا فيها تَوَلّى وَهَل لِلعَيشِ في الدُنيا خُلودُ

يتحدث الشاعر عن عيشه في هذه الدنيا وعن لياليه التي يمضيها لكنه ما يلبث أن يصور زوال هذا الرغد من العيشوتوليه عنه؛ فيعزي نفسه بأن هذه الدنيا لا يخلد فيها أحد فكل شيء فيها فانٍ وزائل، وهو في هذا الشطر يتناص مع الآيات الكريمة التي تبين حتمية الموت وان الدنياليست بدار خلود كقوله تعالى(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) [2] فكل هذا العيش الذي تراه، صائر إلى زوال.

وكذا قوله تعالى" وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ " [3] فالموت والفناء مكتوبانعلى الجميع بمن فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الخلق فكيف بمن دونه منزلة.

يمتص الشاعر معاني هذه الآيات الكريمة لمعالجة ما يختلج ما في نفسه من ضيق وهم بسبب بعد المعشوقة عنه؛ فهو يريد أن يواسي نفسه بكل الطرق، ولذلك انتبه إلى معنى الفناء وعدم الخلود فكل شيء زائل فلا مبرر لكل حزنه وضيقه هذا ولذلك أتبع بيته هذا بدعائه أن يُنزَع الحب من قلبه على طريقة أهل الغرام يقول[4]:

وَلَمّا قَرَّبَت لِبُكورِ ثَني جِمالُ الحَيِّ فَانقَعَرَ العَمودُ

ويقول بشار [5]:

أتُظهِرُ رَهبَةً وَتُسِرُّ رَغباً لَقد عَذَّبتَني رَغباً وَرَهبا

يخاطب الشاعر قلبه الذي أضناه حب خليلته (حبى العامرية)، الملقبة بخاتم الملك،فيقول له إن ظاهركالرهبة،و الخوف،و الخشية من حب حبّى و باطنك و سريرتك الرغبة في الوصول إليها،فأنت تعذبني بين رغبتك حينا و رهبتك حينا آخر.

والشاعر في أخذه معنى المزاوجة بين الرغبة و الرهبة نجده يتناص مع قوله تعالى عن الأنبياء و المرسلين " إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

---

1 ديوان بشار ج3 ص16
2 سورة الرحمن آية 26
3 سورة الأنبياء آية 34
4 ديوان بشار ج3 ص16
5 ديوان بشار ج1 ص191

" [1] فحال الأنبياء المزاوجة بين الرغبة فيما عند الله من الخير و الجزاء، و الرهبة فيما عنده من عذاب و عقاب.

فبشار يستشعر هنا الحالةالتي صورها الله تعالى لقلوب أنبيائه و يوظفها في مشهد آخر مغاير، وهو رغبة القلب و رهبته في مسلك الحب، و كأنه يرى في ذلك دلالة على الرجوع لفطرة القلب السليمة التي تسير به بين رغبة و رهبة، وهو يريد بهذا أن يشعرنا بأن حبه صادق خالص يستخدم مختلف الوسائل للالتصاق بمحبوبته و القرب منها و إعطائها الوفاء الذي تستحقه.

ويقول بشار [2]:

اِدنُ مِنّي تَلقني ذا مِرَّةٍ ناصِحَ الجَيبِ كَريماً في الإخا

يقول بشار بيته هذا في معرض هجائه الباهلي مادحا نفسه فكل من دنا منه يلقاه صاحب شدة وبأس، وهو في حبه ناصح لا يجافي الناس كريم في صحبته.

ويظهر التناص في البيت في قوله (تلقني ذا مرة)،مع قوله تعالى حكاية عن جبريل عليه السلام (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) [3]، فالآية وصفت جبريل عليه السلام بأنه ذو مرة[4] أي ذو قوة و شدة، فالشاعر تشرب هذا الوصف الذي فيه المدح والثناء فنعت نفسه به.

ويقول بشار [5]:

وَراعَنا في ميمِهِ كافِرٌ خَليفَةُ الشَمسِ وَتستيرُ

يصف بشار مجلسه مع داود بن سليمان وقد صب له الخمر حتى أفرط في السكر؛ ففي هذه الحال يقول: أظلم علينا الليل وقد عبر عنه موريا بالكافر على لغة العرب، وقد خلف الليل الشمس فاستعان في مجلس الشرب بالليل والستر.

---

1 سورة الأنبياء آية 90
2 ديوان بشار ج1 ص158
3 سورة النجم آية 6/5
4 " والمرة، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة، تطلق على قوة الذات وتطلق على متانة العقل وأصالته، " التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط.1 2000م ص(ج27 ص 102)
5 ديوان بشار ج3 195

وهذا المعنى استقاه متناصا من قوله تعالى " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا "[1] فقد جعل الليل والنهار يخلف بعضها بعضا أي يعقب احدهما الآخر.

وتظهر جمالية التناص من خلال تحوير المعنى المراد من الظاهرة الكونية المساق وصفها في القران إلى خدمة مجلسه الذي يحصيه في اللهو و السمر، فتعاقب الليل والنهار به يدور فلك الحياة وبه يحضر الليل الذي هو موئل العشاق وأصحاب اللهو.

ويقول بشار [2]:

فَإِنَّهُ وَلَدٌ بَرٌّ بوالِدِهِ وَالبَرُّ يُخلَقُ مِنهُ الطُرفُ وَالتَلَدُ

يمدح الشاعر ابن المهدي موسى، وينصح أباه بان يجعله وليا للعهد لأنه يتصف بالبر بوالديه،والبر بالوالدين هو جماع الخير الثابت والمتجدد،فبشار يمتص معنى الآية الكريمة في قوله تعلى (وَبَرًّا بوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا) [3]،في وصف سيدنا يحيى عليه السلام.

التناص مع القصص القرآني:

ومن أوجه التناص التي استخدمها بشار مع النص القرآني، التناص مع القصص القرآني، بما تضفيه من توسعة دلالية على المشهد الذي يوظفها فيه، فالقصة القرآنية مليئة بالعبر والعظات والمشاهد التي تحتاج إلى طول تأمل وتفكر، والتناص معها يغني النص الشعري ويجعل منه موئلا لتقاطع الأحداث والعبر القصصية.

يقول بشار [4]:

حَدَّثتني العُيونُ عَنها فَحالَفـ ـتُ المُصَلّى أدعو إلَهي مُكِبّا
كَدُعاءِ المَكروبِ في لُجَّةِ البَحـ ـرِ يُنادي الرَحمَنَ رَغباً وَرَهبا

الشاعر يذكر معاناته وبلواه التي أصابته من جراء حب "عبده"، فقد تغلغل الحب إلى أحشائه، فلم يستطع تركها ولم يتقبل النصح بالابتعاد عنها، وفي هذا الجو القاتم وما يعانيه من هموم وبلوى التجأ إلى المصلى معتكفاً يدعو ربه منكباً يشبه دعاءه وحالته هذه بدعاء يونس عليه السلام متناصا مع قصته الواردة في القران الكريم؛ فقوله (كدعاء

---

1 سورة الفرقان آية 62
2 ديوان بشار ص 294
3 سورة مريم 14 وفي وصف عيسى عليه السلام " وَبَرًّا بوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا" مريم آية 32
4 ديوان بشار ج1 ص313

المكروب في لجة البحر) يقصد به يونس عليه السلام لأنه هو الذي وقع في البحر والتهمه الحوت وبقي في جوفه أمدا يدعو ويناجي ربه.

ودعاؤه الذي أشار إليه بشار مذكور في قوله تعالى (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[1]

فكأن بشار في تناصه ينعى حاله ويصورها بأنها بلغت من المشقة مثل بلوغ يونس عليه السلام حيث عاين هوج البحر،وما فيه من الظلمة، وما في جوف الحوت من وحشة، وهذا يصور مدى بلوغ المشقة في نفس بشار وما عاينه من كربات العيش.

يقول بشار[2]:

وَإن كُتِمَ السرُّ أفشَيتَهُ نَميماً كَما بَلَّغَ الهُدهُدُ

يتحدث الشاعر هاجيا حماد عجرد فيصفه بأنه لا يكتم السر وينقل الكلام بين الناس،ويسعى بينهم بالنميمة، وفي معرض تصويره لنقل الكلام يستحضر قصة الهدهد مع سيدنا سليمان فيوظفها لخدمة فكرته متناصاً معها بقوله: (كما بلغ الهدهد).

فهو أراد أن يعبر عن صفة حماد بأنها كحال الهدهد عندما نقل ما رآهمن مشاهد في مملكة سبأ واخبر بها سيدنا سليمان عليه السلام، فهو بهذا الاعتبار كأنهأصبح مثلا في نقل الكلام وإفشاء السر.

والقصة التي تناص معها بشار هي المذكورة في قوله تعالى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)[3] فالهدهد رأى ما في مملكة سبأ حيث تقودهم بلقيس،وهم يعبدون الشمس، فنقل خبرها لسيدنا سليمان عليه السلام فهو بهذا الاعتبار مثال على نقل الأخبار التي يترتب عليها حوادث كبرى، وهذا هو الذي أراد بشار تصوير حماد به حيث وصفه بنشر الأخبار وإفساد الأسرار مما يترتب عليه شرور كثيرة.

---

1 الأنبياء آية 87
2 ديوان بشار ج3 ص234
3 النمل آية 20 /23

ويقول بشار [1]:

فإن جَزَوكَ بشُكرٍ فالوَفاءُ بهِ وَإن جُحِدتَ فعادٌ قبلَهُمُ جَحَدوا

يمدح الشاعر المهدي ويذكر فضله ونسبه، وأن أفضاله عامة لا تكاد تجد أناسا إلا له ولأخواله نعمة عليهم؛ فهو جواد كريم يشيع جوده في كل مكان، فحال هؤلاء المتفضل عليهم إما الشكر، لأنه أهل لهلعظيم عطائه،وإما النكران والجحود،وهذا ديدنالهالكين، وسبيل الأقوام الفاسدة البائدة.

فعاد القبيلة المعروفة مع ما كانت فيه من نعم ذكرها الله عز وجل (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ{128} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ{129}... وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ{132} أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ{133} وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ{134}[2] " إلا إنها لم ترع حق النعمة، ولم تقم بالشكر لله عليها فكفروا بنعمة الله، و جحدوا آياته وصدوا عن سبيله، فيريد بشار من خلال التناص مع قصة عاد وما آلت إليه حالهم أن يبين أن لجاحدي فضله أسلافا من الأمم السابقة. ويظهر التناص من خلال ذكره لجحود عاد،وهو المذكور في قوله تعالى(وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)[3].

وموازنة الشاعر بين جحود بعض الناس لنعم المهدي مع جحود قوم عاد لنعم الله عز وجل يضفي مبالغة في الإطراء على ممدوحه المهدي،فإن جحود نعمته سلوك مشين يستحق القدح والذم إذا ما وازنا ذلك بما استحقته عاد من هلاك ودمار بسبب جحودها لنعم لله عز وجل. فاستلهام الشاعر التناص في هذا السياق يعطيه سعة في المعنى ويهتضم به مشاهد طويلة من خلال اختزال قصة عاد الوارد في القران وتوظيف سياقها لمدح المهدي، وفيه شدة إنكار على الذين ينكرون نعم المهدي، وما قدمه من خير ومعروف في صروف متعددة.

ويقول بشار [4]:

وَاِعضُد أخاهُ بهِ لا تَترُكَنَّهُما كَساعِدٍ مُفرَدٍ لَيسَت لَهُ عَضُدُ
فقد سَمِعتَ بموسى حينَ أفظَعَهُ وَعيدُ فِرعَونَ لَو يَأتي بما يَعِدُ
حَتّى اِستَمَدَّ بهارونٍ فَآزَرَهُ فَمِن هُناكَ أتاهُ النَصرُ وَالمَدَدُ

---

1 ديوان بشار ج2 ص288
2 الشعراء آية 128 _ 134
3 هود: آية 59
4 ديوان بشار ج2 ص295

يذكر بشار نصحه للمهدي في تعامله مع أبنائه؛ ناصحا أن تكون ولاية العهد لابنه الهادي وان يكون أخوه هارون عضدا ومساعدا له، فبجماع الاثنين تجتمع الكلمة ويقوى سلطانهما. وهو في أثناء ذلك يستحضر قصة سيدنا موسى عليه السلام، فبعد أن أصابه الخوف والرهبة بما وعده به فرعون (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) [1]عضده الله بأخيه هارون؛ فعاونه وحمل معه أمانة المسؤولية،فبشار يتناص مع هذا الموقف، وهو المذكور في الآية الكريمة (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31)...قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36)[2] وقوله (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ)[3]

فكان هارون عضدا لأخيه، يساعده في إيصال رسالة ربه (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً) [4]ويحمل معه أعباء الرسالة (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)[5] فهارون كان معينا و مساعدا لموسى عليه السلام،وهذا المشهد الحاصل بينهما هو الذي أراد أن يوظفه بشار، إذ يرى أن معاونة هارون لأخيه الهادي فيقع نفع وخير لهما ولملك أبيهما.

وقد ساعد على توفيق هذا التناص تطابق الأسماء حيث إن وزير موسى عليه السلام هارون وأخو الهادي اسمه هارون، فأدى الاسم دورا توافقيا في نقل الصور الواردة عند موسى وأخيه هارون عليهم السلام إلى ابني الخليفة الهادي وهارون.

وقد أبرز بشار مشهد انتصار موسى عليه السلام بهارون (فمن هناك أتاك النصر والمدد) ليجسد معنى الانتصار و الظفر في عضد الأخوين بعضهما ببعض، وليكون دعامة مؤيدة لحديثه الذي ينصح به الخليفة الهادي.

ويقول بشار [6]:

حَسَدتَني حينَ أصبَتُ الغِنى ما كُنتَ إلّا كَابنَ حَوّاءِ
لاقى أخاهُ مُسلِماً مُحرماً بطعنَةٍ في الصُبح نَجلاءِ

---

1 القصص آية 20
2 طه آية 29 _ 36
3 القصص آية 35
4 القصص آية 34
5 الشعراء آية 13
6 ديوان بشار ج1 ص155

يشكو بشار من بعض العذال والحساد الذين يرون الغنى قد أحاط بـــه فحـــسدوه علىمـــا أصابه من نعمه،مستدعيا في هذه الحالة قصة آدم المذكورة في القران الكريم ويراها مماثلة لحاله مع حساده.

وقصة ابني ادم التي أشار إليها هي حسد قابيل لأخيه هابيل على ما أصابمن نعمة؛ فقتـــل أخاه ظلما واستكبارا،مع اجتناب هابيل وعدم مقابلته المثل بالمثل.

يقول الله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ...)[1]

فبشار يصور حالته بحال ابن آدم هابيل المظلوم المحسود على النعمة، ويـــصور حـــال حاسديه بابن آدم قابيل الحاسد الظالم القاتل،وهذا فيه دلالة على شدة تألمهوسخطه من فعلهم، فهم يحسدونه على نعمة الغنى ولا يتمنون له الخير مع أنه_كابن آدم _ لا يقابل الإساءة بمثلها، بـــل هو مسالم لم يسيء إليهم، وهذا ما ألمح إليه في البيت الثاني (لاقى أخاه مسلما محرما)، وهـــذا المراد بقوله (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَـــافُ اللَّـــهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) [2]فإيراد بشار لوصف هابيل هذا ليدلل به على أنه اتصف بهذه الصفات النبيلـــة التـــي جعلته يفوق حساده و يرتفع عن أخلاقهم.

إن تناص بشار مع قصة ابني ادم تدل على ثقافة بشار القرآنية ونهله من معينه، وتوفيقه في استلهام المعنى ووضعه في السياق الذي يخدم معناه، إن قصة ابني ادم تصور مفارقة بـــين طرفين، احدهما ذروة التسامح وسمو الأخلاق،وهو ما جعل نفسه متصفا به، وطرف آخر قمـــة الحسد والحقد والغل،وهو ما صور به خصومه،فإشارته لهذه القـــصة أعطـــى غنـــاء للـــنص، واختصر عليه كثرة الكلام المدلل على سمو خلقه ووضاعة خلق خصمه، وهذا عين الغاية مـــن التناص الموفق المثري للنص.

---

1 المائدة آية 27
2 المائدة 28 آية

التناص مع الحديث الشريف:

ظهر التناص مع الحديث الشريف عند بشار بن برد من خلال تلاقحه مع مجموعة من النصوص النبوية ممتصا دلالتها وموظفا لها في سياقات متنوعة، فمن ذلك قوله [1]:

وَإن تَعَلَّلتُ إلى زَلَّةٍ أكلتُ في سَبعَةِ أمعاءِ

يحاور الشاعر واحدا من حاسديه الذين يكيدون له، و يغبطونه على النعم التي أتاه الله إياها فيقول إني وقعت في زلة عن غير قصد و لم تعذرني وحملت فعلي على أسوأ المحامل و كأنك كفرتني، وقد عبر عن تكفيره الحاصل من حساده بقوله " أكلت في سبعة أمعاء "، لأن الكافر هو الذي يأكل في سبعة أمعاء، متناصا في هذا الوصف مع الحديث الشريف.

قال صلى الله عليه وسلم:"الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ "[2]،و في الرواية الأخرى أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام بعد أن أضاف كافرا، فشرب حلاب سبع شياه ثم أسلم من الغد فشرب حلاب شاة و لا يتم حلاب الثانية "[3]ز

يقول النووي ". قَالَ أَهْل الطِّبّ: لِكُلِّ إِنْسَان سَبْعَة أَمْعَاء: الْمَعِدَة، ثُمَّ ثَلَاثَة مُتَّصِلَة بِهَا رِفَاق، ثُمَّ ثَلَاثَة غِلَاظ. فَالْكَافِر لِشَرَهِهِ وَعَدَم تَسْمِيَته لَا يَكْفِيه إِلَّا مِلْؤُهَا، وَالْمُؤْمِن لِاقْتِصَادِهِ وَتَسْمِيَته يُشْبِعهُ مِلْء أَحَدهَا، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هَذَا فِي بَعْض الْمُؤْمِنِينَ وَبَعْض الْكُفَّار...، وَالْمُخْتَار أَنَّ مَعْنَاهُ بَعْض الْمُؤْمِنِينَ يَأْكُل فِي مِعًى وَاحِد، وَأَنَّ أَكْثَر الْكُفَّار يَأْكُلُونَ فِي سَبْعَة أَمْعَاء، وَلَا يَلْزَم أَنَّ كُلّ وَاحِد مِنْ السَّبْعَة مِثْل مِعَى الْمُؤْمِن. وَاَللَّه أَعْلَم "[4]

و به يظهر المغزى الذي أخذه بشار من الحديث وهو الإشارة إلى تنزيل حاسده له منزلة صفة الكافر على ما يقع فيه من زلة، و الإشارة إلى معنى الكافر بهذه الصياغة (الأكل في سبعة أمعاء) يدل على تعمق بشار في الاهتمام بالنصوص الشرعية و دقته في توظيفها، كذلك يدل على حسن الإشارة و الإلماح في مراده دون التصريح، و هو أبلغ في مراده، فضلا عن أثر تراكمات المعنى الذي يولدها المعنى المتناص.

---

1 ديوان بشار 155 / 1

2 متفق عليه:خرّجه البخاري في «صحيحه»(ج ص72)،ومسلم في «صحيحه» (ج3 ص1632)

3 أخرجه البخاري(ج ص 72)مختصرًا،ومسلم (ج 3 ص 1632)

4 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط. 2، (ج14 / ص24)، وقد ذكر ابن حجر–رحمه الله– في«الفتح» تحقق: عبد العزيز ابن باز وآخر، دار الفكر، بيروت، 1379 (مصور عن الطبعة السلفية)،(ج 9 ص 538وما بعدها)أقوالاً كثيرة وخلاصتها: أن العدد غير مراد إنما هو للمبالغة،والمراد أن من صفات المؤمن الزهد في الدنيا، والتقلل منها بخلاف الكافر والأحاديث الحاثة على التقلل من الدنيا لا سيما الطعام مشهورة.

ويقول بشار [1]:

ريقُ سُعدى يا اِبنَ الدُجَيلِ الشِفاءُ فاِسقِنيهِ لِكُلِّ داءٍ دَواءُ

يتحدث بشار عن وجده وولهه بسعدى، فقد تعدى ذلك إلى جعل ريقها الشفاء له من الأسقام التي تلم به من أثر الحب والعشق، فَريق سعدى يطفئ حرارة الحب ويتغلغل في خلجات الجسم فيرجعه إلى صحته،و في إعطائه هذا المعنىيحاجج بأن لكل مرض ووجع دواء يستطب به ومرضه لا يجد له دواء إلا ريق سعدى.

و في محاججته هذه يتناص مع الحديث الشريف (تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ)[2].

فالحديث يشير إلى التوجيه النبوي للتداوي لأن ما من داء وجد في الأرض إلا تكفل الله عز وجل بأن يوجد له دواء.، وهذا هو المعنى الذي استلهمه بشار وضمنه بيته فهو يريد أن يثبت أن جميع الأدواء لها علاج، ولأن حالته قد اشتدت عليه ولم تعالجها الأدوية الحسية المعروفة فإنه يعرف علاجها وهو ارتشاف ريق سعدى. فمرضه معنوي ناتج عن وجده وعشقه وليس حسيا.

ويقول بشار [3]:

وَإِنّي لِمُستَشفي عُبَيدَةَ إِنَّها بِدائي وَإِن كاتَمتُهُ لَطَبيبُ
كَقارورَةِ العَطّارِ أو زادَ نَعتُها تَلينُ إِذا عاتَبتُها وَتَطيبُ

يصور بشار وجده وعشقه بعبيدة إذ إنها علة مرضه؛ فهو وإن حاول كتمه عنها فهي الطب له،ويصورها بمثل قارورة العطار بل هي أجمل تلين له إذا عاتبها وتطيب.

ووصفه المرأة بالقارورة يتناصفيه مع الحديث النبوي الشريف عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له فحدا الحادي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه:(يَا أَنْجَشَةُ،رِفْقًا قَوْدًا بِالْقَوَارِيرِ)[4].

---

1 ديوان بشار ج1 ص 138

2 أخرجه أحمد في مسنده تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط.1، 2001 م(ج30 ص 398)

3 ديوان بشار ج 1 ص 206

4 أخرجه البخاري في مواطنَ أولها(ج8 ص 35)،ومسلم(ج 4 ص 1811)." وَقَالَ الرَّامَهُرْمُزِيّ: كَنَّى عَنْ النِّسَاء بِالْقَوَارِيرِ لِرِقَّتِهِنَّ وَضَعْفهنَّ عَنْ الْحَرَكَة، وَالنِّسَاء يُشَبَّهْنَ بِالْقَوَارِيرِ فِي الرِّقَّة وَاللَّطَافَة وَضَعْف الْبِنْيَة " فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ص (ج 10 ص 545)

ووصف النساء بالقوارير نابع من كون المرأة ضعيفة، فهي كالقارورة تتكسر بسهوله، فيحتاج أن يتم التعامل معها بلطف ولين.

وتشبيه المرأة بالقارورة استله بشار من الحديث مع انه لم يكن معروفا عند الشعراء، كما قال أبو قلابة لأهل العراق: (فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ-ﷺ-بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ، قَوْلُهُ: «سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ» [1])[2].

يدل هذا على تشبع بشار من النصوص النبوية وأنه يستخدمها في سياقها الذي تخدم فيه المعنى المراد. حيث إن بشارا يخاطب محبوبته عبيدة بلطف ورقة وينتقي لها أجمل العبارات ليقوي روابط العلاقةبينهما.

ويقول بشار [3]:

أنفِق المالَ وَلا تَشقَ بِهِ خَيرُ دينارَيكَ دينارٌ نَفَق

يحث بشار على إنفاق المال و عدم اكتنازه بحيث يكون متداولا بين الناس لا يبقى محجورا عند صاحبه، و يذكر فضيلة إنفاق المال، و إن أفضل ماله الذي ينفقه و لا يحجر عليه.

و هذا الحديث من بشار ظاهر فيه التأثر الديني سواء أكان نصوصا قرآنية أم من السنة النبوية، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» [(4)]. " و في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا:اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا »[(5)].

و في حديث ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-:« أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »[(6)]..

---

1 أخرجه البخاري (ج 8 ص 35)،واللفظ له،ومسلم(ج4 ص 1811)
2 فتح الباري ج (10ص 545)
3 ديوان بشار ج4 ص135
(4)أخرجه البخاري في مواطن منها(ج7 ص 62)،و مسلم (ج2 ص 690).
(5) أخرجه البخاري(ج2 ص 115)،ومسلم (ج2 ص 700).
(6)أخرجه مسلم(ج2ص691)،وغيره.

فبيت بشار يتناص فيه مع الأحاديث من حيث المعنى، فقد نظر إلى معنى الحث على الإنفاق فيها و طرزه في بيته حاثا على الإنفاق ودالا على أن خير المال هو المال المنفق وهو الجدير بالذكر و الثناء لأنه هو الباقي وفي حديث عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-:–« مَا بَقِي مِنْهَا »؟. قَالَتْ مَا بَقِي مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا؟. قَالَ « بَقِي كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا »[1]. يعني أن البقاء الحقيقي هو المتصدق به لأنه مدخر ليوم القيامة.

و مع أن جلاء التناص ظاهر في المعنى إلا أنه قد أدخل بعض العبارات المتناصة من الأحاديث كقوله (انفق المال) ففعل الأمر (انفق) ظاهر التكرار في الأحاديث النبوية و الآيات الكريمة و قوله (خير دينارك) فذكر الدينار في الإنفاق ظاهر في الحديث السابق (أفضل دينار ينفقه..).

ويقول بشار [2]:

ماذا تقولينَ لِرَبِّ العُلا إذا تَخَلّيتِ بِهِ وَحدَكِ

يخاطب بشار محبوبته عبده ذاكرا مغامراته معها ويطلب منها أن توفي بما تعده به مذكرها بمشهد وقوف العبد بين يدي الله عز وجل يوم القيامة عندما يناجيه ويذكره بما عمل في الدنيا.

وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى أن هذا المعنى يتناص فيه مع الأحاديث النبوية يقول: (يشير إلى ما ورد في الحديث الصحيح في المناجاة بين الله تعالى والعبد يوم القيامة حين يسأله عن ذنوبه سرا ويستره في ذلك الملأ)[3].

والحديث الذي أشار إليه الطاهر هو حديث ابن عمر –رضي الله عنهما–: عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ لاِبْنِ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ-يَقُولُ فِي النَّجْوَى قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « يُدْنَي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ:هَلْ تَعْرِفُ؟.

- فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ.

---

(1)أخرجه أحمد في«مسنده»(ج40 ص 286)،،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض ط.1996،1 م (ج6 ص 97)

2 ديوان بشار ج4 ص147

3 ديوان بشار ج4 ص147

-قالَ فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ؛فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ »[1].

فهذا الحديث يدلل على أن العبد يخلو بربه يوم القيامة فيعرفه بحسناته وذنوبه، وهذا المعنى الظاهر في الحديث هو الذي امتصه بشار وضمنه بيته ليكون وسيلة إقناع لمحبوبته أن تطيع أمره ولا تعصيه فإنَّ أذاها له ستسأل عنه يوم القيامة في وقت خلوها مع رب العزة.

إن الشاعر بفهمه العميق للنصوص الدينية استطاع أن يوظف النص النبوي الوعظي بنقله إلى موضوع العشق والحب.

ويقول بشار [2]:

أنسٌ غرار ما هَمَمنَ بريبَةٍ كَظِباءِ مَكَّةَ صَيدُهُنَّ حَرامُ

يتحدث بشار عن نسوة يميل إليهن فيصفهن بالأنس وطيب الحديث،ولم يحصل منهن شبهة وريبة تقدح فيهن، ويشبه عدم استطاعة الحصول عليهن بظباء مكة التي يحرم صيدهن،لأن صيد الحرم معلوم حرمته، فهؤلاءالنسوة يمنع اقتناصهن كما يمنع صيد حيوانات الحرم

وهو في إعطاء منزلة هؤلاء النسوة التفت إلى معنى ديني فأضفاه عليهن في إطار تشبيهي، وهذا المعنى الديني يتناص معه بشار في عدة أحاديث نبوية منها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَوْمَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ « لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ». وَقَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ « إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ وَلاَ يَلْتَقِطُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا ». فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ. فَقَالَ « إِلاَّ الإِذْخِرَ »[3].

---

(1)أخرجه البخاري(ج3 ص 128)ومسلم (ج4 ص 2120)،واللفظ له.

2 ديوان بشار 212 /4

(3)متفق عليه:البخاري(ج2 ص 147)،،ومسلم: (ج2 ص 986)واللفظ له

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ سَلَمَةَ الضَّمْرِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَهْزٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- مَرَّ بِظَبْيٍ فِيهِ سَهْمٌ، وَهُوَ حَاقِفٌ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ -ﷺ-رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: " قِفْ هَاهُنَا حَتَّى يَمُرَّ الرِّفَاقُ لَا يَرْمِيهِ أَحَدٌ بِشَيْءٍ»[1].

دل الحديثان على حرمة الصيد في مكة.

وهذا المعنى الشرعي الذي ورد بشأن مكة وحرمتها أراد بشار بتناصه أن ينقله إلى هؤلاء النسوةإذ إنهن عنده عظيمات مهابات لا يقربن، أو بمعناه لا يصدن كما لا تصاد الظباء.

و اختيار بشار لصنف الظباء اللاتييحرم صيدهن في مكة مع أن الحرمة تعم الجميع لمناسبة ذكر النسوة قبل، فإن النساء يشبهن في جمالهن بالظباء.

ويقول بشار [2]:

كُلُّ اِمرئٍ تاركٌ أحِبَّتَهُ وَصائِرٌ تُربَةً مِنَ البَلَدِ

يواسي الشاعر نفسه في ترك محبة سليمى، حيث يعطي نفسه جرعة زهد ليخفف من تبعات هذا الحب، ولذلك يدعو نفسه أن تتعظ بالموت كما في البيت السابق (والموت دانٍ..) وهو في هذا البيت يركز على معنى مفارقة الأحباب، وأنه لا بد أن يترك الإنسان أحبته فمصيره الموت مفرق الجماعات وهادم اللذات، وفي قوله (كل امرئ تارك أحبته) يتناص مع الحديث النبوي الشريف عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: قَالَ لِي جَبْرَائِيلُ: «يَا مُحَمَّدُ، أَحِبَّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ...»[3].

فالحديث يزهد في بهارج الدنيا وزخرفتها ويدعو للاستعداد للآخرة وان الباقي يوم القيامة هو العمل الصالح وأن المحبة والعلاقات الرائجة بين الناس لا بد أن تنقطع بالموت، فلذلك على الإنسان أن يحرص على المحبة التي تقربه إلى ربه عز وجل.

وبشار يحاول تلمس هذه المعاني النبوية وتضمينها في بيته ليؤكد لمحبوبته أن حبه لها ليس كل شيء في حياته، فهي كما أنها تزهد فيه هو كذلك يعلم أن هذه المحبة لا بد زائلة.

---

(1)أخرجه مالك في الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – مصر ط.1 (ج1 ص 351)،وأحمد في«المسند»(ج24 ص 187)،.

2 ديوان بشار ج2 ص 182

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وآخر، دار الحرمين – القاهرة،ط.1، 1415هـ (ج5 ص 119)،،وأبو نُعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة – القاهرة،ط.1، 1974م (ج3 ص 202)، وحسنه الألباني في«الصحيحة»(ج2 ص 483وما بعدها).

وهكذا نرى بشارا يحمل المعنى الزهدي ويحاج به في سياق تصويره لحبه وعشقه لسليمى وهذا من نتاج الضنك الذي يصاب به المحبوب من جفاء المحبوبة وقسوتها فيلتجئ إلى المعاني الزهدية ليعالج ما ينتاب نفسه من قلق واضطراب يوشك أن يقضي عليه.

ويقول بشار[1]:

فقُلتُ لها ألقي الصَلاة وَأنثني شَفاعَةَ مَن يَأوي لِحَرّانَ مُقصَدِ

يذكر بشار محبوبته أم محمد المسماة (حمدة) وجلوسه معها حتى طلوع الفجر حيث طلبت منه الصغرى الصلاة، فأجابها أنني سألقي الصلاة واتركها لأنني سأعتمد على شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم التي خصها لأهل الكبائر فإنها ستشمله، وإشارته لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر فيها تناص مع الحديث النبوي الذي يذكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

فعنْ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ:«شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» [(2)].

فبشار يطمع أن يكون داخلاً في هذه الشفاعة، ولذلك اتخذ هذا الأمر تكية لتركه المحافظة على الواجبات من الصلاة وغيرها وانغماسه في الملذات من النساء و الخمر.

إن معرفة بشار بحديث الشفاعة والمحاجة به يدل على تشبع بشار بالنص النبوي الذي اتخذه أداة محاجّة لإقناع الخصم بصحة رأيه، مما يعطي أقواله قوة في الإقناع وقبول لدى المتلقي.

ويمكن أن يراد من قوله " وانثني شفاعة من يأوي لحران مقصد" (أنا شديد العطش والهيام بل مشرف على التهلكة، فإذا رحمتني ورقّ قلبك لي فإن رحمتك لي وأنا شديد العطش ستكون بها لك الشفاعة والمغفرة من ترك الصلاة ومحوه من الذنوب واثبتي الشفاعة والغفران لمن يأوي لحران مقصديشير بشار (متناصا) إلى ما ورد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن

---

1 ديوان بشار ج2 ص 205

(2)أخرجه الترمذي في جامعه، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط.1 (4/ 2436/625)، وصححه الألباني في صحيح الجامع،المكتب الإسلامي،بيروت، ط.3، 1988م (رقم 3714).

وقد درس الشيخ الألباني إمكانية دخول تارك الصلاة تحت الشفاعة في«سلسلة الأحاديث الصحيحة»(ج 7 ص 133وما بعدها) تحت رقم(3054)،

امرأة مذنبة رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد كاد يقتله العطش فنزعت له موقها (الذي تلبسه في رجلها لتملأ ماء)فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به[1]) [2].

ففي هذا المعنى يؤكد معنى الشفاعة للمرأة إذ إنها إذا أطفأت ضمأه و بردّت قلبه فإنها ستنال شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتظفر بالمغفرة وهذه المغفرة تغنيها عن الصلاة.

ويقول بشار [3]:

أيَشتُمُ عِرضي الباهِليُّ بِعِرضِهِ لَعَمرُكَ إنّي بَعدَها لَمُشَتَّمُ
أَلَيسَ مِنَ أشراطِ القِيامَةِ أن يُرى كَريمٌ يُلاحيهُ لَئيمٌ مُذَمَّمُ

يهجو بشار أبا هشام الباهلي ويبين أنه شتم عرضه مع أنه هو المستحق للشتم، بل وخاصمه وسبه على وجه فيه تعالٍ عليه، وهذا عند بشار من عظائم الأمور لأنه يرى أن الباهلي وضيع حقير جدير بأن يهان ويسب لا أن يتعالى ويسب من هم أعلى قدراً منه،و المقصود هنا بشار نفسه.

وفي هذين البيتين يتناص بشار مع الأحاديث النبوية التي تبين أن من أشراط الساعة أن يسود الوضيع الشريف، وأن يُتعالى على الكريم.

وقد ألمح، الطاهر إلى هذا التناص بقوله (ادعاء ذلك من اشراط القيامة مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع ابن لكع،رواه الترمذي)واللكع: اللئيم وذلك أن من لوازم سعادته في الدنيا ان يترفع على أضداده. أو من قوله صلى الله عليه وسلم (وكان زعيم القوم أراذلهم) رواه الترمذي أيضا، لأن الزعامة تقتضي الملاحاة)[4]

فبشار يشير إلى تمادي الباهلي عليه، وحال ترفعه هذا ينطبقعليه أخبار النبي صلى الله عليه وسلم التي تقع في آخر الزمان.

والاقرب من ذلك ما روي عنه -ﷺ- أنه قال:«لا تقوم الساعة حتى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظاً، والْمَطَرُ قَيْظاً،ويفيض اللئام الْمَطَرُ فَيْضاً، ويغيض الكرام غيضاً، ويجترئ الصغير على الكبير،

---

1 أخرجاه:البخاري(ج4 ص 173)،ومسلم واللفظ له:(ج4 ص 1761)
2 ديوان بشار ج 2 ص 205 /206 حاشية المعلقين
3 ديوان بشار ج4 ص 212
4 ديوان بشار ج4 ص 212

واللئيم على الكريم! »[1] فالموازين في آخر الزمان تنقلب فيتجرا سفهاء القوم على اشرافهم ويتمادون في غيهم لان المبادئ تتغير ويتغير مقياس الناس، فالشاعر يستشعر حاله مع الباهلي فيرى أن هذه الإمارات التي تحدث عنها النبي صلى الله عليه وسلم قد لحقها زمانه و مصداق ذلك ما يقع بينه و بين الباهلي.

يقول بشار [2]:

وَعِندَكَ عَهدٌ مِن وَصاةِ مُحَمَّدٍ فَرَعتَ بِها الأملاكَ مِن وَلَدِ النَضرِ

يمتدح بشار بن برد المهدي مثبتا الصفات النبيلة التي تجعله يستحق الخلافة، فيرى ان استحقاقه للخلافة ليس فقط بما يحمله من صفات خَلقية وخُلقية تؤهله لان يكون خليفة بل يرى أن النصوص الدينية تساند أمر ولايته للخلافة فهو مستحق للخلافة بطبعه وبما يحمله من شرعية دينية.

وبشار يراه هو المقصود بالأحاديث المذكورة عن المهدي الذي يخرج آخر الزمان، في قوله (وعندك عهد من وصاة محمد)، متناصا مع كثرة من الاحاديث التي تخبر عن المهدي منها:

«الْمَهْدِي من ولد العباس عمي»[3].، أو حديث ابن عباس أن رسول الله -ﷺ- دعا للعباس بدعاء قال فيه «واجعل الخلافة باقية في عقبه» »[4]..

---

(1)ضعيف:أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»(ج6 ص/ 284)،وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة،دار المعارف،الرياض،ط.1، 1992 م (ج13 ص/ 363).

2 ديوان بشار ج3 ص 284

(3)موضوع: أخرجه الدار قطني في الأفراد،تحقيق: جابر بن عبد الله السريع،ط.2012،1 م (ص26/37)،وابن الجوزري في«العلل المتناهية، تحقيق: خليل الميس،دار الكتب العلمية – بيروت،ط.1، 1403هـ (ج 2 ص855)،وابن عساكر في تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر،بيروت،ط.1، 1995 م(ج53 ص 414)، و حكم عليه الألباني بالوضع في«سلسلة الأحاديث الضعيفة»(1/ 80/180)،وقال الذهبي في تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي،بيروت،ط.1، 1987م (ج 10 ص 436):« تفردّ محمد بن الوليد، مولى بني هاشم. وقال ابن عديّ: كان يضع الحديث!».

(4)لا أصل له بهذا السياق: ذكر ابن الأثير الدعاء في جامع الأصول تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني،دمشق،ط.1972،1 م(ج 9 ص 23) ثم قال،وزاد رزين وذكر هذه الزيادة،وحكم عليها المخرِّج للكتاب عبد القادر الأرنؤوط بأنها منكرة.

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة،المكتب الإسلامي – بيروت ط.3، 1407،(ص 49):«رزين ابن معاوية العبدري ولقد أدخل في كتابه الذي جمع فيه بين دواوين الإسلام بلايا وموضوعات لا تعرف ولا يدرى من أين جاء بها وذلك خيانة للمسلمين».

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:

«إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ، فَأْتُوهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيَّ»[1]. وهذه الأحاديث لا يصح منها شيء فهي من اختلاقات العباسيين.

وبهذا نرى أن بشارا استلهم هذه النصوص التي يراها صحيحة موظفا إياها في مدحه للخليفة وهو بهذا يعطيه شرعية دينية في حكمه فهو أحق وأجدر بها، فهذا المدح المبطن بالنصوص المقدسة – برأيه – يعطي مصداقية أكبر في محاججة الخصم و ورد الشبهات المثارة من قبلهم.

ويقول بشار [2]:

إنَّ الخَليفَةَ ظِلٌّ يُستَظَلُّ بِهِ عالٍ مَعَ الشَمسِ مَحفوفٌ بأطوادِ

يمدح بشار المهدي ويبين منزلته الرفيعة؛ فالخليفة موئل يرجع إليه الناس وظل يستظلون به يضارع الشمس في شموخها.

وفي قول بشار " الخليفة ظل يستظل به " يتناص مع الحديث النبوي «السلطان ظل الله في الأرض مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ»[3]، فالحديث يبين أن الخليفة هو مرجع الناس في قضاء أمورهم وهو الحاكم بينهم، فهم يرجعون إليه في حاجاتهم وما يحدث معهم من حوادث فهو ظل الله في أرضه.

وكذلك تجب طاعته ولزوم أمره في المعروف، ولا يجوز الخروج عليه، ويجب إكرامه وعدم أهانته، وهذه المعاني الشرعية المنزلة على الخليفة المسلم العادل أراد بشار من خلال تناصه أن ينزلها على الخليفة المهدي إطراء ومدحاً له.

وهكذا نرى بشارا يوظف النص الديني في خدمة أغراضه المدحية حيث يأتي بالنصوص المتحدثة على خليفة المسلمين وحقوقه وينزلها على المهدي حتى يعطي شعره قبولا لكونه يأتي

---

(1)ضعيف أخرجه أحمد في المسند(ج 37 ص/70)، وقال ابن الجوزي في الموضوعات، دار الكتب العلمية ط.1 (ج2 ص 39):«هذا حديث لا أصل له...»،وضعفه الألباني في«الضعيفة»(ج 1 ص 195).

2 ديوان بشار ج 2 ص300

(3) أخرجه الترمذي(2224)،وأحمد(20433،و20495)، وقد استشهد لهذا البيت الطاهر ابن عاشور بالحديث بلفظ " السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده" وهو حديث موضوع، أخرجه البزار في مسنده،تحقيق: عادل بن سعد وآخرون، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة،ط.1، 1988م (ج 12 ص 17)،وغيره،وحكم عليه الألباني بالوضع في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»(ج2 ص69)

بالقول ودليله، فيضفي جمالا في المعنى مع إبراز الجانب الفني المتمثل في شبكة تلاقح النصوص وتمازجها لتعطي معنى متصارعا في الذهنيخدم الممدوح (المهدي) ويرفع قدره.

ويقول بشار [1]:

ألا يَخرُجُ الدَجّالُ إن كانَ خارجاً وَهَذا سُهَيلٌ صِهرُ موسى بنِ صالِح

يهجو بشار سهيل بن سالم البصري مستهجنا مصاهرته آل موسى بن صالح لأنه رجل وضيع لا قيمة له، وهو بمصاهرته هذه قد ادخل على أصهاره الذم والقدح.

ويعتبر بشار هذا الزواج من عجائب الأحداث فيشبهه بالأمور الجسام التي تحدث في الأمة وتغير مسيرها.

وللتدليل على فظاعة هذا الزواج يشبهه بخروج الدجال الذي يظهر آخر الزمان ويدلل على انتشار الفتن وقرب قيام الساعة.

واستلهام الشاعر معنى خروج الدجال وما يحدثه من أمور جسام يتناص فيه مع الأحاديث النبوية التي تشير إلى ذلك فمنها:

أخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " ألا أحدثكم عن الدجال حديثا ما حدثه نبي قط إنه أعور وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالذي يقول هي الجنة هي النار إني أنذركم به كما أنذر نوح قومه " [2]

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والطبراني والحاكم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من سمع منكم بخروج الدجال فلينأى عنه ما استطاع فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه مما يرى من الشبهات"[3]

فالدجال من أعظم المصائب التي يمتحن الله بها الناس، فيظهر به المؤمن الحق من الكافر والمنافق،قال ابن حجر (الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام

---

1 ديوان بشار ج 2 ص 144
2 أخرجاه:البخاري (ج 4 ص 134)،ومسلم (ج 4 ص 2250)،
3 أخرجه أحمد في «المسند»(ج33 ص 181)-

المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض)[1] فهو أول الفتن التي تخلخل حياة الناس وتمتحن نفوسهم.

ودلالة تناص بشار التفظيع والتهويل مصاهرة سهيل لآل موسى بن صالح وكأن تزوجه منذر بحصول الأحداث الجسيمة التي تفسد على الناس حياتهم.

إن استلهام بشار الحدث الغيبي المدلول عليه بالنص النبوي فيه انفتاح على ما يختزله هذا الحدث من معنى ودلالات تعيها النفوس المليئة بالثقافة الإسلامية وهو بهذا الاعتبار يكون قد أنكى هجاء في سهيل من سالم.

ويقول بشار [2]:

ألا ما لِقلبي لا يَزولُ عَنِ الهَوى وَقد زَعَموا أنَّ القُلوبَ تُقَلَّبُ

يتساءل بشار عن سبب بقاء قلبه لا يتزحزح عن العشق و الهوى، فهو ثابت مستقر في حبه لا يميل مع أن المعروف عن القلوب أنها تتقلب بين حين و آخر، و لا تبقى ثابتة فلماذا قلبي لا يتحرك و يتقلب من هذا الوجد و الهيام.

و في قوله " قد زعموا أن القلوب تتقلب " يتناص مع النصوص النبوية التي تشير إلى تقلب القلب و تغيره من حال إلى حال، ففي أثر أبي موسى الأشعري–رضي الله عنه–:

«إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ»[(3)]." وهذا يدل على حقيقة تقلب القلب، و يشبهه بالريشة بالفلاة في دلالة على على سرعة تقلبه و تغيره من حال إلى حال، وقد ورد تشبيه تغيره بغليان القدر في حديث الْمِقْدَادِ بْنُ الْأَسْوَدِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا»[(4)] .

و قد جاء التناص عند بشار موظفا ليبين عجبه من حال قلبه الذي آل إلى الثبات و عدم التقلب في حبه، فقد أخذ الوجد قلبه و تراكم عليه العشق و الهيام وهو يحاول أن يلتمس تغير

---

1 فتح الباري– تعليق ابن باز – (ج 11ص 353)

2 ديوان بشار 276 /1

(3) صحيح موقوفا:كما رجح الأرنؤوط في تخريج«مسند أحمد»(ج 32 ص 530)،وصححه الألباني مرفوعًا في،«صحيح الجامع الصغير»(رقم 2365).

(4)أخرجه أحمد في«مسنده»(ج 39 ص 238) والبزار في«المسند»(ج 6 ص 46)،وغيرهم،وصححه الألباني في «الصحيحة»(ج 4 ص 374).

حال قلبه من خلال إشارته إلى النصوص النبوية التي تؤكد تقلب أحوال القلوب لأنه ضاق ذرعا مما يلاقيه من عدم تحوله عن حب من يهواها.

يقول بشار [1]:

وَحِراثةُ التَقوى لِمُحتَرثٍ كَرَمُ المَعادِ وَما لَهُ حَسَبُه

هذه من الوصايا التي ضمنها الشاعر قصيدته؛ إذ يرشد إلى السعي الحسن والتزود من التقوى فهي نعم الزاد لراغب الرفعة وطالب المعالي، وهي نعم المكرم للعبد في معاده يوم القيامة ولو كان نسبه وضيعا، فان النسب إذا لم يقرن بالسعي الصالح فانه لا ينفع صاحبه شيئا.

وهو في هذا المعنى يستحضر حديثا يتناص معه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «...وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »[(2)]. ومعناه: مَنْ كَانَ عَمَله نَاقِصًا، لَمْ يُلْحِقهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَاب الْأَعْمَال، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَّكِل عَلَى شَرَف النَّسَب، وَفَضِيلَة الْآبَاء، وَيُقَصِّر فِي الْعَمَل)[3]،وهذا المعنى هو الذي يشير إليه بشار في بيته فهو يريد أن يحث على فضيلة العمل وأنه هو الرافع للعبد، فمن كان عملة صالحا فهو رافع لصاحبه ومن كان عمله مشينا مع حسن النسب فانه واضع لصاحبه مع صحة النسب.

وتضمين هذا المعنى من بشار يؤكد أهمية العمل وتأثيره في رفع العبد،فالأنساب لا تنفع وحدها،ولعل تأكيده هذا المعنى يرجع إلى النزعة الفارسية التي يعود نسبه إليها،والتي ينظر إليها البعض بالتحقير، وكذلك ليدافع عنه الموالي الذين نشا في أكنافهم وليؤكد على أحقيتهم بالرفعة بسبب عملهم،وأن ضعف النسب لا ينقص من قدرهم.

ويقول بشار [4]:

إذا لَم تَخشَ عاقِبَةَ اللَيالي وَلَم تَستَحي فَاِفعَل ما تَشاءُ

يرغب الشاعر في خلق الحياء والنظر في مآلات وعواقب الأفعال التي يقوم بها، فخلق الحياء هو المانع للنفس عن دناءات النفس وخوارم المروءة فهو حصن حصين للنفس، وإذا انتزع خلق الحياء من النفس فإنها لا ترتدع عن فعل أي شيء ترغبه.

---

1 ديوان بشار ج 1 ص276
(2)أخرجه مسلم (ج 4 ص 2074).
3 شرح النووي على مسلم – (ج 17 ص 22)
4 ديوان بشار ج4 ص 12

وهو في هذا المعنى يتناص مع الحديث الشريف عن أبي مَسْعُودٍ عُقْبَة، قالَ: قالَ النَّبيُّ-ﷺ:

«إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إذَا لَمْ تَسْتَحْي فَافْعَلْ[1] مَا شِئْتَ»[2].فالبيت متناص الحديث بلفظه ومعناه.

فمعنى الأمر في الحديث (فاصنع...) فيه وجهان للعلماء: الأول (أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد والمعني إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت فالله يجازيك عليه كقوله اعملوا بما شئتم إنه بما تعملون بصير وقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه)[3] وأمثلته متعددة.

والوجه الثاني " أنه أمر ومعناه الخبر والمعنى أن من لم يستح صنع ما شاء فإن المانع من فعل القبائح هو الحياءفمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر وما يمتنع من مثله من له حياء على حد قوله صلى الله عليه و سلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، فإن لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر وإن من كذب عليه يتبوأ مقعده من النار" [4].

وهذا التوسع في بيان معنى الحديث ينطبق على ما يريده بشار فهو ينفر من سوء الخلق وعدم الحياء لأن عدم الحياء ينتج عنه عدم التورع في فعل القبيح، والإقدام على مساوئ الأخلاق.

و كذلك التناص في اللفظ عن طريق استغلال الحديث وتضمينه بيته،ففي البيت (ولم تستحي فاصنع ما تشاء) وفي الحديث (إذا لم تستح فاصنع ما تشاء).

وقد نتج عن صياغة التناص إضفاء معنى التهديد والوعيد المتضمن لصياغة الأمر،وهذا ما أعطى قوة سبك في إيصال المعنى الذي يريد أن يبينه بشار.

ويقول بشار [5]:

وكَأنَّ تَحتَ لِسانِها هاروتَ يَنفُثُ فيهِ سِحرا

يذكر بشار تأثير حديث محبوبته في نفسه، فحديثها يفعل أفاعيل السحر من حيث الجذب والإمالة إلى قلبه، وكأنها تعمل فيه سحر التحبيب، ومعنى تشبيه تأثير الكلام وجذبه للنفس

---

(1)وفي رواية«فاصنع»،والمذكور أعلاه أنسب مع البيت.
(2)أخرجه البخاري(ج 4 ص 177)
3 جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي،حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور ماهر ياسين الفحل (ج 2 ص 22)
4 المصدر نفسه – (ج 2 ص 22)
5 ديوان بشار ج 4 ص 70

بالسحر يتناص فيه مع حديث ابْنَ عُمَرَ–رضي الله عنهما–قال: جَاءَ رَجُلاَنِ مِنَ المَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[1].

فالكلام البليغ والفصيح المطرز بفنون البيان يحدث هزة للنفس وميلا للقلب وتحبيبا للنفس وكأن سامعه مسحور من شدة جذبه له، وذكر أن الذي ينفث في هذا السحر هاروت لما نقل عنه من تعليم السحر.

(وجعل هاروت نافثا لأنهم يعالجون السحر بالنفث في العقد،كما جاء في سورة الفلق)[2]،ففيها

تناص مع الآية القرآنية (ومن شر النفاثات في العقد)[3].

إن تناص بشار مع الحديث الذي يبين أثر حلاوة الكلام في النفس يدل على ما بلغته محبوبته من تأثير جذاب لكلامها، فلسانها يقطر عسلا من حسن حديثها وتأثيره في نفس السامع.

ولعل تركيز بشار على حسن الحديث نابع من استملاحه حلاوة الصوت الذي يفعل في نفسه انشراحا وتكاملا في تصوير الواقع الذي لا يراه ببصره فهو كفيفاقد البصر، فحلاوة اللسان تعوض النقص الحاصل عنده بالسمع.

فتعمق بشار في الانفتاح على تأثير الصوت يساهم عنده في تشكيل الصورة الفنية السمعية،وهي ذات تأثير كبير في تشكيل معانيه ومشاهده التي يصورها.

ويقول بشار [4]:

أولِعَ الناسُ بالمَلامَةِ وَالمَر ءُ عَلى خُطَّةٍ مِن التقدير
وَشِفاءُ العَيِّ السُؤالُ فقوما سائِلا وَالبيانُ عِندَ الخَبير

يتحدث الشاعر عن ولوع الناس بالملامة قبل التثبيت وتقصي أسباب الفعل الملوم من أجله وبدون أن يعذروا الشخص الملوم، ويوجه الشاعر من كان هكذا أن يسأل لأن السؤال يشفي من داء الجهل.

---

(1)صحيح؛أخرجه البخاري (ج 7 ص 19)،وغيره
2 ديوان بشار ج 4 ص70
3 سورة الفلق آية 4
4 ديوان بشار ج 3 ص 204

ففي قوله (وشفاء العي السؤال)يتناص مع حديث ابْنَ عَبَّاسٍ،: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- ثُمَّ أَصَابَهُ احْتِلَامٌ، فَأُمِرَ بِالاغْتِسَالِ، فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ »[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن العي (الجهل) هو مرض ينتاب النفوس وشفاؤه بالسؤال الذي يعطي الإنسان العلم والمعرفة.

ومظهر التناص جلي من ناحية اللفظ والمعنى، فالالتقاء في اللفظ عن طريق أخذ نص الحديث بلفظه لتكون دلالة الارتباط بين النص النبوي والنص الشعري أكبر، ففي البيت (شفاء العي السؤال) وفي الحديث(إنما شفاء العي السؤال).

ومن ناحية المعنى فالالتقاء ظاهر فالحديث يتحدث عن داء الجهل الذي يزال بالسؤال والتعلم في سياق قصة مع الصحابة تدلل على هذا الموقف الذي ظهر فيه خطورة الجهل وأثره على النفس وكيف أن السؤال يدفع هذا الأذى المحقق على النفس.

ولم يكتف بشار بهذا التناص بل أتبعه بتناص في خاتمة بيته، فقوله (والبيان عند الخبير) يتناص فيه مع قوله تعالى (ولا ينبئك مثل خبير)[2].

فمرجع معرفة الحقائق يعود للعالم والخبير بها، فهو المسؤول عنها وعنه تصدر المعرفة. وسياق هذا التناص جاء خدمة لتناصه السابق الذي بين أن داء الجهل لا يزول إلا بالرجوع إلى المعرفة والتي توضح عن طريق أصحابها.

ويقول بشار [3]:

يا صاح رَشِّح حاجَتي وَاِذكُر ضَمانَكَ في المَعادِ

يعاتب بشار بعض من أمسك عن إعطائه وقضاء حاجته، فيخاطبه يا صاح تحببا كي يفرج ما هو فيه من ضنك وشدة، ناصحا إياه أن يتذكر الجزاء المدخر له يوم القيامة، وهذا الجزاء هو التنفيس عنه وقضاء همه يوم القيامة يوم أن يكون الناس في شدة وحرج،وهو في هذا المعنى يشير – متناصا– إلى الحديث الشريف الذي يبين جزاء من قضى حاجة أخيه،وهو حديث أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نفس عن مؤمن كربة من

---

(1)أخرجه أحمد في«المسند»(ج 5 ص 173).
2 سورة فاطر آية 14
3 ديوان بشار 304

كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر عن معسر يسر الله عليه في الدنيا و الآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة،والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)[1] فالحديث (فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك)[2].

وبشار يستثمر معنى الحديث النبوي ليجعله سببا في التفضل بقضاء حوائجه فكأن الحديث الحجة القاطعة التي تؤدي إلى امتناع هؤلاء الممسكين عن العطاء الذين لا يقضون حاجته.

ثم إن تناصه بالإشارة هنا يعطي معناه الذي يريد طرحه أكثر إقناعا لأنه بهذا السبيل يعطي الحكم و علته، معرضا إلى دلالة العلة إشارة؛ فالحكم هو أن تقضى حاجته من الباخلين عليه، و علته أن من فعل ذلك أن الله يقضي عنه يوم القيامة الكربة و دلالته الحديث الذي أشار إليه.

ويقول بشار [3]:

وَلِلخَيرِ أسبابٌ وَلِلعَينِ فِتنَةٌ وَمَن ماتَ مِن حُبِّ النِساءِ شَهيدُ

يتحدث بشار عن مجموعة من الأمثال والحكم التي يطرزها في مطلع قصيدته؛ فيرى أن الخير له أسبابه فمن حرص عليه فإنه يسعى للأخذ بطرقه، ثم يذكر فتنة النظر ذلك أنها أول ما يعرض للعاشق، فإن أول أمره نظرة ثم خاطرة ثم فكرة ثم عزم..وهكذا، فالنظر بالنسبة للعاشق شأنه عظيم لأنه يورده المهالك؛ فكم تسبب تمادي العشق في النفس إلى التهلكة والموت، وهو في هذا يذكر تعزية لمن يحدث معه هذا الأمر متمثلة بإشارته – متناصا – مع الحديث المروي " من عشق فعف فمات فهو شهيد "[4]؛ فهو يرى أن موته جراء العشق شهادة لأن مكابدة العشق والصبر على آلامه من عظائم الأمور التي لو مات من أجلها فهو كالمجاهد الذي يموت في المعركة.

---

1 أخرجه مسلم في«صحيحه»(ج 4 ص 2074»،

2 شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد، مؤسسة الريان،بيروت، ط.6، 2003 م ص119

3 ديوان بشار ج 2 ص162

4 موضوع: أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب تحقيق: حمدي الدمرداش،مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة،ط.2000،2م (ج1 ص 59)، وقد ورد عن ابن عباس–رضي الله عنهما– موقوفًا ما يخالفه، وكلام المحققين فيه شديد جدًا،ومما قاله ابن القيم–رحمه الله–في«زاد المعاد،تحقيق: شعيب الارنؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط.1994،27م (ج 4 ص 276):«الْعِشْقَ مِنْهُ حَلَالٌ وَمِنْهُ حَرَامٌ فَكَيْفَ يُظَنّ بِالنّبِيّ -ﷺ- أَنّهُ يَحْكُمُ عَلَى كُلّ عَاشِقٍ يَكْتُمُ وَيَعِفّ بِأَنّهُ شَهِيدٌ؟!!.فَتَرَى مَنْ يَعْشَقُ امْرَأَةَ غَيْرِهِ أَوْ يَعْشَقُ الْمُرْدَانَ وَالْبَغَايَا يَنَالُ بِعِشْقِهِ دَرَجَةَ الشّهَدَاءِ؟!!.وَهَلْ هَذَا إلا خِلَافُ الْمَعْلُومِ مِنْ دِينِهِ -ﷺ- بِالضّرُورَةِ ؟».
وانظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة»(ج 1 ص 409/587).

وهذا الأثر لا يصح مع كثرة إشارة الشعراء له لما يجدونه متنفسا عن كرب متغلغلة في نفوسهم، ويغني عنه الآثار الواردة في العفة والابتعاد عن مضان الريبة.

وتكمن جمالية التناص في أن الانفتاح على هذا الأثر أوجد متنفسا لأهل العشق الذين يكابدون عذابات الحب؛ فبشار من خلال تناصه يوسع لهم الأمر ثم إن فيه تعزية لنفسه عما يصيبها من انتكاسات مع محبوباته، وهذا ما أشار إليه بشكل مباشر في موضع آخر [1]:

فَلَئِن ظفِرتُ بِخَلوَةٍ مِن حِبَّتي فَأنا السَعيدُ
أو مُتُّ مِن حُبّي لَها فَأنا القَتيلُ بِهِ الشَهيدُ

ويقول بشار[2]:

باعَدَتَّهُ وَكانَ يَرجو القُربا فَزارَ غِبّاً كَي يُزادَ حُبّا

يذكر بشار المناكفات التي تحصل أحيانا بينه وبين ممدوحه داوود بن يزيد الذي يحتجب أحيانا عنه ويطيل الفراق، فبشار يلتمس له العذر بأنه ربما ليزداد الشوق إليه فتزيد محبته، مشيرا بذلك للأثر المروي " زر غبا تزدد حبا " [3]،حيث إن مباعدة الزيارات تورث الشوق الذي يذهب ملل النفس وضجرها من كثرة الزيارة.

فبشار من خلال تناصه يعمق الفهم لطبيعة النفس البشرية وما تشعر به عند قلة وكثرة الزيارات، فالتناص مبطن بمعنى نصحي يرشد إليه بشار المحبين الذين يرغبون في كثرة الزيارة، وهو يشير إليه مباشرة في موضع آخر [4]:

وَصِلِ الخَليلَ إذا شُغِفتَ بِهِ وَاِطوِ الزيارَةَ دونَهُ غِبّا
فَلَذاكَ خَيرٌ مِن مُواصَلَةٍ لَيسَت تَزيدُكَ عِندَهُ قُربا
لَكِن يَمَلُّ ثُمَّ تَدعو بِاِسمِهِ فَيَقولُ هاهِ وَطالَما لَبّى

وفي ختام الحديث عن التناص الديني نستطيع القول: إن التناص القرآني تجلى بكثرة في مجموع بشار بن برد الشعري، بحيث تنوعت طرقه في استحضار النص القرآني، فغلب عليه التناص الامتصاصي القائم على هضم المعاني القرآنية، وتوظيفها شعريا، ثم التناص اللفظي

---

1 ديوان بشار ج 2 ص218
2 ديوان بشار ج 1 ص 164
3 أخرجه الطيالسي تحقيق:محمد التركي، هجر للطباعة والنشر،ط.1، 1999 م(ج 4ص 268)، والبزار في«مسنده»(ج 16 ص 191)
4 ديوان بشار ج 4 ص 30

الذي يعتمد على استحضار الألفاظ والعبارات القرآنية ضمن السياق الشعري وإعادة إنتاج دلالاتها.

ثم كان للأحاديث النبوية الشريفة حضور،وان قل عن استدعاء النص القرآني في ديوانه، وغلب على تناصه مع الأحاديث النبوية الشريفة أن يكون تناصا اقتباسيا.

ثانيا: التناص التاريخي

تعد الثقافة التاريخية عاملا بارزا في إثراء النصوص الأدبية من خلال تطعيمها بالحمولات المضمونية التي تشتمل عليها النصوص التاريخية المستدعاة إلى النصوص الأدبية.

ويقصد بالتناص التاريخي: استدعاء النصوص والأحداث والشخصية التاريخية بغية استثمار دلالاتها في النص الأدبي بما يكسب العمل قيمة فنية ومعنوية.

وقد تجلى التناص التاريخي في ديوان بشار بن برد بكافة مستوياته التي تم تناولها بتقسيمها على الحقب التاريخية، فتوزعت التناصات التاريخية وفقها على التناص مع الأحداث التاريخية والتناص مع الشخصيات التاريخية.

التناص مع تاريخ الأمم الغابرة:

لقد فتح بشار بن برد نصه الشعري على تجارب الأمم الغابرة مما حفظ لنا التاريخ ذكرها أو بعض آثارها من خلال المدونة الدينية ممثلة بالنص القرآني والحديث النبوي الشريف والمدونة الشفهية ممثلة بالقصص الشعبي و الخيال الجماعي المعبر عن الأساطير المؤسِّسة للبنية الثقافية التراثية العربية.

ولعل أخبار الأمم الغابرة التي فنيت رغم ما كانت عليه من عراقة وسلطان عظيم لمن الأخبار التي تسترعي انتباه العامة والخاصة للإفادة العظيمة التي يمكن اكتسابها من استحضار قصصهم وأخبارهم،وفق الغاية الموظفة لذلك، ففي الحقل الديني يتم استحضار أخبار هذه الأممللأخذ العبرة والتزام أوامر الله والابتعاد عن نواهيه خوفا من ملاقاة نفس مصير هذه الأمم، كذلك يتم استدعاء أخبار هذه الأمم وقصصها في السير الشعبية للوقوف على عدم ثبات الدنيا على حال وتقلب الأيام،أما ما يعنينا هنا فهو استدعاء هذه الأخبار شعريا بحيث يتم تطعيم النص الشعري بنبذة عن شيء تشتهر به أحد هذه الأقوام السالفة،أو من خلال إيراد اسم أحدها لدلالة معينة.

فمن ذلك تناصه مع حادثه الخصومة بين ابني ادم هابيل وقابيل المتوارثة في التـــواريخ وفـــي القران الكريم يقول [1]:

حَسَدتَني حينَ أصَبتُ الغِنى ما كُنتَ إلّا كَابنِ حَوّاءِ
لاقى أخاهُ مُسلِماً مُحرمـــاً بِطَعنَةٍ في الصُبح نَجلاءِ

يشتكي بشار من الحساد والعدَّال الذين يرمقونه بأعينهم غلا وحقدا عليه، ويستشهد إزاء ما يقاسيه منهم بحادثه تاريخية تتمثل في حسد قابيل لأخيه هابيل مع انه كان مـــسلما لـــم يقابلـــه بالإساءة نفسها فحال بشار مع حاسديه كحال هابيل مع أخيه قابيل الذي طعن أخاه فأرداه قتيلا.

إن استحضار هذا التناص التاريخي يدلل على مدى الأذى الذي مني به من قبل حاسديه؛ فهابيل الممثل به نفسه(بشار) يعد المثال الأبرز في التاريخ على أنموذج الرجل المستقيم الـــذي يقدم الإحسان و يرجع إليه أشد الغل والحسد مع اشتداد الأذى إلى درجة قتله.

بمقارنة بشار بينه وبين هابيل يدلل على شدة أذى حاسديه الممثل عليه بـــصورة الرجـــل الطاغي المتجبر الذي لا يرى الحق ويتبعه ولا يتوقف عند فعل الشر.

ومن ذلك استحضاره لقوم عاد الذين اشتهروا بالقوة والبأس في معرض مدحه وافتخاره بقومه، يقول[2]":

أيامَ سُلطانُنا مُـــرٌّ مَذاقتُـــــــــهُ وَالمالُ مُستَبخَرٌ وَالعَيشُ مُعتَذِرُ
لَو طالَعَت مِن ثلاثِ المِصرِ واحِدَةٌ مُعَمَّرينَ عَلى السَرّاءِ ما عُمِروا
هُنَّ الثلاثُ اللَواتي لَو نَفَحتَ بِهـــا أبناءَ عادٍ عَلى عِلّاتِهِم دَمِـــروا

هنا يفخر بشار بما ينعم فيه قومه في البصرة من سلطان منيع، ومال وفير، وعيش كريم بحيث إن واحدة من هذه الفضائل الثلاث كفيلة بإنهاء أعمار أشخاص معمرين؛ لأنهـــا تـــذهلهم وتبطرهم وتجعلهم يفقدون وعيهم فيرومون ما فيه هلاكهم.

وموضوع التناص التاريخي هو استحضار أبناء عاد المشهورين بالقوة العظيمة والبـــأس الشديد وجعلهم يهلكون في حال تنعمهم بما تنعَّم به قوم بشار، فلقد تم استدعاء قـــوم عـــاد لمـــا عرفوا به من قوة للتدليل على رجاحة وحكمة قوم بشار الذين تنعموا بهذه النعم الثلاث الموضحة

---

1 ديوان بشار ج 1 ص 155
2 ديوان بشار بن برد ج 3 ص 172

ولم تجعلهم يبطرون فتكون هذه النعم سببا في هلاكهم،إنما يوحي بشار إلى رباطة جأش قومه وحسن تصرفهم دون إفراط أو تفريط،فالتناص التاريخي هنا وظف لخدمة غرض الفخر.

ويتناص مع قوم عاد في موضع آخر، يقول[1]:

تَثوبُ لَكَ القبائِلُ مُجلِباتٍ كَما ثابَت عَلى النُصُبَينِ عادُ

يمدح بشار رَوح بن حاتم حيث يصفه بالشجاعة والبسالة مع طيب النسب، فقد جمع الشمائل التي جعلت الملوك ترجع إليه، مع توافد القبائل طلبا لمعروفه ونيل الخير منه.

ولبيان قوة هذا المشهد الذي يحصل مع الممدوح استحضر مشهدا تاريخيا من الأمم السابقة، وهو توافد عاد على صنمين كانوا يعبدونهما في غابر الأيام وهما: " صدى وصمود "[2]،فجعل حالة التلهف والتدافع عنده من أفراد القبائل كمثل قوم عاد عند تدافعهم على هذين الصنمين.

واقتناص بشار لهذه الصورة يدلل على المبالغة والتعمق في تصوير مشهد كرم الممدوح؛ ذلك أن توافد عاد على هذين الصنمين نابع من عقيدة تعبدية،فلهذا كثر حضورهم إليهما؛ وكأن بشار يلتفت إلى هذا المنحى في الربط بين المشهدين؛ فتوافد القبائل على الممدوح كان بكثرة وافرة كأنهم متعبدون بحضورهم هذا.

ويستحضر بشار بن برد قوم ثمود من حيث عاقبتهم وما آلت إليه حالهم يقول[3]:

صَبَبتُ عَلى اِبنِ قزعَةَ مِن عَذابي أذاةً لا يُسَكِّنُها البَرودُ

ولا..... الحرسي منا لقد لاقى كما لاقت ثمود

يصف بشار بن برد العذاب والويل اللذين ألحقهما بابن فزعة مشبها عذابه الذي عذَّبه بهبالحميم المصهور الذي يصب عليه صبا في دلالة على شدة ما أصابه من بأس وتنكيل،حيث لا يمكن تسكين آلام وعذابات أذاته له.

---

1 ديوان بشار ج3 ص 56

2 المشهور أن لعاد ثلاثة أصنام هم " صَدّاء و صَمُود والهباء " وقد ذكرهما بشار بالتثنية ولعله يريد الأولين لشهرتهما " وانظر عنهم: تاريخ الأمم والملوك للطبري، دار الكتب العلمية، بيروت،ط.1، 1407 (ج1 ص 133-137)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،د.جواد علي،دار الساقي،ط.4، 2001م، ج1 ص 320

3 ديوان بشارج 3 ص 19

وموضع التناص التاريخي في أبيات بشار هو استحضار عاقبه قوم ثمود الذين كان هلاكهم بالطاغية كما في قوله تعالى " و أما ثمود فاهلكوا بالطاغية، " [1] ولهذا الاستدعاء غرض وظيفي أراده بشار من حيث المقارنة بين مصير من وقع عليه عذاب بشار وبين قوم ثمود الذين هلكوا بفعل الصيحة، وجعلما ناله مهجو بشار من عذاب على يده مماثلا لما أصاب قوم ثمود من هلاك،وبشار هنا يبالغ لتوسيع دلالة إجهازه على مهجوه، وقد سبقه إلى ذلك ثلة من الشعراء الأوائل الذين استحضروا في أشعارهم مآلات الأمم الغابرة للمقارنة أو المماثلة يقول عامر بن الطفيل:

وَعَبدُ القيسِ بالمَرداءِ لاقت صَباحاً مِثلَ ما لَقِيَت ثمودُ

ويستحضر بشار بن برد ناقة سيدنا صالحبوصفها نذير شؤم يقول [2]:

أظُنُّ سَعيداً كائِناً لِصَديقِهِ كَداحِسِ عَبسٍ أو كَبَكرِ ثمودِ

فبشار يذم صديقه سعيد من حيث هو مصدر شؤم وهلاك لأقرانه مثلما كانت الناقة داحس (الآتيذكرها) بالنسبة لقبيلة عبس، وكما هي ناقة ثمود بالنسبة إليهم نذيرا بالشؤم وإيذانا بنهايتهم وقد جعل العرب من ناقة ثمود[3] مثلا على التشاؤم وحصول العذاب، ففي الأمثال لأبي عبيد:" قال الأصمعي من أمثالهم في الشؤم والحين قولهم:كانت عليهم كراغية البكر، يعني بكر ثمود حين رماه صاحبه فرغا عند الرمية، فانزل الله بهم سخطه عند قتل الناقة وبكرها "[4].

فبشار يستحضر قصة الناقة وما آلت إليه حال قوم ثمود بسببها؛ "لأنهم جحدوا فضل النبي وناقته وعقروها، وكذلك سعيد فقد جحد فضل الصداقة بينه وبين بشار، فعقر ناقة الحب والصلاح فكان إثما وانذر بنهايته كما حصل للثموديين، وكذلك فهو لا يحفظ عهدا ولا يرعى ذمة " [5].

ويتناص بشار مع شخصية ابن ذي يزن، يقول[6]:

وَاِسعَد بِما قالَ في الحِلمِ اِبنُ ذي يَزَنٍ يَلهو الكِرامُ وَلا يَنسَونَ أحسابا

---

1 سورة الحاقة اية 5
2 ديوان بشار ج3 ص 19
3 انظر: البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق علي شيري،دار إحياء التراث العربي،ط.1، 1988 م (ج1 ص 153)
4 الامثال لابي عبيد ص 332
5 التشكيل الجمالي ص 254
6 ديوان بشار ج1 ص 224

يوجه بشار بن برد السامع إلى التزام مقولة ابن ذي يزن [1] في التحلّم، فإذا لها الكـــرام لا ينسون أنفسهم، ذلك أن لهوهم يكون بقدر فلا يسرفون ولا يفرطون بأحسابهم وإنما يحـــافظون عليها، من أن ينالها السوء جراء اللهو.

وموضوع التناص التاريخي هو استحضار مقوله سيف بن ذي يزن في ضرورة التخلـــق بالحلم عند اللهو، وجاء هذا الاستحضار ليكون بمثابة الحجة والدليل المعزز لرأي بشار بن برد الذي فتح نصه على مقولة ملك حكيم ليبرهن على مصداقية كلامه وأهميته، لا سيما عندما وجه السامع إلى ما يريده هو من التزام ما يعود على صاحب الأفعال المرجـــوة بالجـــاه والحـــسب الرفيع.

إن " استحضار حلم ابن ذي يزن هنا له قيمة تاريخية اجتماعية معا لأنـــه تعبيـــر عـــن تواصل الحكمة في كل زمان مع العقل البشري الذي ينتجها كي يتمثل بها الناس "[2]،وهـــذا مـــا يحرص عليه بشار من خلال تناصاته.

يقول بشار [3]:

لَهُ حُكمُ لُقمانٍ وَجَزمُ مُوَفَّقٍ وَلِلمَوتِ مِنهُ مَخرَجٌ حينَ يَغضَبُ

يمدح بشار روح بن حاتم حيث يصفه بالحكمة والرأي السديد، مع توفيقه في حزمه الذي يمضي فيه، وغضبه الذي ينتثر منه الموت للأعداء الذين يهلكهم ببطشه وشدته.

وعند وصفه لحكمة ممدوحه، استلهم له من التاريخ من يقاربه به ممن عـــرف بالحكمـــة ورجاحة

الرأي ألا وهو لقمان الحكيم؛ بحيث يوازي بين حكمة ممدوحه وما عرف به لقمان مـــن حكمة وسداد رأي.

---

1 ملك يمني حميري طرد الأحباش من اليمن،وهنأه العرب،وعلى رأسهم عبد المطلب. =
= نسبه الكلبيّ على ما ذكر:سيف بن ذي يزن بن عافر بن أسلم بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور،ومالك بن زيد هو أبو الأذواء.
انظر:تاريخ ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت،ط.2، 1988 م (73/2وما بعـــدها)،والـــسيرة النبوية لابن كثير تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ط.1، 1971 م (ج1 ص 42)
2 التشكيل الجمالي في شعر بشار ص 231
3 ديوان بشار ج1 ص 361

وثمرة هذا التناص عند بشار يكمن في تبريزه لحكمة ممدوحه الذي لم يجد ما يقرب للإفهام مقدارها إلا موازنتها بأشهر من عرف بالحكمة من الشخصيات التاريخية؛ فهذا التناص يختزل مدى مبلغ الحكمة التي اتصف بها الممدوح

و يتناص تاريخيا في ذكر الفرس وملوكهم. يقول بشار [1]:

هَل مِن رَسولٍ مُخبرٍ عَنّي جَميعَ العَـــرَبِ
جَدّي الَّذي أسمو بِهِ كِسرى وَساسانُ أبـــي
وَقيصَرٌ خالـــــي إذا عَدَدتُ يَوماً نَسَبـــــي

فبشار يريد أن يمدح نفسه ويظهر فضله؛ وقد وجد لذلك مسلكا من خلالإبراز نسبه الذي يعود للفرس؛ وهذا ما جعله يستلهم من تاريخهم مجد كسرى ملكهم الذي كانت له السيادة المطلقة والملك العظيم الذي جعل الفرس يتقدمون على الشعوب الأخرى، فهو يعد كسرى هذا جده بجامع النسب الذي يرجعه إليهم، بل يرى أن ساسان [2] أب له لأنه يجلب له الفخر والرفعة.

ولم يكتف بشار بجعل نسبه متصلا بالفرس بل جعله متداخلا مع الروم، فجعلهم أخوالا له لان (أم بشار رومية كانت أمَة لرجل من الأزد زوجتها بردا مولاته خيرة القشيرية)[3].

واستلهام بشار لتاريخ الفرس والروم جاء خدمة لنزعة شعوبية كانت عنده تجعله يميل إلى أصوله الأعجمية وحتى يبعد عن نفسه شبهة الشعوبية مزج فخره بالفرس كونهممناصرين للدعوة العباسية وظهورها في بعض بلاد فارس فهم بهذا الاعتبار مناصرون لآل النبي صلى الله عليه وسلم ولذا يقول:

حَتّى رَدَدنا المُلكَ في أهلِ النَبيِّ العَرَبي .

---

1 ديوان بشار ج 1 ص389

2 تقول الرواية الفارسية إن ساسان–وهو الأصغر عند الإطلاق– كان كاهناً في برسبوليس (اصطخر)،،وهو مؤسس الامبرطورية الساسانية،وجد الفرس الأحرار،والأكاسرة الذين يقال لك واحد منهم كسرى فهم ساسانية نسبة إلى جدهم ساسان.
وكان ساسان شجاعا مغرى بالصيد وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجبين وكان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نارهيد فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه،وكان ساسان مرشّحا للملك،فزهد فيه،ولحق بجبال إصطخر زاده يتولى ماشيته بنفسه
انظر:تاريخ ابن خلدون(ج2 ص 192)، و الكامل في التاريخ لابن الأثير تحقيق: عبد الله القاضي دار الكتب العلمية،بيروت، ط1415،2هـ (ج1 ص 211،و294) قصة الحضارة لويليام جيمس ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين،دار الجيل، بيروت ط.1 1988 م(ج 12 ص 286).

3 ديوان بشار ج 1 ص14

ويتناص تاريخيا مع هرقل الرومفي مقام المدح [1]:

إذا لبِسَ الماذِيَّ يَومَ كَرِيهَةٍ وَشَمَّرَ يَحدو الخَيلَ أو قادَها جُردا

رَأيتَ إباءَ المُلكِ فَوقَ جَبينِهِ يَهُزُّ المَنايا وَالهِرَقلِيَّةَ النَقـــــدا

يمدح بشار سفيح بن عمرو بالشجاعة والإقدام في القتال، وهو يتصف بالعظمـــة ووقـــار الملوك ويستحضر من التاريخ صورة تقارب حاله متمثلة في عظمة وهيبة هرقل الروم " فكأنه هرقل الروم شجاعة وبسالة يهز المنايا بسيفه فيجري قضاؤه على الأعداء، وهو في الوقت ذاته يبذل المال سخيا لمن يستحقه، ولا يبخل بالذهب الذي صكه هرقل، لأنه يتمثل سيرته الأريحيـــة بطولة وكرما " [2]

إن امتصاص بشار للمشهد التاريخي لهرقل يعلي من شأن الصورة التي يرسمها لممدوحه، ويريحه من كثرت التعداد في الوصف؛ فقران الصورة بالصورة يقرب مفهومها عند المتلقـــي، فهو يعلم ما هو مختزل من صورة كلية عن هرقل الروم، فيحاول – بتناصه هذا – أن ينزل هذا الوصف على ممدوحه الذي يحاول الإمعان في إطرائه.

ونرى بشارا يتناص تاريخيا مع هرقل الروم في مشهد الغزل، يقول [3]:

وَمُصفرَّةٍ بِالزَعفرانِ جُلودُها إذا حَلِيَت مِثلَ الهِرَقلِيَّةِ الصُفرِ

فهؤلاء النسوة متبخترات صبغن جلودهن بالزعفران الذي أعطاهن جمالا وبهاء، وهوفي هذه الأثناء ينزع صورة من التاريخ لحالهن فيشبههن بالدنانير الذهبية الهرقلية التي لا يخالطهـــا الغش دالا على حسنهن الأصيل.

---

1 ديوان بشار ج3 ص 131
2 التشكيل الجمالي في شعر بشار ص 233
3 ديوان بشار ج 3،ص 277

ويتناص تاريخيا مع شخصية ابن بيض في يقول[1]:

لِعَلَّ أمينَ اللهِ موسى بنَ أحمَد يَذوقُ لنا كَأساً مِنَ السَلَـــــواتِ
هُوَ المَلِكُ المَأمولُ وَالقائِمُ الَّذي يُوَلِّفُ بَينَ الذِئبِ وَالنَقـــــــداتِ
يَقومُ بِأفعالِ النَبيِّ وَقولِـــــهِ كَوَحي اِبنِ بَيضٍ في صَفاءِ صِفاتِ

يرجو من ممدوحه – وهو ولي العهد – أن يكون عند خلافتــه خادمــا للنــاس قاضــيا حوائجهم، مؤلفا بينهم، ويقتنص بشار من التاريخ تصويرا لحالته هذه المتمناة بحال ابن بــيض وهو الذي ورد عنه " كان أبن بيض رجلاً من عاد، وكان تاجرا مكثراً، وكان لقمان ابن عــاد يخفره في تجارته،ويجيزه على خرج يعطيه أبن بيض، يضعه له على ثنية، إلى إنَّ يأتي لقمــان فيأخذه، فإذا أبصره لقمان وقد فعل ذلك قال: "سد أبن بيض الطريق" يقول: إنّه لم يجعــل لــي سبيلا على أهله وماله حين وفى لي بالعجل الذي سماه لي"[2].

فهو مثال للسبق بعمل الفضائل مع سرعة انجازه، فبشار يحاول أن يمثل حال الممــدوح بحال ابن بيض من خلال استدعاء حادثة وقصة تاريخية،لتقريب صورة المبادرة في عمل الخير أمام السامع.

ولعل بشارا من خلال مقاربته لكثرة من الشخصيات التاريخية المشتهرة بأدوار أو صفات معينة تعطي مصداقية وتدعيما له بحيث يشمل ممدوحه بالسير العظيمة التي ذهبت مــثلا فــي التاريخ.

يقول بشار [3]:

قومي اِصبَحينا فَإنَّ الدَهرَ ذو غِيَرٍ أفنى لُقيماً وَأفنى آلَ هُرماسِ

يتحدث بشار عن الفناء في الدنيا، وان الكل صائر إلى زوال فلم يكتب الخلود لأحد فــي هذه الدنيا، وهو في هذا السياق يستحضر من التاريخ الرجال الأشداء الذين عمروا طــويلا ثــم صاروا إلى فناء.

---

1 ديوان بشار ج 2 ص44
2 الأمثال لأبي عبيد تحقيق: عبد المجيد قطامش،دار المأمون للتراث ط.1، 1980 م ص 244
3 ديوان بشار ج4 ص 99

فيذكر لقمان بن عاد [1]وهو رجل تروي العرب انه عمر طويلا بمقدار عمر سبعة نسور، ثم كان آخر أمره الموت.

وكذلك يذكر هرماس [2]، وهو من الحكماء الذين كان له بصمة في الحضارة الإنسانية.

فبشار من خلال تناصه يدلل بالمثال على حتمية الموت ممثلا على ذلك بحال الأشـــخاص والأقوام الأقوام الذين مُكِن لهم في الأرض وعمروا طويلا فكانت نهايتهم الموت، بحيث جاء هذا التناص مستحضرا لشخصيات معتبرة وذات شأن عظيم في سياق وعظي زهدي.

التناص التاريخي مع عصر الجاهلية:

ويتناص بشار في تذكر قبائل العرب في الجاهلية وضرب الأمثال بها، يقول[3]:

وما القُرْبُ إلاَّ لِلمقرَّب نفْسَهُ ولو ولدتهُ جرهمٌ وصلاءُ

فبشار يذكر نصائح وتوجيهات حكمية، فهو يرى أن الرجل هو الذي يعلي قيمته ويرفعها بفعله لا أن يعتمد على نسبه، فالأفعال هي تحكم على حال الرجال إما رفعة أو ضعة.

وحتى يقرر هذا المبدأ يستحضر التاريخ، فيضرب مثلاً بأن القرب من المجد يعتمد علـــى أفعال المرء نفسه ولو كاننسبه بعيداً كمثل جرهم[4] وصلاء [1]الذين أندثر نسبهم وبعد.

---

1 وهو أحد ملوك حمير صار الأمر إليه بعد أخيه شداد بن عاد وكان الله قد أعطى لقمان–فيما زعموا– ما لـــم يعط غيره من الناس في زمانه أعطاه حاسة مائة رجل وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه.، فيـــذكر إنـــه عاش ألفي سنة وأربعمائة سنة عمر سبعة نسور،وكان لبد آخر نسوره. انظر: التيجان في ملوك حمير، لابن هشام، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحـــاث اليمنيـــة، صـــنعاء ط.1، 1347 هـــ(ص78–87)،والأعلام للزركلي (ج5 ص 243)،

2 هرمس الحكيم من أئمة فلاسفة اليونانيين وهو عظيم عندهم وهو واضع علم الهيئـــة والنجـــوم، ومـــستخرج القوانين الحسابية،ويزعمون أنه إدريس–عليه السلام–فهو أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم وأول من نظر في علوم النجوم والحساب،وهذا الزعم بعيد لا تساعد عليه بقية الترجمة،وهيهات أن تنتظم الفلـــسفة في سلك النبوة،وأن تخرج من مشكاتها.
وقالوا: إنه من أساتذة أرسطو
انظر: الكامل في التاريخ (ج1 ص 50) الفهرست لابن النديم،تحقيق إبراهيم رمضان،دار المعرفة، بيـــروت – ط.2، 1997(ص: 434،و 493)،والملل والنحل للشهرستاني مؤسسة الحلبي (ج2 ص 44)

3 ديوان بشار ج1،ص153

4 جرهم هم (من العرب البائدة، وهم بنو جرهم من قحطان، كانت منازلهم لجبل قعيقعان بأعلى مكة، وكانت لهم ملك وقوة في مكة، وصاهرهم إسماعيل عليه السلام، ثم غلبتهم خزاعة على مكة، فخرجت جرهم مـــن الحجاز قاصدةً اليمن في حدود سنة 550 قبل الميلاد، فأصابهم في الطريق رعاف وبـــائي فانقرضـــوا بطريق اليمن بموضع يقال له (إضَم) بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة) ديوان بشار ص ج1،ص153 وانظر المختصر في أخبار البشر – أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي،المطبعة الحسينية المصرية ط.1 (ج1 ص73) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – (ج1 ص 345)

ويتناص بشار تاريخياً مع أيام العرب يقول[2]:

أظُنُّ سَعيداً كائِناً لِصَديقِه كَداحِسِ عَبسٍ أو كَبَكرِ ثَمودِ

يذكر بشار شؤم سعيد بن زريق على صديقه حماد الذي أوقع الشرور عليه، ويستلهم من التاريخ حادثة يشبهه بها ألا وهي داحس[3] الفرسالذي نتجت عنه الحرب الطاحنة، التي جرَّت الويلات على قبائل العرب حتى قالوا في المثل (أشأم من داحس)[4].

فبشار يستحضر صورة الشؤم والنحس الذي ألحقته الفرس داحس، يقصد بها سعيداً في دلالة على الأذى الحاصل من صحبته بحيث يكون الاقتراب منه مدعاةً ومجلبةً للأمور سيئة العاقبة مثلما هو حال الفرس داحس بالنسبة لقبيلة عبس.

وتبرز قيمة التناص في جلب المشهد التاريخي ليكون موضع درس وعبرة من خلال اختزال جملة الحوادث الواردة فيه وتضمينها في سياق يخدم مراده الذي يريد أن يوصله لحمادمن خلال الإشارة إلى حادثة تاريخية مأساوية اقترنت باسم الفرس (داحس).

وبتناص بشار بن برد مع شخصية تاريخية هي الشاعر امرؤ القيس الكندي، يقول[5]:

ولَوْ تَرَى الأزْدِيَّ فِي جَمْعِهِ كانَ كضلِّيلِ بني تغلبِ
أيَّامَ يهزِزنَ إليه الرَّدى بكُلِّ مَاضِي النَّصلِ والتَّعْلَبِ

فبشار يتحدث عن أبي حمزة ثلج البصري الخارجي الملقب بالأزدي الذي حاول الخروج على حكم مروان بن محمد فقد قام بدعوة الناس إلى نزع الطاعة عنه وتحريضهم على الخروج عن إمرته في مناح مختلفة.

وبشار يستلهم من التاريخ شخصية تقاربه وهي شخصية امرؤ القيس الملقب بالملك الضليل وهو الذي أشار إليه بقوله (كضليل بني تغلب) ويتجلى التناص التاريخي في امتصاص بشار لصفة بارزة في امرئ القيس وهي ضلال ملك أبيه عنه، والذي ضيعه بلهوه وشربه حتى

---

1 صلاء هم (بنو صلاءه بن عمرو بن خويلفة من بني الحارث بن نمير من قيس عيلان وفي بني الحرث بن نمير شرف بني نمير وعددهم ومن بطونهم بنو صلاءه وبنو شرع) ديوان بشار ص ج1،ص153

2 ديوان بشار ج 3 ص 112

3 داحس والغبراء" حرب جاهلية بين فريقين الأول بنو قيس،وعبس،وفيهم عنترة بن شداد،والآخر بنو بدر،وذبيان وفزارة
انظر: البداية والنهاية (ج3 ص 189)،و الكامل في التاريخ لابن الأثير (ج1 ص449)

4 مجمع الأمثال ج 1 ص 379

5 ديوان بشار ج 1 ص 178

أذا ما قُتل أبوه أصبح طالبا لثأره له بعد فوات الأوان [1]، وهذا هو حال الأزدي الذي أضنى نفسه في طلب الملك والظفر به لكنه مات صريعاً مقتولاً لم يحصل على شيء.

وتظهر جمالية التناص في إبراز بشار شجاعة ممدوحه حيث إنه يقاتل رجالا أشداء يتفانون في سبيل ما يطمحون إليه، متمثلاً بالصورة التي نقلها عن امرئ القيس (الملك الضليل)"[2] الذي أمضى عمره في الحشد لاسترداد ملك أبيه ولم يفلح.

ويتناص مع الشخصيات التاريخية المتصفة بسلوك بارز، يقول[3]:

لقد تركتني من هواها كأنني هبنقة القيسي ذو الورعات

يذكر بشار أثر الوجد الذي أصابه جراء تعلقه بمحبوبته، فقد أخذت عليه مجامع نفسه وأصبح تائهاً كالأحمق الذي لا يميز الأشياء، ويستحضر لمقاربةحالته هذه شخصية تاريخية يرى فيها أن نفسه أصبحت صنواً لها مع ما تحمه من طرافة.

هذه الشخصية هي هبنقة القيسي[4] الذي أصبح من حمقه يضع القلادة على عنقه حتى لا يضيع نفسه.

فهذه الشخصية يضرب بها المثل في الحمق، ومغزى بشار من ذكرها تصوير الحالة التي وصل إليها من جراء الضنى الذي أصابه من محبوبته.

"ويتركز جمال التعبير هنا على تصوير شدة تعلقه بمن يحب فإنه قد استغرق من حبه فأصبح لا يحقق وجود ذاته إلا إذا كان بقربها فإذا ابتعدت عنه فإن ذاته لا تتميز من ذوات الآخرين مثل هبنقة الذي كان مصاحباًلعقد الودعات ليثبت وجوده ويميزه من وجود الآخرين، فإذا لم يضع الودعات في عنقه لا يعرف ذاته ويجهل من هو ! في ذلك المجتمع وكذلك بشار،

---

1 انظر تفصيل خبره في: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – (4 / 157) وانظر الأعلام للزركلي – (2 / 11)، الملك الضليل امرؤ القيس، محمد فريد أبو حديد . دار المعارف، القاهرة، 1966.

2 " وقيل لامرئ القيس: الملك الضليل، لأنه ضلل ملك أبيه أي ضيعه " تفسير الرازي (ج1 ص 4840)

3 ديوان بشار ج2 ص 57

4 هَبَنَّقَةُ القَيْسِيّ: رَجُلٌ كَانَ أحمق بَنِي قيْس بْنِ ثَعْلَبَة، وَكَانَ يُقَالُ لهُ ذُو الوَدَعاتِ، وَاسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوانَ، ويكنى أبا نافع، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي الْحُمْق؛

انظر: الأمثال لابن سلام (ص: 301) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص: 143وما بعدها). العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ج7 ص 171–).

وكانت حبيبته غدت مثبتة لذاته، وفي هذه الصورة من اللطافةوالاستحضار الثقافي التاريخي ما فيها من جمال والبعد التراثي الذي يمتلئ به إحساس بشار" [1].

ويتناص بشار مع أصنام الجاهلية، يقول [2]:

ألاَ "يا صـــــنمَ" الأز د الذي يدعونهُ ربَّا
سُّقيتَ العَذْبَ منْ ودِّي وإنْ لمْ تسْقني عَذْبَا

بشار يتغزل بامرأة من الأزد، وهي امرأة جميلة شغفته عشقاً وجعلته يتعلق بهـا، وفـي توصيف حاله معها، استحضر مشهداً تاريخياً ليوازيها به ألا وهو صنم الأزد، فقد كـان عنـد الأزد في الجاهلية صنم اسمه باجر[3]، فهذه المرأة من جمالها وحسن طلتها جعلت الناظر لها يديم النظر إليها ويتعلق بها كحال هؤلاء الرجال من الأزد الذين يتعلقون بـصنمهم (بـاجر) عبـادةَ وتقرباً.

وجمالية التناص التاريخي تظهر من خلال حسن تمثيل بشار لتأثير المحبوبة الذي يجعله متعلقاً بها كتعلق العبد بالمعبود، و قد خصَّ بشارصنم الأزد بالذكر دون غيره لمناسـبة نـسب المحبوبة التي هي منهم.

ويتناص بشار مع شخصية تاريخية حالها يقارب حاله مع محبوبته التي تزوجت، يقول[4]:

وَقالَ اِبنُ مَنظورِ أصَبتَ فَلا تَكُن أحاديثَ نَمّامٍ تُثيرُ وَلا تُسـدي
لَعَلَّكَ تُسلى أو تُساعِفُكَ النـوى وَلَم تَلقَ ما لاقى اِبنُ عِجلانَ مِن هِندِ

يوضح بشار مشاعره الجياشة وحبه الشديد لمحبوبته القديمة " صفراء " التي تزوجت ابن السميذع، فيذكر أنه لا يزال متعلقا بحبها وان مكانتها في نفسه ما تزال باقيـة رغـم الفـراق الحاصل بينهما.

وينقل لنا بشار ما دار بينه وبين صديقه ابن منظور الذي يحاول أن يصرفه عن صـفراء التي هي على ذمة رجل آخر، فيرشده أن لا يلتفت إلى أحاديث النمامين ونـاقلي الكـلام لعلـه

---

1 التشكيل الجمالي في شعر بشار ص 234
2 ديوان بشارج1 ص 229
3 انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – (ج 11 ص 280) النهاية في غريب الحديث والأثـر لابـن الأثير الجزري تحقيق: طاهر أحمد الزاوي وآخر، المكتبة العلمية – بيروت،– 1979م ص238 /1 تاج العروس مادة بجر
4 ديوان بشار ج2 ص 312

ينساها، أو يسعفه البعد في ذهاب آلامه ممثلا على ذلك بحادثة تاريخية حصلت مع ابن عجلان[1] الشاعر الجاهلي الذي ورد عنه أنه " أحب هند بنت كعب بن عمر الكندي، وشغف بها وتزوجها، ثم حاول أبوه أن يطلقها لأنها لم تلد، فأقامت عنده سبع سنين ثم لم يزل به أبوه حتى طلقها، ثم ندم، وتزوجت هند رجلا من بني نمير من بني عامر، وخرجت مع زوجها فلم يزل عبد الله يبكيها ويقول فيها الشعر حتى مات أسفا "[2].

وموضع التناص أن صاحبه يعظه أن يترك حب صفراء المتزوجة من رجل آخر كي لا يلاقي نفس المصير الذي لاقاه ابن عجلان في حبه لهند المتزوجة.

فبشار يستلهم تجربة تاريخية مشابهة لتجربة حبه من حيث نظرته إلى التاريخ كمدونة للتجارب ومعين لأخذ العبرة والعظة.

ويتناص بشار تاريخيا لخدمة مديح النسب، يقول مخاطبا المهدي [3]:

أبناءُ ذي التاج ذُو رُعَينٍ وَرَهـ ـطُ المُصطفى لَيسَ فَوقَهُم بَشَرُ

فبشار يمدح المهدي ويذكر حسن فعاله وما يقوم به من أمور تدل على طيب المنبت وحسن النسب، ويستحضر – مستعينا بالتاريخ – بعض الأنساب التي يتصل بها وتؤثر في سلوكه إيجابا.

فقد استحضر تاريخ الحميريين الذي تفرع من أنسابهم ذو رعين وهو " يريم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس " [4].

فبشار أراد " أن المهدي من أبناء ملوك حمير، لأن أمه أروى بنت منصور ريف عبد الله الحميرية من ولد شهر ذي الجناح " [5].

---

1 عبد الله بن عجلان.قال الأصمعي هو نهدي جاهلي.
وهو من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقاً.
انظر عنه:، ألاغاني 67 /9 المستطرف في كل فن مستظرف، أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية – بيروت،ط.2، 1986 ج2ص358

2 ديوان بشار شرح الطاهر ج2 ص 313

3 ديوان بشارج3 ص 199

4 جمهرة أنساب العرب لابن حزم دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان –ط.3، 1424 هـ - 2003 م- (2 / 433)

5 ديوان بشار ج3 ص 200

فبشار يذهب إلى النسب البعيد الذي أخرجه مستعينا بفهم التاريخ ليعظم من مديحه للمهدي حيث إن نسبه يضرب في أعماق أصول القبائل العربية العريقة مع عدم إغفاله للنسب القريب المتمثل بالقرشية الآتي ذكره.

ويمتدح بشار المهدي مبينا نسبه الممتد إلى أعلام قريش، يقول [1]:

ببَطنِ مكَّةَ آثارٌ لِأوَّلِكُم مِمّا بَنى لِمَعَدٍّ جَدُّهُ أَدَدُ

فهو يشير إلى آثارهم البارزة التي خلفها أجدادهم وما تزال علاماتها ظاهرة،ففي مكة آثار ما بناه أدد [2] ما تزال ماثلة للعيان حتى ورثها معد وما بعده من الأحفاد إلى عصره الخليفة الممدوح.

وهو في استحضاره لهذا التأريخ يدلل على الجذور الأصيلة التي تربطه بأسلافه الأوائل مما يعطيه شرعية في قيادة الأمة لأنه سليل سادة وشرفاء العرب.

التناص مع التاريخ الإسلامي:

ويتناص بشار مع التاريخ الإسلامي في مقام مدح،يقول[3]:

شَفَتِ الغَليلَ وَلَم تُنَل بِمَلامَةٍ وَشِفاءُ مَن تَيَّمتِ غَيرُ جُناح

إنَّ البَخيلَةَ لَو يَميلُ بِها الصِبى كَالقِنوِ مالَ عَلى أبي الدَحداح

يصف بشار تأثير محبوبته عليه مع حسن مطلعها وبهجتها فهي الشافية له يشبه تمايلها وتثنيها في الحسن والدلال بمثل قنو النخلة الذي يتمايل يمينا وشمالا في عجب وتيه مع ما يبعثه من حسن وجمال.

---

1 ديوان بشار 2 ص 287

2 ادد هو والد عدنان وجد معد، وقد ذكر ابن إسحاق نسبه " أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح ابن راعو ابن فالخ بن عير بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس النبي بن يرد بن مهليل بن قين ابن أنوش بن شيث بن آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم " سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) محمد بن إسحاق بن يسار،تحقيق محمد حميد الله نشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ص (1، 2) وانظر: انساب الأشراف للبَلَاذُري،تحقيق: سهيل زكار وآخر،دار الفكر – بيروت ط.1 1996 م (ج1 ص 12ومابعدها)

3 ديوان بشار ج2 ص 128

ولم يكن تشبيه بشار بقنو النخلة هكذا مجردا، إنما التمس له صورة مؤثرة مستلهمة من التاريخ الإسلامي تتمثل في النخلة التي وعد بها النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الدحداح [1]في الجنة وهي المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم (كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح) لما له من جهد في نصرة الإسلام ولعظيم عمله.

فهذه النخلة وصفت بالرداح وهي المثقلة بالتمر، فلها ميزة خاصة مع كونها في الجنة التي تفوق بمراحل ثمار الدنيا فتخصيص بشار "بالقنو الذي يتدلى في الجنة لأبي الدحداح لتحسين المشبه أن يكون مشبها بقنو الجنة مثل قول بشار (كأن حديثها ثمر الجنان) [2]" [3].

وهذا الاستحضار من بشار يدلل على (سعة علم بشار بالحديث والسيرة)[4] والتاريخ الإسلامي الذي أحسن في توظيفه في الموقع الذي يحتاجه إليه.

ويتناص مع شخصية العباس لإعطاء شرعية لخلافة ممدوحه، يقول [5]:

يَغدونَ لِلحَربِ بأقرانِها صيدٌ إذا هابَ العَواويرُ
لِلمُلكِ عَبّاسٌ وَأبنـاؤُهُ قِدماً وَلِلحُشِّ الخَنازيـرُ

يمدح بشار أحد الولاة العباسيين ويبين أحقيته بالخلافة لما يتميز به من حسن نسب فهو من سلالة العباس، معللا أن المُلك في نسل العباس وهو "بناء على عقيدة العباسيين أن الأحق بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم بعده هو وارثه عمه توهما منهم وتظاهرا بتوهم أن خلافة الأمة كالوراثة، فهو وإن لم يقدم للخلافة أحق بها من غيره، وبناء على هذا الزعم ادعى بنو العباس أنهم أولى بالخلافة من بني علي بن أبي طالب لأن عليا محجوب من أرث النبي صلى

---

1 أبو الدحداح الأنصاري حليف لهم قال ابن عبد البر–رحمه الله–:لا يعرف اسمه وزاد الحافظ ابن حجر:ولا نسبه أكثر من ذلك.
وعن أنس أن رجلا قال يا رسول إن لفلان(أبي لبابة–رضي الله عنه–فيما روي)نخلة وأنا(يتيم) أقيم حائطي بها فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطى بها فقال له النبي -ﷺ- أعطه إياها بنخلة في الجنة فأبى(فبكى اليتيم)قال فأتاه أبو الدحداح فقال له بعني نخلتك بحائطي.، قال ففعل فأتى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ابتعت النخلة بحائطى فاجعلها له فقد أعطيتكها فقال كم من عذق رداح(مُعَلَّق، أوْ مُدَلًّى،أو مذلل كما في روايات أخرى)لأبي الدحداح في الجنة قالها مرارا.، قال فأتى امرأته فقال يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط؛ فإني قد بعته بنخلة في الجنة. فقالت ربح البيع أو كلمة تشبهها
وقد توفي في حياة النبي-ﷺ- كما في صحيح مسلم.
انظر: صحيح مسلم (ج2 ص 664/).، الإصابة في تمييز الصحابة (ج7 ص119) (ج1 ص 386).
2 ديوان بشار ج4 ص 220
3 المصدر نفسه ج 2 ص129
4 المصدر نفسه ج 2 ص129
5 المصدر نفسه ج3 ص 197

الله عليه وسلم بعمه العباس،وهم وإن كانوا أبناء بنت النبي صلى الله عليه وسلم فإن أولاد البنات لا يرثون مع وجود العم" [1].

فبشار يستحضر هذه الإشكاليات التاريخية التي حصلت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ليقوي بها المحجة في مدحه لهذا الوالي الذي يراه أحق الناس بالخلافة بناء على التوصيف الذي تقرر عنده، فالصراع على الخلافة بين الأمويين العباسيين، جعل كل منهم يستحضر ما يؤيد رأيه من النصوص الدينية والحوادث التاريخية المدللة على شرعية حكم كل منهم، وهذا ما التفت إليه الشعراء ومنهم بشار كما في الحجة التي ساقها في هذا البيت.

ويتناص مع حادثة تاريخية يقول [2]:

وَلَمّا رَأيتُ القومَ خَفَّت حُلومُهُم يَرومونَ بَحراً لَم أُعَرِّج عَلى بَحرِ

تَرَكتُ الهُوَينا لِلضَّعِيفِ وَشَمَّرَت بي الحَربُ تَشميرَ الحَروريِّ عَن فترِ

فبشار يذكر شجاعته ومقدرته على خوض غمار الوقائع ويستشهد لحاله تلك بحال الحروري عند قتاله، والحرورية هم الفرقة الأولى من الخوارج " نسبة إلى قرية حروراء التي انحازوا إليها بظاهر الكوفة لأول خروجهم على علي " [3] فهؤلاء الخوارج كانوا يقاتلون عن عقيدة فلذلك كان قتالهم شرسا يبذل الواحد منهم نفسه رخيصة في سبيل ما يطمح إليه،ولذلك ضرب بهم المثل في الشجاعة والبأس، فبشار يشبه حاله بهم في الشجاعة والإقدام.

فبشار يستدعي تاريخ الصراع السياسي الذي نشب عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم موظفا ما اشتهرت به طائفة من طوائف هذا الصراع يقارب حاله بها من حيث الشجاعة والاستماتة في نيل ما يريد.

كما يستلهم بشار صورة الخوارج الحرورية في مقام هجاء يقول[4]:

كَأنَّما عانيتَ بي عائِفاً أزرَقَ مِن أهلِ حَروراءِ

في معرض ذمه لمن يحسده ويحاول التضييق عليه مشبها إياه بأهل حاروراء وهم الخوارج المتصفين بالغلظة والغل العقائدي.

---

1 المصدر نفسه ج3 ص 197
2 ديوان بشار ج3ص 280
3 الدولة الأمويَّة، عَلي الصَّلاَّبي، دار المعرفة، بيروت ط.2، 2008 م ج 1 ص 241
4 ديوان بشار ج1 ص 156

إذ يضرب المثل في العداوة بالحرورية لما لهم من سمعة سيئة ومذمة عند النـــاس؛لأنهم يستحلون دماء المخالفين لهم، فيقاتلون المسلمين عن عقيدة بعد استحلال دمهم، وهذا سبب كـــره الناس لهم وانتشار ذكرهم السيئ، وهذا ما جعل بشار يضرب بهم المثل في تـــصوير مبغـــضه الذي يضمر له العداوة متكئا في ذلك على التاريخ.

ويقول بشار [1]:

عُنقَ الزَرافةِ ما بالِي وَبالُكُمُ تُكَفِّرونَ رجالاً كَفَّروا رَجُلا

يخاطب بشار واصل بن عطاء هاجيا له يشبهه بعنق الزرافة التي تميزت بـــالطول مـــع خواء العقل ثم يضمنه معتقد الخوارج ظانا أنه ينتحل قولهم. وهنا بشار يرجع قليلا إلى تـــاريخ الصراعات السياسية والمذهبية فيستحضر موقف الخوارج في عهد علي بن أبي طالب وتكفيـــر بعضهم له، فهنا ينكر بشار على واصل تكفيره بعض الطوائف المارقة التي خرجت على علـــي وكفرته إذ كيفيكفر العدد الكبير من الناس بسبب تكفير رجل واحد.

ولعل مراد بشار بهؤلاء القوم الذين يكفرهم أتباع مذهب الكاملية الذين نسب بشار إليهم [2] لأنه لا وجه لتكفير قوم كفروا عليا بسبب تركه قتال الذين لم يبايعوه بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن معرفة بشار للصراعات المذهبية وما نشب عنه خلاف في ظلال الدولـــة الإســـلامية أعطى معانيه غناء خصوصا في مثل هذا السياق الهجائي الذي تميز به بشار.

وهكذا يظهر تجلي الثقافة التاريخية التي حازها بشار بن برد في ديوانـــه مـــن خـــلال تلاقحاته مع الأحداث والشخصيات التاريخية من خلال تاريخ العرب وغيرهم فوظـــف ثقافتـــه التاريخية توظيفا أسهم في الارتقاء بنصوصه الشعرية بحيث كان تناصه التاريخي عاملا في رفد شعره حيث ورد فيه بالدلالات والحمولات المعنوية المكثفة التـــي تنطـــوي عليهـــا تداخلاتـــه التاريخية، كما تبدت معرفته الدقيقة بأبرز الأحداث التاريخية والشخصيات الفاعلة في التـــاريخ،

---

1 ديوان بشارج4 ص 162

2 نسب عبد القاهر البغدادي بشار إلى الكاملية بعد ذكره لهم بقوله " الكاملية منهم هـــؤلاء أتبـــاع رجـــل مـــن الرافضة كان يعرف بأبي كامل وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي بتركه قتالهم وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى على هذا المـــذهب وروى انه قيل له ما تقول في الصحابة قال كفروا فقيل له فما تقول في علي فتمثل بقول الشاعر... وما شر الثلاثة أم عمر... بصاحبك الذي لا تصبحينا..."
الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة – بيـــروت، ط.2، 1977 ج1 ص 39) وانظـــر ديوان بشار شرح الطاهر ج4ص 162

ولم تقتصر هذه المعرفة على تاريخ العرب بل كان متعمقا في تاريخ الأمم الأخرى، فتجلى التناص في ديوانه مع شخصيات وأحداث تاريخية مؤثرة في المسار التاريخي للأمم الأخرى سيما الفارسية والرومية، كما حضرت أحداث وأيام العرب وشخصياتهم المعتبرة في شعره.

وبينت دراسة التناص التاريخي في شعره تمثله لأبرز الأحداث التاريخية إما بالإشارة إليها أو من خلال ذكرها صراحة، بالإضافة إلى توظيفه للشخصيات التي أسهمت في مسار التاريخ عند الأمم السابقة وعرفت بادوار معينة ذات أهمية، فجاء ورودها إما من خلال ذكرها صراحة أو من خلال توضيح الدور المنوط بها والذي عرفت به.

ثالثا: التناص مع الأمثال:

ستتم دراسة الأمثال العربية القديمة تناصيا في ديوان بشار بن برد وتوضيح الآفاق الدلالية التي خرجت إليها في توظيفها ضمن السياق الشعري الواردة فيه عند بشار بن برد

بحيث يتم تتبعها في ديوانه والوقوف على دلالاتها الأصيلة بالرجوع إلى مجامع الأمثال والوجوه التي تستدعيها، وتبيين الدلالات التي اكتسبتها بعد استدعائها في ديوان بشار بن برد والآليات التي تم توظيفها في تداخل بشار مع دلالاتها ومعانيها.

يقول بشار [1]:

إنّي إذا شَغَلَت قوماً فِقاحُهُمُ رَحبُ المَسالِكِ نَهّاضٌ ببَزلاءِ

يذكر بشار شجاعته وتحمله للشدائد الذي يظهر تميزه على غيرة من الناس الذين يشغلهم اللهو وإتباع سفاسف الأمور، ولأجل أن يعظم من دلالة عزم نفسه في تحمل الشدائد و مغالبة مصاعب الأمور استلهم مثلا قالته العرب، وهو قولهم، (إنّه لذو بزلاء) [2]،وهو يقال للرجل "إذا كان مطيقا للشدائد "[3]، فبشار يمتص دلالة المثل ليعطي فخره سعة أفق وامتداد في المعنى من خلال اختزال تشكيل المعنى المضمن فيه ونقله لمشهده الفخري.

---

1 ديوان بشار ج1 ص 148

2 زهر الأكم في الأمثال والحكم ج1 ص 120، مجمع الأمثال للميداني ج 1 ص60، وقال البكري في معنى بزلاء " وقولهم (إنّه لذُو بَزْلاء) فسّره العلماء على وجهين. قالوا البزلاء: الرأي الجيد الذي ينشق عن الصواب مأخوذ من بزل ناب البعير إذا انشقت عنه لثته...
والوجه الثاني: أنَّ البزلاء الداهية العظيمة يقال: فلان نهاض ببزلاء إذا كان مطيقاً للشدائد." فصل المقال في شرح كتاب الأمثال"، أبو عبيد البكري تحقيق: د.إحسان عباس وآخر، مؤسسة الرسالة – بيروت ط.3، 1983ص (147)

3 زهر الأكم ج1 ص 120

يقول بشار [1]:

يَغدو الخَليفةُ مِثلي في مَحاسِنِهِ وَلَستَ مِثلي فَنَم يا ماضِغَ الماءِ

يمدح بشار نفسه حتى بلغ به الأمر أن يجعل الخليفة بمقامه الرفيع يتمثل به في محاسنه التي يراها مرجع الراغب في القدوة، أما مهجوه فهو ليس مثله إنما هو أحمق أهوج لا يستطيع وضع الأشياء في مواضعها، موظفا في تبيان حالة مهجوه بمثل منقول العرب يدلل به على حاله هذه،وهو قولهم (أحمق من لاعق الماء)[2] أو (أحمق يطبخ الماء)[3]،وهو يضرب دلالة على حمق صاحبه لأن الماء لا يلعق ولا يطبخ، فمن كان حاله كذلك فهو مصاب بخبل في عقله.

فبشار ينظر إلى هذا المعنى الذي تضمنه المثل في إيحاءاته المتضمنة في أحوال قوله و مسقطا إياها على مهجوه ليعطي صورة كاريكاتورية ساخرة لهذا المهجو.

يقول بشار [4]:

وَأخ ذي نيقةٍ يَسألُني عَن خَليطَيَّ وَلَيسا بِسَوا

يذكر بشار سؤال أخ له عن أصحابه الصادقين والمخادعين وكيف هي أحوالهم المختلفة ولأن بشارا ينظر إلى هذين الطرفين نظرة تشاؤم وبؤس حيث عبر عنهم بـ (خنزير وكلب) فانه قد وصف هذا الأخ بـ (ذي نيقة) وهو يتناص في ذلك مع المثل القائل (خرقاء ذات نيقة)[5]،والذي يضرب (للجاهل بالأمر ومع ذلك يدعي المعرفة)[6]،فبشار يلمح إلى هذا السائل بأنه يدعي معرفة أعداء وأصدقاء بشار لكنه كما يرى بشار جاهل لا يعرف واقعهم المرير الذي أنزلهم في شقاء الحال.

يقول بشار[7]:

ما أحرمَت عَنكَ خَطاطيفُهُ فارِقَ عَلى ظَلعِكَ أو قبقِبِ

---

1 ديوان بشار ج1 ص 148
2 مجمع الأمثالج1 ص 228 ثمار القلوب567، نثر الدر للآبي تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ط.1، 2004 م ج 6 ص 136
3 مجمع الأمثال ج 1 ص 302
4 ديوان بشار ج4 ص 157
5 الأمثال لأبي عبيد ص 208، المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية – بيروت ط.2، 1987ج 2 ص 74، مجمع الأمثال ج1 ص 237 نثر الدر ج6 ص 71 التذكرة الحمدونية ج7 ص 78 جمهرة الأمثال ج 1 ص 418 وقال " والخرقاء خلاف الرفيقة وهي التي لا تحكم العمل،والنيقة التنوق وقال أبو حاتم لا يقال تنوق إنما يقال تأنق وهذا هو الجيد "
6 مجمع الأمثال ج1 ص 237
7 ديوان بشار ج 1 ص 182

يتحدث بشار في معرض نصحه لممدوحه بعدم تعجل الحرب والإقدام على الموت فقد منعت عنك خطاطيف الموت،والمراد بها الجيوش والعتاد الذي يهلك النفوس مضمنا هذه النصيحةمثلا يتناص معه بقوله (فارق على ظلعك) فهو يشير إلى المثل القائل (ارق على ظلعك)[1]،وهو يضرب للرجل الذي يريد أن يتجاوز حده [2]، فبشار ينصح ممدوحه بأن يكون تقدمه مناسبا لمقداره يحثه على عدم دخول المجهول وصعاب الأمور التي لا تطاق.

ويخدم هذا التناص غرض إسداء النصيحة من خلال مدوّنة الأمثال العربية التي تعد معينا تجريبيا يستفاد منه فيما يشابهه من مواقف ارتأى بشار أن يوظف منها هذا المثل الذي يتناسب مع سياق التحذير من مجاهيل الأمور.

يقول بشار[3]:

فَسَقَيتَهُم وَحَسِبتَني كَمَوّنَةٍ نَبَتَت لِزارِعِها بِغَيرِ شَرابِ

يعاتب بشار يعقوب بن داود الذي يكثر له المواعيد والأماني لكنه لا يوفي منها شيئا مصورا حاله في هذا المقام بالكمون الذي جاء فيه المثل (اخلف من شرب الكمون)[4] حيث يدعي العرب أن الكمون " لا يسقى بل يوعد به بالسقي فيقال:غدا نسقيك وبعد غد نكفيك،فهو ينمو بالتمنية على المواعيد الكاذبة " [5].

فبشار ينظر إلى حاله بسوداوية بعد تلك الوعود التي لم يُحَقق منها شيء يذكر؛ فكان تعميق المثل المستحضر المعبر الحقيقي عما حل لنفسيته التي أضناها خلف الوعد مع ما تضفيه دلالة المثل من إغراق في تصوير الحالة التي ألحقها يعقوب به من سوء سلوك.

ويستشهد بشار بهذا المثل في موقع آخر [6]:

لَيسَ المُحِبُّ كَمَوّنٍ بِمَزرَعَةٍ إن فاتَهُ الماءُ أغنَتهُ المَواعيدُ

---

1 المستقصى في أمثال العرب ج1 ص 142 جمهرة الأمثال ج1 ص 117،مجمع الأمثال ج1 ص 293 نثر الدر ج 6 ص87

2 انظر:زهر الأكم ج 3 ص 58

3 ديوان بشار ج1 ص 187

4 المستقصى في أمثال العرب ج1 ص 107، جمهرة الأمثال ج1 ص 412 مجمع الأمثال ج1 ص 254

5 ثمار القلوب – (ص 615)

6 ديوان بشار ج2 ص 270

فبشار ينكر التمني وخلف المواعيد في الحب؛ فيرى حال المحب الذي يتمنى وينتظر اللقاء بحال الكمون التي أغناها الوعد عن الماء كما مر سابقا.

يقول بشار [1]:

ولَو اِسطعتُ طائِعاً في الأُمورِ النَوائِبِ
لَفَداها مِنَ الــرَدى هاربي بَعدَ قاربــي

يذكر بشار شدة تعلقه بمحبوبته عبيدة حيث يذكر أنه يفديها بكل ما يملك لما لها من وجــد في قلبه، وقد دلل على عموم الافتداء لها بقوله،(قاربي،هاربي)والمقصود الذي يصدر عن الماء والذي يطلب الماء، دلالة على العموم الذي اشتمله افتداؤه،وهو في مقابلة هذين الوصفين يتناص مع المثل القائل (ما له هارب ولا قارب)[2] فهذا التضاد يدلك على خلو المذكور من المعين،

فلا" أحد يَهرُب منه، ولا أحدٌ يقرب إليه، فليس له شيء" [3]

فبشار يقتبس هذين الوصفين المذكورين في المثل ويوظفهما في خدمة غرضه الشكائي من هجر عبده ليدلل على عظم إخلاصه لها مما يجعله يقدم الفداء بكل ما يملك على وجه العموم.

يقول [4]:

إنَّ المُحِبَّ تَلينُ شَوكَتُهُ يَوماً إذا ما عَزَّ صاحِبُهُ.

يذكر الشاعر ما يدور بينه وبين محبوبته فلا تتغير حاله قربا وبعدا، ففي هذا المقام يشير إلى أن المحب يكون لينا منطاعا إذا ما عز وترفع صاحبه، فلا يقابل السلوك بمثله لئلا يكــون ذلك مدعاة لتفاقم النفور بينهم مما يسبب الهجر والقطيعة.

---

1 ديوان بشارج1 ص 188
2 الأمثال لأبي عبيد ص 388 المستقصى في أمثال العرب ج2 ص333 مجمع الأمثال ج2 ص 270 جمهــرة الأمثال ج2 ص 179
3 العقد الفريد – (ج3 ص75)
4 ديوان بشار ج1 ص 243

وهذا المعنى المضمن في هذا البيت هو نفس مضمون المثل القائل "إذا عز أخوك فهن" [1] فالسلوك الصحيح هو المرونة واللين في التعامل مع الآخرين فمن قوبل بعزة ونفور فإن على من يقابله أن يكون لين الجانب لاحتواء الإشكال.[2]

يقول بشار [3]:

أكرِم خَليطاً تَنَل كَرامَتَهُ لَستَ بِجانٍ مِن شَوكِهِ عِنَبا

يرشد بشار إلى الإحسان إلى الآخرين، لان الإحسان لا بد أن تكون ثمرته المقابلة بإحسان مثله.

فلا يستطيع الزارع أن يجني من الشوك العنب، فالشوك ينتج الشوك، والعنب ينتج العنب وهذا التمثيل بعدم جني العنب من الشوك هو مثل متداول قاله اكثم صيفي (إنك لا تجني من الشوك العنب) [4]،أي إن من زرع شيئا حصده فمن زرع المعروف ناله، ومن زرع الشر ناله، فبشار يستلهم هذا المعنى ليكون معينا له في سلوكه مع محبوبته، فهو يرجِّي إن أحسن إليها أن تقابله بالمثل فكان تناصه مختزلا لتجربة السابقين جاعلا إياها خادمة لغرضه المرجو مع حسن الصياغة وتهذيب اللفظ.

يقول بشار [5]:

لَم تَرَ العَينُ لِعَينٍ فِتنَةً مِثلَها بَينَ جُمادى وَرَجَب

يذكر بشار مطلع محبوبته وتأثيرها عليه؛ فقد صادفته على غفلة لم يتوقع حينها أن تخرج إليه؛ فكان من تأثير طلتها أن فتنته من شدة ما أصابه من اضطراب تغلغل في نفسه.

---

1 الأمثال لأبي عبيد ج 1 ص 155،جمهرة الأمثال ج1 ص 65، مجمع الأمثال ج1 ص 22 نثر الدر ج6 ص 75 العقد الفريد ج3 ص 41 وفي قصة هذا المثل يقول الضبي " زعموا أن الهذيل بن هبيرة أخا بني ثعلبة بن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل، كان أغار على أناس من ضبة فغنم ثم انصرف، فخاف الطلب فأسرع السير، فقال له أصحابه: اقسم بيننا غنيمتنا، فقال: إني أخاف أن تشغلكم القسمة فيدرككم الطلب فتهلكوا، فأعادوا عليه ذلك مرارا فلما رآهم لا يفعلون قال: إذا عز أخوك فهن فأرسلها مثلا، وتابعهم على القسمة. " أمثال العرب، المفضل الضبي تحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط.2، 1983م ص137"

2 ويتناص بشار مع هذا المثل في موضع ثان يقول " الديوان ج2 ص 79 ":
أهونُ إذا عَزَّ الخَليطُ وَرُبَّمأمَتُّ برَأس الحَيَّةِ المُتَمَعِّج

3 ديوان بشار ج1 ص 341

4 الأمثال لأبي عبيد ص 270،المستقصى في أمثال العرب ج1 ص 416 جمهرة الأمثال ج1 ص150 مجمع الأمثال ج1 ص 53 التذكرة الحمدونية ج7 ص 41

5 ديوان بشار ج1 ص 364

ويستحضر في قوله سياق المثل القائل:" العجب كل العجب بين جمادى ورحب "[1]، والذي"يضرب مثلا للذي يدرك بغيته في آخر أوقات الإمكان " [2]، فبشار يوضح أن رؤية محبوبته المفاجئ له كمثل طالب حاجة لم يحصلها إلا آخر وقتها، فشكلت هذه الرؤية عنده تعجبا ألهب نفسه، وكان جديرا بتسجيله واستحضار ما يمثله من قول العرب المدلل على مثيله.

وقد كان بشار مجتزئا للمثل بذكر بعضه (جمادى ورحب) مشيرا إلى بقيته لان هذا الجزء أغنى عن البقية.

يقول بشار:

يا بانَ طبُّكِ لا يَنا مُ وَقد يَنامُ القُطرُبُ

يذكر بشار تأثير محبوبته (بانة) عليه؛ فقد جعله يُشغل بها،وأصبح ساهرا ليله جراء تأثير الوجد فيه، وهو يعلل ذلك بأن حبها أشبه بالسحر الذي يجذب النفس فهو يخاطبها قائلا إن سحرك الجاذب لقلبي لا يتوقف ويبقى طوال الليل مؤرقا لي بحيث أصبحت لا أنام في حين ينام القطرب قبلي، والقطرب الذي مثل به هو دابة تسهر كثيرا فلا تنام الليل، فبشار استحضر صورة القطرب المضروب به المثل في السهر من خلال قولهم (أسهر من قطرب)[3].

يقول بشار [4]:

عَلى أهلِها تَجني بَراقِشُ فاتَّقوا جِنايَةَ عَبدٍ وَاِسعَدوا بِقُلوبِ

يهجو بشار أبا هشام الباهلي مبينا شؤمه محذرا بني وائل من أن ضرر الباهلي سيصل إليهم ويلحقهم الأذى من طريقه مستشهدا في هذا السياق بمثل العرب القائل (على أهلها تجني براقش)[5] وبراقش "كلبة لقومٍ من العرب فأغير عليهم فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقش فاتبع القومُ آثارَهُم

---

1 قاله عاصم بن المقشر الضبعي وقد اخذ بثار أخيه في آخر يوم من جمادى الآخرة لان رجب شهر حرام، في قصة مذكروه بطولها في مجمع الأمثال ج2 ص 24 وانظر المحاسن والأضداد، الجاحظ، مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر ط.2 –1994م ص 186

2 ديوان بشار ج1 ص 364

3 جمهرة الأمثال ج1 ص 509مجمع الأمثال ج1 ص355 المستقصى في أمثال العرب ج1 ص 175

4 ديوان بشار ج1 ص 377

5 مجمع الأمثال ج2 ص 14 أمثال العرب للمفضل الضبي (ص151) نثر الدر – (ج6 ص 112) نهاية الأرب في فنون الأدب – (ج3 ص 35) لسان العرب، مادة برقش

بنُبَاح بَرَاقش فهجموا عليهم فاصطلموهم،"[1]، وقيل أنهم قتلوا الكلبة ولذلك يقال (على نفسها تجني براقش).

فأصبح هذا القول مثلا يضرب لمن يعمل عملا يعود بالضرر على نفسه أو أهله.

فمقصود بشار من الإشارة إلى هذا المثل أن ينبه قوم الباهلي بأن الضرر سيلحقهم من تصرف الباهلي الذي يجني على نفسه وعلى قومه، كما فعلت براقش، فبشار يريد أن يرسل رسالة لبني وائل وحتى يوجز قوله اختزله في المثل المذكور.

يقول بشار [2]:

رَضيتُ ميعادَكَ يا سَيِّدي إن لَم يَكُن ميعادَ عُرقوبِ

يذكر بشار تألم وشوق صاحبه حماد، حيث الشكاية من المواعيد والمماطلة فيها، فيذكّر قبوله بهذه المواعيد إن لم تكن مواعيد لا وفاء فيها، وهو في هذا المقام يتذكر"مواعيدعرقوب "[3]. التي يضرب بها المثل في إخلاف الوعد، متمنيا على محبوبته أن لا تكون مواعيدها مثل مواعيد عرقوب التي لم يف منها شيئا.

وفي قصة عرقوب ورد " أنّه كان رجل من العماليق يقال له عرقوب، فأتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير بلحاً. فلما أبلحت أتاه فقال له: دعها حتى تصير زهواً، فلما أزهت قال له: دعها حتى تصير تمراً، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط منها شيئاً، فصار مثلا في الخلف" [4].

فهذا المشهد المختزل في المثل المأثور (مواعيد عرقوب) ضمنه الشاعر في بيته ليوجز القول ويرسل الإشارات المباشرة من خلاله لمحبوبته.

---

1 مجمع الأمثال ج2 ص 14 ويذكر الضبي رواية أخرى للمثل " وزعموا أن براقش ابنة تقن كانت امرأة لقمان بن عاد، وكان بنو تقن من عاد أصحاب إبل، وكان لقمان صاحب غنم، وكان لا يطعم لحوم الإبل، فأطعمته امرأته براقش من لحوم الإبل فنحر إبلهم التي يحتملون عليها فأكلها ثم قاتل إخوتها على إبلهم، فقيل: على أهلها تجني براقش، فأرسلت مثلا." أمثال العرب ص (151)

2 ديوان بشار ج1 ص 384

3 المستقصى في أمثال العرب – (ج1 ص 108) ثمار القلوب – (ج1 ص 131) جمهرة الأمثال / العسكري – (ج1 ص 433) مجمع الأمثال – (ج2 ص 311)

4 الأمثال لأبي عبيد ص 87

يقول بشار[1]:

قد زُرتِنا مَرَّةً في الدَهر وَاحِدَةً عودي وَلا تَجعَليها بَيضَةَ الديكِ.

يذكر بشار زيارة محبوبته له، فهي لم تزره إلا مرة واحدة فيحثها على تكرار الزيـــارة، وقد شبه زيارتها التي لم تتكرر ببيضة الديك، وهو مثل يذكره العرب للشيء يكون مرة واحـــدة ولا يعود.

ويقول أبو عبيد (ومن أمثالهم في البخيل يعطي مرة ثم لا يعود قـــولهم؛ كانـــت بيـــضة الديك)[2]؛ فبشار يرتجي من محبوبته أن لا تكون زيارتها كبيضه الديك التي لا تتكرر،فهو راغب منها أن تعاود لقاءه مرات ومرات.

إن التناص مع هذا المثل أعطى تصويره لمشهد زيارة المحبوبة حيوية، وعمَّق دلالته من خلال اختزال قول مأثور يصور ما يرنو إليه من ذم فعل الأمر الحسن مرة واحدة.

يقول بشار [3]:

يا عَجَباً لِلخِلافِ يا عَجَباً بفي الَّذي لامَ في الهَوى الحَجَرُ

يذكر بشار عناءه مع اللوام والمعاتبين له في شأن العشق، إذ قد أثقلوا عليه الكلام مما أثار عجبه من سلوكهم ما دفعه أن يدعو عليهم بأن يُملأ في أفواههم الحجر، وهذا الدعاء مستلهم من قول العرب " بفيك الحجر "[4]،يقولونه لمن صدر عنه أمر مكروه أو فيه مضره، فبشار ينقل دعاء العرب هذا ليصور مدى الأذى الذي لحق به من هؤلاء اللائمين له.

يقول بشار [5]:

وَلا يَضبطُ العَثراءَ إلّا اِبنُ حُرّةٍ سَبوقٌ بحَدِّ السَيفِ مُطَّلِعُ العُذر.

---

1 ديوان بشار ج4 ص 144

2 الأمثال لأبي عبيد ص315، وانظر: المستقصى في أمثال العرب – (ج2 ص 211) ثمـــار القلـــوب – (ص 489) جمهرة الأمثال / العسكري – (ج1 ص 224)

3 ديوان بشار 170 /3

4 المستقصى في أمثال العرب – (ج2 ص 12) مجمع الأمثال – (ج2 ص 71) التذكرة الحمدونية – (ج7 ص 154) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال – (ج1 ص 17)

5 ديوان بشارج3 ص 279

يتناص بشار مع المثل (سبق السيف العذل)[1] في سياق المديح حيث الوصف بالشجاعة والإقدام في سل السيف حتى قبل سماع عقاب الآخرين الذين يرغبون منه التروي والتأني قبل الإقدام على سل السيف.

يقول بشار [2]:

مِن حِكَمٍ صَمتٌ فُدَع مَنطِقاً إن كانَ خَيراً لَكَ مِنهُ الصُموتُ

يرشد بشار إلى التحلي بالصمت وعدم الثرثرة في الكلام، ففي الصمت وقار وهو يورث الحكمة وحسن توازن الأمور وهو في هذا المقام يسترشد بقول العرب (الصمت حكم وقليل فاعله) [3]وتنسب إلى لقمان، فاستعمال الصمت حكمة ولكن قل من يستعملها.

يقول بشار[4]:

وَكُنتَ كَالباحِثِ عَن مُديَةٍ وَإِنَّما يَشقى بِها الباحِثُ

يهجو بشار حماد عجرد ويذكر أنه استفزه وعبث به مع أنه رجل شجاع كالأسد لا يقترب منه ويذكره تصرفه هذا بالمثل القائل (كالباحث عن المدية) [5]،والذي جاء في خبره(أن رجلا وجَدَ صيدا ولم يكن معه ما يذبحه به فبحث الصيدُ بأظلافه في الأرض فسقط على شَقْرَة فذبحه بهايضرب في طلب الشَيء يُؤدِّي صاحبه إلى تلف النفس)[6].

فبشار يرى حمادا باحثا عن مهلكته في تماديه معه كحال هذا الطير الذي دل على ما يذبح به، وهذا فيه شدة هجاء له مع مزجه بجانب طريف في بيان علاقته به.

---

1 أمثال العرب – (ج1 ص 34) الأمثال لابن سلام ص 62، المستقصى في أمثال العرب – (ج1 ص 169) جمهرة الأمثال / العسكري – (ج1 ص 377) واصل هذا المثل " إن سعداً وسعيداً ابني ضبة بن إد خرجا في طلب إبل لهما، فرجع سعد ولم يرجع سعيد، وكان ضبة إذا رأى شخصاً مقبلاً قال أسعد أم سعيد ؟ ثم أنه في بعض مسايره أتى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام، فقال له الحرث قتلت رجلاً هيهنا هيئته كذا وكذا، وأخذت منه هذا السيف، فتناول ضبة فعرفه فقال إن الحديث شجون. ثم ضربه فعذل فقال: سبق السيف العذل " الكشكول بهاء الدين العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط.1، 1998م ــ (1 ص 304)

2 ديوان بشار 22 /2

3 المستقصى في أمثال العرب – (ج1 ص 328) جمهرة الأمثال / العسكري – ج1 ص 569) مجمع الأمثال – (ج1 ص 402) نثر الدر – (ج7 ص 12)وقصته " روي أن داود عليه السلام كان يسرد درعاً ولقمان عنده فقال: ما هذا يا نبي الله فسكت عنه حتى إذا فرغ داود من سردها لبسها فعند ذلك قال لقمان " " الصمت حكم وقليل فاعله " فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ج1 ص 30)

4 ديوان بشار ج 2 ص 65

5 الأمثال لابن سلام ص 329– ثمار القلوب – (ج1 ص 380) نهاية الأرب في فنون الأدب (ج3 ص 42) العقد الفريد – (ج3 ص 58)

6 مجمع الأمثال – (ج2 ص 157)

يقول بشار[1]:

كَم حاسِدٍ لَكُمُ يَرجو خِلافَتَكُم قد كانَ يَفقأُ مِنهُ المُقلَةَ الحَسَدُ
أذكى عَلَيكُم عُيوناً غَيرَ غافِلَةٍ إذا تَغَفَّلَتِ الأحراسُ وَالرَصَدُ
وَفيمَ ذاكَ وَلا في العيرِ عِدَّتُهُ وَلا النَفيرُ وَلا إن ماتَ يُفتَقَد

يذكر بشار حاسدي المهدي الذين يرمقونه بأعينهم حسدا له لما آلت الخلافة إليه،علما أنها أوصلته إلى معالي الأمور، لكن ما يؤنس نفسه أن هؤلاء الحاسدين لا قيمة لهم، ولا يحسب لهم حساب؛ فحالهم كحال المثل القائل (لا في العير ولا في النفير)[2] والذي جاء في خبره ". أن النبي حين نهض من المدينة ليلقى عير قريش قافلة من الشام مع أبى سفيان سمع بذلك مشركو قريش فنهضوا ولقوه ببدر فكان من الأمر ما كان فكل من تخلف عنهم قالوا فيه ذلك يريدون بالعير عير أبي سفيان وبالنفير الذين نفروا إلى قتاله عليه السلام..(وهو) يضرب لمن لا يصلح لمهمة"[3].

فبشار يجعل هؤلاء الحاسدين كهؤلاء المهمشين الذين لم يظفروا بشيء يمدحون به فلا قيمة لهم.

وتكمن قيمة التناص في إضفاء قوة في المدح للخليفة مع الإشارة إلى انعدام قيمة الحساد من خلال الدلالة المتولدة من استحضار هذا المثلوإيحاءاته وفضاءاته التي تعمق الفكرة.

وهكذا ظهرت سعة معرفة بشار بن برد بالأمثال العربية القديمة واطلاعه المعمق على أساليبها والمواقف التي تستدعيها بحيث أجاد في توظيفها شعريا من خلال استدعائها حرفيا وتضمينها في السياق الشعري خاصته، وهو الغالب في تناصه مع الأمثال أو من خلال الإشارة إليها بذكر أبرز مضامينها أو أعلامها وفق أسلوب مكثف يبتغي تطعيم النص المتناص بالحمولات الدلالية التي تتضمنها وتوجيهها معنويا.

---

1 ديوان بشار ج2 ص 293
2 المستقصى في أمثال العرب – (ج2 ص 264) جمهرة الأمثال / العسكري – (ج2 ص 399) مجمع الأمثال – (ج2 ص 221)
3 المستقصى في أمثال العرب – (ج2 ص 264)

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية على قصيدة مختارة

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية على قصيدة مختارة

التناص في قصيدة" تأبدت برقة الروحاء "

سأتناول في هذا الفصل تطبيق النظرية التناصية على قصيدة مختارة من ديوان بشار بن برد، بحيث تشمل دراستها سائر أنواع التناص التي تم توضيحها في مجمل الدراسة،هذا وسوف يتم تناول كل من التناص الأدبي بمستوياته من حيث المعنى العام والخاص،ومن حيث اللفظ بصيغته المباشرة وغير المباشرة، ومن حيث الصورة الفنية، والتناص الديني مع القرآن الكريم، والتناص التاريخي بأنواعه من حيث استدعاء الشخصيات والأحداث التاريخية، وإخضاع القصيدة لهذه العمليات التناصية الشاملة، لتبين الأصوات متعددة المشارب والثقافات التي أسهمت في البناء العام لها وفق تحليل يأخذ بعين الاعتبار الوحدة الموضوعية للقصيدة ككل دون اقتطاع أو اجتزاء يخدم النظرية التناصية وحسب.

وقد استدعت هذه النظرة إلى تحليل القصيدة تقسيمها إلى مشاهد وفق الموضوعات التي نظمت وحدة القصيدة من خلال تحليل تسلسلها وربطها بعضها ببعض،وتوضيح المشاهد المركزية فيها من حيث غرض القصيدة الشعري،وقد تساوق هذا التحليل مع استجلاء أوجه التناص الشامل فيها بما يخدم تكثير المعنى وفتح آفاق الدلالات، بحيث تتحصل رؤية دقيقة ووافية ببنية القصيدة من حيث الشكل و المضمون.

فتم تقسيم القصيدة إلى عشر مشاهد روعي فيها توضيح الفكرة الرئيسة واستجلاء المعاني العامة في ضوء النظرية التناصية، وقد وقع الاختيار على قصيدة بشار (البائية)، لما تمثله من قيمة فنية وبنائية عالية من حيث إنها تسير على نهج القصائد الجاهلية في بنائها الهيكلي وتعدد الموضوعات التي تتطرق إليها، كما أنها تظهر مواطن الجدة و الابتكار في تناول بشار لأبرز قضايا الشعر التقليدي، وكيفية تحويرها بما يخدم معانيه ودلالاته ويخرجها إخراجا يحمل بصمته الشعرية، ثم إن لطول القصيدة وتعدد موضوعاتها دورا في اختيارها،ذلك أنها تحتوي على كثرة تناصية تشمل معظم أنواع التناص بما يظهر العوامل الثقافية، والحضارية التي أسهمت في تكوين لغة بشار بن برد الخاصة على أكمل وجه.

1- مشهد الأطلال:

لقد تبوَّأت المقدمات الطلية مكانة رفيعة من حيث هي تقليد فني نحى إليه شعراء الحقبة الجاهلية، إذ لا تكاد تخلو قصيدة منه بصرف النظر عن موضوعها، فغدت المقدمة الطللية بمثابة عتبةضرورية للولوج في قلب القصيدة الجاهلية، حتى غدت قانوناً ملازماً للقصائد جميعها منذ العصر الجاهلي مروراً بالإسلامي وصولاً إلى الأموي،ولا شك أن بشارا من الشعراء الذين أسهموا في تطوير البناء الفني والموضوعي للقصيدة العربية الكلاسيكية على أنه من أكثرهم تشرباً للشعر الجاهلي وإطلاعاً عليه، ويتضح ذلك في هذه القصيدة التي بين أيدينا من حيث البنية الشكلية والمضمونية، علماً أنه أضفى على هذه القصيدة التي تعد امتدادا لتقليد شعري جاهلي أضفى بصماته الشعرية من حيث معانية المبتكرة، وحسن امتصاصه لنهج الجاهليين في تقديم قصائدهم، إذ أظهر أنه لا يقل عنهم كفاءة من جهة الأسلوب والبنية الداخلية والخارجية [1].

يقول بشار[2]:

تَأبَّـدَت بُرقةُ الرَوحـاءِ فَـاللبَبُ فالمُحدِثاتُ بِحَوضى أهلُها ذَهَبوا[3]
فَأصـبَحَت رَوضَةُ المَكّاءِ خالِيَـةً فَماخِرُ الفَـرع فَالغَرّافُ فَالكُثُـبُ
فَأجرَعُ الضَوع لا تُرعى مَسارحُهُ كُلُّ المَـنازِلِ مَبثـوثٌ بِها الكَـأبُ
كَأنَّها بَعـدَ ما جَـرَّ العَفـاءُ بِها ذَيلاً مِنَ الصَـيفِ لَم يُمدَد لَهُ طُنُبُ[4]
كانَت مَعايا مِنَ الأحـبابِ فَانقَلَبَت عَن عَهـدِها بِهِمُ الأيّامُ فَانقَلَبـوا[5]

وفي هذا المشهد يقدم بشار بن برد وصفاً للديار التي خلت من أهلها مبيِّناً ما آلت إليه حالها من خلوِّها ممن كانوا يسكنونها، بحيث تعطلت أسباب الحياة فيها من أسواق وبيوت ومراع للإبل والغنم، مما جعل هذه الديار مصدرا للكآبة التي حلت بها عوضاً عن أهلها المفارقين لها، فزالت كل أثارهم، كأنَّ هذه الديار لم تُسكن من قبل نظراً لما حلَّ بها من وحشة وإقفار، في حين

---

1 انظر عن مشهد الطلل في هذه القصيدة: تدور على غير أسمائها، نظرة في شعر بشار، حسين الواد، دار الجنوب، تونس ط.1 ص 54

2 ديوان بشار بن برد ج1 ص254

[3] تأبد : أقفر ، برقة الروحاء وما بعدها أسماء مواضع ومياه ، ديوان بشار ج1 ص254

[4] الطُّنُبُ والطُّنُبُ معاً: حَبْل الخِباءِ والسُّرادقِ ونحوهما اللسان مادة طنب

[5] معايا : جمع معيية وهو من العياء وهو التعب ، ووصف الأماكن بالإعياء لأنها من كثرة السكان كأنها كليلة تاعبة ديوان بشار ج1 ص255

كانت في ما مضى تعجُّ بالناس فانقلبت أحوالها وأصبحت على ما هي عليه من هجران ساكنيها لها.

وبالنظر إلى هذا المشهد تحليلاً وتنقيباً يقيم بشار بن برد التناص الأدبي بمختلف أشكالهمع شعراء العصر الجاهلي منها:

أ-التناص الأسلوبي (البنائي):- يتناص بشار بن برد في بناء جملته الشعرية بما يتعلقبرسم صورة الأطلال بعد أن هجرها أهلها مع مجموعة من الشعراء الجاهليين من حيث تعداد الأماكن التي يذكرها مدلّلاً على أقفارها من خلال استخدام (فاء) العطف، للأماكن الوارد ذكرها تمثيلاً على كونها أطلالا موصوفة.

ـ يقول بشار:

تـأَبَّدَت بُرقةُ الرَوحاءِ فَاللَبَبُ فَالمُحدِثاتُ بِحَوضى أَهلُها ذَهَبوا
فَأَصبَحَت رَوضَةُ المَكّاءِ خالِيَةً فَـماخِرُ الفَرعِ فَالغَرّافُ فَالكُثُبُ

في مطلع مقدمته الطلليّة يذكر أسماء مواضع أقفرت من أهلها هي مواضِعَ وقوفه عليها، منها (برقة)، و (اللبب)، (والمحدثات)، فيعطف اللبب والمحدثات على برقة الفاعل المرفوع.

بالإضافة إلى أن بشارا في معرض توصيفه لحال الديار المهجورة يصف أماكن معيَّنة من حيث خلوِّها ممن كانوا يرتادونها منها:(روضة المكاء) و (ماخر) و(الغراف)، و (الكثب)، فيعطف ماخر والغراف والكثب على روضة أسم أصبح المرفوع.

ولعل أول من نهج هذا الأسلوب هو امرؤ القيس في معلقته إذ قال [1]:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ
فَتوضِحَ فَالمِقراةِ لَم يَعفُ رَسمُها لِما نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَمـــأَلِ

نلاحظ أن امرأ القيس في حثّه صاحبيه على الوقوف بكاءً على أطلال المحبوبة ومنزلها الخالييحدِّدُ الأماكن المحمولة على الأطلال، فهو يعيِّن موضع أطلال المحبوبة بأماكن بعينها هي: (الدخول، حومل،توضح،المقراة) بحيث يعطف كلاً من (توضح)على (الدخول) المجرورة بالإضافة، ويعطف (توضح) و (المقراة) على ما قبلها بالفاء العاطفة في كل من هذه الأماكن المعطوفة.

---

1 ديوان امرئ القيس ص 8

ومن أقرب المقدمات الطللية إلى أسلوب بشار في مقدمته، مقدمة عبيد بن الأبرص في معلقته يقول [1]:

أقفرَ مِن أهلِهِ مَلحوبُ فالقُطبيّاتُ فالذَنوبُ

فعبيد يحدد الأماكن التي أقفرت من أهلها يذكر (ملحوب)عاطفاً عليه (القطبيات) و(الذنوب)، من حيث كونهامعطوفة على مرفوعٍ،هو الفاعل (ملحوب).

وكذلك مقدمة لبيد الطللية في معلقته إذ يقول في مطلعها [2]:

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرجامُها

فلبيد يصف الديار التي درست بعد أن فارقها أهلها مبينا مواضعها؛ فذكر (محلها) وهو المكان الذي يُحل به لبضعة أيام، و(المُقام) وهو المكان الذي يُقام فيه لمدة طويلة، فعطفالمقامعلى البدل المرفوع محل، ثم عطف (الرجام) على الفاعل المرفوع (غول)،وهماسما جبلين يسكن فيهما القوم الراحلون الذين يصفهم.

ولهذا الأسلوب في بناء الجملة الشعرية وصفاً للإطلال من خلال ذكر أسماء مواضع بعينها، وعطف بعضها على بعض شواهد كثيرة في الشعر الجاهلي،نكتفي بهذه الأمثلة عليه.

ب- التناص اللفظي:

يتناص بشار بن برد لفظاً في مشهد وصف الأطلال وإقفارها مع العديد من الشعراء الجاهليين بحيث يتراوح تناصه اللفظي بين التناص الحرفي وبين التناص الترادفي في معنى اللفظة.

ــ يقول بشار:

تَأَبَّدَت بُرقةُ الرَوحاءِ فاللبَبُ فالمُحدِثاتُ بحَوضى أهلُها ذَهَبوا

نجد بشارا يضمن بيته هذا مجموعة من الألفاظ التي أطرد ذكرها في أبيات الشعراء الجاهليين في وصفهم للأطلال من هذه العبارات " تأبدت، برقة ".

---

1 ديوان عبيد بن الأبرص، شرح اشرف عدره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1994، ص19
2 ديوان لبيد ص 199

يقول كعب بن سعد الغنوي [1]:[2]

تَأبَّدَتِ العَجالِزُ مِن رياحٍ وَأقفَرَتِ المَدافِعُ مِن خُراقِ[3]

يورد كعب بن سعد الغنوي كلمة تأبدت يسندها إلى العجالز من حيث إن الكثبان الصلبة الضخمة التي كانت تحل بها المحبوبة وأهلوهاقد امَّحت بسبب الرمال التي غطتها.

ويقول النمر بن تولب العكلي[4]:

تَأبَّدَ مِن أطلالِ جَمرَةَ مَأسَلِ وَقد أقفرَت مِنها شَراءٌ فَيَذبُل
فَبُرقة أرمام فَجَنبا مُتالِعٍ فَوَادي سليلٍ فَالنَدِيُّ فَأنجَل

يورد النمر بن تولب كلمة تأبد ويسندهاإلى المأسل وهو اسم موضع، ثم يورد كلمة (برقة) معطوفة على شراء، يضيفها إلى أرمام وهو اسم موضع.

ويقول طرفة بن العبد[5]:

لِخَولَةَ أطلالٌ بِبُرقةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ

يذكر طرفة كلمة (برقة)من حيث هي موضع أطلال خولة يضيفها إلى ثهمد.

من الملاحظ أن بشارا في بيته الأول يتناص تناصاً لفظياً مباشرا مع الشعراء الواردة أبياتهم آنفاً من خلال كلمتي: (تأبدت، وبرقة)، ففي حين اختلف توظيف الشعراء لغويا لتأبدت، إلا أنها ظلت تدل على معنى إقفار الديار وخلوها من ساكنيها، وبشار استخدمهما لتدلّلَ كلمة تأبدت على الوحشة التي تعتور الديار جرّاء خلوها من ساكنيها، وليدلّل بكلمة برقة على أرض ذات حجارة وحصى أضافها إلى اسم موضع.

---

1 معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،البكري، تحقيق: مصطفى السقا،عالم الكتب، بيروت ط.3، 1403(ج 3 ص 872)

2 هو كعب بن سعد بن عمرو بن عقبة أو علقمة بن عوف بن رفاعة الغنوي، شاعر مخضرم مجيد من أهل الطبقة الثانية وشعره يحتج به عند أهل اللغة .انظر: معجم الشعراء للمرزباني. تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط.2، – 1982 م(ص 341–)

3 "رملة عِجْلِزَة: ضخمة صلبة. وكَثِيبٌ عِجْلِز: كذلك. وعَجْلَزَ الكِثِيبُ " لسان العرب مادة عجلز ، والمَخْرَقُ كمَقْعَد: الفَلاة الواسِعَةُ تَتَخَرَّقُ فيها الرِّياحُ ، تاج العروس مادة خرق

4 ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت ط.1، 2000 ص 95 /96، وهو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث،شاعر مقل مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم فحسن إسلامه،
وكان النمرُ أحد أجواد العرب وفرسانهم وكان واسع القرى كثير الأضياف وهابا لماله فصيحا جريئاً على المنطق،انظر الأغاني (ج22 ص 274وما بعدها)،و«الإصابة في تمييز الصحابة»(ج6 ص 470)

5 ديوان طرفة بن العبد ص 19

– ويقول بشار:

فأجرَعُ الضوَعِ لا تُرعى مَسارحُهُ كُلُّ المَنازِلِ مَبثوثٌ بِها الكَأبُ

يستخدم بشار بن برد كلمة مسارح وهي تدل عنده على ساحات ديار المحبوبة التي خلت من الأغنام التي ترعى فيها، وقد وردت في الشعر الجاهلي في سياق خلوٍّ وإقفار،يقول تميم بن أبي بن مقبل [1]:

وخَوْقاءَ جَرْدَاءِ المَسَارح هَوْجَلٍ بِهَا لِاسْتِدَاءِ الشّعْشَعَانَاتِ مَسْبَحُ[2]

فورود لفظة " المسارح " في بيت ابن مقبل يدلل على ارض خالية من النبات، وهو نفس المعنى المراد من ورودها في بيت بشار من حيث إن المسارح التي يذكرها لا ترعى من قبل الغنم لعدم وجود النبات فيها.

جـ – التناص بالمعنى:

وقد حرص بشار على أن يمتص المقدمات الطللية في أشعار من سبقوه سيما شعراء العصر الجاهلي، ويعيد إنتاجها مع إضفاء الجديد الذي يدلل على فعل القديم فيه من حيث إنه لا يختفي إنما تتم إعادة إنتاجه؛ فيبقى المدلول معلقاً مرجأ يتماس مع طروسه ولا يتماهى معها، فتكتب كتابة على كتابة، تُحيِّدُ قطعية الدلالة،وتؤسس لبنية المعنى بصفته مستوفزا خارجاً على كل تأطير.

ـ يقول بشار:

تَأبَّدَت بُـــرقةُ الرَوحاءِ فاللبَبُ فالمُحدِثاتُ بِحَوضى أهلُها ذَهَبوا
فأصـــبَحَت رَوضَةُ المكّاءِ خالِيَةً فماخِـرُ الفَرع فالغَرّافُ فالكُثُبُ
فأجرَعُ الضَوع لا تُرعى مَسارحُهُ كـــلُّ المَنازِلِ مَبثوثٌ بِها الكَأبُ

---

1 ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، ط.1، 1995. ص 55، وهو تميم بن أبي بن مقبل العجلاني من عامر بن صعصعة أبو كعب. شاعر جاهلي مخضرم أسلم،وكان يبكي أهل الجاهلية !! وكان يهاجي النجاشي الشاعر !، فهجاه النجاشي يومًا، فاستعدى تميم عمرَ عليه، فلما قرأ النجاشي على عمر ما قاله في تميم أمر بضربه وحبسه؛فغلبه النجاشي.عاش نيفاً ومئة سنة انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ج1 ص 97)لابن رشيق القيرواني. فحولة الشعراء للأصمعي، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة 2009م ص: 22،و 43)

2 خوفاء : يقصد مفازة وهي المنبسطة واسعة الجوف ، هوجل : المفازة البعيدة التي ليس بها أعلام ، الشعشعانة : هي من الإبل الناقة الجسيمة . ديوان ابن مقبل ص55

يصف بشار بن برد إقفار الديار ووحشتها من خلوِّ أهلها، فيذكر المواضع التي شملها مع الأطلال التي هو في مقام تصويرها بعد ما هجرها أصحابها، فخلت رياضها وساحاتها وأسواقها وأضحت خاوية، كما أن ساحات الرعي فيها تعطلت فلا راع فيها ولا غنم،ثم يخلص إلى أنَّ هذه المنازل قد أشبعت بالكآبة فأصبحت مصدراً للحزن والأسى لما آلت إليه.

يقول عبيد بن الأبرص[1]:

أقفَرَ مِن أهلِهِ مَلحوبُ فالقُطبيّاتُ فالذَنوبُ[2]
فَراكِسٌ فَـــــتُعَيلِباتٌ فَذاتُ فِرقينِ فالقليبُ
فَـــــعَردَةٌ فقفا حِبرٍّ لَيسَ بها مِنهُمُ عَريبُ

يقف عبيد بن الأبرص على الأطلال بعد أن خلت من أهلها يصفها محددا المواضع التـــي كان يشغلها ساكنوها فخلت منهم بعد أن رحلوا عنها، ثم يؤكد على خلو هذه المواضع من وجود أي أحد فيها في دلالة على وحشتها وإقفارها.

لعل مقدمة عبيد بن الأبرص الطللية من أكثر المقدمات التي أفاد منها بشار ويتجلى ذالك من خلال تناصه معها أسلوبابذكر مواضع بعينها أصبحت خالية من أهلها معطوفة على الموضع الأول ذِكرا كما سلف توضيحه، ومن خلال التناص اللفظي الذي يؤسس لتناص بشار بن برد مع عبيد بن الأبرص في مقدمته الطللية، فعبيد يفتتح قصيدته بالإخبار عن خلو أمـــاكن ومواضـــع بعينها من أهلها ثم ينفي أن يكون فيها أحد من الإنس، وبشار يفتتح مقدمته بإقفار الأطلال التي فصَّلها بذكر مواضعها ثم يؤكد على رحيل أهلها عنها، ثم يوضح أن هذه المواضع التي يعدِّدها خالية ليس فيها أحد، وهو ذات المعنى المستفاد من عبارة عبيد " ليس بها عريب".

يقول خفاف بن ندبة السلمي [3]:

أوحَشت النَخلُ مِن مَعاقِلِ فالرَو ضاتِ بَينَ الغَيساءِ فالنُجُدِ
بَعدَ ســـــــَوامٍ تَعلو مَسارحَهُ تَسمَعُ فيهِ جَوائِزَ النَقــَدِ[4]

---

1 ديوان عبيد بن الأبرص، ص 19

[2] ملحوب ماء لبني أسد ، القطيبات :جبل ، الذنوب : مكان في ديار بني سعد . ديوان عبيد بن الأبرص ص 19

3 منتهى الطلب من أشعار العرب ج1 ص 129، و هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن ريـــاح بـــن يقظة، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم وجعله ابن سلام في الطبقة الخامـــسة مـــن الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ومالـــك بـــن حمـــار الشمخي،وكان أحد أغربة العرب،انظر فحولة الشعراء للاصمعي (ص: 28وما بعدها) سمط اللآلـــي في شرح أمالي القالي (ج1 ص 39)

[4] والسَّوامُ والسائمةُ: الإبل الراعية. وأسامَها هو: أرعاها، وسَوَّمَها، " اللسان مادة سوم

بعد أن يقف على مواضع بعينها ذهب عنها أهلها، ينتقل لاستحضار الصورة الماضية لهذه الديار من خلال توصيف المراعي التي كانت تعجّ بالإبل التي ترعى فيها بحيث يمكن مشاهدتها و سماع أصوات الأغنام التي تنتقل من موضع فيها إلى موضع آخر.

يدلل بشار على إقفار الديار من خلال نفي وجود دواب ترعى في مراعي "أجرع الضوع" لعله موضع اشتهر بمراعيه،وهو معنى ورد عند خفاف بن ندبة في تصويره لمشهد المراعي قبل أن يهجرها أهلها بحيث ينقل صورة مشهدية فيها عناصر الصوت والحركة مدللاً على الحياة التي كانت تدب في هذه المراعي، مقارناً تلك الحال مع حال المراعي بعد هجران أهلها دون تصريح،إنما يفهم ذلك من خلال السياق بذكره المواضع التي أوحشت، ثم بإيراد لفظ (بعد) في البيت الذي يتحدث فيه عن تلك الصورة النابضة بالحياةلتلك المراعي.

وبشار يقدم هذا المعنى تصريحاً لا تلميحاً بنفي أن تكون هذه المراعي تُرعى من قبل الإبل والماشية من الأغنام، وينتقل إلى تعميق دلالة الصورة القاتمة لهذه الديار فيجعل من الكآبة والحزن سكاناً تقيم وتنتشر في كل المنازل المهجورة فيها.

ــ ويقول بشار:

كَأَنَّها بَعدَ ما جَرَّ العَفاءُ بِها ذَيلاً مِنَ الصَيفِ لَم يُمدَد لَهُ طُنُبُ

يقدم بشار صورة هذه الديار التي يخيل لمن يراها بعد أن هجرها أهلها أنها لم تسكن ولم تقم فيها الخيام، نظراً لانقلاب حالها وتغيّرها بفعل العوامل الطبيعية، من خلال تصوير بديع يجعل فيه من التراب الذي تذروه الرياح رجلا يجرُّ ويقوم بسحب المطر الذي ينزل في الصيف على هذه الساحات فيطمس آثارها ومعالمها فلا يستطيع الناظر إليها رؤية أية أمارة على وجود حياة فيها من قبل.

ويقول عبد الله بن الزبعري [1]:

حيِّ الديارَ مَحا مَعارفَ رَسمِها طولَ البلى وتَراوُحُ الأحقابِ
فكَأنَّما كَتبَ اليَهودُ رُسومـــَها إلّا الكَنيـــفَ ومُعقِدَ الأطنابِ
قفراً كَأنَّكَ لَم تَكُن تَلـــهو بها في نـــِعمَةٍ بأوانسٍ أتــرابِ

يحييِّ عبد الله بن الزعبري الديار احتراما لمن كانوا يسكنونها مبيناً أن معالمها تهـدَّمت ومحيت بفعل الزمن الذي تعاقبت أيامه عليها فأبلتها. ثم يستدرك بأن بعض بيوتاتها وآثارهـا لا زالت ماثلة للعيانكأن اليهود كتبوها، شبهها بالسطور التي تسطر في كتاب، ويستثني المكان الذي يُحفر حول الخيمة كي لا تغمرها المياه والمكان الذي تشدُّ عليه حبال الخيام بحيث لم يبق منهـا آثار لأنها درستبفعل عوامل الزمن وتقلباته من أمطار ورياح، ثم يستحضر ما كان عليـه مـن صحبة لحسناوات متساويات في العمر، في سياق شكٍّ أن يكون ذلك حصل حقيقة نظراً لإقفـار الديار وخلوها من أهلها.

نلحظ أن بشار بن برد يعتمد على أبيات عبد الله بن الزبعري ليؤسس فضاءجديداً لمقولـه الشعري بحيث نلمح أثار المعنى الدلالي عند بشار في بيته، متناثرة بين أبيات ابـن الزبعـري، فمن جهة نلمح معنى امِّحاء آثار الخيام التي كانت منصوبة فوق الديار تدل على الحيـاة التـي كانت تزخر بها هذه الديار التي غدت أثارا نلمح هذا المعنى في تلك الصورة التي رسمها ابـن الزبعري لبقايا الرسوم المنهدمة مشبهاً إياها بالسطور، مستثنياً الأماكن المتعلقة بالخيام في دلالة على اختفاء الأثر الإنسي من هذه الأطلال، ولعل الخيام هي المكان الأمثل للتدليل على الحيـاة البشرية بصفتها البيت الذي يعيش فيه الناس جلَّ أوقاتهم متقاسمين الحزن والفرح والألفة.

فبشار يؤكد هذا المعنى من خلال أن الناظر إلى هذه الأطلال لا يمكنه أن يحـدس بأنهـا كانت مأهولة من قبل بحيث يعلل سبب امحاء أثار هذه الخيام بالأمطار المختلطة بالأتربة التـي غطت هذه الآثار، ولهذا المعنى صدىً في مقدمة ابن الزبعري الطللية عندما رد تهدم الرسـوم وامحائها إلى فعل الزمن المتمثل بتعاقب الفصول. فيعيد بشار إنتاج هذا المعنـى مـن خـلال تصويره فنياً بجعل الأتربة راع يجر مطر الصيف من ذيله مشبهاً إياها بحيوان مروض خاضع

---

1 شعر عبد الله بن الزبعري، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرسـالة، بيـروت،ط.2، 1981 ص29، وهوعبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي، كان شاعر قريش ثم أسلم ومدح النبي -ﷺ-أمر له بحلة وكان من أشعر قريش وكان شديدا على المسلمين قال بعد غـزوة أحـد، انظر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج4 ص 87).

لإرادة هذه الأتربة التي تعصف بها الرياح موجهة إياها وما اختلطت به من مياه نحو آثار الخياماحية إياها كأنها لم تكن.

كما أن بشارا يقدم صورة عن هذه الديار التي ينفي عنها كونها مسكونة في حال رؤيتها وفق صورتها الراهنة مستعيناً بدلالة الطنب من حيث هي أداة شد الخيام إلى الأرض على ساكنيها، وهو توجيه لمعنىابن الزبعري عندما دلّل على إقفار الديار؛ فابن الزبعري شك في كونه كانت له صحبة ورفقة مع الفتيات الحسناوات في هذه الديار بعدما عاينها على حالها الآنية من حيث إنه لم يجد فيها أثرا على تلك الأيام التي كانت فيها – كما وضح _من سرور ولهو.

ــ ويقول بشار:

كانَت مَعايا مِنَ الأحبابِ فَانقلَبَت عَن عَهدِها بِهِمُ الأيّامُ فَانقلبوا

يقدم بشار صورة مبتكرة للتدليل على امتلاء هذه الديار بأهلها، واكتظاظهابساكنيهافي ما مضى من أيام، من خلال جعله هذه الديار وكأنهاأصيبت بالتعب والإعياء الشديدين لكثرة ما تحمل من سكان، ثم يبين أن الزمان لم يدم على حال الألفة تلك، فتحول إلى إقفار هذه الديار من أهلها وتشتتهم عنها.

يقول عبيد بن الأبرص [1]:

لِمَنِ الدِيارُ بِبُرقةِ الرَوحانِ دَرَسَت وَغَيَّرَها صُروفُ زَمانِ

يتعجب ابن الأبرص من حال الديار المشار إليها في بيته، فقد إمحت رسومها وتهدمت، وجرت عيها أحداث الزمان فغيرتها، بحيث لا تكاد تُعرف،فلم يشاهد فيها ما يدلل على ساكنيها من تغيرها وفعل الزمان فيها.

ويقول أيضاً [2]:

إن بُدِّلَت أهلُها وُحوشاً وَغَيَّرَت حالَها الخُطوبُ

يوضح ما آلت إليه حال هذه الديار التي هجرها أهلها فأقامت فيها الوحوش والحيوانات الضارية، كما أن حال هذه الديار غيرتها حوادث الدهر ونوائبه.

---

1 ديوان عبيد بن الأبرص ص 120
2 ديوان عبيد بن الأبرص ص 19

نلاحظ أن بشار بن برد قد أفاد من معنى فعل الزمان وأثره في تغيير حال الديار وتصييرها إلى حال موحشة، فضمن هذه المعاني التي ذكرها ابن الأبرص في بيته وأعاد صياغتها بما يتناسب مع الصورة التي قدمها لتوصيف حال الديار قبل أن تنقلب بها الأيام، فبشار يقدم صورةً يوضح من خلالها ماهية أحوال تلك الديار من خلال تصويرها بالكائن الحي الذي تتعبه حمولته الكبيرة فيصاب بالإعياء منها في دلالة على أن هذه الديار كانت تحمل بين أكنافها الكثير من الناس الذين كانوا ينعمون فيها بحيث كانت من المدن النشطة والحيوية، وهذا التصوير هو إعادة إنتاج لعبارة ابن الأبرص " إن بُدِّلت أهلُها وُحوشاً "، فبشار في بيته يأخذ هذا المعنى المباشر المقدم بصيغة الإخبار عما حل بهذه الديار من تحول، معيداً إنتاجه في بيته، فدلالة" كانت" توحي بمعنى تحول هذه الديار عن الحال التي كانت فيها تصاب بالإعياء من كثرة زائريها والمقيمين فيها، ثم يؤكد على هذا المعنى من تحول الديار عن حال الألفة والأنس، من خلال توضيح فعل الأيام فيها، بحيث قلبت ما كانت عليه هذهالديار بما حملته عليهامن مصائب، وأحداث، مما أدى إلى انقلاب حال المقيمين فيها إلى التشتت والابتعاد عنها، وهو تحويل لمعنى عبيد بن الأبرص الذي يؤكد على أن أحداث هذا الزمان ومصائبه أسهما في تغيير أحوال الديار التي يقف عليها متحسراً، متسائلاً من شدة ما لحق بها من تغير عن سالف عهدها؛ فبشار يضمن في بيته معنيي تغير الديار وانقلابهاإلى حال الوحشة والإقفار، وتغير سكانها الذين انقلبوا عنها، فغادروها لما حدث من مصائب نزلت بهم فيها من خلال مجانسة لفظية بين عبارتي " انقلبت " يقصد الأيام و " انقلبوا " يقصد ساكنيها.

2) مشهد فراق المحبوبة والآلام المترتبة عليه:

لعل من أكثر المواضع التي تطرق لها الشعراء في مقدماتهم الطللية منذ العصر الجاهلي مروراً بالإسلامي وصولاً إلى الأموي، هو ذكر مشهد فراق المحبوبة،وإيراد تفاصيل هذا المشهد الذييصف فيه الشاعر ما يقاسيه من آلام من مشاهدته المحبوبة ترحل تابعةً أهلها، فتصبح عندها هذه الديار مصدرا للأسى والألم والتذكر فهي شاهد على الألفة والطمأنينة التي استحالت إلى فراق وهجر، وبشار يضمن مقدمته الطللية مشهد رحيل محبوبته ووداعه إياها، ناقلا مشاعره إزاء هذا الفراق، وما سبَّبَه له من آلام،يقول:

أقولُ إذ وَدَّعوا نَجداً وَساكِنَهُ وَحالفوا غُربَةً بالدار فَاغتَرَبوا

لا غَروَ إلّا حَمامٌ في مَساكِنِهم تَدعو هَديلاً فَيَستَغري بِهِ الطرَبُ

سَقياً لِمَن ضَمَّ بَطنُ الخَيفِ إنَّهُمُ بانوا بأسماءَ تِلكَ الهَمُّ وَالأرَبُ

أَنِنٌ مِنـــــــها إلى الأدنى إذا ذُكِرَت كـــــــــَما يَئِنٌ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ
بجـــــارَةِ البَيتِ عِمٌّ النَفس مُحتَضَرٌ إذا خَلَوتُ وَمـــــــاءُ العَين يَنسَكِبُ

يصف بشار بن برد موقف وداعه لمحبوبته عندما بدأ أهلها بالرحيل عن ديارهم ناقلاًصورة الحمائم التي لا زالت مقيمة في الديار لقرب عهد ساكنيها بها، متمنياً رجوعهموعدولهم عن قرار الرحيل، ثم يبين ما ترتب عليه من مشاهدة هذا الموقف وتيقنه من رحيلهم من آلام وعذابات جعلته يئن ألما كالمريض موضحاً كثرة بكائه عندما يشاهد هذه الأطلال خالية من محبوبته وأهلها.

يتداخل بشار بن برد مع ما سبقه من شعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين، أدبياً بأشكاله المتعددة منها:

أ – التناص اللفظي:

يتناص بشار بن برد لفظياً في هذا المشهد بمستويين هما التناص اللفظي المباشر،والتناص اللفظي غير المباشر (الترادفي):

ــ يقول بشار:

أقولُ إذ وَدَّعوا نَجداً وَساكِنَهُ وَحالَفوا غُربَةً بِالدارِ فَاغتَرَبوا

يورد بشار مجموعة من الألفاظ والعبارات التي اطرد ذكرها في توصيف، مشهد الفراقوالوقوف على الأطلال بعد رحيل أهلها عنها من مثل: " ودعوا"، غربة "، " اغتربوا"، وهي بمجموعها تدل على الهجر والفراق.

ويقول زهير بن أبي سلمى [1]:

إنَّ الخَليطَ أجَدَّ البَينَ فَانفَرَقا وَعُلِّقَ القَلبُ مِن أسماءَ ما عَلِقا[2]
وَفارَقَتكَ بِرَهنٍ لا فِكاكَ لَـهُ يَومَ الوِداعِ فَأمسى الرَهنُ قد غَلِقا

يورد زهير مجموعة من الألفاظ والعبارات المدللة على الهجر والفراق مثل" أجد البين " بمعنى عقدوا العزم على الفراق والرحيل،مقابل عبارة " حالفوا غربة " في بيت بشار يقصد أهل المحبوبة، وعبارة زهير " فانفرقا " بمعنى انقطع وتشتت مقابل عبارة بشار " فاغتربوا " يقصد

---

1 ديوان زهير بن أبي سلمى ص 38

[2] الخليط: المخالط لهم في الدار ، انفرقا : انقطع ، وعلق العلامة التي قد علق فقد نشب ،شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، أبو العباس ثعلب ، ص 38

أهل المحبوبة الذين اغتربوا عن ديارهم، إذ إن بشارا يتناصتناصا لفظيا غير مباشر معزهير من حيث دلالة العبارات المستخدمة في بيته والتي تفيد ذات الدلالة أو ما يقاربها في بيت زهير الأول.

ويورد زهير ما يدل على مشاهدته موقف الرحيل من خلال توضيح أن محبوبته أخذت قلبه عند رحيلها من خلال عبارة " يوم الوداع " الذي حصل فيه تكبيل قلبه من قبل محبوبته، وهو قريب منمعنى عبارةبشار بن برد " أقول إذ ودعوا " بحيث بين أن ما قاله من شعر يوضح فيه موقفه من فراق المحبوبة كان وقته أثناء رحيلهمبدلالة ظرف الزمان " إذ " أي عندما ودعوا، ولعل إسناد الوداع إلى أهلها عندما عزموا شد رحالهم أبلغ في أداء معنى الفراق والهجر، من عبارة" يوم الوداع " وربما هو أقرب من دلالة "أجد البين "الواردة في بيت زهير الأول

يقول بشار:

أَنِنٌ مِنها إلى الأدنى إذا ذُكِرَت كَما يَئِنُّ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ

يورد بشار عبارات وألفاظا تدلل على المعاناة والألم شوقاً عند ذكر المحبوبة من مثل: " ذكرت،أنن، عواده الوصب "

يقول طرفة بن العبد [1]:

مَن عائِدي اللَيلَةَ أم مَن نَصيح بتُّ بِنَصبٍ فَفُؤادي قَريح

يورد طرفة كلمة" عائدي " يستفهم عنه، ثم يورد عبارة بنصب" ففؤادي قريح " يعلل استفهامه عن العائد لما يلاقيه من الم ومشقة جراء رحيل محبوبته مقابل عبارة " يئن إلى عواده الوصب " فكلمة (عواده) يدلل بها على من زاره لأن حاله مثل حال المصاب بالمشقة والألم من خلال كلمة " الوصب ".

يقول قيس بن ذريح [2]:

إذا ذُكِرَت لُبنى تَأوَّهَ وَاِشتَكى تَأوُّهَ مَحمومٍ عَلَيهِ البَلابِلُ

يورد قيس بن ذريح عبارات وألفاظا تدلل على حاله عندما تذكر المحبوبة عنده فيصبحمريضاً محموماً شوقاً وألما، من مثل" إذا ذكرت " مقابل عبارةبشار" إذا ذكرت " وعبارة "

---

1 ديوان طرفة ص 16

2 ديوان قيس بن ذريح اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت لبنان، ط.2، 2004 ص 108

تأوه " بصيغة الفعل المضارعو" تأوه" بصيغة المصدر مع ما يرادفهما من معنى عند بشار في عبارتي:–" أئن، يئن " وعبارة" محموم "و " عليه البلابل " مقابل ما يرادفهما في المعنى عند بشار كلمة " الوصب" أي المريض مرضاً شديداً.

ب – التناص البلاغي:

يتناص بشار بن برد في مشهد فراق المحبوبة وما ترتَّب عليه من الآم بلاغياً مع من سبقوه من شعراء، من خلال تشبيه آلامه التي تصيبه عندما تذكر المحبوبة أمامه بآلام المريض الذي يشكو ويئن لزواره، يقول:

أئِنُّ مِنها إلى الأدنى إذا ذُكِرَت كَما يَئِنُّ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ

فبشار يشبه أنينه المتأتي من ألمه شوقاً وجزعاً من فراق المحبوبة في حال ذكرت أمامه بأنين المريض الذي أنهكه مرضه فأصبح يبث زواره شكواه وأنينه.

يقول قيس بن الملوح (مجنون ليلى)[1]:

إذا ذُكِرَت لَيلى أَنُّ لِذِكرِها كَما أَنَّ بَينَ العائِداتِ سَقيمُ

يصف قيس حاله وما يصيبه من ألم وشوق مبرِّح عندما تُذكَر (ليلى) عنده، مشبهاًنفسه إذ ذاك بالمريض الذي يئن ألما بين مجموعة من النسوة عدنه للاطمئنان عليه.

ومن الملاحظ أن بشارا يقدم التشبيه نفسه بأركانه كاملة دون نقصان، فيجرى بعض التحوير على الألفاظ دون إخلال بفحوى وروح المعنى المراد من التشبيه عند قيس بن الملوح، فيورد (عواده) بصيغة جمع التكثير المذكر، عوضاً عن (العائدات) بصيغة جمع المؤنث السالم عند قيس بن الملوح، كما يورد لفظة (الوصب) عوضاً عن لفظة (سقيم) وكلتاهما تؤديان نفس الدلالة.

ومن حيث بناء الصورة الشعرية فإن بشارا يعيد إنتاج الجزء المتعلّق بأنين المريض في حضور من جاؤوه زواراً في مرضه، فقيس يجعل من هذا المريض محاطاً بالعائدات من النساء في دلالة على شدة الرعاية والعطف، بينما يجعل بشار بين المريض وعائديه مسافة من خلال توجهه إليهمبالأنين من جهة كونهم مقابلين له غير محيطين به، ربما للتعميق من دلالة ألمه ومعاناته.

---

1 ديوان مجنون ليلى، ص168

يقول ذو الرمة [1]:

تَشكو الخِشاشَ وَمَجرى النَسعَتَينِ كَما أنَّ المَريضُ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ[2]

يصف ذو الرمة معاناة ناقة من الخشاش الذي يوضع في الأنف يناط إليه الزمام، ومن الأحزمة التي تربط بها الناقة من جانبيها مشبهاً شكواها إذ ذاك بأنين المريض المتوجع إلى عائديه.

نلحظ أن بشار بن برد قد تناص على تشبيه ذي الرمة معنىً ولفظاً، في حين وجه دلالته إلى معنى جديد من خلال استبدال المشبه (هو) بالمشبه عند ذي الرمة وهو (الناقة)، وبذلك يجعل من معاناته ألم الشوق والفراق من ذكر المحبوبة كمعاناة وألم المريض المتوجع من المرض.

جـ – التناص بالمعنى:

يتداخل بشار مع نصوص سابقيه الشعرية، في توصيف مشهد وداع المحبوبة إذ يقول:

أقولُ إذ وَدَّعوا نَجداً وَساكِنَهُ وَحالفوا غُربَةً بالدار فَاِغتَرَبوا

يصف بشار موقف فراق أهل المحبوبة لديارهم التي كانت في نجد، يقصد مكاناً مرتفعاً فقد ودعوا الديار وساكنيها، موضحاً ذلك من خلال تصوير فني جعل فيه من الغربة شخصاً يتم معاهدته ومحالفته.

يقول عمر بن أبي ربيعة [3]:

إنَّ الخَليطَ الَّذي تَهوى قدِ اِئتَمَروا بالبَينِ ثُمَّ أَجِدَّ البَينُ فَاِبتَكَروا
باتَت بِهِم غَربَةٌ عَن دارِنا قَذَفٌ فيها مَزارٌ لِمَحزونٍ بِهِم عَسِرُ

يخاطب عمر بن أبي ربيعة نفسه مواسياً معزياً لها في موقف رحيل أهل المحبوبة بعد أن رآهم قد عقدوا العزم على الفراق، فأحكم أمره بأن لا عودة عنه فرحلوا صباحاً، ثم يصور

---

1 ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي شرحه وقدم له عبد القدوس أبو صالح مؤسسة الإيمان، بيروت، ط.1 1982 ج1ص 42

[2] الحشاش : الذي يجعل في انف البعير ،مجرى النسعتين : موقع التصدير وهو حزام الرحل يشد على صدره والحقب وهو النسعة تكون أسفل بطن البعير على الحقو ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي ج 1 ص 42–43

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة ص 139

رحيلهم من خلالجعل الغربة شخصاً أو جماعة تأخذهم معها وتبتعد بهم عن ديار عمر، ثم يصف حاله بعدهم من حيث كثرة زيارته للاماكن التي حلُّوا بها حزيناً كئيباً على فراقهم.

يتضح من خلال بيت بشار أنه يتداخل مع بيتي عمر بن أبي ربيعة من حيث الغربة التي يتحدث عنها بشار، جاعلاً منها شخصاً تم التعاهد والتحالف معه من قبل أهل المحبوبة، وهو معنى نستطيع أن نستشفه من عبارة (ائتمروا) الواردة في بيت عمر الذي يقصد فيه أن أهل المحبوبة عقدوا العزم على الرحيل، إلا أن بشارا من خلال تصويره للحلف والعهد الذي قام بين أهل المحبوبة والغربة يدلل بوضوح على أنهمهجروا الديار طواعيةً دون إجبار، وعن طيب خاطر، بينما نجد المعنى عند عمر بن أبي ربيعة لا يحمل هذه الدلالة، بله يشيبأنهم أجبروا على الرحيل أجبارا بدلالة صيغة المبني للمجهول في عبارة" أجد البين " ومن خلالجعل أهل المحبوبة في أمر الغربة التي بانت بهم تتقاذفهم في فيافي الصحراء وتبتعد بهم عن ديارهم بدلالة عبارة " بانَت بِهِم غَربَةٌ عَن دارنا قذفٌ "، بخلاف بشار الذي حوَّر المعنى ليدلل من خلاله على أن رحيل أهل المحبوبة جاء دونما إجبار أو إكراه بدلالة تحالفهم مع الغربة.

يقول بشار:

لا غَروَ إلّا حَمامٌ في مَساكِنِهم تَدعو هَديلاً فَيَستَغري بِهِ الطرَبُ

بعد رحيل أهل المحبوبة عن الديار، ينقل بشار تعجبه من حمام ظل مقيماً في هذه الديار، إذ كان أولى له أن يحلق بهم، فلا حاجة لهيقضيها في ديار غادرها أهلها ثم يصف هذا الحمام الذي يغريه الشوق على الهديل.

يقول جرير [1]:

لَعَلَّكَ في شَكٍّ مِنَ البَينِ بَعدَما رَأيتَ الحَمامَ الوُرقَ في الدارِ وُقَّعا

ينقل جرير حيرته وريبه من فراق المحبوبة لديارها مع أهلها، بسبب مشاهدته لحمامات لازلن مقيمات في هذه الديار، من حيث أن الحمام لا يقيم إلا في المواقع المأهولة ليقتات على ما يذره السكان من حبوب وخلافه.

يتجلى التناص في المعنى الذي قصده بشار من تعجبه من وجود الحمامات في الديار المهجورة، فهو لا يعجب من شيء مما جرى لأن أهل المحبوبة فارقواديارهم عن سابق تصميم وإرادة، فلم يحدث أمر مفاجئ اضطرهم للرحيل يدعو للعجب، فعجب بشار محصور في تلك

---

1 ديوان جرير ص903

الحمامات اللائي لا تزال في منازلهم المهجورة، فالحمام لا شغل له ولا حاجة في ديار مقفرة خالية من أهلها لأنه يعتمد على ما يلتقطه من حبوب وبقول تتناثر في هذه الديار المأهولة،وهو ذات السبب الذي دعا جريرا إلى الشك في كون أهل المحبوبة قد فارقوا ديارهم عندما رأى حماماً يقيم في هذه الديار، فبشار يمتص هذا المعنى ويعيد إنتاجه في مقام تعجب من هذا الفعلدونما شك أو استغراب من رحيل أهل المحبوبة كما هو حال جرير، لأن بشارا قدم موقف الرحيل بأسلوب يظهر تأكده من فراق أهل المحبوبة المتحالفين مع الغربة.

ويقول ذوالرمة[1]:

ولَو لَم يَشُقني الظاعِنونَ لَشاقَني حَمامٌ تُغَنّي في الدِيار وُقوعُ
تَجاوَبن فَاستَبكَينَ مَن كانَ ذا هَوىً نَوائِحُ ما تَجري لَهُنَّ دُموعُ

ينقل مشهد الحمائم المقيمة في الديار المهجورة، تهدل وتغني. قائلاً لو لم يسبب له الشوق الذين راحوا ورحلوا عن ديارهم مع محبوبته، لأثار شوقه هذه الحمائم اللائي حركن مشاعره وأثرن ألمه فأبكينه.

وبالنظر إلى بيت بشار، عندما يصف تعجبه من الحمامالمقيمفي الديار بعد رحيل أهلها عنها، يقدم مشهداً لهذا الحمام الذي يهدل حزناً وشوقاً، فإن بشارا يفيد من معنى الحزن والشوق الذي أثارته الحمامات المقيمات في ديار محبوبة ذي الرمة من خلال نعتهن بأنهننوائح من غير دموع في دلالة على هديلهن الشجي المهيج للشوق إلى المحبوبة، فبشار يتناص مع ذي الرمة تناصاً جزئياً ليخدم المشهد العام الذي قدمه عن حمائم تقيم في الديار بعد رحيل ساكنيها من حيث إن ذلك مدعاة للعجب والاستغراب والإشارة إلى حزن هذه الحمامات وكأنهن يبكين المحبوبة، فيتضح سبب بقائهن في الديار وهو البكاء على ما مضى من أيام والشوق إليها.

وبشار في توصيفه لهذا المشهد يتفوق على كل من جرير وذي الرمة؛ فالأول نقل شكه وريبه من بقاء الحمام في الديار بعد رحيل أهلها، في دلالة على أن ذلك لا يمكن فهمه، دون إشارة أو تعليل لذلك، وذو الرمة علل بقاء الحمام في الديار من خلال الشوق والحزن على فراق أهلها دون أن يثير ذلك عنده استغراب أو تعجب، كما هو مستقرلدى سكان هذه الديار من أن الحمام يقيم حيث أقام الناس، فنجد بشارا يتعجب من بقاء الحمام نظراً لمخالفة ذلك للواقع

---

1 ديوان ذي الرمةج2 ص 1079

المعاين،بالإضافة إلى انه يعلل هذا البقاء من خلال توصيفه لهذا الحمام بالحزن شوقاً على فراق أهل هذه الديار.

ــ ويقول بشار:

سَقياً لِمَن ضَمَّ بَطنُ الخَيفِ إنَّهُمُ بانوا بأسماءَ تِلكَ الهَمُّ وَالأرَبُ

لما أيقن بشار أن أهل المحبوبة قد غابوا عن عينه وتأكد من فراقهم بعد نزولهم من النجد المرتفع الذي كانوا يقيمون فيه دعا لهم بأن يسقيهم الله سقيارحمة، مؤكدا على أنهم أخذوا منه محبوبته أسماء التي هي غاية طلبه ومراده.

ويقول ذو الرمة [1]:

سُقيا لِأهلِكَ مِن حَيٍّ تَقسِمُهُم رَيبُ المَنونِ وَطَيّاتٌ عَباديدُ

يدعو ذو الرمة لأهل محبوبته بالسقاية بعد أن اضطُروا لهجر ديارهم بسبب حوادث الدهر ونوائبه، فتفرَّقوا في الوجوهوالمنازل المتفرقة التي يقصدونها.

نلاحظ أن بشار بن برد يتداخل مع نص ذي الرمة معنوياً من خلال دعائهبأن يسقيهم الله سقيا رحمة لأهل المحبوبة المهاجرين بعد أن تيقن أنهم فارقوا ديارهم، بحيث نزلوا ببطن الوادي، وهو ذات المعنى عند ذي الرمة الذي دعا لأهل محبوبته مخاطباً إياها بذلك، بينما نجد بشارا يشير إليهم من خلال قرينة هي أنهم غيبوا معهم محبوبته، ففي حين يركزذو الرمة على الأسباب التي دفعت أهل محبوبته إلى النزوح عن ديارهموهي حوادث الدهر ومصائبه، نجد بشارا ينتقل إلى تأكيده كون محبوبته هي مراده الأقصى، كما أن ذا الرمة يبين حال مسير أهل محبوبته في هجرتهم عن ديارهم إذ هم متفرقون يقصدون طرقاً ومنازل متباعدة نظراً لما لحقهم من مصائب شتتت جمعهم، أما بشار فيقدم صورة مغايرة لطريق أهل محبوبتهم بعد هجرتهم عن ديارهم طوعاً وبملىء إرادتهم، فهم غير متفرقين؛ فقد نزلوا من المرتفع الذي يقيمون فيه إلى بطن واد مطمئن منبسط فلا وجود معنوياً ولفظياً لما يمكن أن يوحي بالقسر أوالمشقة، من الرحيل وأثناء سيرهم قاصدين ديارا أخرى.

---

1 ديوان ذي الرمة ج2 ص 1354

وقد تعددت الشواهد على ذكر اسم الدعاء(سقياً) عند الشعراء في مواقف الفراق وتـــذكر المحبوبة عبر عصور الشعر العربي نذكر منها:

يقول النابغة الذبياني [1]:

نُبِّئتُ نُعماً عَلى الهِجرانِ عاتِبَةً سَقياً وَرَعياً لِذاكَ العاتِبِ الزاري

يقول الكميت بن معروف الأسدي [2]:

سَقياً لِلَيلى وَلِلعَهدِ الَّذي عَهِدَت لَو دامَ مِنها عَلى الهِجرانِ مَعهودُ

يقول بشار:

بِجارَةِ البَيتِ هَمٌّ النَفسِ مُحتَضَرٌ إِذا خَلَوتُ وَماءُ العَينِ يَنسَكِبُ

ويقول بشار أن الهموم نازلة به بسبب محبوبته التي كانت جارته، مؤكداً علـــى المعنـــى الذي ذكره في البيت الذي يصف به وداع محبوبته ومفارقةأهلها المكان الذي كـــانوا يقيمونفيـــه وساكنه يقصد نفسه بصفته مجاوراً لهم في ذات المكان إذ قال" إذا ودعوا نجداً وساكنه"، ويصف حاله بعد فراق محبوبته كلما خلا بنفسه إلى ديارها بحيث يفيض دمعه حزناً وشوقاً.

يقول الاشتر الحمامي [3]:

لمن دارٌ عفت بالساريـــــاتِ وَتصريفِ الأُمورِ السائباتِ[4]

ذكرتُ بها المَليحةَ أُمَّ عَمرٍو وَدَمعي كالسِجالِ الواهياتِ[5]

بعد وقوف الاشتر على ديار محبوبته التي أقفرت وامحت آثارها بفعل السحاب المطيـــر وحوادث الدهر، يتذكر محبوبته أم عمرو، فيفيض دمعه شوقاً لذكرها مـــشبهاً عينيـــه بالـــدلاء المتخرّقة.

يتجلى التناص من خلال إشارة بشار إلى همومه وأحزانه التي مبعثها محبوبته التي فارقته مع أهلها، حين يخلو بنفسه يقف على أطلال المحبوبة، فيفيض دمعه بغزارة، فقد أشار الاشـــتر

---

1 ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، مصر ط.2 ص202

2 عشرة شعراء مقلون صنعة حاتم الضامن، نشر جامعة بغداد 1990، ص 163

3 المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للآمدي، صححه وعلق عليه ف.كرنكو،دار الجيـــل، بيـــروت،ط.1، 1991، ص 34

4 الساريات : مفردها سارية والسارية من السحاب: التي تجيءُ ليلاً، اللسان مادة سرا

5 الواهيات : المتخرقات ، وهى السقاء يَهي وَهْياً إذا تَخَرَّقَ.اللسان مادة وهي

إلى هذا المعنى عندما وقف على أطلال المحبوبة فتذكرها ففاض دمعه منهمراً كانهمار الماء بين دلاء متخرِّقة.

ويقول النعمان بن بشير الأنصاري [1]:

أمِن أن ذكَرتَ ديارَ الحَبيـــ ـــبِ عادَ لِعَينَيكَ تَسكابُهـــا

فَبِتَّ العَميـــــدَ وَنامَ الخَلِيْـــ ـــيُ وَاِعتادَ نَفسَكَ إطرابُها

يقول النعمان إنه كلما تذكر ديار المحبوبة عاود الدمع يفيض من عينيه بغزاره، فأصـــبح مريضاً موجع القلبشوقاً، وهي تنام خالية القلب من الهموم بينما لزم شوقه وحزنه نفسه المكلومة لفراقها.

ويتجلى التناص في تداخل بشار بن برد مع النعمان في البكاء لذكر المحبوبة عند زيـــارة ديارها، فنجد بشارا يحور بعض الألفاظ الواردة في بيت النعمان الذي أبكاه تذكر ديار المحبوبة وهي استعارة محلية عبر فيها بلفظ المحل وهو يريد الموجودفيه أي المحبوبة، ذلك أن بـــشارا يذكر سبب بكائه وهو تذكر المحبوبة دون استخدام الاستعارة المحلية، ليوضح السبب الحقيقـــي صراحة لبكائه شوقاً فليس الشأن عنده للديار إنما لمن كان مقيماً فيها.

كما أن بشارا يعيد صياغة معنى النعمان من أن المحبوبة لا تبالي بحاله فيضحي مريض القلب فيلازم الحزن والهم نفسه بسبب ذلك، فيقدم بشار هذا المعنى من خلال الإشـــارة إلـــى أن سبب ملازمة الهم لنفسه محبوبته من خلال عبارة " بِجارَةِ البَيتِ همُّ النَفسِ مُحتَضَرٌ ".

3) مشهد إخلاصه لمحبوبته والبقاء على عهدها:

ينتقل بشار بعد وصف رحيل المحبوبة مع اهلها و الآلام المترتبة على هذا الرحيل إلـــى توصيف مشاعره تجاهها، موضحاً أنه لن ينساها وسيبقى وفياً على عهدها يقول [2]:

أنسى عَزائـــــي وَلا أنسى تَذكُّرَها كَأنَّني مِن فُـــــؤادي بَعدَها حَربُ

لا تَسقِني الكَأسَ إن لَم أبغِ رُؤيَتَها بِالذاعِرِيَّةِ أثنيهـــــــــا وَتَنسَلِبُ

---

1 شعر النعمان بن بشير الأنصاري حققه وقدم له يحيى الجبوري، دار القلم بيروت ط1 1985 ص 125 وهـــو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي من صـــغار الـــصحابة،وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة.،انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (ج6 ص 440) الأغاني (ج16 ص 35ومابعدها)

2 ديوان بشار ج 1 ص 256

تَطـــوي الفَلاة بِتَبغيلٍ إذا جَعَلَت رُؤوسُ أعـــــلامِها بِالآلِ تَعتَصِبُ
كَم دونَ أسمـــاءَ مِن تيهٍ مُلَمِّعَةٍ وَمِن صَفاصِفَ مِنها القَهبُ وَالخَرِبُ
يَمشي النَعـامُ بِها مَثنى وَمُجتَمِعاً كَأَنَّها عُصَبٌ تَحدو بِها عُصَـــــبُ
لا يَغفَلُ القَلبُ عَن لَيلى وَقَد غَفَلَت عَمّا يُلاقـــي شَجٍ بِالحُبِّ مُغتَرِبُ

يوضح بشار موقفه من حب أسماء بعد أن هاجرت عنه وتركته، فهو مخلص دائم الـذكر لها يتمنى أن يراها قاطعاً المسافات الطويلة في سبيل لقائها مظهراً أنه وحده من لا يغفل عـن ذكرها بينما هي لا تقابله إلا صدوداً وإعراضا.

يتداخل بشار بن برد في هذا المشهد مع من سبقه من شعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين أدبيا بأشكاله المختلفة منها:

أ – التناص اللفظي: وفيه أن بشار يتداخل مع نصوص من الـشعراء الـسابقين لفظيـاً بمستويي التناص: المباشر وغير المباشر(الترادفي):

– يقول بشار:

كَم دونَ أسماءَ مِن تيهٍ مُلَمِّعَةٍ وَمِن صَفاصِفَ مِنها القَهبُ وَالخَرِبُ[1]

يورد بشار مجموعة من الألفاظ والعبارات التي تستخدمشعرياً لبيان بعد ديار المحبوبـة عنه، وتجاوزها مناطق متباينة جغرافياً في دلالة على بعدها وتغربها عنـه منهـا: اسـتخدامكم الخبرية مقرونة باسم المحبوبة مثل" كم دون أسماء "، واستخدام لفظـة " تيـه " وملمعـة " و " صفاصف "و " قهب " وخرب ".

يقول المتلمس الضبعي [2]:

كَم دونَ أسماءَ مِن مُستَعمَلِ قَذَفٍ وَمِن فَلاةٍ بِها تُستَودَعُ العيسُ
وَمِن ذُرَى عَلَمٍ ناءٍ مَسافَتُـــــهُ كَأَنَّهُ في حَبابِ الماءِ مَغموسُ

يورد المتلمس الضبعي مجموعة من العبارات والألفاظ المدللة على ابتعاد ارض المحبوبة والمسافة التي تجاوزتها في رحلة أهلها وهجرتهم الديار، من مثل: كم الخبرية مقرونـة باسـم المحبوبة " كم دونأسماء " الواردة عندبشار كما هي،و" مستعمل قذف "، " وفلاة " و " وتيه " مع

---

[1] تيه : المفازة ، ملمعة : التي تلمع بالسراب ، صفاصف : جمع صفصف لاتساعها ، القهب : الجبل العظـيم ، الخرب : المنخفض من الأرض ، ديوان بشار ج 1 ص 256

2 ديوان المتلمس الضبعي ص 100

ما يرادفها في المعنى عند بشار: صفاصفو " تيه "، ويورد المتلمس الضبعي لفظة " علم " بمعنى جبل مقابل ما أورده بشار في بيته من لفظ" القهب " بمعنى الجبل العظيم.

بالإضافة إلى أن بشار بن برد يتداخللفظيا مع نص المتلمس الذي عمد إلى التشبيه لتبيان أن السراب كثير فيرحلته نحو المحبوبة إذ إنه خرج يقصدها صيفاً والسراب لا يكون إلا في الصيف، فشبه السراب بالماء الذي يغمر أعلى الجبل فيخيل للناظر إليه أنه مغموس في الماء من السراب، وقدم بشار هذا المعنى من خلال نعت (التيه) بـــ (ملمعة)، أي أن هذه المفازة تلمعبالسراب إذ يكون حولها شديداً.

بشار في بيته أعلاه يتداخل نصياً باللفظ مع الملتمس في مستويي التناص اللفظي المباشر في عبارة" كم دون أسماء "،وغير المباشر في لفظ(تيه) و " صفصاف " مقابل ما يرادفها في المعنى عند المتلمس أعلاه، ومن خلال لفظة ملمعة مقابل التشبيه الذي أورده المتلمس للتدليل على شدة السراب في رحلته نحو محبوبته.

يقول ذو الرمة [1]:

كَم دونَ مَيَّةَ مِن خَرقٍ وَمِن عَلَمٍ كَأَنَّهُ لامِعٌ عُريانُ مَسلوبُ

يورد ذو الرمة ألفاظا وعبارات يوضح من خلالها المسافات الطويلة التي تفصل بينه وبين المحبوبة من مثل(خرق) بمعنى فلاة تتخللها الرياح و (علم) بمعنىجبل أو ارض مرتفعة مقابل ما ورد عند بشار مما يدلل على هذين المعنيين مثل:-(القهب) و(الخرب) بالإضافة إلى إيراد ذي الرمة للفظة(لامع) بمعنى يشير مقابل لفظة ملمعة في عبارة(في تيه ملمعة) أي يلمع فيها السراب.

فبشار يتناص مع ذي الرمة لفظياً في توضيح التضاريس التي تفصله عن محبوبته فذو الرمة يوضح تباين هذه التضاريس من خلال لفظة (خرق) بمعنى الفلاة التي تنخرق فيها الريح أي تجيء وتذهب[2] في دلالة على انبساط الأرض وعدم وعورتها مقابل لفظ (خرب)عند بشار بمعنى المنخفض من الأرض، ولفظ (علم) يورده ذو الرمة فيقابل بشار به لفظ (خرق) وهو بمعنى ما ارتفع من الأرض من مثل الجبل، وكذلك يعمد بشار في مقابلة(القهب) (بالخرب) وهو

---

1 ديوان ذي الرمة ج3 ص 1575

2 انظر خزانة الأدب للبغدادي تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط.4، 1997 م، ج1،ص 254

بمعنى الجبل العظيم وفي ذلك يتناص بشار مع ذي الرمة تناصاً لفظياً غير مباشر ثم يتناص بشار مع ذي الرمة في اللفظ دون المعنى فيصف التيه (بالملمعة) أي التي تلمع بالسراب وقد ورد لفظ (لامع) بمعنى يشير عند ذي الرمة يُشبِّهبه الجبل بالرجل العاري الذي سلبت ثيابه يشير إلى الآخرين.

ب – التناص البلاغي:

يتناص بشار بن برد مع من سبقه من شعراء من خلال تصويره للسراب [1]الذي يشتد مشبهاً إياه بالعصابة التي تلف حول رؤوس الجبال،

_يقول بشار:

تَطوي الفلاة بتَبغيلٍ إذا جَعَلَت رُؤوسُ أعلامِها بالآلِ تَعتَصِبُ[2]

فبشار يصف قطعه الفيافي بناقة تمشي بسرعة رغم اشتداد الحر والسراب الذي صوره بالعصائب التي تربط على رؤوس الجبال التي فيها.

يقول امرؤ القيس [3]:

كَأنَّ ثبيرا في عرانين وبلهِ كَبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّل[4]

ويصور امرؤ القيس جبل ثبير في أول هطول المطر عليه، بكبير القوم قد تلفف بثوب مخطط، من حيث تشبيهه تَدَثُّر الجبل بالمطر بتغطية كبير القوم نفسه بالكساء المخطط

ويتجلى التناص البلاغي عند بشار بن برد في تشبيهه السراب الذي يشتد في الفلاة الواسعة أمام أعين الذين يقطعونها يتراءى أمامهم فيحجب رؤية الجبال الموجودة في هذه الفلاة،شبهه بالعصائب التي تلف بها الرؤوس،مشبها الجبال بالرجال المعتصبين بالعمائم، فبهذا التشبيه يتداخل بشار بن برد مع امرئ القيس في تشبيهه المطر الذي يغمر جبل ثبير بالكساء المخطط الذي يرتديه سيد القوم وكبيرهم، فبشار يأخذ وجه الشبه من حيث التغطية محورا إياه خدمة للمعنى الشعري المراد، فيجعل من السراب الذي يتراءى له في طريقه للمحبوبة يحجب

---

1 انظر جمالية تصويره للسراب: التشكيل الجمالي في شعر بشار ص 106

[2] والتَّبْغيل من مَشْي الإبل: مَشْيٌ فيه سَعَة، وقيل: هو مشيء فيه اختلاف واختلاط بين الهَمْلَجَة والعَنَق لسان العرب بغل

3 شرح المعلقات السبع للزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط.2004،2 ص 63 ديوان امرئ القيس ص 25

[4] وعِرْنَينُ كل شيء: أوّله. وعِرْنينُ الأنف: تحت مُجْتَمَع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشَّمَمُ اللسان مادة عرن

الجبال عنه عصائب تغطي رؤوس الجبال، نظراً لبروزها مموهة به للناظر إليها من بعيد، بينما يقصد امرؤ القيس من تشبيهه أول المطر الذي يغطي جبل ثبير بالكساء المخطط أن المطر لـم يغطِ سائر الجبل إنما جعل فيه خطوطاً من البلل به بدلالة(في عرانين وبله) أي أول نزوله قبـل أن يشتد ويغمرالجبل، كما عمد إلى تشبيه الجبل بسيد القوم وكبيرهم لأنه يقصد جبلاً بعينه كبير الحجم نزل عليه أول الغيث.

يقول ذو الرمة[1]:

وَمِن مُلَمَّعَةٍ غَبراءَ مُظلِمَةٍ تُرابُها بالشِعافِ الغُبرِ مَعصوبُ

يذكر ذو الرمة ما يفصل بينه وبين المحبوبة من مسافات يقول إن بينهما أرضـا فاصـلة يلمع فيها السراب ظهراً، مظلمة ليلاً لا يسكنها أحد، شبه ترابها المتناثر فيها بالعـصائب التـي تلف حول رؤوس جبالها.

فبشار يمتص هذا التصوير من حيث إن الأتربة المتناثرة تحجب الرؤية لمن ينظر إلـى هذه الجبال وهو يقطع فيافيها المجدبة تشبه العصائب التي تلف حول الرؤوس، فيصور بشار هذا التشبيه موظفاً إياه في تصوير السراب المترائي لمن يقطع الفلاة نحو المحبوبة فيحجب الجبـال مشبهاً إياها بالعصائب التي تلف حول رؤوس الجبال.

جـ –التناص بالمعنى:

يفتح بشار بن برد نصه الشعري في مشهد الوفاء لمحبوبته والبقاء على عهدها مع غيـره من الشعراء السابقين له، فيتناص معهم محوراً معانيهم باقتدار خدمةً للمعاني التي ينتجهـا مـن فعل تلاقحه النصي مع سابقيه من الشعراء.

– يقول بشار:

أنسى عَزائي وَلا أنسى تَذَكُّرَها كَأَنَّني مِن فُؤادي بَعدَها حَربُ

يبين بشار تمكن حب محبوبته من قلبه حيث يقول إنه ينسى التصبر والتجلـد علـى مـا أصابه من ألم الفراق، ولا ينسى ذكر وتذكر محبوبته وما كان بينهما مـن ود، مـشبها نفـسه بالرجل الذي سرق و المسروق هو قلبه سرقته محبوبته معها عندما فارقت ديارها ورحلت.

---

1 ديوان ذي الرمة ج3 ص 1575

يقول إسماعيل بن يسار [1]:

كَأَنَّني يَومَ ساروا شاربٌ سَلَبَت فُؤادَهُ قهوَةٌ مِن خَمر داروم

يصف إسماعيل بن يسار حاله من اضطراب وعدم تصديق وذهول عندما شاهد المحبوبة ترحل مع أهلها مشبهاً نفسه بمن شرب خمرة من خمر منطقة مشهورة بصنع الخمر هي داروم، بحيث سلب رحيلها عقله ورشده كما تسلب الخمرة المذكورة شاربها عقله.

فبشار يؤسس معناه على بيت إسماعيل بن يسار من حيث تداخله معه لفظياً و بلاغياً ومعنوياً، في تصوير حاله بعد فراق المحبوبة، ويبتدئالتناص اللفظي في إيراد بشار لكلمة (فؤادي) مقابل كلمة (فؤاده) الواردة عند ابن يسار، كما يورد بشار كلمة (حرب) بمعنى مسلوب مقابل ما يرادفها معنوياً عند ابن يسار عبارة (سلبت).

ومن حيث التناص البلاغي فإن بشارا يشبه نفسه بعدما هجرته محبوبته بمن سرق منه قلبه والمحبوبة بالسارقة، وهو من قبيل تشبيه إسماعيل بن يسار نفسه إزاء رؤيته للمحبوبة وهي تسير في ركب أهلها راحلة عنه، بشارب الخمر التي تسلبه عقله.

فبشار يبقى على وجه الشبه من أركان تشبيه إسماعيل بن يسار وهو السلب محوراً المعنى ومغيرا بعض أركان التشبيه لملاءمة موقفةوحاله بعد محبوبته، فجعل المسلوب قلبه من خلال كلمة (فؤادي) بينما المسلوب عند ابن يسار هو عقله،فبشار مسلوب القلب لان قلبه رحل مع محبوبته كأنها أخذته لأنه لا سلطان له عليه من حيث هو متعلق بها، بينما موقف إسماعيل بن يسار من رؤيته لرحيل محبوبته أمام عينيه يستلزم الذهول وذهاب العقل من هول الصدمة، ومباغتة الموقف غير المتوقع، لذلك كان المشبه به عند بشار إنسانا تم سلبه شيئاً ثميناً هو قلبه، بحيث أعاد بشار صياغة التشبيه ليلائم حاله من حيث المشبه به عند ابن يسار وهو شارب الخمر التي تصيبه بالذهول وذهاب العقل وهو ما يلائم موقف رؤية ابن يسار لمحبوبته ترحل وتسير مع أهلها مغتربة عنه.

---

1 الأغاني ج 4 ص 414، وجاء في ترجمته " كان إسماعيل بن يسار النسائي مولي بني تيم بن مرة تيم قريش أبو فائد.،و أصله من سبي فارس، اشتهر بشعوبيته وشدة تعصبه للعجم، يفتخر بهم في شعره على العرب،وهو من المعمرين،وكان منقطعا إلى آل الزبير، فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده " الأغاني (ج4 ص 400وما بعدها)

يقول القحيف العقيلي [1]:

ووالله لا أنسى وإن شَطَّت النَّوى عرانينَهُنَّ الشُّمَّ والأعينَ النُّجلا

يقسم القحيف ألا ينسى من كان يصحبهن من نساء أنوفهن حسنة الاستواء وعيونهن واسعة نجلاء برغم الفراق وطول المسافة.

فبشار يتناص مع القحيف في معنى عدم نسيان من يهواهن برغم ابتعادهنعنه، فيوضحأنه لا ينسى تذكر محبوبته بحيث إنه ينسى الصبر على بلوى فراقها دون نسيانها، فينقل عدم النسيان من حيز الجمع عند القحيفإلى حيز حصره بمحبوبة واحدة في دلالة على الإخلاص والبقاء على العهد.

- يقول بشار:

لا تَسقِني الكَأسَ إن لم أبغ رُؤيَتَها بالذاعِرِيَّةِ أثنيها وَتَنسَلِبُ

يدعو بشار بن برد على نفسه بأن لا تسقيه الكأس ماء في دلالة على تمني الموت إذا كان لا يروم لقاءها ومشاهدتها (محبوبته) بركوبه الناقة شديدة العدوبحيث كلما أراد ثنيها تمضي مسرعة في طريقها

يقول الجميح الاسدي [2]:

لا تَسقِني إن لم أزر سَمَراً غطفانَ مَوكِبَ جَحفلٍ دُهم

يخاطب الجميح من يسمعه قائلاً لا تسقني ماء إن لم اغز غطفانليلاً بجيش عظيم

يتداخل بشار نصياً مع الجميح الأسدي في بيته من حيث اللفظ والمعنى، إذ يورد بشار عبارة (لا تسقني الماء) يدعو على نفسه إلا يذوق الماء بحيث يموت، مقابل عبارة (لا تسقني) عند الجميح يخاطب فيها من يسمعه طالباً منه إلا يسقيه ماء إن قصَّر عن أداء ما تعهد به.

---

1 شعر القحيف العقيلي جمع حاتم الضامن مجلة المجمع العلمي العراقي ج 3، مج 37 ذو الحجة 1406،1986 ص 248، وهو القحيف بن خمير أحد بني قشير بن مالك بن خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر مقل من شعراء الإسلام،وكان يشبب بخرقاء التي كان ذو الرمة يشبب بها،وكان من أجمل الرجال،وأشطهم.انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: 117)

2 المفضليات تحقيق احمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف ط.6 ص 367، و الجميح لقب واسمه منقذ بن الطمّاح بن قيس بن طريف، من شعراء بني أسد وفرسانهم المعدودين جاهلي قتل يوم جبلة، انظر: الأعلام للزركلي (ج7 ص 308)

ومن حيث المعنىفإن بشارا يوجه المعنى إلى سياق جديد وهو تمنى الموت إن لم يقطع الفيافي فوق ظهر ناقة شديدة العدو لا تلين للحاق بمحبوبته ورؤيتها، في حين ورد معنى عدم السقاية في سياق إخلال الجميح بما توعد به قوم غطفان من الإغارة عليهم ليلاً بجيش عظيم.

– يقول بشار:

لا يَغفَلُ القلبُ عَن لَيلى وَقد غَفَلَت عَمّا يُلاقي شَجَ بِالحُبِّ مُغتَرِبُ

يؤكد بشار بن برد على عدم نسيانه محبوبته، فقلبه لا يغفل عن ذكرها بصرف النظر عن موقفها منه، فهي غافلة عما يقاسيه من آلام الحب لوعةً وحزناً على فراقها.

يقول عمر بن أبي ربيعة [1]:

عَن حُبِّكُم يا هِندُ ما عُمِّرتُ حَيّاً أَغفُلُ

يبين عمر بن أبي ربيعة شدة تعلقه بمحبوبته بحيث يوضح لها أنه طالما هو على قيد الحياة فإنه غير غافل عنها.

يتناص بشار من حيث اللفظ مع بيت عمر بن أبي ربيعة فيورد عبارة (لا يغفل) ويقصد نفسه، وعبارة (وقد غفلت) يقصد محبوبته مقابل عبارة ابن أبي ربيعة (أغفل) بتقدير لا محذوفة قبل أغفل دل عليها السياق.

فبشار ينفي عن قلبه أن يكون غافلاً عن ذكر محبوبته الغافلة عنه، وهو معنى بيت عمر بن أبي ربيعة الذي ينفي إغفال حب محبوبته طالما هو على قيد الحياة.

يقول قيس بن الملوح (مجنون ليلى) [2]:

وَإِنّي لَفي كَربٍ وَأَنتِ خَلِيَّةٌ لَقد فارَقَت في الوَصفِ حالُكِ حالِيا

يبين قيس بن الملوحما أصابه من عذاب في حب ليلى مخاطباً إياها بأنه مكروب محزون،وهي خلية القلب لا تبالي به ولا تهتم لأمره، موضحاً أن حالها تختلف عن حاله إختلافا بيِّنامن حيث إنه يتجرع العذابات المضنية وهي لا تعبأ بشيءلاهية غافلة عما يلاقيه في حبها.

ويتجلى التناص في تلاقح بشار مع معنى قيس بن الملوح من حيث كونه محزوناً يعاني من آلام العشق ومحبوبته لاهية لا تبالي به، فبشار يوجه المعنى إلى توضيح موقفه منها على

---

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة ص 262
2 الأغاني ج4 ص 277

الرغم من إغفالها ذكره وعدم مبالاتها بما يقاسيه، فهو يؤكد على أن قلبه لا يغفل عن ذكرهابصرف النظر عن حالها إزاء ذلك وموقفها منه، وهو ما وضحه قيس بن الملوح في معاتبته محبوبته على موقفها مما يعانيه، في حين يؤكد بشار على حبه لها والإخلاص لعهدها مهما كانت ردة فعلها أو موقفها من الآمه في سبيل حبها.

4)مشهد أسفاره ورحلاته:

ينتقل بشار بن برد إلى مشهد توصيف رحلاته وأسفاره موضحاً الهموم الدافعة لهذه الرحلات، مبيناً مشاقها التي واجهته أثناءها

يقول [1]:

في كُلِّ يَومٍ لَهُ هَـــــمٌّ يُطالِبُهُ عِندَ المُلوكِ فَلا يُزري بِهِ الطَـــلَبُ
يا سُعدَ إِنّي عَدانـــي عَن زيارَتِكُم تَقادُفُ الهَمِّ وَالمـــــَهريَّةُ النُجُبُ
في كُلِّ هَنّاقَةِ الأَضـــواءِ موحِشَةٍ يَستَرِكِضُ الآلَ في مَجهولِها الحَدَبُ
كَأَنَّ في جانِبَيهـــــا مِن تَغَوُّلِها بَيضاءُ تَحسِرُ أَحيانـــــــاً وَتَنتَقِبُ
جَرداءُ حَـــــرّاءُ مَخشِيٌّ مَتالِفُها جَشَّمتُها العيسَ وَالحِـرباءُ مُنتَصِبُ
عَشراً وَعَشراً إِلى عِشرينَ يَرقُبُها ظَهرٌ وَيَخفِضُـــــها في بَطنِهِ صَبَبُ
لَم يَبقَ مِنها عَلـــى التَأويبِ ضائِعَةً وَرحلَةِ اللَيلِ إِلّا الآلُ و َالعَـــــصَبُ

بعد أن بين لمحبوبته بقاءه على عهدها وان لا محيد لقلبه عنها، يبين لها جانباً من الهموم والصعوباتالتي تشغله لغرضين نفسي وعاطفي؛فهو يريد أن يثبت وفاءه لها من خلال الإشارة إلى الكم الهائل من المخاطر والمشاق التي يعانيها من حيث عدم انشغاله عنها رغم كل هذه المشاغل ثم ليبعث في نفسه العزيمة، من خلال تذكيرها ببطولاته وما تجاوزه من مهالك علماً انه في مقام توجع وتبريح عشقاً بسبب هجر المحبوبة المعرضة عنه، فيسهب في إبراز شتى صنوف المصاعب التي واجهها في رحلته من خلال توضيح طبيعة الصحارى التي قطعها في أسفاره معرِّجاً على وصف الإبل وآثار الرحلة عليها.

وقد تناص بشار بن برد في هذا المشهد مع تقليد أصيل في القصيدة العربية الكلاسيكية وهو توصيف الرحلة وأهوال الصحارى المقطوعة فيها وما إلى ذلك من تصوير الإبل، وقد تجلى تناص بشار مع شعراء العصر الجاهلي والإسلامي والأموي من خلال التناص الأدبي:

---

1 ديوان بشار ج1 ص 256

أ- التناص بالمعنى:

أفاد بشار بن برد في مشهد الأسفار والرحلات من تجارب الشعراء السابقين، ولأن هـذا المشهد يعد من قبيل اللازمة في القصائد الشعرية لشعراء العصور الأدبية موضوع الدراسة فإن الباحث اختار أقربها تأثيراً وفعلاً دلالياً في المشهد خاصةِ بشار، الذي يرى الباحث أنه أحـسن استثمارها مضفياً عليها الجديد المبتكر:

- يقول بشار:

في كُلِّ يَومٍ لَهُ هَمٌّ يُطالِبُهُ عِندَ المُلوكِ فَلا يُزري بِهِ الطَلَبُ

إنسجاماً مع توضيح بشار لما يلاقيه من آلام في حبها، ينتقل إلى تبيين المشاق التي تحيط به، فله أمور تشغله عند الملوك عظيمة، فهم يطلبونه في إشارة إلى عظم شأنه، وهؤلاء الملوك الطالبون له لا يحتقرونه إنما يجلونه ويحترمونه.

يقول حصن الفزاري [1]:

ولّى حُذَيفَةُ إذ ولّى وَخَلَّفَنـــي يَومَ الهَباةِ يَتيماً وَسطَ أيتـــام
لا أرفَعُ الطَرفَ ذُلّاً عَندَ مُهلِكَـةٍ ألقى العَدوَّ بِوَجهٍ خَدُّهُ دامـــي
حتّى اِعتَقدتُ لِوا قومي فقُمتُ بِهِ ثُمَّ اِرتَحَلتُ إلى الجَفنيّ بِالشـــام
لَما قَضى ما قَضى مِن حَقِّ زائِرِهِ عُجتُ المَطِيَّ إلى النُعمان مِن عامي
أسمو لِما كانَت الآباءُ تَطلُبُـــهُ عِندَ المُلوكِ فَطَرفي عِندَهُم سامـــي

يفخر حصن الفزاري بنفسه مبيناً توليه مقاليد قيادة قومه بعد أن مات أبوه (حذيفة) وكـان قد ولّاه خليفة له، ثم يوضح شجاعته وعدم قبوله الذل على نفسه عند مواجهة الأعداء بالخضوع لهم، فينتقل إلى ذكر بعض الصلات التي كانت تربطه بملوك عاصروه، بحيث كانوا يكرمـون وفادته عليهم، بطلب ما كان آباؤه يطلبونه من مجد وعز بالاتصال بهم، مبيناً أن مكانته رفيعـة وسامية عندهم.

يتضح التناص في بيت بشار بن برد مع أبيات الحصن الفزاري، لفظاً ومعنـىً؛ فبـشار يوضح أن الملوك يطلبونه فيهمُّ بتلبية هذه المطالب التي تشغله لكثرتها شافعاً ذلك بنفي الإحتقار من قبل الملوك له، فهو ليس امعةً تابعاً لهم، بل نداً يستشار ويحترم، وهذا المعنـى يتـوزععلى أبيات حصن الفزاري الذي أسهب في الافتخار بنفسه وبشجاعته وصلاته بالملوك ذكـر مـنهم

---

1 أمالي المرتضى،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،ط. 1، 1954 ج1ص 531

النعمان بن المنذر والحارث الجفني[1] اللذين أحسناضيافته في دلالة على المكانة الرفيعة التي يتمتع بها عندهما؛ فهو سائر على خطى أسلافه من طلب العز والمجد لدى الملوك ومكانته محفوظة وسامية عندهم.

فمن خلال بيت بشار يظهر التناص مع الحصن الفزاري في أكثر من موضع، فعندما يقول بشار: " في كُلِّ يَومٍ لَهُ هَمٌّ يُطالِبُهُ عِندَ المُلوكِ " فإنه يتناص مع الحصن الفزاري تناصاً جزئياً مقلوباً إذ يقول: " أسمو لِما كانَت الآباءُ تَطلُبُهُ عِندَ المُلوكِ "، فمن جهة يتفق مع معنى الفزاري من حيث الصلة التي تربطه بالملوك، ويختلف معه في طبيعة هذه الصلة وحيثياتها؛فبشار هو المطلوب من طرف الملوك بينما الحصن الفزاري هو من يقصد الملوك يطلبهم، وبهذا فإن بشارا يريد أن يوسع من دلالة أهميته بجعل الملوك طالبين له، ثم إن بشارا يتناص مع الفزاري معنوياً من خلال قوله: " فَلا يُزري بِهِ الطَلَبُ " أي أن طالبيه من الملوك لا يحتقرونه، فطلبهم له طلب المحتاج للعون لا المتحكم المتنفّذ، ومنه قول الفزاري " وطرفي عندهم سامي " أي مكانتي رفيعة

- يقول بشار:

يا سُعدَ إنّي عَداني عَن زيارَتِكُم تَقاذُفُ الهَمِّ وَالمَهريَّةُ النُجُبُ[2]
في كُلِّ هَنّاقةِ الأضواءِ موحِشَةٍ يَستَركِضُ الآلَ في مَجهولِها الحَدَبُ[3]
كَأنَّ في جانِبَيها مِن تَغَوُّلِها بَيضاءُ تَحسِرُ أحياناً وَتَنتَقِبُ[4]
جَرداءُ حَرّاءُ مَخشِيٌّ مَتالِفُها جَشَّمتُها العيسَ وَالحِرباءُ مُنتَصِبُ
عَشراً وَعَشراً إلى عِشرينَ يَرقُبُها ظَهرٌ وَيَخفِضُها في بَطنِهِ صَبَبُ[5]
لَم يَبقَ مِنها عَلى التَأويبِ ضائِعَةً وَرِحلَةِ اللَيلِ إلّا الآلُ وَالعَصَبُ[6]

---

1 هو الحارث بن أبي شمر الأعرج ملك غسان،والجفني نسبة إلى جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء؛ وهم الملوك الذين كانوا بالشام.، ذكره حسان في شعره بقوله:
إنّي حَلَفتُ يَمينًا غَيرَ كاذِبَةٍ... لَو كانَ لِلحارِثِ الجَفنِيِّ أصحابُ
انظر:خزانة الأدب للبغدادي ج 3،ص 330 العقد الفريد ج 3، ص 336 المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 6 ص 124

2 " الإبل المهرية منسوبة إلى قبيلة مهرة ، والنجب جمع النجيب وهو من الأبل السريع . ديوان بشار ج1 ص 256

3 الهنق : شبيه بالضجر يعتري الإنسان اهنفي الشئ اهنافا ، المحيط في اللغة مادة هنق ، الحدب : المرتفع من الأرض ، تهذيب اللغة مادة حدب

4 التغول : التلون ، اللسان مادة غول

5 يرقبها : يرتفع بها ، المراقب ما ارتفع من الأرض ، تهذيب اللغة مادة رقب ، الصبب ما انحدر من الأرض ، الصحاح مادة حدر

6 التاويب : سير النهار إلى الليل ، انظر العين مادة أوب ، ضاعة : بمعنى جائعة ، قولهم فلان يأكل في معي ضائع أي جائع ، اللسان مادة ضيع ، الآل : الخشب، اللسان مادة أول

يعود بشار إلى تعليل عدم زيارته لمحبوبته ليكون تعليله بمثابة المدخل إلى توصيف رحلته ومشاقها، فما منعه عن زيارتها أن مشاغله ومطالبه والأمور التي يهم بتنفيذها تفذف به في قلب مفازة شحيحة الأضواء مخيفة ليلاً،وفي الصباح لا يوجد فيها سوى تراب يعلو صخورها المترفعة المترامية في مجاهيلها المقفرة.

ثم يصور هذا السراب الذي يظهر مرة ثم يختفي بالمرأة الحسناء التي تكشف عن وجهها ثم تغطيه.

ويقدم بشار وصفاً لهذه المفازة التي يقطعها على ناقة سريعة فهذه المفازة قاحلة مقفرة، يخشى الناس ورودها لأنها مهلكة، يقول بأنه ركب هذه المفازة على إبل كان يقودها صباحاً من خلال كناية "والحرباء منتصب "، ثم يوضح أن عدد هذه الإبل التي يقطع بها هذه الأرض القاحلة يبلغ العشرين، كانت تسير على أرض ترفعها مرتفعاتها وتنخفض بها منحدراتها في إشارة منه إلى صعوبة المسير.

ثم يوضح أثر هذه الرحلة صباحاً ومساءً في هذه الإبل التي جاعت حتى ضمرت وهزلت فلم يبق منها إلا العظم الذي كنى عنه بـ(الآل) والأعصاب.

يقول المثقب العبدي [1]:

سَيَكفيكَ أمرَ الهَمِّ عَزمُكَ صَرمَهُ ... وَيَكفيكَ مَخلوجَ الأُمورِ صَريمُها
وَيَعمَلَةٍ أرمي بِها البيدَ في السُرى ... يُقَطِّعُ أجوازَ الفَلاةِ رَسيمُها
رَجومٍ بِأثقالٍ شِدادٍ رَجيلُهُ ... إذا الآلُ في التِّيهِ اِستَقَلَّت حُزومُها
كَأنّي وَأقتادي عَلى حَمشَةِ الشَوى ... يَجورُ صَراريٌّ بِها وَيُقيمُها
أمَضّي بِها الأهوالَ في كُلِّ قفرَةٍ ... يُنادي صَداها آخِرَ اللَيلِ بومُها
أنُصُّ السُرى فيها بِكُلِّ هَجيرَةٍ ... تُغَيِّرُ أَلوانَ الرِجالِ سَمومُها

يقدم المثقب العبدي حكمة فيما يتعلق بالحزن و ما يشغل المرء من أمور يهم بفعلها قائلاً إن زوال همك وحزنك مرهون بهجرك إياه، و أن راحتك مما يشغل بالك من أمور تتمثل في إنفاذها والمضي قدماً فيها،كما أن الأمور التي تؤرقك ما عليك إلا القطيعة معها.

ويرى المثقب أن الحل يكمن في المضي والسفر هجرةً لما يحزن أو طالباً لما يشغل البال من أمور، فيسرد تفاصيل رحلته واصفاً ناقته وسيرها في الفلوات فهي ناقة سريعة تجتاز

---

1 ديوان المثقب العبدي ص 240 /252

الفلوات برشاقة قوية في سيرها حاملة العتاد على ظهرها ينعتهـا بدقـة الـساقين والـذراعين وحسنهما.

كما يوضح المثقب أوقات مسيره في رحيله؛فهو يقطع الفلوات صباحاً ومـساءً، واصـفاً صعوبة هذه الرحلة لاسيما في أوقات الظهيرة حيث حرارة الشمس مرتفعة.

ينطلق بشار في تأسيسه لمشهد وصف الرحلة ومتعلقاتها في أكثر من موضع من معـاني المثقب في أبياته:

فالمثقب يجعل من الرحلة سبيلاً للخروج من هموم الأمور التي تشغل باله وبشار يجعـل من الرحلة علة لعدم زيارته محبوبته تلبية لما يشغل باله من أمور.

ثم إن توصيف بشار لناقته بـ (المهرية النجب) يرادف توصيف المثقب لناقتـه بأنهـا سريعة في قوله (يُقَطِّعُ أجوازَ الفَلاةِ رَسيمُها)، وهو معنىأعاد توظيفه بشار في دلالة على الشدة إذ يقول (جشمتها العيس) يقصد الفلاة التي يجتازها من حيث انه حملها مشقة هذه الإبل القويـة وهو ما نعت به المثقب ناقته، بقوله(رجوم).

يتداخل بشار مع المثقب من حيث معنى توصيف طبيعة هذه الفلاة التي يقطعها؛ فالمثقـب يصفها بأنها مقفرة تزخر بالأهوال، وبشار ينعت الفلاة التي قطعها بأنها قاحلة من قوله (جرداء حراء) ويعيد إنتاج معنى المثقب من أن الفلاة مليئة بالأهوالمن خلال قوله(مخشي متالفها) فيعمق من دلالة خطورة هذه الأرض التي يجتازها إمعانا في إضفاء القوة والشجاعة على فعله، فـان كانت الأرض التي قطعها المثقب مهولة فإن الأرض التي قطعها بشار مخشية لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها لما فيها من مهالك.

ويقدم بشار صورة لمسيره يتلاقح فيها مع الصورة الفنية التي قدمها المثقب لمسيره فـي قوله:

كَأنّي وَأقتادي عَلى حَمشَةِ الشَوى يَجورُ صَراريٌّ بها وَيُقيمُها

فالمثقب يشبه نفسه بالملاح والناقة بالسفينة يميل بها منخفضا ويرتفع في هذه الفلاة فـي دلالة على مرتفعاتهاومنخفضاتها فيتناص بشار معه معنى دون الصورة الفنية في قوله (يَرقبُهـا ظَهرٌ وَيَخفِضُها في بَطنِهِ صَبَبُ).

وفي ذكره لأوقات مسيره فإن بشارا يتلاقح مع المعاني والصور التي يقدمها المثقب عـن أوقات مسيره؛ فبشار يذكر أن في مسيره وقت حدوث الآل وهو الصباح، وهو ذات الوقت الذي

ذكره المثقب في توصيف مسيره.ويورد بشار ألفاظا تدل على الليل والنهار فيورد (التأويب) مقابل (الهجيرة)عند المثقب ومن التناص اللفظي أيضاً ذكر بشار (الليل) في قوله (رحله الليل) وقد ذكر المثقب الليل وقتاً من أوقات مسيره في قوله (يُنادي صَداها آخِرَ الليلِ بومُها) يقصد الأرض التي يقطعها.

وبشار يتناص في توصيفه (للآل) مع المثقب، فبشار يقدم صورة فنية لمشهد السراب صباحاً في قوله(يستركض الآل في مجهولها الحدب) في دلالة على أن هذا السراب يعلو في مرتفعات هذه الفلاة، وفي وصفه للآل يقول المثقلب: (إذا الآل في التيه استقلت حزومها) يبين أن هذا السراب يرتفع على حزوم تلك المفازة، فبشار يعيد صياغة هذا المعنى من خلال صورة فنية تجعل مما ارتفع من الأرض في تلك الفلاة حائاً للسراب على الركض فيما بين هذه المرتفعات فكسب المعنى حركيّة ً تدل على اضطراب الرؤية.

يقول طهمان الكلابي [1]:

وغبراء مغطي بها الآل لا يرى لها من تنائي المنهلين طريق
قطعت وحرباء الضحى متشمس وللبرق يرمحن المتان نقيق

يبين الطهمان الكلابي أن الأرض التي تجاوزها كان السراب فيها كثيفاً ثم يقدم دلالة لفظية على كونه اجتاز هذه الأرض صباحاً من خلال الحرباء المضافة إلى الضحى ونعته بالمتشمس، ثم توصيفه للجنادب التي تتقافز بين الصخور الصلبة المرتفعة.

وبشار يتناص مع طهمان في ذكر (الحرباء) ليدلل بها على وقت اجتيازه للفلاة في قوله (جشتمها العيس والحرباء منتصب)، فبشار يتناص مع طهمان دلالياً فيكتفي بذكر الحرباء وهي منتصبة ليشير إلى وقت اجتيازه للفلوات الذي حدده بما قبل غروب الشمس [2]، بينما حدد الطهمان وقت اجتيازه للفلاة بالضحى في قوله (حرباء الضحى متشمس).

---

1 ديوان طهمان الكلابي تحقيق محمد جبار المعيبد، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968 ص 25، و هوطهمان بن عمرو الكلابي وهو من اللصوص،شاعر إسلاميّ، وهو أحد صعاليك العرب وفتّاكهم كان في زمن عبد الملك بن مروان. جمع السكري شعره وأخباره في كتاب (اللصوص) انظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (ج1 ص 473)،الأعلام للزركلي (ج3 ص 233)

2 يقول ابن أبي عون "الحرباء دويبة شبيهة بالعظاءة تأتي شجرة تعرف بالتنضبة وما أشبهها من ذوات الأغصان فتمسك بيديها غصنين من الشجرة وتقابل بوجهها عين الشمس وكلما زالت عين الشمس عن ساق خلت الحرباء يدها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس ثم تستخفي" التشبيهات لابن أبي عون ص 21

ب – التناص البلاغي: يتناص بشار بن برد بلاغياً مع شعراء العصر الأموي في تصوير (الآل) بالثوب الذي ترتديه جوانبالفلاة التي قطعها وتخلعه

– يقول بشار:

في كُلِّ هَتّاقةِ الأضواءِ موحِشَــةٍ يَستَرِكِضُ الآلَ في مَجهولِها الحَدَبُ
كَأنَّ في جانِبَيها مِن تَغَوُّلِـــــها بَيضاءُ تَحسِرُ أحياناً وَتَنتَقِـــــــبُ

فبشار يصور جنبات طريقه بالمرأة الحسناء تنتقب وتكشف عن وجهها، يشبه جوانب الطريق بالمرأة والسراب بالوشاح والنقاب، وفي هذا التشبيه يقصد أن الآل كان يكثر تارةً وينحسر أخرى

يقول الأخطل[1]:

وَبَيداءَ مِمحالٍ كَأنَّ نَعامَهـا بأرجائِها القُصوى أباعِرُ هُمَّلُ
تَرى لامِعاتِ الآلِ فيها كَأنَّها رِجالٌ تَعَرّى تارَةً وَتَسَـــربَلُ

يصف الأخطل صحراءً قطعها ممحلة، يشبه السراب فيها في لمعانه وخفوته برجال تتعرى من ثيابها تارةً وتلبسها أخرى.

ويتضح تناص بشار في الصورة الفنية مع الأخطل، فبشار يشبه الآل بالنقاب الذي تكشفه الصحراء من جوانبها المشبهة بالمرأة البيضاء وتتنقب به، والأخطل يشبه الآل في لمعانه وخفوته بالرجال الذين يلبسون ثيابهم ويخلعونها، أما بشار فأخذمعنى هذه الصورة الفنية وأبرزها من حيث التستر بثوب وخلعه في دلالة على اللمعان والخفوت ليقدم صورة فنيةوافية جعل من جوانب الفلاة التي قطعها فيها امرأةً تكشف عنهانقابها المشبه به الآل ثم تتنقب به ثانية،كما أن صورة بشار إبانة أوضح من حيث جعل الذي يكشف ثمينتقب امرأة بيضاء، مما يعطي صورة واضحة للمعان الآل وخفوته.

يقول النابغة الشيباني [2]:

فَجَشَّمتُ نَفسي يَومَ عَيَّ جَوابُهـا وَعَينِيَ مِن ماءِ الشُؤونِ تَرَقـرَقُ
مِنَ الأرضِ دَوِّيّاً يُخافُ بِها الرَدى مَهامِهَ مِمحالاً بِها الآلُ يَخفـــقُ[3]

---

1 ديوان الأخطل ص 225

2 ديوان نابغة بني شيبان، دار الكتب المصرية،القاهرة، 1932،ط.1 ص 8

[3] الدوي : المفازة وكذلك الدوية لأنها مفازة كثلها ، الصحاح مادة دوى ، مهامة مفردها مهمه وهي الأرض البعيدة المقفرة ، اللسان مادة مهمه

بها جِيَفُ الحَسرى أرومٌ عِظامُها إذا صفَّحَت في الآلِ تَبدو وتَغرَقُ[1]
كَأنَّ مُلاءَ المَحضِ فوقَ مُتونِهـا تَرى الأكمَ مِنهُ تَرتَدي وتُنَطِّـقُ[2]

يوضح النابغة الشيباني الصحراء التي قطعها طلبا لمحبوبته التي رفضت أن تجيبه إذ دعاها، فهي صحراء ممحلة محشية تترامى فيها عظام الإبل النافقة.

وفي توصيفه للسراب وفعله في هذه الصحراء، يقدم مجموعة من الصور التي أسَّسَ عليها بشار صورتهالفنية، فيشبه (الشيباني) هذا السراب بالرايات الخافقةفوق هذه المفازة، ثم يقدم صورة لانعكاس هذا (الآل) على عظامالإبل النافقة، مصورا انعكاس الآل عليها وخُبُوِّه بالنساء المصفقات اللائي يضربن كفاً بكف،ثم يشبه منظر سطوع الآل على ظهور هذه الجيف النافقة باللحاف الأبيض الذي ترتديه الاكمات المتناثرة في هذه الفلاة.

5) مشهد ورده الماء والتقائه بمجموعة من الرجال:

بعد أن يسهب بشار في توصيف رحلته وطبيعة المشاق التي تعرض لها، ينتقل لوصف وروده وإبله نبعاً من الماء ليستقي منه، فيلاقي مجموعة من الرجال على ذلك النبع نَعتَهم بالبطالين من حيث كونهم لاهين، فيجري حوار بينه وبين كبيرهم النعيمي يمتدح فيه بشار، ويثني على شجاعته، ويعد هذا المشهد عتبة سردية للدخول إلى غرض امتداح سليمان بن داود الهاشمي، ذلك أن بني نعيم بن مضر بن تميم من قبائل حمير[3]،كما أن والد سليمان كان أميرا على اليمن، فبشار يسرد بالتفصيل وتتابعياً قصة رحلته إلى الأمير سليمان وصولاً إليه ممتدحاً يقول:

وَرّادَةٌ كُلَّ طـامِي الجَمِّ عَرمَضُهُ في ظِلِّ عِقبـانِهِ مُستَأسِدٌ نَشِبُ[4]
وَسَبعَةٌ مِن بَني البَطّـالِ قَيِّمُهُم رداؤُهُ اليـومَ فوقَ الرجلِ يَضطرِبُ[5]
جَلَّيتُ عَن عَينِهِ بالشِعرِ أنشـدُهُ حَتّى اِستَجابَ بـِها وَالصُبحُ مُقتَرِبُ

---

[1] الحسر : الإبل التي أعيت وكلت فيقطت تعبا ، اللسان مادة حسر
[2] الملاء جمع ملاءة وهي الريطة وهي الملحفة، اللسان مادة ملا
3 انظر ديوان بشار ج 1 ص 258
[4] العرمض : الطحلب ، اللسان عرمض ، مستأسد : طويل ، استأسد النبت طال وعظم ، اللسان مادة أسد
[5] البطال : المشتغل عما يعود بنفع دنيوي وأخروي تاج العروس

قالَ النُعَيمِيُّ لَمـــــــــّا زاحَ باطِلُهُ وَاِفتَضَّ خاتَمَ ما يَجنـــــــي بِهِ التَعَبُ
ما أنتَ إن لَم تَكُن أيماً فَقَد عَجِبَت مِنكَ الرِفاقُ وَلـــــي في فِعلِكِ العَجَبُ
تَهفو إلى الصَيدِ إن مَرَّت سَوانِحُهُ بِساقِطِ الـــريشِ لَم يُخلِف لَهُ الزَعَبُ [1]
إن كُنتَ أصبَحتَ صَقراً لا جَناحَ لَهُ فَقَد تُهـــــانُ بِكَ الكَروانُ وَالخَرَبُ[2]

في هذا المشهد ينقل بشار ما دار بينه وبين هؤلاء الرجال من حديث عند وروده المـــاء، ويعد مشهد ورود الماء في القصيدة العربية أثناء الرحلة مشهداً رئيساً إلا انه غالبا مـــا يـــذكره الشاعر الجاهلي والإسلامي والأموي ليبين مدى شجاعته وجسارته من حيث ارتيـــاد الأمـــاكن الخالية من الإنس، منفرداً أو بصحبة صديق أو اثنين، بينما يورد بشار هذا المشهد بذات الدلالة من خلال تقليبه للإطار العام الذي تجري عليه البنية السردية لقصائد الرحلات والأسفار، فقـــد امتدحهالرجال الذين لقيهم وتعجبوا من شجاعتهوحنكته في الصيد ثم إنه أنشدهم الشعر ورضـــوا عنه ويعد اقرب مشهد لورود الماء ولقاء أهله عنده ذلك الوارد في قصيده للكميـــت بـــن زيـــد الأسدي يقول [3]:

وَرَدتُ مِياهَهم صادِيـــــاً بِحَائِمَةٍ وردَ مُستَعـــــــذِبِ
فَمَا حَلأَتِني عِصِيُّ السُقَاةِ ولا قِيلَ يا ابعَد ولا يا اغرُبِ
ولكِن بِجأجَأةِ الأكرَمِـــينَ بِحَظِّيَ في الأكرَمِ الأطيَـــــبِ

يصف الكميت وروده ماء ممدوحيه عطشانافأحسنوا له ولم يطردوه عنها وتماســـتقبالهبكل حفاوة منهم.

ويتجلى التناص في كون أبيات الكميت تعد منطلقاً للأبعاد الدلالية والمعنوية والسردية عند بشار، ذلك أنه يصف وروده ماء بني نعيم وعدم إساءتهم له، وان كان ذلك يتفق مـــع المعنـــى السطحي لأبيات الكميت، إلا أنه يختلفمن حيث الدلالات، فإكرام بشار من قبل من ورد مـــاءهم نابع من إعجابهم به، شعراً وصيداً ولا يحمل امتداحا لهم على فعلهم هذا، في حين يدلل المعنى العام لأبيات الكميت على كرم ممدوحيه وحفاوة استقبالهم له، فبشار يتلاقح مع مـــشهد الكميـــت فيحول دلالته، ثم إن بشارا يتناص سرديا مع الكميت من حيث جعل مشهد ورود الماء منطلقـــاً لمدح ممدوحه مع اختلاف في حيثيات المشهد المعنوية والدلالية، فبشار يتخذ من نبـــع المـــاء

---

[1] السوانح : الطيور التي تأتي عن يمينه يتبرك بها وهي عكس البارح . اللسان : مادة سنح
[2] الكروان طائر ويدعى الحجل اللسان مادة كرا ، الخرب ذكر الحبارى الصحاح مادة حرب
3 ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صـــادر بيـــروت ط.1، 2000، ص619 /620

عتبةلمدح ممدوحه ذلك أنها تتفق مع التسلسل الزماني والمكاني لأحداث الرحلة، كما تم استخدامهذا المشهد عند الكميت كدلالة على كرم ممدوحه ومبرراً لمدحهم.

ويظهر التناص في أبيات بشار في مشهده بطرق متعددة تراوح بين التناص اللفظي المباشر وغير المباشر والتناص المعنوي والتناص الأسلوبي وقد وردت هذه التناصات في أبيات منفردة وفق الآتي:

- يقول بشار:

وَرّادَةٌ كُلَّ طامِي الجَمِّ عَرمَضُهُ في ظِلِّ عِقبانِهِ مُستَأسِدٌ نَشِبُ

يصف بشار وروده مع إبله نبعاً من الماء ممتلئ بالمياه من خلال نعته لإبله بأنها ترد الينابيع الممتلئة بالمياه، ثم يصف هذا النبع الذي فيه طحلب طويل يتعلق في مجاريه.

يقول المتنخل الهذلي [1]:

وَماءٍ قد وَرَدتُ أُمَيمَ طامٍ عَلى أرجائِهِ زَجَلُ الغَطاطِ

يوضح المتنخل أنه قد ورد ماءً غزيراً على أرجائه تتقافز أنواع الطيور

ويقول ذو الرمة [2]:

فَأورَدَها مَسجورَةً ذاتَ عَرمَضٍ تَغولُ سيولَ المُكفَهِرّاتِ غولُها

يصف ذوالرمة مشهد إيراد حمار من الوحش أتنه، إلى عين مملوءة ماءً لتؤثر فيها مياه السُحُب الغزيرة لسعتها.

ويقول أبو خراش الهذلي [3]:

يُفَجّينَ بِالأيدي عَلى ظَهرِ آجِنٍ لَهُ عَرمَضٌ مُستَأسِدٌ وَنَجيلُ[4]

---

1 ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة نسخة مصورة من طبعة دار الكتب ط.1 1965 ج2 ص 24،وهو مالك بن عويمر بن عثمان بن خنيش بن عادية بن صعصعة، شاعر محسن من شعراء هذيل وهو صاحب القصيدة الطائية، قال الأصمعي أجود طائية قالتها العرب،انظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء (ص: 235-)الآمدي.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (ج4 ص 139)

2 ديوان ذي الرمة ج2 ص 935

3 ديوان الهذليين ج2 ص 121، وأبو خراش اسمه خويلد بن مرة أحد بني قرد واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي -ﷺ- مدة، الإصابة في تمييز الصحابة (ج2 ص 365)

4 الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، اللسان اجن

يصف أبو خراش مشهد ورود أتن الماء للشربحيث وسعن أيدهن ليسهل عليهن الانحناء للشرب من ماء متغير اللون والرائحة من كثرة ما فيه من طحالب ونجيل.

ويتضح اتكاء بشار بن برد على هذه المعاني والمفردات الواردة عند هؤلاء الشعراء الثلاثة،فمن حيث المعنى واللفظ فإن بشارا يفيد من بيت المتنخل الهذلي في توضيحه لوروده نبعاً غزير الماء في قوله (وَماءٍ قد وَرَدتُ أُمَيمَ طامٍ) وبشار يقدم هذا المعنى بنسبته إلى إبله لامتداحهايقول (وَرّادَةٌ كُلَّ طامِي الجَمِّ).

ثم إن بشارا يتناص لفظياً مع ذي الرمة بنوعيه المباشر وغير المباشر، ففي تدليله على غزاره مياه العين التي وردتها الأتن ينعتها ب(مسجورة)، وهو معنى يرادف مدلول لفظة(طامي) و(الجم) اللتين وصف بهما بشار عين الماء التي وردتها إبله، كما يتناص معه لفظاً من خلال عبارة ذي الرمة (ذات عرمض) يصف نبع الماء،ويقول بشار(عرمضه).

كما يتناص بشار مع أبي خراش الهذلي في توصيف النبع الذي وردته إبله باللفظ المباشر يقول أبو خراش(له عرمض مستأسد) يقصد النبع،فيأخذه بشار مجرياً عليه تعديلاً لغوياً يقول: (عَرمَضُهُ في ظِلِّ عِقبانِهِ مُستَأسِدٌ نَشِبُ).

– يقول بشار:

قالَ النُعَيمِيُّ لَمّا زاحَ باطِلُهُ وَاِفتَضَّ خاتَمَ ما يَجني بِهِ التَعَبُ

يوضح بشار إفاقة النعيمي من سكره وفتحه خاتم جرة الخمر خاصته.

يقول الطفيل الغنوي [1]:

صَحا قلبُهُ وَأقصرَ اليَومَ باطِلُهُ وَأنكَرَهُ مِمّا اِستَفَادَ حَلائِلُه[2]

يبين الطفيل أنه أفاق من الغواية وثاب إلى رشده بعدما شاب شعر رأسه مما سبب انزعاج نسوته فبشار يستثمر عبارة(أقصر باطله) المُدِّللة على إفاقة الطفيل من اللهو والغواية وعودته إلى رشده، فيوظفها في بيته للدلالة على إفاقة النعيمي من السكر في قوله " راح باطله " يقصد بذلكإفاقته من السكر الذي نعته بالباطل.

---

1 ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط.1، 1997، ص112

[2] استفاد : شاب شعر رأسه ، اللسان مادة فيد

– يقول بشار:

إن كُنتَ أصبَحتَ صَقراً لا جَناحَ لَهُ فَقد تُهانُ بِكَ الكَروانُ وَالخَرَبُ[1]

ينقل بشار قول النعيمي له عندما امتدح مهارته في الصيد مشبها إياه بالصقر الذي يهلك الكروان والحباري خوفاً ورعباً وإذلالا.

يقول الأخطل [2]:

نِعمَ الخُؤولَةُ مِن كَلبٍ خُؤولَتُهُ وَنِعمَ ما وَلَدَ الأَقوامُ إِذ وَلَدوا

بازٌ تَظَلُّ عِتاقُ الطَيرُ خاشِعَةً مِنهُ وَتَمتَصِعُ الكِروانُ وَاللُبَدُ

يمتدح الأخطل أخوال ممدوحه، ويصفه بأنه صقر تخشاه كبار الطيور وتخافه صغارها من مثل الكروان.

يقول اوس الهجيمي [3]:

وَهُمْ تَرَكوكَ أَسلَحَ مِن حُبارَى رَأَت صَقراً وَأَشرَدَ مِن نَعامِ

يهجو أوس الهجيمي رجلاً واصفاً فعل الرجال فيه موضحاً جبنه ازاءهم مشبهاً إياه بطائر الحبارى المتصف بالجبنخاصة عند رؤية الصقر، للتدليل على رعبه ويشبِّهه بالنعام الشاردة عند اقتراب الخطر منها يدلل على تصرفه عندما يشعر باقتراب الرجالمنه.

يقول ذوالرمة [4]:

مِن آلِ أَبي موسى تَرى الناسَ حَولَهُ كَأَنَّهُمُ الكِروانُ أَبصَرنَ بازِيا

يقدم ذو الرمة صورة لممدوحه تُظهر شجاعته وبأسه وخوف الناس منه فهو مثل الصقر إذا بدا لهم،وهم حينها مثل طائر الحجل الذي يرتعب خوفاً لرؤية الصقر.

---

[1] الكروان : طائر يدعى الحجل " اللسان كرا " ، الخرب : ذكر الحبارى " الصحاح خرب "

2 ديوان الأخطل ص 89

3 منتهى الطلب ج4 ص 85 وهو أوس بن غلفاء التميمى،هو من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم. وهو جاهليّ.وعده الجمحي في الطبقة الثامنة من فحول الجاهلية،انظر: الشعر والشعراء (2/ 621).فحولة الشعراء للاصمعي (ص: 30)

4 ديوان ذي الرمة ج2 ص 1313

يتضحمن هذه الأبيات الثلاثة أثرها في معاني بشار وألفاظه في بيته إذ يظهر التناص المعنـــوي واللفظي والبلاغي في بيت بشار مع هذه الأبيات وفق الآتي:

يتناص بشار لفظا ومعنىً وتصويراً مع كل من الأخطل وأوس الهجيمي وذي الرمة على اختلاف الأغراض التي وظفوا لأجلها معانيهم وألفاظهم وصورهم، فالأخطل يمتـــدح شـــجاعة ممدوحه بتشبيهه بالصقر الذي تخشاه كبار الطيـــور وصـــغارها، فيـــتلاقح بـــشار مـــع هـــذا المعنىبتوظيفه على لسان النعيمي الذي أعجبته براعة بشار في الصيد مشبهاً إياه بالصقر الذي تخشاه الحجل والحبارى، كما يتناص معهلفظاً من خلال إيراد (الكروان) الذييخاف ويخشى مـــن الصقر.

كما يتناص مع معنى أوس الجهيمي في هجائه لرجل غدا مثل الحبارى عند رؤية الصقر، وهو ما وضحه بشار في بيته بذكر (الخرب) الذي ســـيهان مـــن الـــصقر الـــذي شـــبهه بـــه النعيمي،والخرب ذكر الحبارى وذلك من قبيل التناص اللفظي غير المباشر.

ويتناص لفظاً ومعنى مع ذي الرمة من حيث توصيف الأخير لحال الكروان عند رؤيـــة الصقر.

فبشار استوعب هذه المعاني الموظفة لأغراض مختلفة وفق سياقات متعددة، فأعاد إنتاجها في إطار حواري عفوي بدر من رجل تعجب من براعته في الصيد فشبهه بالصقر الذي يهـــين الكروان وذكور الحباري،ولعله باستخدام عبارة (يهين) يختزل الحمولة المعنوية للأبيات الثلاثة جميعاً، ويزيد عليها في الإيجاز وتكثيف المعنى.

– يقول بشار:

ما أنتَ إن لَم تَكُن أيماً فقد عَجِبَت مِنكَ الرفاقُ ولَي في فِعلِكِ العَجَبُ

يعجب النعيمي من فعل بشار وبراعته في الصيد فيصفه بأنه مثل الحية اللطيفة لخطورته.

يقول لبيد العامري [1]:

ما أنتَ إن ضُمَّ عَليكَ المازقُ إلّا كَشَيءٍ عاقهُ العَوائِقُ

يهجو لبيد الربيع بن زياد فيقول له إنك إن ضاقت بك المضائق لن تفعل ما ينجيك لجبنك، وقلة حيلتك فتكون مثل الشيء الذي لا حياةً فيه عندما تعيقه العوائق.

---

1 الأغاني ج 15 ص 355

ويتجلى التناص الأسلوبي في معنى الاستفهام الخارج إلى الحصر في قول بشار على لسان النعيمي(ما أنت إن لم تكن أيما)، وهو معنى عبارة لبيد:

(ما أنتَ إن ضُمَّ عَليكَ المازِقُ إلّا كَشَيءٍ عاقَهُ العَوائِقُ) في أسلوب الحصر المستخدم لديه.

6) مشهد امتداح سليمان بمآثره:

يصل بشار في هذا المشهد إلى غاية الحدث الشعري من حيث السرد القصصي للرحلةالتي تجشم عناءها، وصولاً إلى لقاء الأمير سليمان؛ فيفتتح هذا المشهدبالتعظيم من شأن الممدوح الذييَؤُمه الأشراف من الناس لينالوا شرف لقائه والخير العميم منه، فبشار بهذه الدلالات التي يحملها مدحه يشير إلى أنه من هؤلاء الأشراف الذين يزورونه، مما يحيلنا إلى مطلع مشهد ارتحاله تلبيةً لدعوة الأمير الذي وضح فيه انه لا يزدرى من قِبَل الملوك الذين يطلبونه

يقول [1]:

إلى سُلَيمانَ راحَت تَغتَدي حِزَقاً وَالخَيرُ مُتَّبَعٌ وَالشَرُّ مُجتَنَبُ

تَزورُهُ مِن ذَوي الأحسابِ آونَةً وَخَيرُ مَن زُرتَ سُلطانٌ لَهُ حَسَبُ

أغَرُّ أبلَجُ تَكفينا مَشاهِدُهُ في القاعِدينَ وَفي الهَيجا إذا رَكِبوا

أمسى سُلَيمانُ مَرؤوماً نُطيفُ بِهِ كَما تُطيفُ ببَيتِ القِبلَةِ العَرَبُ

يدور هذا المشهد حول محبة الناس لسليمان بحيث يزورونه وهم من ذوي الأحساب يطلبون العز بصحبته، صدَّر به بشار مدحه مقدمة لتوضيح وتعليل هذه الحظوة التي نالها (الممدوح) من أكابر الناس،وقد اضطرد ذكر هذا المعنى في مدح الشعراء لممدوحيهم بمعان مختلفة، وقد تخير الباحث أقرب هذه الأبيات تأثيراً في توجيه معاني بشار على أنه ابتدع فيها وقدَّم الجديد في المعنى والمبنى، ثم إن بشارا قد فتح نصه الشعري على القرآن الكريم متناصاً مع معانيه وألفاظه في تصوير محبة وإجلال الحاضرين في بلاط سليمان له.

---

1 ديوان بشار ج1 ص 258

هذا وقد اقتصر التناص في هذا المشهد على التناص بالمعنى والتناص الديني:

ا- التناص بالمعنى:

يظهر أثر بعض النصوص الشعرية السابقة في هذا المشهد، من حيث المعنى العام وقد توزَّعالتناص بالمعنى على شعراء العصر الجاهلي والإسلامي والأموي:

- يقول بشار:

إلى سُلَيمانَ راحَت تَغتَدي حِزَقاً وَالخَيرُ مُتَّبَعٌ وَالشَرُّ مُجتَنَـــبُ[1]

تَزورُهُ مِن ذَوي الأحسابِ آونَةً وَخَيرُ مَن زُرتَ سُلطانٌ لَهُ حَسَبُ

يبين بشار أنَّ جماعات من الناس قصدت الأمير سليمان صباحاً، تقصد خيره وتتجنب الشر بصحبته، ثم يوضح ماهيَّة هؤلاء الزائرين الذين هم من أشراف الناس وأكابرهم، يثني على الأمير بكونه خيرَ من يُزار، لفعاله الصالحة.

يقول خالد بن زهير[2]:

وَكُنتَ إماما لِلعَشيرَةِ تَنتَهي إلَيكَ إذا ضاقت بأمرٍ صُدورُها

يوضح خالد بن زهير لأبي ذؤيب الهذلي ما كان عليه من اتزان وحكمة قبل اختلافهما، مذكِّراً إياه بأنه كان قائداً ومرجعاً تلجأ إليه القبيلة عند الشدائد نظراً لما يتمتع به من حكمة ورجاحة رأي [3].

تقول الخنساء [4]:

وَالناسُ سابِلَةٌ إلَيـــ ـــكَ فَصادِرٌ بِغِنىً وَوارد[5]

ترثي الخنساء أخاهاصخراً مُعددةً مآثره فقد كان الناس يقصدونه طلباً للرزق؛ فيخرجون من عنده أغنياء.

---

[1] الحزق : الجماعة من الناس والطير والنخل معا ، الصحاح مادة حزق

2 ديوان أبي ذؤيب الهذلي شرح وتقديم سوهام المصري، المكتب الإسلامي ط.1 1998، ص 132

3 انظر الأغاني ج6، ص291

4 ديوان الخنساء دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر ط.1، 1985 ص 363

[5] السابلة : المختلفون في الطرقات لحوائجهم ، أساس البلاغة مادة سبل

يقول الفرزدق [1]:

إلَيكَ أميرَ المُؤمِنينَ أنَختُها إلى خيرِ مَن حُلَّت لَهُ عُقدُ الرَحلِ

يوضح الفرزدق أنه نزل بإبله قرب قصر أمير المؤمنين ناعتاً إياه بأنه خير من يزار.

ويتجلى تناص بشار مع هؤلاء الشعراء في أبياتهم الثلاثة معنوياً ولفظياً؛ فيتداخل مع معنى بيت خالد بن زهير في عتابه لأبي ذؤيب من جهة كون ممدوح بشار مأموماً من الناس الذين يقصدونه يبتغون خيره وفضله، فيعيد بشار صياغة هذا المعنى الذي يحمل عند خالد بن زهير دلالة الفعل الذي انتهى لأنه يخبر عنه بـ (كان) في قوله (وكنت اماماً) فيقدم بشار هذا المعنى بصفته مستمراً غير منقطع.

ثم إن بشارا يتداخل مع الخنساء التي جعلت أخاها مقصداً للناس يبتغون كرمه وجوده، فيقدم هذا المعنى مبيناً زمن قصد الجماعات من الناس لسليمان فهم يقصدونه صباحاً يريدون الخير ويتجنبون الشر بالاتصال به، ويظهر هذا التداخل النصي لفظاً في قول الخنساء " وَالناسُ سايلَةٌ إلَيكَ " أي يقصدونك لقضاء حوائجهم وقول بشار: (إلى سُلَيمانَ راحَت تَغتَدي..) قدم سليمان على الجماعات التي تزوره تعظيماً من شأنه.

وفي معنى امتداح الأمير بكونه خير من يزار، يتناص بشار بن برد مع الفرزدق في مدحه لأمير المؤمنين بكونه خير من تحل له العقد يكنِّي عن أنه خيرمن ينزل عنده من الناس، وذلك في قول بشار (وخير من زرت سلطان له حسب) أي أن ممدوحه هو أفضل من يزار لما يتصف به من فعال حسنة، فبشار أخذ من دلالة كناية الفرزدقوأعاد توظيفها في بيته معللاً سبب كون ممدوحه خير من يزار.

- يقول بشار:

أغَرُّ أبلَجُ تَكفينا مَشاهِدُهُ في القاعِدينَ وَفي الهَيجا إذا رَكِبوا[2]

يمتدح بشار بن برد سليمان بنعته ببياض الوجه وجماله وبالكرم والشجاعة، يقول بأن معاركه التي خاضها، وانتصر بها تكفي المقاتلين شجاعة، وإلهاما بالنصر والقاعدين شرفاً وافتخاراً لكونه أميرهم.

---

1 ديوان الفرزدق ج2 ص 302

[2] رجل أغر كريم الأفعال ورجل أغر الوجه إذا كان ابيض الوجه " اللسان مادة غرر، الأبلج الأبيض الحسن الواسع الوجه والطلق بالمعروف " المحكم مادة بلج

يقول امرؤ القيس [1]:

ثِيابُ بَني عَوفٍ طَهارى نَقِيَّةٌ وَأوجُهُهُم عِندَ المُشاهِدِ غِرّانِ

يوضح أن بني عوف لم يدنسوا ثيابهم بغدر أو نكث عهد كما أنهم بيض الوجوه في المعارك التي يخوضونها أي منتصرون.

وبشار يتناص مع امرئ القيس لفظاً ومعنى؛ فالأخير يمتدح بني عوف بكونهم منتصرين في المعارك في قوله (وَأوجُهُهُم عِندَ المُشاهِدِ غِرّان) أي أوجههم بيضاء عند المعارك، ينتصرون فلا تسوَّدُ وجوههم بالهزيمة، فينعتبشار ممدوحه بكونه أغر بحيث يحتمل هذا اللفظ دلالتين: الأولى معجمية من حيث إن ممدوحه متصف بجمال الوجه، والأخرى معنوية دلالية من جهة أن ممدوحه كريم الأفعال، سيما في المعارك التي ينتصر فيها فيكون أبيض الوجه فيها غير مسوده بالهزيمة،ثم إن بشارا يقدم معنى انتصار ممدوحه في معاركه بأسلوب يضفي دلالة ومعنىً جديدينتوسعان من دلالتهما في النص الغائب، إذ إن انتصار سليمانفي معاركه يكفي المحاربين عزيمة وشحذاً للهمم، ويبعث الفخر في نفوس القاعدين عن الحرب من باقي رعيته.

ومن حيث التناص اللفظي ذو الدلالة الجمالية، نجد بشارا يتناص لفظاً مع الأعشى يقول[2]:

أغَرُّ أبلَجُ يُستَسقى الغَمامُ بِهِ لَو صارَعَ الناسَ عَن أحلامِهِم صَرَعا

يمتدح الأعشى ممدوحه بكونه كريم الفعال طلقاً بالمعروف يطلب الناس الغمام به أيبوجهه الجميل يطلب الناس المطر،كما أنه يُعدُّ من أحكم الناس وأرجحهم عقلا.

فبشار يتناص لفظياً بافتتاح بيته بـ (أغر أبلج) كما هو افتتاح بيت الأعشى بهما، إلا أن بشارا يوجه هذه الألفاظ إلى دلالة الانتصار في الحروب، في حين يقدم الأعشى هاتين الصفتين دلالة جمالية خُلقية وخَلقية للتدليل على كرم هذا الممدوح.

تقول الخنساء [3]:

يا عَين جودي بالدُموع عَلى الفَتى القَرمِ الأغَر[4]

---

1 ديوان امرؤ القيس ص 167
2 ديوان الأعشى ص 143
3 ديوان الخنساء ص 374
[4] القرم : السيد ، اللسان مادة قرم

أبيَضُ أبلَجُ وَجهُـــهُ كَالشَمسِ في خَيرِ البَشَرَ

في رثائها لأخيها تقدم الخنساء وصفاً معنويا وجمالياً له،فهو سيّد قومه جميل الوجه أبيضه تُشبهه بالشمس لوضاءته فهو أفضل الناس عندها.

ويتضح تناص بشار لفظاً مع الخنساء في قولها (أغر و أبلج) إلا أندلالة هاتين اللفظتـــين وفق سياقهما تشيران إلى جمال وجه أخيها وشدة بياضه، في حين حملت هاتين اللفظتين عنـــد بشار دلالة الشجاعة في المعارك ولم تعدما الدلالة الجمالية.

وفي دلالة لفظ (أبلج) علىالكرم يتناص بشار بن برد مع عبد الله السلولي في قولة [1]:

ولا تزالُ وفودٌ في دياركمُ يَغشَونَ أبلجَ سَبَّاقاً إلى الكرم

يمتدح السلولي ممدوحه بكثرة الوافدين عليه يطلبون كرمه.

فعبد الله السلولي يستخدملفظ (أبلج) من حيث دلالته على الكرم، كما يتضح من البيـــت أن بشارا يتناص معه في مقدمة مشهد امتداح سليمان،عندما يوضح أن الناس يؤمونه جماعات فـــي قوله: (إلى سُلَيمانَ راحَت تَغتَدي حِزَقاً) وهو ما يرادف قول السلولي (ولا تـــزالُ وفـــودٌ فـــي دياركمُ) لدلالة وفود على الجماعات من الناس.

ب التناص الديني:

يتكئ بشار بن برد على النص القرآني في إقامة معانيه، بحيث ينهل من القرآن الكريم ما يستقيمبه شعره سيما في مواضع يُراد بها المبالغة في المدح من خلال التقاطع مع النص القرآني في تناصاته المشتملة على تراكيبقرآنية بعينها، من خلال إعادة الصياغةوالتوجيه المعنوي.

وفي هذا المشهد يتلاقحبشار مع القرآن الكريم تركيبياً، باستدعاء البنية اللغوية والمعنوية لبعض الآيات القرآنية، واستخدامها وفق غرضه الشعري.

- يقول:

أمسى سُلَيمانُ مَرؤوماً نُطيفُ بهِ كَما تُطيفُ ببَيتِ القِبلَةِ العَرَبُ[2]

---

1 شعر عبد الله بن همام السلولي، جمع وتحقيق وليد السراقبي، مطبوعات مركز جمعة الماجـــد، دبـــي ط.1، 1996 ص 103 وهو عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح بن مالك بن الهجيم، وهـــو شـــاعر كـــوفي إسلامي، أدرك معاوية، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، أو بعده.انظر: الأعلام للزركلي (4/ 143)

2 مرؤوم : محبوب ، وكل من لزم شيئا وألفه وأحبه فقد رئمه ، اللسان رام

في اختتامه لمشهدامتداح سليمان بخصٍّ أكابر القوم له بالزيارة، يقدم صورة تلخص هــذا التقرب وتبين حجم المودة والحب اللذين يكنهما هؤلاء الأشراف الذين قصدوه زائرين، مقــدماً شهادةً لما رأى وهو مجتمع معهم لديه، وفي ذلك تدعيم لعدِّ نفسه من الأشراف الذين يــزورون الأمير، فيقدم صورة فنية من خلالها يُظهر المكانة الجليلة لسليمان الأمير في قلــوب زائريــه، فيجعله منهم بمثابة الكعبة للطائفين فيها ليوضح بذلك دلالتين: أولاهما حقيقية تُظهر تحلقهمحوله وإحاطتهم له،والأخرى معنوية تبين مكانته المقدسة والجليلة عندهم.

يقول تعالى:" ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق "[1]

فبشار يتناص مع هذه الآية الكريمة لفظاً ومعنى ً بإعادة صياغة التركيب القرآني فيقولــه تعالى " وليطوفوا بالبيت العتيق "،فيعيد إنتاج هذا المعنى بما يخدم غرضــه الــدلالي؛ فيــشبه ممدوحه بالكعبة التي يطوفها العرب والمسلمين في قوله (نُطيفُ بهِ)،و(كَما تُطيفُ ببَيتِ القِبلَــةِ العَرَبُ)، فيضيف البيت إلى القبلة في إشارة إلى الكعبة في قوله تعالى يخاطب نبيه " فلنولينــك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام "[2]،وهو بذلك يزيد من دلالة كون ممدوحه مهوى لأفئدة الناس الذين يزورونه مماهياً بينه وبين القبلة من حيث توجه الناس إليها صلاة و زيــارة من خلال الحج.

7) مشهد امتداح سليمان: بآبائه ومفاخرهم:

وفي هذا المشهد يتابع بشار امتداحه للأمير سليمان،فيتطرق إلى مفاخر آبائه ومكــارمهم، مُظهراً فضلهم على الناس، مما يجعل هذا المشهد منسجما انسجاماً تكاملياً مع المشهد الذي سبقه، ذلك أن بشار يعلل اجتماع أشراف الناس عند ممدوحه، وقصدهم بيته من خلال تبيين مكانته من جهة أسلافه الأسياد يقول [3]:

تَرى عَلَيهِ جَــــــلالا ً مِن أبُوَّتِهِ وَنُصرَةً مِن يَدٍ تَــــــــندى وَتُنتَهَبُ
يَبدو لَكَ الخَيرُ فيــهِ حينَ تُبصِرُهُ كَما بَدا في ثَنايا الكــــاعِبِ الشَنَبُ
في هامَةٍ مِن قُرَيشٍ يُحدِقونَ بها تُجبى وَيُجبى إلَيها المِســكُ وَالذَهَبُ
عالى سُلَيمانُ في عَليــاءَ مُشرِفَةٍ سَيفٌ وَرُمــــــحٌ وَآبــاءٌ لَهُ نُجُبُ
يا نِعمَ مَن كانَ مِنهُم في مَحَــلَّتِهِ وَكانَ يَشرَبُ بالمــاءِ الَّذي شَرِبوا

---

1 سورة الحج آية 29
2 سورة البقرة اية 144
3 ديوان بشار ج1 ص 258

كانوا وَلا ديــنَ إلّا السَيفُ مُلكُهُمُ راسٍ وَأيّامـــــــــهُم عادِيَّةٌ غُلُبُ
تَطولُ أعمـــــارُ قومٍ في أكُفِّهِمُ حيناً وَتَقصُرُ أحيـــــاناً إذا غَضِبوا
العاقِدينَ المـــــنايا في مُسَوَّمَةٍ تُزجى أوائِلُها الإيـــــجافُ وَالخَبَبُ
بيضٌ حِدادٌ وَأشـــــرافٌ زَبانِيَةٌ يَغدو عَلى مَن يُعادي الوَيلُ وَالحَرَبُ
أقولُ لِلمُشـــتَكي دَهراً أضَرَّ بِهِ فيهِ اِبتِذالٌ وَفي أنـــــيابِهِ شُعَبُ
لا جارَ إلّا سُـــــلَيمانٌ وَأسرَتُهُ مِنَ العَدُوِّ وَمـــــــنِ دَهرٍ بِهِ نَكَبُ

يسهب بشار في تعداد مكارم آباء ممدوحه ومفاخرهم، مماهياً بين هذه المفاخر والمـآثر، وبين مكارم ممدوحه الذي عده انعكاساً وامتداداً لها؛ فتوزع امتداحه لآباء سليمان على توضـيح شرف نسبهم القرشي، وتبيين شجاعتهموبأسهم في المعارك وطول باعهم فيها، وفي كونهم ملاذاً آمنا لمن ألمَّت به حوادث الدهر.

وهذه المعاني وغيرها مما ورد في هذا المشهد طرقت من قبل، وأسـهب الـشعراء فـي توصيفها، وعليه فإن بشارا يَمتَح من إرث شعري غني دلالياً وأسلوبيا فـي مجـال الامتـداح بالأسلاف، إلا أن بشارا أجاد في تطويع هذه المعاني، وهضمها وقدمها بلغته الخاصة وبأسلوبه المبتكر، فتوجه الباحث إلى المعاني الخاصة التي أوردها بشار وحاول توضيح أبرز النصوص الشعرية التي تعالق معها بشار في تكوينه لمعانيه في أبيات هذا المشهد الذي نسجه بتفرد معيداً إنتاج كثرة من النصوص الشعرية ذات المعاني التي لها صله مع معانيه، فكان تناصـه شـاملا للعصور التي سبقته جميعها، هذا وقد جاء التناص في هذا المشهد أدبياً مشتملاً علـى التنـاص المعنوي واللفظي والتناص البلاغي:

- يقول بشار:

تَرى عَلَيهِ جَلالاً مِن أبُوَّتِهِ وَنُصرَةً مِن يَدٍ تَندى وَتُنتَهَبُ

يصف بشار هيبة الأمير سليمان يردُّها إلى آبائه جامعاً بين طيب الفعل والنسب، كما بين كرمه برسم صورة عن يده التي تقطر كرماً، فيتدافع الناس عليه ليغنموا بكرمه.

تقول الخنساء [1]:

جَهمُ المُحَيّا تُضيءُ اللَيلَ صورَتُهُ آباؤُهُ مِن طِوالِ السَمكِ أحـــرارُ[2]

---

1 ديوان الخنساء ص 308
[2] السمك : القامة من كل شيء اللسان مادة سمك

مُوَرَّثُ المَجدِ مَيمونٌ نَقيبَتُـــهُ ضَخمُ الدَسيعَةِ في العَزّاءِ مِغوارُ[1]

ترثي الخنساء صخراً معددةُ مآثره؛ فوجهه كالأسد مشرق منير، وآباؤه قاماتهم عالية في المجد ورث مجده عنهم، فسيرته محمودة وعطاؤه جزيل، كما أنه شجاع عند الشدائد.

يقول عبيدة اليشكري [2]:

إنَّ مَن خالُهُ المُهَلَّبُ في النا س لَهُ هَيبَةٌ وَعِزٌّ جَلالِ

يوضح عبيدة اليشكري مكانة المهلب الرفيعة، بحيث إن كل من يتصلون به بصلة دم فيصبح خالهم، يكتسبون الهيبة والعزة والجلال به.

يتجلى التناص في بيت بشار من خلال صورتي اكتساب المهابة والجلالة من الآباء وصورة الكرم، فبشار يتناص مع الخنساء في معنى توريث المجد الوارد في قولها (مُوَرَّثُ المَجدِ)، فيحتوي دلالة الصورة الموزعة على بيتيها، مكثفاً لها معيداً إنتاجها في بيت واحد بإيجاز ودون إخلال باكتمال المعنى، فيجمع ما بين وراثة المجد والكرم في قولها (ضَخمُ الدَسيعَةِ) أي جزيل العطاء، فيجعل من ممدوحه بؤرة للجلال الذي ناله بانتسابه لآبائه الكرام في قوله (تَرى عَلَيهِ جَلالاً مِن أُبُوَّتِهِ) فبشار يخصص ما ورثه الممدوح من آبائه تبعاً للسياق الشعري الذي يتحدث عن أول ما يطالعه الرائي في الأمير فيجعل من (الجلال) الصفة التي ورثها عن آبائه، ويدلل على عظمة ممدوحه بصفته سليل ملوك عظماء، في تعالقه مع قول الخنساء:(آباؤُهُ مِن طِوالِ السَمكِ أَحرارُ) فيقدم المعنيين بتكثيف وإيجاز.

كما أن بشارا يتناص مع الخنساء في امتداحها أخيها بالكرم في قولها(ضخم الدسيعة)، فيقدم هذا المعنى من خلال صورة فنية تعد من الصور العامة، حيث ينعت اليد بالندية دلالة علىالكرم الشديد الذي يهرع إليه الناس لينعموا به.

ويتناص بشار لفظاً ومعنى مع عبيدة اليشكري الذي يمتدح المهلَّب بكونه باعثاً للجلال والهيبة في كل من يتصل به بنسب، ففي قوله: (إنَّ مَن خالُهُ المُهَلَّبُ في الناس لَهُ هَيبَةٌ وَعِزٌّ جَلالِ) يقتصركلامه على الممدوحفهو الباعث للعظمة والمهابة فيمن يناسبهم، إذ إنه لم يحدد

---

[1] مأمون النقيبة : محمود المخبر ، أساس البلاغة مادة نقب ،

2 شعر الخوارج، جمع إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ط.3، 1974 ص 914، وهوعبيدة بن هلال اليشكري من بني يشكر بن بكر بن وائل كنيته أبو مالك معدود في شعراء ورؤساء وخطباء الخوارج الأزارقة ومن أصحاب حطان الأيادي! وكان في أصحابه من الدين والجهاد بمكان، سألوه أن يتولى أمرهم فأبى، ودلهم على قطري، وأبلى في الحرب ضد المهلب.انظر: الأعلام للزركلي (4/ 199)،و (7/ 352)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي. (ص: 200)

هؤلاء الذين سيكون المهلب من خؤولتهم، في دلالة على أنه سيكسب المجد والعظمة لأيٍّ كـــان بنسبه حتى لو كان وضيعاً أو غير ذي قيمة رفيعة، فيلتقط بشار هذا المعنى متناصاً لفظياً معـــه في قوله (عليه جلالاً) فيضيف على مدلول عبيدة مدلولاً جديداً،وهو أن الممدوح المتصل بنسب عريق هو كريم ذو جلال بفضل كرم أفعاله بالإضافة إلى كونه سليل ملوك عظماء.

- يقول بشار:

يَبدو لكَ الخَيرُ فيهِ حينَ تُبصِرُهُ كَما بَدا في ثنايا الكاعِبِ الشَنَبُ[1]

يتابع بشار توصيف ما يطالع الناظر إلى الأمير سليمان، فبعد أن يُبهر بجلالـــة هيبتـــه، فإنهيرى فيه علامات وبشائر الخير واضحة جليَّة مثلما يتبدى بريق أسنان الحسناء في فمها.

يقول حسان بن ثابت [2]:

إذا ما اِبنُ عَبّاسٍ بَدا لكَ وَجهُهُ رَأيتَ لهُ في كُلِّ أحوالِهِ فَضلا

يوضح حسان بن ثابت كرم أخلاق عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، الذي إذا ما رآه شخص في أي حال من أحواله رأى خيراً وفضلاً عميماً في إشارة إلى حلمه واتزانه.

تقول أروى بنت عبد المطلب [3]:

مَضى قدماً بذي رأيٍ مصيبٍ عَليه حينَ تبصره البهاءُ

تصف أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها مرثيها؛ فتمدح رجاحة رأيـــه وحكمتـــه، وتبين جمال منظره لمن تقع عيناه عليه.

وبشار يتناص مع كليهما معنىً ولفظاً، ففي بيت حسان يتلاقح بشار مع معنى رؤية الخير ودلالاته في وجه الممدوح مع اختلاف دلالة هذا المعنى عند كليهما، فحسان يريد إظهار حلـــم وسعة صدر ابن عباس رضي الله عنهما بدلالة قوله: (رَأيتَ لهُ في كُلِّ أحوالِهِ فَضلا) أي مـــع اختلاف الأحوال التي يكون عليها فإنه يبدي الخير للناظر إليه، في حين يوظف بشار هذا المعنى

---

[1] الشنب : رقة وماء وعذوبة وبرد في الأسنان ، اللسان مادة شنب

2 ديوان حسان ج1 ص331

3 السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 174، هي أروى بنت عبد المطلب بن هاشم الهاشمية عمة رسول الله -ﷺ- كانت تحت عمير بن وهب بن عبد بن قصي فولدت له طليبا ثم خلف عليه كلدة بن عبد مناف بن عبـــد الدار بن قصي فولدت له أروى

كانت راجحة الرأي وإحدى فضليات النساء في الجاهلية والإسلام تقول الشعر الجيد،انظر:الإصابة فـــي تمييـــز الصحابة (7/ 480) الأعلام للزركلي (1/ 290)

بغرض توضيح كرم ممدوحه الذي تشعُّ من وجهه أمارات الخير، والوعد به لمن يأتيه سائلا فيراه.

ويتناص بشار مع أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها لفظياً في قولها (حين يبصره) إذ يقول (حين تبصره) مع اختلاف ما يريدان تبليغه من خلال هذه الرؤية، فأروى رضي الله عنها تقدم دلالة جمالية من قولها أن ما يراه الناظر في مرثيها (البهاء).

- يقول بشار:

في هامَةٍ مِن قُرَيشٍ يُحدِقونَ بها تُجبى وَيُجبى إِلَيها المِسكُ وَالذَهَبُ[1]

يعود بشار لمشهد الأشراف المتحلقين حول الأمير سليمان ناعتاً إياه بالسيِّد الذي يمتد بنسبه إلى قريش، مبيناً أنه يُجبى بأخذ الناس به مرشداً وعوناً، ويُجبى إليه المسك والذهب، أي انه يطاع وتقدم له هذه الطاعة عن طيب نفس من الأشراف المحيطين به.

يقول الأخطل [2]:

يُعاظِمونَ أَبا العاصي وَهُم نَفَرٌ في هامَةٍ مِن قُرَيشٍ دونَها شَذَبُ

يمدح الأخطل عبد الملك بن مروان وأخاه بشر بن مروان، واصفاً إياهم بكونهم سادة قومهم ينسبون إلى قبيلة قريش.

يقول عبد الله السلولي [3]:

يجبى إليه خراج الأرض متكئاً مستهزئاً بفناء القينة الفضل[4]

يبين السلولي سعة نفوذ ممدوحه وسلطانه، فإليهتدفع الأموال من أقطاب الأرض جميعها، وهو متكئيستهزئ بخصومه عند جاريه متفضلة.

يتناص بشار لفظياً ومعنوياً مع كلا الشاعرين، ففي معنىالسيادة يبين أن الأمير سليمان سيد قومهوفي النسب المشرِّف نَسبه إلى قريش في قوله (في هامَةٍ مِن قُرَيش) وهو ما امتدح به الأخطل عبد الملك بن مروان وأخاه البشر بن مروان.

---

[1] هامة القوم : سيدهم اللسان مادة هوم ،
2 ديوان الأخطل ص 41
3 شعر عبد الله بن همام السلولي ص 97
[4] الفضل :المرتدية ثيابا خفيفة ، والمفضل ثوب تتخفف به المرأة في بيتها " جمهرة اللغة مادة ضفل

ويتناص مع السلولي لفظاً دون المعنى في قوله (يجبى إليه خراج الأرض) يقول بشار (تُجبى ويُجبى إليها المِسكُ وَالذَهَبُ) فبشار يستخدمذات اللفظ (يجبى إليها) ويقصد ممدوحه، وفيما يتعلق بمصطلح الجباية فإن بشارا ينزاح عن دلالته الاصطلاحية والقانونية، فيوجه المعنى نحو تصوير فني يُلمح من توصيفه للممدوح قبلاً بالكعبة،ومن خلال قوله (يُحدِقونَ بها) أي يتحلقون حولها، فيفهم من هذا التوصيف أن الجباية التي قوامها المسك والذهب إنما هي تشبيه للممدوح بالكعبة التي تُزيَّن بأستار حيكت من ذهب، وتطيَّب بالمسك.

– يقول بشار:

عالى سُلَيمانُ في عَلياءَ مُشرفةٍ سَيفٌ وَرُمحٌ وَآباءٌ لَهُ نُجُبُ

يستمر بشار في الموازنة بين علو شأن ممدوحه وموازاته لعلو شأن أسلافه بصفته وريثاً يستحق هذا المجد والشرف، فقد بالغ سليمان في العلو فتربع على الصدارة في مرتفع شاهق، يقوم على الشجاعة وشرعية السيادة المتوارثة عن الآباء القادةً.

يقول شبيب بن البرصاء [1]:

أبى لي أن أبائي كِرامٌ بَنَوا لي فوقَ أشرافٍ طِوالِ
بُيوتَ المَجدِ ثُمَّ نَموتُ مِنها إلى عَلياءَ مُشرفةِ القَذالِ

يرد شبيب بن البرصاء على مهجوه الذي رفض أن يعترف بفضل شبيب من حيث آبائه موضحاً أنهم كرام سادة بنوا بيوت العز فوق أعالي المجد مبيناً أنه ارتفع بهذه الأبوة فتبوأ مكانة رفيعة بفضلهم.

وبشار يتلاقح مع بيتي شبيب لفظاً ومعنى معيداً تركيب هذه الألفاظ ومدلولاتها في سياق أسلوبي جديد؛ فيقدم بشار ذكر علو ممدوحه إلى ارفع وأسمى الدرجات ثم يوضح عماد هذا السمو بقوله:(سَيفٌ وَرُمحٌ وَآباءٌ لَهُ نُجُبُ)، فينطلق من معاني وألفاظشبيب ليؤسس أسلوبه الخاص والمتفرّد، يؤكد على أن ممدوحه له يد في علو مكانته فليس يعتمد على نسبه وحسب، مثلما هي الصورة المقدمة في بيتي شبيب المنصرفة إلى التعظيم من شأن الآباء وردِّ الفضل في علوِّ الشأن إليهم دون ذكر أي شيء يوحى بأحقية شبيب بهذا العلو.

---

1 الأغاني ج12 ص 319، وهو شبيب بن يزيد بن جمرة، البرصاء والدته، شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية بدوي لم يحضر إلا وافدا أو منتجعا وكان يهاجي عقيل بن علفة، انظر: الأغاني (12/ 316وما بعدها)،الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 530)

وهو ما يتضح في نسبته لبناء بيوت المجد والشرف إلى الآباء، وكونه ارتفع بفضلها إلى أعلى المراتب في قوله (بنوا لي..) و (نَموتُ مِنها)، في حين يجعل بشار الدعامة الأولى لهذه المكانة الرفيعة التي يتمتع بها ممدوحه هي شجاعته وانتصاراته في المعارك من خلال قوله(سيف ورمح)، ومن ثم يذكر آباءه السادة في قوله (وآباء له نجب).

- يقول بشار:

يا نِعمَ مَن كانَ مِنهُم في مَحَلَّتِهِ وَكانَ يَشرَبُ بِالماءِ الَّذي شَرِبوا

يستمر بشار في امتداح آل الأمير سليمان فينتقل إلى غبطةِ ومدحمن يجاورهم، أو ينزلون عنده فهم جلَّابون للخير أينما ذهبوا وحلوا، ثم يغبط من شرب من ماءٍ هم شربوا منها، ويعد هذا البيت منعرجا تمهيديا لامتداح قوم الأمير بحماية من يجاورهم، الذي سيختتم به بشار هذا المشهد من خلال تبيين شجاعة آباءه وأسلافه في المعارك.

يقول ذو الأصبع العدواني [1]:

آخ الكِرامَ إنِ اِستَطَعْـ ـت إلى إخائِهِم سَبيلا
وَاِشرَب بِكَأسِهِم وَإن شَرِبوا بِهِ السَمَّ الثميلا[2]

يحث ذو الأصبع العداوني ولده على مصاحبة و مُآخاة الكرام من الناس، وبذل أقصى ما في الوسع من طاقة في سبيل ذلك، كما يحثه على عدم مخالفتهم ضارباً له مثلاً على ذلك يوضح من خلاله تجنب مخالفة أمر ورأي الكرام بأن لو شربوا سماً نقيعاً أن يشرب معهمفي دلالة على حرصه على تبيين فضل مناصرة الكرام وطاعتهم

يتناص بشار مع المعاني العامة التي وضحها ذو الأصبع العدواني في اهمية مجاورة ومصاحبة الأكارم، فذو الأصبع يصوغذلك في إطار وعظي يأمر فيه ولده بمآخاة الكرام والأشراف من الناس لما في ذلك من نفع في قوله (آخ الكِرامَ)،فيمتص بشارهذا المعنى العام ثم يقدمه بأسلوب لغوي جديد يقوم على النداء المقصود منه التعجب والمدح في قوله (يا نِعمَ مَن كانَ مِنهُم في مَحَلَّتِهِ) ثم يجري على النص الأصيل تغييراً من حيث البنية المضمونية العامة،فيجعلالشرف والفخر يصيب كل من يحل قوم الممدوحوأسلافه في دياره، وبذلك يجعلهم

---

1 الأغاني ج3 ص 96

[2] الثميل : المنقوع مدة طويلة ، وسم مثمل طال انقطاعه وبقي اللسان مادة ثمل

جوَّابون بالشرف أينما حلُّو وارتحلوا يسدونه إلى الناس دون جهد منهم، فيحرر المعنى الأصيل من شرط طلب وملازمة الكرام لحصول المنفعة.

كما يتناص بشار بن برد مع ذي الأصبع العداوني لفظياً في قوله(وَاِشرَب بِكَأسِهِم) فيقول (وَكانَ يَشرَبُ بِالماءِ الَّذي شَرِبوا) مع اختلاف التوظيف عند كليهما، فذو الأصبع يريد بـــذلك أن يضرب مثلاً لولده على طاعته العمياء للكرام، وبشار يغبط من شرب ماء آل الممدوح قد شربوا منها.

– يقول بشار:

كانوا وَلا دينَ إلّا السَيفُ مُلكُهُمُ راسٍ وَأيّامُهُم عادِيَّةٌ غُلُبُ[1]

يسرد بشار مبررات غبطته لمن نزل آل الممدوح بجواره، فهم شجعان أشـــاوس ملكهـــم ثابت وراسخ منذ القدم بالإضافة إلى كونهم منتصرون في كل معاركهم التي يخوضونها.

يقول الفرزدق [2]:

أُناسٌ لَهُم عادِيَّةٌ يُهتَدى بِها لَهُم مِرفَدٌ عالٍ عَلى كُلِّ مِرفَدِ

يمتدح الفرزدق القوم بكونهم أصحاب أمجاد قديمة ضاربة في التاريخ تمثل منارة للنـــاس من حيث إهتدائهم بها إن ضلوا طرق الرفعة والسمو، مظهراً كرمهم وعطاءهم الذي يتجاوز كل عطاء ويسمو عليه.

فيتناص لفظاً ومعنى مع الفرزدق في قوله (أُناسٌ لَهُم عادِيَّة) فعاديةٌ في بيته نعت لمنعوت محذوف تقديره أمجاد أو أيام، وهو ما أعاد بشار صياغته بذكر المنعوت في قولـــه (وَأيّـــامُهُم عادِيَّةٌ غُلُبُ) علماً أن معنى (عادية) يحتمل أن يكون قوية بدلالة الوصف الثاني(غلب).

– يقول بشار:

تَطولُ أعمارُ قومٍ في أكُفِّهِمُ حيناً وَتَقصُرُ أحياناً إذا غَضِبوا

يُفصِّل بشار ما جاء على ذكره إجمالا فـــي البيـــت الـــسابق،من كـــون آبـــاء الممـــدوح متصفينبالغلبة في حروبهم، وبالملك والسيادة، فيقدم تصويراً مبتكراً لبيان نفـــوذهم وســـلطتهم،

---

[1] عادية : قديمة ، مجد عادي وبئر عادية قديمان ، أساس البلاغة مادة عود

2 ديوان الفرزدق ج1 ص 279

فأعمار الناس بين أيديهم إذا شاؤوا أطالوها بمسالمتهم أو قصروها عندما يقاتلونهم بفعل الغضب منهم.

يقول عمرو بن كلثوم [1]:

ونَحنُ الحاكِمونَ إذا أطِعنــا وَنَحنُ العازمونَ إذا عُصينا[2]

وَنَحنُ التاركونَ لِما سَخِطنا وَنَحنُ الآخِذونَ لِما رَضينا

يفخر عمرو بن كلثوم بقومه، موضحاً أنهم عادلون يحكمونبالعدل إذا ما أطاعتهم القبائل، أما في حال عصاهم الناس فإنهم أشداء على من عصاهم، كما يوضح عزة أنفُس قومه فإذا كرهوا أمرا تركوه، ويبين قوتهم من حيث إنهم إذا صمموا على الظفر بشئ أخذوه دون أن يحول بينهم وبينه مانع.

يقول عنترة بن شداد [3]:

وَأنَّ المَوتَ طوعُ يَدي إذا ما وَصَلتُ بَنانَها بالهِندُواني

في افتخاره بشجاعته يصور عنترة الموت كشيء بين يديه يوجهه كيفما أراد بحيث إذا ما مسك السيف بيده فإن الموت يكون من نصيب من يعاديه.

يتناص بشار بن برد مع عمرو بن كلثوم في المعنى ومع عنترةفي التصوير، فيؤسسمعنى بيته بالانفتاح على بيتيهما ودلالاتهما، فعمرو بن كلثومييبين أن قومه يحمون ويحكمون بالعدلمن يطيعهم ويقاتلونالذين يخرجون على طاعتهم وهو المعنى الذي أعاد صياغته وبلورته بشار في قوله (تَطولُ أعمارُ قومٍ في أكُفِّهِمُ حيناً)، بمعنى أن من لم يُثر غضبهم من هذه الأقوام فإنهم يأمنون على حياتهم بدلالة قوله (وَتَقصُرُ أحياناً إذا غَضِبوا)، أي تتم محاربتهم وقتالهم مما يكون سببا في هلاكهم.

وبشار يتناص مععمرو بن كلثوم في لفظي(الرضا والسخط)، مع تغيير دلالتهما وفق السياق الواردتين فيه، فعمرو يريد من خلالهما التدليل على أنفة قومه؛ فإذاكرهوا أمرا فإنهميتركونه وإذا أرادوه فإنهم لا بد آخذوه،أما بشار فيوظفلفظ (الغضب) في قوله (إذا غضبوا)

---

1 ديوان عمرو بن كلثوم ص 89

[2] العازمون : الأشداء ، رجل عازم الشذا أي شديد البأس ، العين مادة شذو

3 ديوان عنترة، ص 72

للتدليل على فعلهم في من أثار غضبهم، بالإضافة إلى أن قوله (تَطولُ أعمارُ قومٍ فـــي أكُفِّهـــمُ) يضمر الرضا عن هذه الأقوام كعلة لطول أعمارهم.

ويتناص بشار بن برد مع عنترة بلاغياً في تصويره الموت بشيء طوع أيـــدي أســـلاف الممدوح يقلبونه ويوجهونه أينما أرادوا، وهو المعنى الذي يدلل عليه تصوير عنترة فـــي قولـــه (المَوتَ طَوعُ يَدي)، فبشار يأخذ هذا المعنى ويوظفه في سياق غير السياق الأصيل عند عنتـــرة والذي هو سياق دلالي يوضح القدرة القتالية عنده، أما بشار فيجعل من المـــوت طـــوع أيـــدي أسلاف الممدوح في حالي السلم والحرب معاً.

- يقول بشار:

العاقِدينَ المَنايا في مُسَوَّمَةٍ تُزجى أوائِلُها الإيجافُ وَالخَبَبُ[1]

يوصف بشار أسلاف الممدوح في حال غضبهم موضحاً أنهم يعقدون الموت في خيـــولهم المعلمة بعلامات تدل على فرسانها الأشاوس، الذين يرفعون خيولهم إلى المعارك لتسرع.

يقول عنترة [2]:

عَناجيجٍ تَخُبُّ عَلى رَحاها تُثيرُ النَقعَ بِالمَوتِ الـــزُؤامِ[3]

إلى خَيلٍ مُسَوَّمَةٍ عَلَيهـــا حُماةُ الرَوعِ في رَهَجِ القَتامِ

يصف عنترة التحام جيشه بجيش أعدائه، فهم (قوم عنترة) قدموا على خيول تثير الـــروع فيقلوب من يراها من هيبتها تمشي مثيرة الغبار الذي يحمل الموت للأعداء.

ثم يتنقل إلى توصيف جيش الأعداء المعتلين خيولاً معلمة، وهم الذين تخـــصهم قبيلـــتهم بالدفاع عنها أثناء الحرب لبسالتهم.

يقول الأعشى [4]:

يَقودُ المَوتَ يَهديهِ إياسٌ عَلى جَرداءَ تَستَوفي الحِزاما

---

[1] مسومة : معلمة اللسان مادة سوم ، الايجاف : سرعة السير اللسان مادة وجف ، الخبب : ضرب من العدو ، اللسان خبب

2 ديوان عنترة ص 66

[3] عنجيج الخيل الرائع ، اللسان مادة عنج

4 ديوان الأعشى ص 199

يوضح الأعشى شجاعة ممدوحه إياس الذي يحمل الموت على فرسه الكريمةالمتصفة بالضخامة؛ لأن حزام السرج يستوفي جانبيها العظيمين.

يتناص بشار مع عنترة والأعشى معنىً ولفظاً، فيلتقط أبرز الدلالاتفي بيتيهما مجرياً عليها تحويلاً معنوياً ولغوياً، فيمتص دلالة حمل الموت بين جنبات الخيول المتجهة لقتالالأعداءفي قول عنترة(تثيرا النقع بالموت الزؤام)، فيجعل من الموت عصابة تعقد بها نواصي خيولهم " جيوش الممدوح " في دلالة على أنها خيول يقودها فرسان شجعان لا يمكن هزيمتهم، ويتناصمع عنترة لفظياً في قوله (في مسومة) وهي نعت لمنعوتمحذوف تقديره الخيول.

كما يتناص مع الأعشىفي صورة الموت المحمول على الخيول المتجهة إلى المعركة في قوله (يَقودُ المَوتَ يَهديهِ إياسٌ عَلى جَرداءَ) فيحور هذه الصورة ويزيد من دلالة فتك الموت المحمول على هذهالخيول بجعله معصوباً بنواصيها، من حيث مواجهتها به كل من يتقدم لنزالها.

– يقول بشار:

بيضٌ حِدادٌ وَأشرافٌ زَبانِيَةٌ يَغدو عَلى مَن يُعادي الوَيلُ وَالحَرَبُ[1]

يؤكد على شجاعة أسلاف الممدوح مشبهاً إياهم بالسيوف الحادة فهم أشراف أشداء، من يعاديهم الويل والهلاك، فبشار في هذا البيت يوضح المعنى الذي قدمه عن إماتتهم لكل من يغضبون منه.

تقول أم قرفة [2]:

فَخُذْ ثأراً بأطرافِ العوالي وَبالبيضِ الحِدادِ المرهفاتِ

تحث أم قرفة زوجها على اخذ الثأر لمقتل ابنه مخيرة إياه بين أخذ ثأره من قاتله بالرماح،وبين أخذه بالسيوف القاطعة.

---

[1] حداد : أي أقوياء في ألسنتهم وافهامهم وغضبهم ، اللسان مادة حدد ، زبانية : جمع الزبنية_وهو الشديد والزبانية الذين يزبنون الناس أي يدفعونهم ، اللسان زبن

2 شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية،بيروت،ط.1، 1934،ص 43، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان، امرأة مالك ابن حذيفة بن بدر الفزارية شاعرة معروفة، كان لها اثنا عشر ولدا من زوجها مالك بن حذيفة، انظر:الأعلام للزركلي (5/ 131) المستقصى في أمثال العرب (1/ 245)

فيتناص مع أم قرفة لفظياً، عندما ينعت أسلاف الممدوح ب(بيض حداد) إلا أنه يختلف معها في المدلول، فهي تقصد السيوف القاطعة الحادة، وهو يقصد أسلاف الممدوح الشجعان الأشداء.

يقول الحطيئة[1]:

فَإِنَّ الشَقِيَّ مَن تُعادي صُدورُهُم وَذو الجَدِّ مَن لانوا إِلَيهِ وَمَن وَدّوا

يمتدح الحطيئة شجاعة (آل شماس) قائلاً إن التعيس هو من يعاديه آل شماس، وصاحب الحظ الوفير هو من قربوه منهم وداً وحباً.

يتناص بشار مع الحطيئة في معنى العاقبة السيئة لكل من يكون آل الممدوح من أعدائه، فبشار يأخذ هذا المعنى من الحطيئة في قوله (فَإِنَّ الشَقِيَّ مَن تُعادي صُدورُهُم) ويجري عليه تحويلاً لغوياً بجعل آل الممدوح هم المتصدين للعداء لا القائمين به في قوله (يَغدو عَلى مَن يُعادي الوَيلُ وَالحَرَبُ) أي كل من يعاديهم ينال سوء الخاتمة، فبشاربهذا التحويل يدلل على كونهم لا يعتدون بدءاً إنما يردون كيد من يعاديهم، لينفي الظلم عنهم، بحيث ينسجم هذا المعنى مع البيت الذي وضح فيه بأن من يغضبهم ينال الموت، من حيث تقديمه فيه: أن أعمار الناس تطول في كنفهمإلا إذا تم الاعتداء عليهم.

- يقول بشار:

أَقولُ لِلمُشتَكي دَهراً أَضَرَّ بِهِ فيهِ اِبتِذالٌ وَفي أَنيابِهِ شُعَبُ
لا جارَ إِلّا سُلَيمانٌ وَأُسرَتُهُ مِنَ العَدُوِّ وَمِن دَهرٍ بِهِ نَكَبُ

يختتم بشار مشهد امتداح سليمان بآله وآبائه بعد أن وضح ما يمتازون به عن سواهم مبيناً كرمهم وشجاعتهم، بإصدار إعلان للناس ممن أضرت بهم الأيام وقسى عليهم الدهر،أن يلوذوا إليه فهو الوحيد وقومه القادرون على إجارة الملهوف وحماية الضعيف من غدر الدهر وتقلباته.

تقول سليمى بنت المهلهل بن ربيعة [2]:

جَزَعاً عَلَيهِ وَحُقَّ ذاكَ لِمِثلِهِ كَهف اللَّهيفِ وَغَيثَة اللهفانِ
وَالمُرتَجي عِندَ الشَّدائد إن غَدا دَهرٌ حرون مُعضِلِ الحدثانِ
وَالمُستَغيث بِهِ العِبادُ وَمَن بِهِ يُحمى الذِّمارُ وَجَورَةُ الجيرانِ

---

1 ديوان الحطيئة ص 65
2 شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص40

ترثي سليمى أباها المهلهل،موضحةً مآثره فقد كان ملجئاً للمحزونينورجاءً لكل من ألمَّت بهم الشدائد ومزقهم الدهر فكل الناس يطلبون عونه عند الشدة؛ لأنه حامي الديار والأعراض والجيران.

يقول حسان بن ثابت[1]:

نُجيرُ فَلا يَخشى البَوادِرَ جارُنا وَلاقى الغِنى في دورِنا فتَمَوَّلا

يفخر حسان بقومه بكونهم يحسنون إلى من يطلب حمايتهم فيكون عندهم في مأمن من الشرور، وينعم بالمال حتى يغدوا غنيا بفضلهم.

يؤسس بشار معانيه العامة في الإجارة عند الاعتداء على من يجيرهم آل سليمان، أو عند تقلبالدهر فيهم على كثرة من المعاني الواردة عن الشعراء الذين سبقوه، مثّلنا على ذلك بسليمى وحسان، فبشار يستعين بدلالات الإجارة من سليمى في رثائها أباها حين تصفه بأنه معين للمحزونين الذين غدر بهم الدهر وقلب أحوالهم، وهو الذي يستعان به عند المعارك والشدائد لحماية الديار والعرض، وتوزعت هذه المعاني على أبياتها في قولها (كَهف اللَّهيفِ وَغَيثة اللهفان) و(المُرتَجي عِندَ الشَّدائد) (إن غَدا دَهرٌ حرون) وهذه الدلالات وظفها بشار من خلال أسلوب جديد يقوم على الإعلان للناس بأن ممدوحه وآله هم وحدهم القادرون على إجارة من أصابهم الدهر بضر، أو تم الاعتداء عليهم من خلال أسلوب الحصر في قوله: (لا جارَ إلّا سُليمانٌ وَأسرَتُهُ)، فهو يقصر الإجارة عليهم بخلاف معنى حسان من كون قومه يحسنون إجارة من يطلب عونهم في قوله (نُجيرُ فَلا يَخشى البَوادِرَ جارُنا)، إذ إن بشارا لم يستخدم أسلوب الإعلان بالمناداة على الناس كافة إلا لأمر جلل وهو حصر الإجارة في الممدوح وآله.

ويتناص بشار بلاغيا في رسم صورة الدهر بتشبيهه بالأسد الجارح في قوله (في أنيابِهِ شُعَبُ) مع اميمة بنت عبد شمس تقول [2]:

أحال عليهمُ دهرٌ حديدُ النابِ والمخلب

---

1 ديوان حسان بن ثابت ج1 ص 46

2 الأغاني ج 22 ص 79 وهي أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف من قريش،شاعرة جاهلية اشتهرت في أيام حرب الفجار، بين قريش وقيس عيلان، والتي استمرت أربع سنوات متواليات .لها شعر في بعض وقائع تلك الحرب،انظر: الأغاني (22/ 58وما بعدها)، «الأعلام للزركلي» (2/ 14)

تقول تصف ما أصاب قوما من دهر، شبهته بالحيوان الكاسر الذي يمتلك أنيابا وبـــالطير ذي المخالبللتدليل على ضراوته في تدميرهم.

فبشار يوظف هذه الاستعارة المكنية في توصيفه للدهر،فيشبهه بالأسد لأن من في أنيابـــه شعب هو الأسد، فيركز على دلالة تباعد الأنياب ليحصر تشبيهه الدهر بالأسد مستبعداً المخالب كي لا يتوهم تشبيهه بالطير ذي المخالب.

8) مشهد امتداح سليمان بشجاعته في المعارك:

بعد أن بين بشار ابرز ما يتمتع به أسلاف سليمان وقومه من مآثر، ينتقـــل إلـــى تبيـــين شجاعة سليمان وتوضيح شجاعته في المعارك، ليقدم بذلك دليلاً على كون سليمان يـــستحق أن يكون خلفاً لأسلافه العظماء، يقول:

إذا لَقيتَ أبا أيّوبَ في قـــــــــعَدٍ أو غازياً فوقـــــهُ الراياتُ تَضطَربُ
لاقيتَ دُقّاعَ بَحرٍ لا يُضَعضِـــــــعُهُ لِلمُشـــــــرعينَ عَلى أرجائِهِ شُرُبُ
فاِشرَب هَنيئاً وَذَيـــــــّل في صَنائِعِهِ وَاِنـــــــــعَم فإنَّ قُعودَ الناعِمِ اللَعِبُ
الهاشِمِيُّ اِبنُ داودٍ تَدارَكَنـــــــــا وَما لَنـــــــــا عِندَهُ نُعمى وَلا نَسَبُ
أحيا لَنا العَيشَ حَتّى اِهتَزَّ ناضِـــرُهُ وَجارَنا فَاِنـــــجَلَت عَنّا بِهِ الكُرَبُ
لَيثٌ لَدى الحَربِ يُذكيـــــها وَيُخمِدُها وَلا تَرى مِثلَ مـــــا يُعطي وَما يَهَبُ
صَعباً مـــــــــِراراً وَتاراتٍ نُوافِقُهُ سَهلاً عَلـــــَيهِ رواقُ المُلكِ وَاللَجِبُ
رَكّابُ هَولٍ وَأعـــــــــوادٍ لِمَملَكَةٍ ضَرّابُ أسبـــــــابِ هَمٍّ حينَ يَلتَهِبُ

في هذا المشهد يقصر بشار مدحه فيه على الأمير سليمان مبينا كرمه الـــشديد وإغاثتـــه للناس وأفضاله عليهم،ومن ثم ينتقل إلى توضيح شجاعته في الحروب وغلبته على أعدائه، فهو المتمكن المتحكمبقرار الحرب والسلم يمضي نحو النصر قدما، وهذا المشهد شهادة على ما يتمتع به سليمان من مآثر شخصية، أغلبها منسوب في الأبياتالسابقة إلى أسلافه؛ فبشار يجعل من هذا المشهد نقطة التقاء بين الأمير سليمان وبين أسلافه في المآثر الجليلة

وقد أسس بشار معانيه ودلالاته على مجموعة من النصوص الشعرية والدينية الـــسابقة، وقد جاء التناص في هذا المشهد على نوعين أدبي وديني:-

أ- التناص الأدبي:أفاد بشار بن برد من الشعراء السابقين، وفتح نصه الشعري في هـذا المشهد على نصوصهم في تكوين لغته الخاصة، وقد انقسم التناص الأدبي في هذا المشهد إلـى تناص معنوي لفظي،وتناص بلاغي.

يقول بشار:

إذا لقيتَ أبا أيّوبَ في قعَـدٍ أو غازياً فوقهُ الراياتُ تَضطربُ

لاقيتَ دُقّاعَ بَحرٍ لا يُضَعضِعُهُ لِلمُشرعينَ عَلى أرجائِهِ شُرُبُ[1]

يفتتح بشار هذا المشهد بمخاطبة من يلقى الأمير سليمان في أوقات السلم والحرب، مبينـاً أنه كريم في كلا الحالين،يشبهه بالموج العظيم في دلالة على شدة كرمه متبعاً ذلـك بتوصـيفه بالنهر متعدد المشارب وبمن حوله من سائلين لأفضاله بالرواد الذين يقـصدون مـشارب هـذا النهر،وقد سبق لبشار في مطلع امتداحه للأمير سليمان أن عبر عن معنى أول ما يلقاه النـاظر إلى سليمان في قصره، ليوضح انه جلاب للخير والنفع إلى كل من يلقاه، إلا أن بشارا في مطلع هذا المشهد يؤسس للفكرة الرئيسة فيه،وهي توصيف سعة نفوذ الأمير وتحكمه في قرار الحرب والسلم منتقلاً بعد ذلك لتبيين شجاعته،وتأكيده على أن ما يلقاه الناظر إليه أو السائل له في حالي السلم والحرب هو الكرم، دلالةً على أن كرمه غير متعلق بيسر حاله أو عسرها، إنما هو كريم في جميع احواله.

يقول عوف بن عطية بن الخرع [2]:

ألَم تَرَ أنَّنا مِردى حُرُوبٍ نَسيلُ كأننا دُقَّاعُ بَحرِ[3]

يصف عوف شجاعة قومه في الحروب، فهم كالصخور الصلبة التـي تـصدِمُ الحـرب فتكسرها، ثم يقدم تشبيهاً آخر يؤكد المعنى الذي دلل عليه التشبيهفي الشطر الأول، فيجعل مـن قومه موجاً عاتياً يغرق الأعداء في المعارك.

وبشار يتناص مع عوف بن الخرع في اللفظ، والتشبيه فعوف يصور قومه في المعـارك بالموج الجارف في قوله: (كأننا دُقَّاعُ بَحرِ) في دلالة على شدة بطشهم بأعدائهم، فيأخذ بشار هذا

---

[1] الدفاع طحمة السيل العظيم والموج ، اللسان دفع

2 المفضليات ص 328، وعوف شاعر جاهلي إسلاميّ فحل وهو من شعراء المفضليات،وعده ابن سـلام فـي الطبقة الثامنة من الاسلاميين،انظر: الأعلام للزركلي (5/ 96) المفضليات (ص: 327)،و(ص: 412)

[3] مردى حروب : فلان مردى حرب أي يضرم الحرب ، العين مادة ردي

التشبيهفي قوله (لاقيتَ دُقاعَ بَحرٍ) يقصد ممدوحه، ليدلل على شده كرمه الذي صوره بالموج من حيث كثرة عطاياه.

يقول الطرماح [1]:

ما زلتَ تَخفِقُ فوقَ رَأ سِكَ رايَةٌ في رَأسِ عامِلِ
تَغشى بحِزقيها المَتــا لِفَ ذاتَ دُقاع وَوابـــل

يصف الطرماح شجاعة ممدوحه وظفره في معاركه فيقول مخاطباً ممدوحــه:إن راياتــه خفاقة فوق رأسه، وهي على رؤوس الرماح في دلالة على خوض المعارك بحيث إن مُعسكريه من على يمين الراية وشمالها في شجاعتهما في القضاء على الأعداء وإهلاكهم كالموج العظــيم والمطر الشديد.

وبشار يتناص مع الطرماح بلاغياً في موضعين: أولهما كناية خفقان الراية فوق الــرأس مدللة على خوض الحروب والمعارك في قوله الطرماح (ما زلتَ تَخفِقُ فَــوقَ رَأسِــكَ رايَــةٌ) فيوظف بشار هذه الكناية في بيته مع تغيير لغوي في قوله (أوغازياً فَوقَهُ الراياتُ تَضطَربُ) ثم يتناص في تشبيهه جيش ممدوحه بالموج في قوله (ذات دفاع ووابل).

ب- التناص الديني:

- يقول بشار:

أحيا لَنا العَيشَ حَتّى اِهتَزَّ ناضِرُهُ وَجارَنا فَانجَلَت عَنّا بِهِ الكُرَبُ[2]

في هذا البيت يصف بشار أفضال ومكارم ممدوحه التي قدمها للناس، فكانت ســبباً فــي إنقاذهم من الهلاك، من خلال تصوير فني، شبه من خلاله الممدوح بالمطر الذي ينــزل علــى ارض قاحلة؛فتنبت الأرض به فيهتز نبتها وينمو اخضراً يانعاً، ثم يوضح انه العون عند الكرب به تنحل الأزمات وتنفرج.

يتناص بشار في هذا البيت مع القرآن الكريم من خلال الصورة الفنية التي قدمها يوضــح فيها فضل سليمان في إنقاذ الناس من الهلاك بأعطياته، في قوله (حتى اهتز ناضــرة) مــشبهاً العيش بالأرض الممحلة المجدبة التي نبتت فيها الأشجار والنباتات فتحركــت وطالــت، وهــذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى:" وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المــاء اهتــزت وربــت

---

1 ديوان الطرماح، عني بتحقيقه عزة علي، دار الشرق العربي، بيروت،ط.2، 1994،ص 223 /224
[2] انظر الشجر إذا اخضر ورقه والناضر الأخضر الشديد الخضرة ، اللسان مادة انضر

وانبتت من كل زوج بهيج " [1]، فسبحانه يصف قدرته على إحياء الأرض الموات من خلال الأمطار التي بها تنبت الأرض اليابسة النباتات حسنة المنظر، وبشار يقيم علاقة معنوية مع هذه الآية، بامتصاص معناهاوإعادة إنتاجه بلغة جديدة لا تنقطع مع أصلها القرآني من حيث التناص اللفظي في قوله (اهتز ناضرها)، بالإضافة إلى قوله (أحيا لنا العيش) وما يتضمنه هذا القول من تشبيه الممدوح بالمطر، فبشار يستوعب مضمون الآية الدلالي واللفظي، فيضفيه على ممدوحه في إشارة إلى أفضاله على المعوزين والمحتاجين.

وفي هذا البيت يظهر التناص الأدبي:

يقول قيس بن الحدادية [2]:

يُواسي لَدى المَحلِ مَولاهُمُ وَتُكشَفُ عَنهُ غُمومُ الكُرَب

يفخر ابن الحدادية بقومه موضحاً أنهم يقدمون العون للناس عند المجاعة، كما تتفرج بفضلهم المشاكل والأزمات الشديدة

يتناص بشار لفظياً ومعنوياً مع قيس الحدادية في توصيف الممدوح بالمفرج للكربات في قوله:(وتكشف عنه غموم الكرب)، فيضمن بشار بالإضافة إلى معنى تفريج الكرب معنى الإجارة من مصيبات الدهر في قوله (وَجارَنا فَانجَلَت عَنّا بِهِ الكُرَبُ) ولفظياً يقدم بشار عبارة (انجلت) مقابل عبارة (تكشف) وهي تقدم الدلالة المعنوية ذاتها.

- يقول بشار:

لَيثٌ لَدى الحَربِ يُذكيها وَيُخمِدُها وَلا تَرى مِثلَ ما يُعطي وَما يَهَبُ

في هذا البيت المركزي من هذا المشهد بصفته مدخلاً لتبيين شجاعة الأمير سليمانفي الحروب وعودته منها مظفراً بالنصر، يوضح بشار سلطة ممدوحه وامتلاكه زمام الحرب إعلانا وإنهاءً،فهولا يذهب إلى الحرب مرغماً ولا ينهيها مرغماً مستسلماً، ثم يعود بشار إلى امتداح ممدوحه بالكرم من خلال نفي أن يكون هنالك إنسان قادراً على أن يعطيمثل أعطياته التي لا يجاريها الناس نظراً لكثرتها وعظمها.

يبني بشار معانيه في هذا البيت على كثرة من النصوص الشعرية السابقة، سيما في التحكمبإعلان الحرب وإخمادها وعدم مجاراة الناس لأفضالالممدوحوعطاياه وقد مرَّ معنا التناص

---

1 سورة الحج آية 5

2 عشرة شعراء مقلون، ص 32، الأغاني ج 14 ص 147

البلاغي في هذا البيت بتشبيه الممدوح بالأسد في المعارك في الفصل الأول[1]، فبالإضافة إلى التناص البلاغي فتح بشار بيته هذا على معاني وألفاظ مجموعة من الشعراء أبرزهم:

أعشى همدان، يقول:

وَإنّيَ مِمَّن يُخمِدُ الحَربَ تارَةً وَأحمَلُ أحياناً عَلَيها فأركَبِ

من خلال هذا البيت يوضح أعشى همدان سعيه إلى إحلال السلام بإخماد الحروب إلا انه عندماتضطره الظروف فإنه يخوضها.

يقول النابغة الشيباني [2]:

لا يُخمِدُ الحَربَ إلّا رَيثَ يُوقِدُها في كُلِّ فجٍّ لَهُ خَيل مَسانيفُ[3]

يوضح النابغة أن ممدوحه لا يسعى إلى إخماد الحرب إلا بعد أن يوقدهاأي أنه لا يلجأ إلى السلم لينجو بنفسه؛ إنما لأن قرار الحرب والسلم في يده، لأنه يمتلك جيشاً عظيماً يملأ الأرض.

في معنى التحكم بزمام الحرب والسلم الذي قدمه بشار لتوصيف ممدوحه بـه، يتناص معنويا ولفظياً مع الشاعرين؛ فأعشى همدان يوضح أنه دائم السعي إلى إخماد الحروب إلا حين تفرض عليه فيضطر إلى القتال من حيث كونه شجاعاً لم يكن طلبه للسلم جبناً أو خوفاً؛ إنما إشاعة للسلام وللإصلاح بين الناس، وبشار يتناص مع أعشى همدان تناصاً لفظياً مع عكس المعنى إذ إن بشارا يصف ممدوحه بإعلان الحرب وإخمادها من منطلق سيادي فممدوحه لا يضطرهظرف إلى إعلان حرب فهو السباق لها ولا إلى إخمادها عن جبن أو خوف.

كما يتناص بشار مع النابغة الشيباني الذي ينفي عن ممدوحه إخماد الحرب إلا بعد إشعالها،في قوله: (لا يُخمِدُ الحَربَ إلّا رَيثَ يُوقِدُها) يدلل على أن ممدوحه متملكلزمام أمور الحرب والسلم.

يقول الأخطل[4]:

لا يَبلُغُ الناسُ أقصى وادِيَيهِ وَلا يُعطي جَوادٌ كَما يُعطي وَلا يَهَبُ

---

1 انظر: ص 74

2 ديوان نابغة بني شيبان ص 52

[3] المسنفات : الأفراس التي تتقدم الخيل ، اللسان مادة سنف

4 ديوان الأخطل ص 42

يصف كرم ممدوحه بالسعة من خلال تصوير يديه بالواديين الذين بينهما سعة كبيـــرة لا يستطيع الناس إدراكها موضحاً أن الجواد الكريم من الناس لا يستطيع أن يعطي ويهـــب مثلمـــا يعطي ممدوحه.

يتناص بشار بن برد لفظياً مع الأخطل في قوله (وَلايُعطي جَوادٌ كَما يُعطـــي وَلا يَهَـــبُ) فالأخطل ينفي أن يكون الجواد الكريم من الناس قادراً على أن يعطـــي ويهـــب مثلمـــا يعطـــي ممدوحه ويهب، فيستخدمبشار هذا المعنى واللفظ في قوله:(وَلا تَرى مِثلَ ما يُعطي وَما يَهَبُ) من خلال إثبات العطاء والهبة لممدوحه لفظا ونفيهما عن كل الناس من قوله (ولا ترى).

– يقول بشار:

صَعباً مِراراً وَتاراتٍ نُوافِقُهُ سَهلاً عَلَيهِ رواقُ المُلكِ وَاللَجِبُ[1]

يوضح بشار في هذا البيت طبع ممدوحهفهو غالباً ما يكونصعباً قاسياً على الأعداء، إلا انه يكون سهل الطباع أحيانا عندما يكون بين رعيته يحيط به جيشه الجرار.

تقول الخنساء [2]:

يا عَينُ فَابكي فَتىً مَحضاً ضَرائِبُهُ صَعباً مَراقِبُهُ سَهلاً إذا ريدا

تبين الخنساء في رثائها أخاها صخراً انه كان صعباً في المعارك، قاسياً على أعدائه،سهلاً إذا طلب منه المعونة.

يقول حميد بن ثور [3]:

كَثيراً حَلاوةُ أخلاقِهِ شَديدَ المَرارةِ صَعباً ذَلولا

يصف حميد بن ثور ممدوحه قائلاً إنه يتمتع بأخلاق حميدة حلوة شبهها بالعسل، ثم يبـــين انه مرّ عندما يساء إليه، ففيه اجتمعت صفتا اللين والصعوبة.

ينطلق بشار بن برد في بناء المعنى العام لبيته من هذين الشاعرين من حيث اجتماع اللين والصعوبة في شخص الممدوح، فالخنساء تصف أخاها مبينة أنه قاس علـــى الأعـــداء، رفيـــق ومشفق على من يسأله المعونة بحيث جمعت فيه صفتي الشجاعة والكرم، وكذلك فعـــل حميـــد عندما صور حسن أخلاق ممدوحه بالعسل الحلو وشبه شدته على الأعداء بالعلقم المر، ثم بـــين

---

[1] اللجب : صوت العسكر وعسكر لجب : عرمرم وذو لجب و كثرة اللسان مادة لجب

2 ديوان الخنساء ص 365

3 ديوان حميد بن ثور ص 363 الأشباه والنظائر للخالديين ج 2 ص 343

أن ممدوحهجمع اللين والشدة، وبشار يمتص هذين المعنيين ليشكل المعنى العام لبيته فقد وصفه بالصعوبة في أحيان كثيرة، وبالسهولة واللين في أحيان أخرى، وبشار إذ يستخدم هذا المعنى فلأنه يخدم البنية المضمونية لتسلسل القصيدة في مدح شجاعة الممدوح وظفره بالنصر.

– يقول بشار:

رَكّابُ هَولٍ وَأعوادٍ لِمَملكَةٍ ضَرّابُ أسبابِ هَمٍّ حينَ يَلتَهِبُ

يختتم بشار هذا المشهد بتعظيم شجاعة ممدوحه،فهو يركب الأهوال التي لا يجرؤ على ارتيادها إلا الإبطال، ثم إنه خطيب قومه؛ فهو دائم الصعود على المنابر ثم يصفهبأنه يقطع كل حبال الهموم حين تضطرم

يقول مالك بن الريب[1]:

فَوَجَدتَهُ ثبتَ الجَنانِ مُشَيّعاً رُكّابَ مَنسِجِ كُلِّ أمرٍ هائِلِ[2]

يصف نفسه موضحاً أن قلبه ثابت لا تزعزعه المخاطر، يقدم علىركوب الأهوال مشبِّهاً إياها بالفرس التي تُركَب.

يقول حسان بن ثابت [3]:

ماضٍ عَلى الهَولِ رِكّابٌ لِما قطعوا إذا الكُماةُ تَحامَوا في الصَناديدِ

يمتدح حسان بن ثابت الرسول – صلى الله عليه وسلم – يصفه بأنه يقتحم الأهوال يركب ما لم يستطع أحد ركوبه من مخاطر.

فبشار يتناص مع مالك بن الريبوحسان بن ثابت في المبالغة في توصيف شجاعة الممدوح؛ فبشار يصف ممدوحه بالشجاعة المفرطة في قوله (ركاب هول) و(ضرّاب...)، مثلما هو الحال عند الشاعرين في استخدام صيغ المبالغة في توصيف شجاعة الممدوح في قول مالك بن الريب(رُكّابَ مَنسِجِ كُلِّ أمرٍ هائِلِ) وفي قول حسان (رِكّابٌ لِما قَطَعوا).

---

1 ديوان مالك بن الريب، تحقيق نوري القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 15، ج1 ص 83 الأغاني ص ج 22 ص 295

[2] المنسج للفرس بمنزلة الكاهل من الإنسان ، اللسان نسج

3 ديوان حسان ص 55

9) مشهد امتداح سليمان بإظهار مكانة قومه الدينية:

بعد تسلسل بشار في امتداحه الأمير سليمان بالمراوحة بين مدحه لشخصه ومدحه لنسبه، يصل إلى توضيح مكانة آبائه الدينية من حيث انتسابهم إلى آل بيت النبي عليه السلام، فنجده ينسبه إلى جده الأول العباس بن عبد المطلب، موضحاً مآثره ودعمه للنبي الكريم، ثم يسرد أسماء بعض أعلام آل البيت ومواقفهم البارزة تاريخياً، هذا ويعد هذا المشهد أنموذجا بارزاً للتناص التاريخي، فقد فتح بشار أبياته فيه على مجموعة من الأحداث والشخصيات التاريخية التي تنضوي تحت إطار التاريخ الديني وقد اقتصر هذا التناص التاريخي مع عصر صدر الإسلام.

- يقول بشار:

ساقي الحَجيج أبوهُ الخَيرُ قد عَلِمَت عُليا قُرَيشٍ لَهُ الغاياتُ وَالقَصَبُ
وافى حُنَيناً بأسيافٍ وَمُقرَبَةٍ شُعثِ النَواصي بَراها القَودُ وَالخَبَبُ
يُعطي العِدى عَن رَسولِ اللهِ مُهجَتَهُ حَتّى اِرتَدى زَينَها وَالسَيفُ مُختَضِبُ
وَكانَ داودُ طَوداً يُستَظَلُّ بِهِ وَفي عَلِيٍّ لِأَعداءِ الهُدى هَرَبُ
وَالفَضلُ عِندَ اِبنِ عَبّاسٍ تُعَدُّ لَهُ في دَعوَةِ الدينِ آثارٌ وَمُحتَسَبُ

في هذا المقطع الافتتاحي الذي ينضوي تحت مشهد توضيح المكانة الدينية لقوم ممدوحه، يُذكّر بشار بمآثر أجداده الأوائل، عمِّ النبي وأبناء عمومته،مبيناً مآثرهم وما اشتهروا به تاريخياً من مناصب وادوار وصفات كان لها أثر كبير في توطيد دعائم الرسالة النبوية الكريمة، فيبين من خلال استحضار التاريخ المُؤسِّس للرسالة النبوية بعض المواقف والأدوار التاريخية التي كان لها دور بارز في التاريخ الإسلامي؛ فجاء استدعاؤه لهذه الأحداث مع الشخصيات التاريخية المحايثة لها لإضفاء الشرعية الدينية على ممدوحه، ولتبريز أصول هذا النسب الذي يعد الأمير سليمان فرعاً من فروعه، مما يعزز من تفضيل أكابر الناس وأشرافهمللأمير وخصّه بالزيارة على من سواه من الأمراء.

وفي هذا المقطع يتناص بشار تاريخياً مع الشخصيات التاريخية ذات الطابع الديني والأحداث التاريخية المرتبطة بهذه الشخصيات،

يقول بشار:

ساقي الحَجيج أبوهُ الخَيرُ قد عَلِمَت عُليا قُرَيشٍ لَهُ الغاياتُ وَالقَصَبُ

يبين بشار مكانة جد الممدوح الأول العباس بن عبد المطلب الذي كان ساقياً للحجيج في الجاهلية والإسلام [1]، بحيث كان أفضل من يسبق إلى المكرمات في قريش جميعها.

وبشار يتناص تاريخياً مع شخصيه بارزة في التاريخ الديني وهي شخصية العباس بن عبد المطلب، مستحضراً ما نيط له من سقاية للحجيج في الجاهلية والإسلامذلك أن سقاية الحجيج لا ينالها إلا أكارم قريش وكبرائهم، فباستدعاء بشار لهذه الشخصيةوما اتسمت به من كرم وجود، يماهي بينها وبين ممدوحه، مما يعطي انطباعاً عاماً بكون الممدوح يمتح شرعيته وأحقية ملكه من هذا الجد العظيم، ثم إن استحضار بشار لهذه الشخصية كان من خلال إيرادها بدورها الذي اشتهرت به تاريخياً دون أن يذكر اسمها صراحة.

يقول بشار:

وافى حُنَيناً بأسيافٍ ومُقربَةٍ شُعثِ النَواصي بَراها القودُ وَالخَبَبُ[2]

يُعطي العِدى عَن رَسولِ اللهِ مُهجَتَهُ حَتّى اِرتَدى زَينَها وَالسَيفُ مُختَضِبُ

لا يزال بشار يستحضر شخصية العباس بن عبد المطلب من خلال الدور الذي اشتهر به تاريخياً فها هو يفتح نصه على معركة حنين و الدور البارزالذي قام به العباس في تلك المعركة، من نصره للرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما تراجع المقاتلون من المسلمين وولوا الإدبار، فقاميناديا فيهم أن يرجعوا بناء على طلب الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبشار يستحضر هذه الحادثة من معركة حنين كما وردت في كتب السير والأحاديث: " عن العباس بن عبد المطلب قال: شهدت مع رسول الله يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله على بغلة له بيضاء... فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض على بغلته قبل الكفار، قال عباسوأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله،اكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أي عباس ناد أصحاب السمرةفقال عباس(وكان رجلاً صيتاً) فقلتبأعلى صوتي أين أصحاب السمرة، فقال

---

1 "سقاية الحاج كانت من مكارم قريش ومآثرها إذ كانت تسقى الحاج نبيذ الزبيب طول أيام الموسم وكانت تسمى تلك المكرمة سقاية الحاج ويتولاها أكابرهم ويتوارثونها كابرا عن كابر حتى استقرت للعباس بن عبد المطلب وسمى ساقي الحجيج " ثمار القلوب – ص(677) وانظر: «الإصابة في تمييز الصحابة)(ج3 ص 631).

2 خيل مقربة وهو من مقربات الخيل وهي التي يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها أساس البلاغة مادة قرب

فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادهافقالوا: يا لبيك يا لبيك قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار.. " [1].

فبشار يستحضر هذه الحادثة ليبرز مكانة جد الممدوح الأول من نصرة رسول الله واصطفاء الرسول الكريم له ان يناديبالفارين، مما كان سبباً في انتصار المسلمين على الكفار، مظهراً شجاعته في الذود عن رسول الله إذ فر المقاتلون حيث لازمه ولم يتخل عنه فأوجز ذلك بإظهار شجاعة العباس من خلال تصويره قائداً للخيول التي تتقدم لمواجهة الأعداء وقد أرهقها المسير نحو المعارك.

- يقول بشار:

وَكانَ داودُ طوداً يُستَظلُّ بِهِ وَفي عَلِيٍّ لِأعداءِ الهُدى هَرَبُ

ينتقل بشار ليبين فضل والد الممدوح على الناس مشبهاً إياه بالجبل في دلالة على قوته وبكونه مُستَظلا للناس،من حيث إنه ملجأ ينعم الناس تحت قيادته، ثم يستدعيشخصية على بن أبي طالب بصفة الممدوح من أحفاده، مظهراً دوره البارز في الذود عن الإسلام لما يتصف به من شجاعة، وقوته في المعارك، وليكمل سلسلة نسب الممدوح لآل البيت عليهم السلام، فبهذا الاستدعاء يطعم النص الشعري بسلسلة من الأحداثالتاريخية التي كان بطلها على بن أبي طالب مما يضفي عليه دلالات تخدم الغرض الشعري وفق السياق الذي يتحدث عنه المشهد من إبراز المكانة الدينية للأمير سليمان، مبيناً أن شجاعته موروثة عن آبائه الأقربين وأجداده أعلام الأمة الإسلامية وروّاد حضارتها.

ويستمر بشار في استدعاء الشخصيات الدينية التي كان لها أثر في انتشار الإسلاموتمكينهسيما تلك المنتمية لآل البيت الذين يتنسب إليهم الممدوح، يقول:

وَالفَضلُ عِندَ اِبنِ عَبّاسٍ تُعَدُّ لَهُ في دَعوَةِ الدينِ آثارٌ وَمُحتَسَبُ

إن استدعاءشخصية عبد الله بن عباس متوائم مع توضيح الدور البارز الذي لعبه أجداد الممدوح من آل البيت في حماية الإسلام بالرأي؛ فبعد أن وضح بشار دور أجداده في الدفاع عن الإسلام بالقوة عرَّج على شخصية ابن عباس في إشارة إلى أثره في تمكين الدعوة الإسلامية من

---

1 صحيح مسلم بشرح النووي (3 / 1398) وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط،1، 1968 ج ص151

خلال تأويله للقرآن الكريم وتفسير آيه، ففي قوله (تُعَدُّ لَهُ في دَعوَةِ الدين آثارٌ وَمُحتَسَبُ) إشـــارة إلى ذلك الدور البارز في تمكين الدعوة الدينية بصفته حبر الأمة.

10)مشهد امتداح سليمان بكرمه:

في المشهد الأخير من هذه القصيدة يربط بشار بينه وبين المشهد الافتتاحي لمدح ســليمان كونه ملاذاً للناس عند عوزهم يؤمّه أكابرهم لنيل الشرف بصحبته، كمـــا يطلبفـضله وخيـــره الضعفاء والفقراء منهم، وهذا المشهد يتوسع فيه بشار في توضيح مكارم وفضائل ممدوحه على المساكين والفقراء،بعد أن بين في هذه القصيدة كرم آبائه وأجداده، ثم إن هـــذا المـــشهدالختامي يعلي من شأن الممدوح المقصود من قبل الناس كلهمليعينهم على ما أصابهم من فقـــر موضـــحاً عطفه وعونه للطبقة المسحوقة من عامة الشعب وهم اليتامىوالأرامل والمعوزين، كما أن بشارا يختتم هذا المشهد بطلب العون من الممدوح لسدِّ حاجته،من خلال توضح حاله التي وصلت بـــه إلى عدم القدرة على تأمين الغذاءلأبنائه، ولعل بشار لجأ إلى هذا التوصيف لنفسه، ليعلـــي مـــن شأن الممدوحإذ لا احد من الناس إلا ويطلب عونه ويسأله المعونة، يقول:

لا يَحـــــــــدَبونَ عَلى مالٍ بِمَبخَلَةٍ إذا اللِئامُ عَلـــــــى أموالِهم حَدَبوا
لَولا فُضولُ سُلَيمـــــــــــانٍ وَنائِلُهُ لَم يَدرِ طالِبُ عُرفٍ أينَ يَنشَـــــعِبُ
يَنتابُهُ الأقرَبُ الســـــــــاعي بِذِمَّتِهِ إذا الزَمانُ كَبـــــا وَالخابِطُ الجُنُبُ
كَم مـــن يَتيمٍ ضَعيفِ الطَرفِ لَيسَ لَهُ إلّا تَناوُلُ كَفّـــــي ذي الغِنى أشَبُ
آخى لَهُ عَروُهُ الأثـــــــرى فَنالَ بِهِ رَواحَ آخَرَ مَـــــــعقودٍ لَهُ سَبَبُ
بِنائِلٍ سَبـــــــــــطٍ لا مَنَّ يُردِفُهُ إذا مَعاشِرُ مَنّوا الفَضلَ وَاِحتَسَـــبوا
يا اِبنَ الأكـــــــــارِمِ آباءً وَمَأثُرَةً مِنكَ الوَفـــــاءُ وَمِنكَ النائِلُ الرَغَبُ
في الحَيِّ لي دَردَقٌ شُعثٌ شَقيتُ بِهِـــم لا يَكسِبونَ وَما عِندي لَهُم نَشَـــبُ
عَزَّ المـــــَضاعُ عَلَيهِم بَعدَ وَجبَتِهِـــم فَما تَرى في أناسٍ عَيشُهُم وَجَـــبُ

يصور هذا المشهد كرم الممدوح إذ يفتتحه بإشارة إلى كرم آباء الممدوح وفضلهم، ثم يبين كرمه وعطاياه إذ هو المقصود بالسؤال من القريب والبعيد، وهو وحده المغيثللمعوزين،والكافـــل لليتيم يعطي فلا يمن، بينما الآخرون يتبعون عطائهم بالمن، ثم يختم القصيدة بالتـــذكير بكـــون الممدوح سليل كرماء ليطلب هو شخصياً العطاء من الممدوحنظراً لعوزه وفقره الشديد بحيث لم يعد قادراً على تأمين قوت أبنائه.

وفي هذا المشهد يتناص بشار بن برد تناصاً أدبيا معنوياً ولفظياً مع من سبقه من شعراء، كما يتناص دينياً مع القرآن الكريم بالمعنى.

– يقول بشار:

لَولا فُضولُ سُلَيمانٍ وَنائِلُهُ لَم يَدرِ طالِبُ عُرفٍ أينَ يَنشَعِبُ[1]

يوضح بشار أنه من غير أفضال وعطاء الأمير سليمان لما التأم كسر المحتاج شبهه بالقدح المشقوق.

يقول النابغة [2]:

لَولا الهُمامُ الَّذي تُرجى نَوافِلُهُ لَقالَ راكِبُها في عُصبَةٍ سيروا

يوضح النابغة أنه لولا وجود ممدوحه الكريم السخي الذي يطلب القادمونإليه عطاياه لقال قائد القافلة التي تبتغي العطاء سيروا فلا أعطيات لنا من دون وجود الممدوح الذي يقصده النابغة.

ويتناص بشار بن برد مع النابغة في اللفظ والمعنى من حيث إن العطاء وإغاثة الملهوف مقتصرة على ممدوحه ففي حال عدم وجوده لا أمل بنول الأعطيات، فالنابغة يقدم هذا المعنى من خلال مشهد لأناس قدموا يرجونالعطاء من الممدوح المتصف بالكرم والسخاء فإذا هم لم يجدوه رحلوا عن الديار وساروا مبتعدين عنها لإيمانهم بأنه وحده من يلبي لهم حاجاتهم، فيفيد بشار من هذا المعنى ثم يعيد صياغته مُطَّعماً إياه بتصوير فني يبين شدة حاجة طالب الأمير سليمان الذي إذا لم يكن موجوداً فإن هذا المعوز المشبه بالقدح المشقوق لن يجد من يصلح شقَّه في إشارة إلى استحالة وجود من يلبي مطالب الفقير في حال غياب الأمير سليمان، والصورة الفنية المقدَّمة لتوضيح هذا المعنى جاءت معبرة تعبيراً بليغاً عن الحال السيئة التي لن تجد من يحسنها إذا غاب الأمير سليمان.

– يقول بشار:

كَم مِن يَتيمٍ ضَعيفِ الطَرفِ لَيسَ لَهُ إلّا تَناوُلُ كَفَّي ذي الغِنى أشَبُ[3]

آخى لَهُ عَروُهُ الأثرى فَنالَ بِهِ رَواحَ آخَرَ مَعقودٍ لَهُ سَبَبُ

---

[1] ينشعب : يلتئم ، اللسان مادة شعب

2 ديوان النابغة الذبياني ص 50

[3] الاشب : الكسب ، اللسان أشب

يبين بشار فضل ممدوحه على الطبقة المعدمة من رعيته، وهي اليتامى موضِّحاً أن كثيراً منهم ممن لا نصيب لهم من كسب إلا التسول طلباً للرزق، مبيناً أنهم عزيزو نفس لا يتطلعون إلى الغنى يستحيون أن يطلبوه مالاً، فلم يجدوا ملجأ إلا الأمير سليمان الذي لبى سؤالهم إياه العطاء حتى آبوا بالثراء وكأنهم أصبحوا أشخاصا آخرين غير ما كانوا عليه من حاجه وفقر.

يقول كعب بن مالك [1]:

كَمْ مِنْ يَتيمٍ كانَ يجبُرُ عَظْمَهُ أمْسَى بمَنزِلِهِ الضَيَاعُ يَطُوفُ
فَرَّجْتَهَا عَنْهُ برحمِكَ بَعْدَمَا كَادَتْ وأيقنَ بَعْدَهَا بحُتُوفِ

يقول في رثاء عثمان بن عفان [2] مبيناً مكارمه على الايتام فقد كان لهم عوناً يفرج عنهم الشدة ويعطيهم فيكفيهم الحاجةبعد أن اشتد فقرهم وشارفوا على الموت جوعاً.

يتناص بشار بن برد أسلوبا ومعنىً مع كعب في توضيح فضل الممدوح على الايتام؛ فبشار يستخدم كم الخبرية لتوضيح الكم الهائل من الايتام الذين أنجدهم الأمير سليمان في قوله (كم من يتيم)، إلا أنه يعيد إنتاج معنى نجدة الأيتام وإنقاذهم من الفقر من خلال معنى مبتكر يُعّد رائداً له بجعله عطاء الأمير سليمان سبباً في إثراء اليتامى حتى تحوّلوا إلى أشخاص آخرين من حيث أن حالهم انقلبت بصورة تجعل منهم أشخاصا آخرين غير الذي كانوا عليه من فقر مدقع، أما كعب فكان قد قدم هذا المعنى بصورة إخبارية عما يلاقيه هؤلاء اليتامى من جوع شديد كاد يودي بحياتهم.

يقول جرير [3]:

كَم بالمَواسِمِ مِن شَعثاءَ أرمَلَةٍ وَمِن يَتيمٍ ضَعيفِ الصَوتِ وَالنَظَرِ
يَدعوكَ دَعوَةَ مَلهوفٍ كَأَنَّ بِهِ خَبلاً مِنَ الجِنِّ أو خَبلاً مِنَ النَشَرِ
فَإِن تَدَعهُم فَمَن يَرجونَ بَعدَكُمُ أو تُنجِ مِنها فقد أنجَيتَ مِن ضَرَرِ

يبين جرير أن ممدوحه هو الوحيد الذي يفرِّج عن الأرمل واليتامى ما يقاسونه من فقر وحاجة مبيناًأن ليس لهم رجاء في حال لم يغثهم.

---

1 ديوان كعب بن مالك تحقيق سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط.1، 1966، ص 239
2 انظر عن رثاء كعب لعثمان بن عفان رضي الله عنه، الأغاني ج 16 ص 241
3 ديوان جرير ص 415

يتناص بشار مع جرير بلاغياً من خلال كناية جرير في قوله (وَمِن يَتيمٍ ضَعيفِ الصَوتِ وَالنَظَرِ) عن استحيائه النظر إلى الناس يطلبهم حاجته وضعيف الصوت إذ لا يقدر من الحيـــاء وعزة نفسه أن يصرِّحبحاجته إليهم، فيقول بشار في المعنى ذاته(كم من يتيم ضعيف الطرف) مع تغيير الكلمة الدلالة على البصر لفظياً في قوله (الطرف).

التناص الديني:

يتناص بشار بن برد تناصاً قرآنياً مع آية قرآنية أفاد من معناها بعد أن هضمه وقدمه في أسلوب جديد يقول بشار:

بِنائِلِ سَبطٍ لا مَنَّ يُردِفُهُ إذا مَعاشِرُ مَنّوا الفَضلَ وَاِحتَسَبوا

يبين بشار أخلاق ممدوحه الذي لا يتبع عطاءه بالتمنن على الناس ومعـــايرتهم والتكبـــر عليهم فيما أعطاهم، في حين أن كثيرين يفعلون ذلك بتعداد عطاياهم والمبالغة في حسابها علـــى الناس، وهذا المعنى يستحضره بشار من الآية الكريمة في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلا هُـمْ يَحْزَنُونَ)[1] فبشار يستحضر هذه الآية التي يصف الله تعالى فيها عبادهالذين ينفقون أموالهم فـــي وجوه الخير دون أذى أو تمنّن على الناس يعدهم بالأجر والمغفرة، يستحضرهاجاعلا ممدوحـــه ممن بشرهم الله بالمغفرة والثواب، فنجده يقدمالمعنى في إطار مقارنة بين ممدوحه، وغيره مـــن الناس في عطائهم موحيا أن ممدوحه منصاع للتوجيه القرآني، وغيره ممن يعطون بهدف التمنن مخالفين للآية الكريمة، ومن حيث التوظيف لهذا المعنى نجده يعيد صياغة التركيب اللغوي فـــي قوله تعالى(ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى) من خلال نفي المن عن عطاء ممدوحه الذييبنعته بالسخاء في قوله (بِنائِلِ سَبطٍ لا مَنَّ يُردِفُهُ) أي لا يتبع المن عطاياه وهو معنى ً منسجم مع الآية موضع التناص.

– يقول بشار:

يا اِبنَ الأكارِمِ آباءً وَمَأثَرَةً مِنكَ الوَفاءُ وَمِنكَ النائِلُ الرَغَبُ

يختتم بشار القصيدة بالتأكيد على أن كرم الممدوح متوارث عن آبائه فهو سليلهم، ثم يثبت الكرم والعطاء للأمير سليمان بجعله منبعاً للكرم والعطاء والوفـــاء بـــالعهود بإنجـــاد وغـــوث المحتاجين

---

1 سورة البقرة آية 262

يقول: كثير عزة [1]:

يا اِبنَ الأكارمِ وَالمَحمودِ سَعيُهُمُ وَاِبنَ الذي عُوقِبَت في قتلِهِ العَرَبُ

يمتدح كثير عزة ممدوحهبآبائه الكرام الذين لم يضل سعيهممعرجاً على مقتل أبيه الذي كان موته عقاباً للعرب إذ بعده عز المدافع والمحامي عنهم.

يتناص بشار بن برد لفظياً مع كثير عزة في قوله (يا اِبنَ الأكارمِ وَالمَحمودِ سَعيُهُمُ) فيقول (يا اِبنَ الأكارمِ آباءً وَمَأثَرَةً) في دلالة على الكرم والعطاء المتوارث، في حين يقدم كُثَيِّر هذا اللفظ في سياق امتداح لسياسة آبائه والتحسر على موت أبي الممدوح، فكان الامتداح مقتصراً على الآباء، بينما يجعل بشار من مدح الآباء ونسبه الممدوح إليهم في ندائه له بـ(يا ابن الاكارم) مدخلاً لاثبات كرم الممدوح وأحقيتهبانتسابه إلى أباء كرام عطاياهم متوارثة، وهذا الأسلوب من إشراك الممدوح بمآثر و مفاخر آبائه اضطرد وروده في غير موضع في هذه القصيدة لتبيين استحقاق الممدوح بانتسابه إلى آباء في غاية الشجاعة والكرم.

وفي الختام نخلص القول إلى أن دراسة قصيدة بشار البائية في ضوء النظرية التناصية دراسة شاملة بينت أن بشارا يغرف من معين أصيل في إقامة حداثته الشعرية على صعيد اللغة والأسلوب والمعنى، فقد تمثل القصيدة الجاهلية المثال في غرض المدح فابتدأ قصيدته بمقدمه طللية، متحت من أمهات القصائد الجاهلية معانيها ودلالاتها، مضفيا صوره الخاصة التي ضارعت وأكسبت القصائد الغائبة في قصيدته رؤى وتصورات جديدة، وكذلك سار في تتبعه للمحبوبة الراحلة وتوصيف آلامه المترتبة على رحيلها،ثم انتقاله إلى مشهد الرحلة التي تجشمها بعدما ضاقت عليه الدنيا بما رحبت إلى أن وصل إلى أرض ممدوحه، ففي جميع هذه الموضوعات يتمثل بشار الشعر الجاهلي مظهرا براعة في توضيح المعاني والدلالات والصور المستدعاة منه إلى شعره.

كما راوح بين تأثره بالشعر الجاهلي، وباقي شعر العصور اللاحقة من عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فأفاد من أبرز شعراء هذين العصرين، وتمثل أساليبهم وما أضفوه من تجديد على القصيدة الجاهلية،وقد غلب على تناصه في هذه القصيدة التناص الأدبي الذي كان معنويا هو الغالب على مجمل التناصات التي تم توضيحها.

---

1 ديوان كِثير ص 271

وتجلت ثقافة بشار الدينية في إقامة معانيه ودلالاته استثمارا للنص القرآني الذي حضر بقوة في قصيدته من خلال معانيه الممتصة والمعاد توظيفها بما يعطي قوة وتكثيفا للدلالات المعنوية لغرض المدح عنده.

ثم ظهر أثر التاريخ الإسلامي جليا في قصيدته من خلال الاستدعاء المباشر لأسماء الأعلام و استدعاء أدوارهم التاريخية المشهورة لتدعيم مدحه لممدوحه بصفته سليل هذه الشخصيات.

وعليه فالدراسة التناصية الشاملة لقصيدة بشار بينت أثر التناص في إقامة البناء العام للقصائد، وأثرت عملية تفسيرها، وبينت أن التناص قديم قدم معرفة الإنسان للتواصل.

نص القصيدة

تَأبَّدَت بُرقةُ الروحـــــــاءِ فـاللبَبُ فالمـــُحدِثاتُ بحَوضى أهلُها ذَهَبوا
فأصبَحَت رَوضَةُ المكّـــــاءِ خالِيَـــةً فَماخِرُ الفـــَرع فالغَرّافُ فالكُثُـــبُ
فأجرَعُ الضَـــوع لا تُرعى مَسارحُهُ كُلُّ المـــَنازلِ مَبثـــوثٌ بها الكَـــأبُ
كَأنَّها بَعـــدَ ما جَـــــرَّ العَفـــاءُ بها ذَيلاً مـــِنَ الصَيفِ لَم يُمدَد لَهُ طُنُبُ
كانَت مَعايا مِنَ الأحـــــبابِ فَانقَلَبَت عَن عَهـــــــدِها بِهِمُ الأيّامُ فَانقَلَبوا
أقولُ إذ وَدَّعـــــــوا نَجداً وَساكِنَهُ وَحالَفوا غُـــربَةً بالدارِ فَاغتَرَبوا
لا غَروَ إلّا حَمامٌ في مَســـــاكِنِهِم تَدعو هَديلاً فَيَستـــَغري بِهِ الطَرَبُ
سَقياً لِمـــــَن ضَمَّ بَطنُ الخَيفِ إنَّهُمُ بانوا بِأسمـــــاءَ تِلكَ الهَمُّ وَالأرَبُ
أنِنُّ مِنـــــــها إلى الأدنى إذا ذُكِرَت كـــــــــَما يَئِنُّ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ
بجـــــارَةِ البَيتِ عِمُّ النَفسِ مُحتَضَرٌ إذا خَلَوتُ وَمـــــــاءُ العَينِ يَنسَكِبُ
أنسى عَزائـــــي وَلا أنسى تَذكُّرَها كَأنَّني مِن فُـــــؤادي بَعدَها حَرِبُ
لا تَسقِني الكَأسَ إن لَم أبغِ رُؤيَتَها بِالذاعِرِيَّةِ أثنيهـــــــــــا وَتَنسَلِبُ
تَطـــــوي الفَلاة بِتَبغيلٍ إذا جَعَلَت رُؤوسُ أعـــــــلامِها بِالآلِ تَعتَصِبُ
كَم دونَ أسمـــــاءَ مِن تيهٍ مُلَمِّعَةٍ وَمِن صَفاصِفَ مِنها القَهبُ وَالخَرِبُ
يَمشي النَعـــامُ بِها مَثنى وَمُجتَمِعاً كَأنَّها عُصَبٌ تَحدو بِها عُصَـــــبُ
لا يَغفَلُ القَلبُ عَن لَيلى وَقَد غَفَلَت عَمّا يُلاقـــــي شَجَ بِالحُبِّ مُغتَرِبُ
في كُلِّ يَومٍ لَهُ هَـــــــمٌّ يُطالِبُهُ عِندَ المُلوكِ فَلا يُزري بِهِ الطـــــلَبُ
يا سُعدَ إنّي عَدانـــي عَن زيارَتِكُم تَقاذُفُ الهَمِّ وَالمـــــــهرِيَّةُ النُجُبُ
في كُلِّ هَنّاقَةِ الأضـــواءِ موحِشَةٍ يَستَرِكِضُ الآلَ في مَجهولِها الحَدَبُ
كَأنَّ في جانِبَيهـــــا مِن تَغَوُّلِها بَيضاءُ تَحسِرُ أحيانـــــــــاً وَتَنتَقِبُ
جَرداءُ حَـــــرّاءُ مَخشِيٌّ مَتالِفُها جَشَّمتُها العيسَ وَالحِـــرباءُ مُنتَصِبُ
عَشراً وَعَشراً إلى عِشرينَ يَرقُبُها ظَهرٌ وَيَخفِضُـــــــها في بَطنِهِ صَبَبُ

لَم يَبقَ مِنها عَلـــى التَأويبِ ضائِعَةٌ ... وَرحلَةِ اللَيلِ إلّا الآلُ و َالعَـــــــصَبُ

وَرّادَةٌ كُلَّ طـــــامِي الجَمِّ عَرمَضُهُ ... في ظِلِّ عِقبـــــــــانِهِ مُستَأسِدٌ نَشِبُ

وَسَبعَةٌ مِن بَني البَطّـــــالِ قَيِّمُهُم ... رداؤُهُ اليـــــومَ فَوقَ الرجلِ يَضطَرِبُ

جَلَّيتُ عَن عَينِهِ بِالشِعرِ أنشـــــدُهُ ... حَتّى اِستَجابَ بـــــهِا وَالصُبحُ مُقتَرِبُ

قالَ النُعَيمِيُّ لَمـــــــــّا زاحَ باطِلُهُ ... وَاِفتَضَّ خاتَمَ ما يَجنـــــــي بِهِ التَعَبُ

ما أنتَ إن لَم تَكُن أيماً فَقد عَجِبَت ... مِنكَ الرِفاقُ وَلـــــي في فِعلِكِ العَجَبُ

تَهفو إلى الصَيدِ إن مَرَّت سَوانِحُهُ ... بِساقِطِ الـــريشِ لَم يُخلِف لَهُ الزَغَبُ

إن كُنتَ أصبَحتَ صَقراً لا جَناحَ لَهُ ... فَقَد تُهـــــــانُ بِكَ الكَروانُ وَالخَرَبُ

لِلَّهِ دَرُّكَ لَم تَسمـــــــــــو بِقادِمَةٍ ... أو يُنصِـــفُ الدَهرُ مَن يَلوي فَيَعتَقِبُ

إلى سُلَيمانَ راحَـــــت تَغتَدي حِزَقاً ... وَالخَيرُ مُتَّـــــــــبَعٌ وَالشَرُّ مُجتَنَبُ

تَزورُهُ مِن ذَوي الأحســـــابِ آونَةً ... وَخَيرُ مَن زُرتَ سُلـــــطانٌ لَهُ حَسَبُ

أغَرُّ أبلَجُ تَكفيـــــــــــنا مَشاهِدُهُ ... في القاعِدينَ وَفي الهَيـــجا إذا رَكِبوا

أمسى سُلَيمانُ مَرؤوماً نُطيفُ بِهِ ... كَما تُطيفُ بِبَيتِ القِبـــــــلَةِ العَرَبُ

تَرى عَلَيهِ جَـــــــلالاً مِن أبُوَّتِهِ ... وَنُصرَةً مِن يَدٍ تَـــــــــندى وَتُنتَهَبُ

يَبدو لَكَ الخَيرُ فيـــهِ حينَ تُبصِرُهُ ... كَما بَدا في ثَنايا الكـــــاعِبِ الشَنَبُ

في هامَةٍ مِن قُرَيشٍ يُحدِقونَ بِها ... تُجبى وَيُجبى إلَيها المِســـكُ وَالذَهَبُ

عالى سُلَيمانُ في عَليـــاءَ مُشرِفَةٍ ... سَيفٌ وَرُمـــــــحٌ وَآبـــاءٌ لَهُ نُجُبُ

يا نِعمَ مَن كانَ مِنهُم في مَحَـــلَّتِهِ ... وَكانَ يَشرَبُ بِالمـــاءِ الَّذي شَرِبوا

كانوا وَلا ديـــنَ إلّا السَيفُ مُلكُهُمُ ... راسٍ وَأيّامـــــــــــهُم عادِيَّةٌ غُلُبُ

تَطولُ أعمـــــــارُ قومٍ في أكُفِّهِمُ ... حيناً وَتَقصُرُ أحيـــــــاناً إذا غَضِبوا

العاقِدينَ المـــــــنايا في مُسَوَّمَةٍ ... تُزجى أوائِلُها الإيـــــجافُ وَالخَبَبُ

بيضٌ حِدادٌ وَأشـــــــرافٌ زَبانِيَةٌ ... يَغدو عَلى مَن يُعادي الوَيلُ وَالحَرَبُ

أقولُ لِلمُشـــــتَكي دَهراً أضَرَّ بِهِ ... فيهِ اِبتِذالٌ وَفي أنـــــــيابِهِ شُعَبُ

لا جارَ إلّا سُـــــليمانٌ وَأسرَتُهُ مِنَ العَدُوِّ وَمـــــــنِ دَهرٍ بِهِ نَكَبُ

إذا لَقيتَ أبا أيّوبَ في قـــــــعَدٍ أو غازياً فَوقـــَهُ الراياتُ تَضطَربُ

لاقيتَ دُقاعَ بَحرٍ لا يُضَعضِـــــــعُهُ لِلمُشـــــرعينَ عَلى أرجائِهِ شُرُبُ

فَاشرَب هَنيئاً وَذَيـــــلٍّ في صَنائِعِهِ وَاِنـــــــعَم فَإنَّ قُعودَ الناعِمِ اللَعِبُ

الهاشِمِيُّ اِبنُ داودٍ تَدارَكَنـــــــــا وَما لَنـــــــا عِندَهُ نُعمى وَلا نَسَبُ

أحيا لَنا العَيشَ حَتّى اِهتَزَّ ناضِـــرُهُ وَجارَنا فَانِـــــجَلَت عَنّا بِهِ الكُرَبُ

لَيثٌ لَدى الحَربِ يُذكيـــها وَيُخمِدُها وَلا تَرى مِثلَ مـــا يُعطي وَما يَهَبُ

صَعباً مـــــــــراراً وَتاراتٍ نُوافِقُهُ سَهلاً عَلـــَيهِ رواقُ المُلكِ وَاللَجِبُ

رَكّابُ هَولٍ وَأعـــــــوادٍ لِمَملَكَةٍ ضَرّابُ أسبـــــابِ هَمٍّ حينَ يَلتَهِبُ

ساقي الحَجيجِ أبوهُ الخَيـــرُ قد عَلِمَت عُليا قُرَيـــــشٍ لَهُ الغاياتُ وَالقَصَبُ

وافى حُنَيـــــــناً بِأسيافٍ وَمُقرَبَةٍ شُعثِ النَواصي بَراها القَودُ وَالخَبَبُ

يُعطي العِدى عَن رَسولِ اللَهِ مُهجَتَهُ حَتّى اِرتَدى زَينَها وَالسَيفُ مُختَضِبُ

وَكـــــــانَ داودُ طَوداً يُستَظَلُّ بِهِ وَفي عَلِيٍّ لِأعداءِ الهـــــُدى هَرَبُ

وَالفَضـــــلُ عِندَ اِبنِ عَبّاسٍ تُعَدُّ لَهُ في دَعوَةِ الديـــــنِ آثارٌ وَمُحتَسَبُ

قُل لِلمـــــــُباهي سُلَيماناً وَأسرَتَهُ هَيهاتَ لَـــيسَ كَعودِ النَبعَةِ الغَرَبُ

رَشِّح أباكَ لِأُخرى مِن صَنـــــائِعِهِ وَاِعرِف لِقَومٍ بِرَأسٍ دونَـــهُ أشَبُ

أبنـــــــاءُ أملاكِ مَن صَلّى لِقِبلَتِنا فَكُلُّهُم مَلِكٌ بالتـــــــاجِ مُعتَصِبُ

دَمُ النـــــــبِيِّ مَشوبٌ في دِمائِهِمُ كَما يُخـــــالِطُ ماءَ المُزنَةِ الضَرَبُ

لَو مُلِّكَ الشَـــمسَ قومٌ قَبلَهُم مَلَكوا شَمسَ النَهـــارِ وَبَدرَ اللَيلِ لا كَذِبُ

أعطـــــاهُمُ اللَهُ ما لَم يُعطِ غَيرَهُمُ فَهُم مُلـــــوكٌ لِأعداءِ النُهى رُكَبُ

لا يَحـــــــدَبونَ عَلى مالٍ بِمَبخَلَةٍ إذا اللِئامُ عَلـــــى أموالِهِم حَدَبوا

لَولا فُضولُ سُلَيمـــــــانٍ وَنائِلُهُ لَم يَدرِ طالِبُ عُرفٍ أينَ يَنشَـــعِبُ

يَنتابُهُ الأقرَبُ الســـــــاعي بِذِمَّتِهِ إذا الزَمانُ كَبـــــا وَالخابِطُ الجُنُبُ

كَم مــِن يَتيمٍ ضَعيفِ الطَرفِ لَيسَ لَهُ إلّا تَناوُلُ كَفّـــــَي ذي الغِنى أشَبُ

آخى لَهُ عَروُهُ الأثـــــــرى فَنالَ بِهِ رَواحَ آخَرَ مَـــــــــعقودٍ لَهُ سَبَبُ

بنائِلٍ سَبـــــــــــــــطٍ لا مَنَّ يُردِفُهُ إذا مَعاشِرُ مَنّوا الفَضلَ وَاِحتَسَــبوا

يا اِبنَ الأكـــــــــــــارِمِ آباءً وَمَأثَرَةً مِنكَ الوَفـــــاءُ وَمِنكَ النائِلُ الرَغَبُ

في الحَيِّ لي دَردَقٌ شُعثٌ شَقيتُ بِهِــم لا يَكسِبونَ وَما عِندي لَهُم نَشَــبُ

عَزَّ المـــــــَضاعُ عَلَيهِم بَعدَ وَجبَتِهِــم فَما تَرى في أُناسٍ عَيشُهُم وَجَــبُ

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة نظرية "التناص" من خلال تطبيقها على ديوان بشار بن برد فاستقر لدي الوعي بأهمية هذه النظرية من جهة كونها أسلوبا مغايرا لا يعدم الجدة في النظر إلى النصوص الأدبية، بالإضافة إلى أن تطبيقها على شاعر تراثي عريق في هذه الدراسة اثبت أن التناص موضوع أصيل يضرب في عمق تراثنا الأدبي، من حيث إنه قدر النصوص قديمها وحديثها؛ فقد توصلت من خلال تتبعي للتلاقحات التي أقامها بشار بن برد مع أشعار من سبقوه إلى أن شعرنا العربي أقام علاقات تقاطع مع بعضه بعضا بأخذ الشعراء اللاحقين عمن سبقوهم، وتحوير معانيهم واستدراجها إلى فضاءات دلالية جديدة، أغنت شعرية النصوص على صعيد المعنى والتركيب والبناء المضموني للقصيدة العربية.

فالتناص منهج يستغرق النص الأدبي كله بالنظر إليه كمجمع التقاءات وتقاطعات، باحثا عن الآلية التي تم من خلالها استقطاب هذه التلاقحات والوجوه التي خرجت إليها تناصيا.

و أظهرت الدراسة سعة اطلاع بشار بن برد على تراثه الشعري، كما أبرزت معرفة شاملة تكونت لديه بثقافة عصره وتاريخه الحضاري، كما بينت أن بشارا شاعر يتمثل نموذج الشعر ممثلا بجاهليته، بإعادة إنتاج المعنى في قصائده التي نسج فيها على منوال الجاهليين، فأظهر مهارة و وعيا تاما بضرورة إضفاء بصمته الشعرية الخاصة على ما يتقاطع معه من أشعارهم، ويتجلى هذا الاطلاع المعمق في الشعر الجاهلي من خلال أن أكثر النماذج التناصية في شعره كانت مع الشعراء الجاهليين .

وهكذا سار في إقامة علاقات في نصوصه الشعرية مع شعراء عصر صدر الإسلام الذين كانوا أقل من عقد مع أشعارهم تلاقحات؛ ففي النماذج التي تمت دراستها في هذا العصر كان حريصا على توجيه معانيه ودلالاته بما يثري النصوص الممتصة في شعره، وكان الشعر الأموي معينا خصبا لصقل أغراضه الشعرية فمتح منه ما يعزز من سبك مقوله الشعري، مضيفا الجديد والمبتكر عليه، فتنوعت تقاطعاته مع شعراء العصر الأموي بتنوع أغراض بشار الشعرية، بعدما اتضحت منهجيا في هذا العصر وبرز فيه شعراء يختصون بأغراض بعينها، فغلب على تناصاته فيه التناص مع غرض الغزل والمدح والهجاء، عند رواده من الشعراء، فاستطاع تصيير النصوص الغائبة في شعره إلى معان وأساليب ولغة غاية في الجدة بصفته رائد الحداثة الشعرية العربية.

وفي تقاطعه مع النصوص الدينية، كان يتمثل النص الديني مدركا مكانته وقوة تأثيره في النصوص التي يستدعى إليها، ففتح نصه الشعري على القران الكريم من حيث المعنى والتركيب، وكانت اغلب تناصاته القرآنية تناصات أحسن توظيفها دون إقحام أو تزيد في المعنى، فغلب على تناصه مع القران الكريم التناص الامتصاصي، من حيث هضم المعنى القرآني وإعادة إنتاجه هيكليا، وقلت تناصاته الاقتباسية معه.

وفي تناصه مع الأحاديث النبوية الشريفة أظهر ثقافة دينية واسعة بالاطلاع على سُنّة المصطفى عليه السلام القولية وفهم مظانّها وتوجيهاتها، فأكثر من الإشارة إلى مضامينها في شعره.

وفي تناصه التاريخي اظهر فهما لحوادث التاريخ والأشخاص الفاعلين فيه بصورته العربية القديمة والعالمية معا، فوظف الأحداث توظيفا يعطي النص المستدعى حيوية وقابلية للتأويل دون طمس دلالته الأصيلة، كما أكثر من استدعاء الشخصيات التاريخية، من خلال الإشارة إلى الدور الذي اشتهرت به، خدمة للغرض الشعري الذي استدعيت في سياقه.

وكانت الأمثال العربية حاضرة في شعره، يتمثلها في معاينه ودلالاته التي تقتضيها، مما يعطيها أبعادا جديدة ويبث الحياة فيها.

وبعد إنهاء هذه الدراسة أستطيع القول مطمئنا إن التناص منهج يثري النصوص ويعمل على تجاوز القصور في فهمها، بتأبيد معانيها، من خلال دراستها دراسة شاملة بينت مواطن الالتقاء فيها مع الأقوال والنصوص السابقة، فتتعدد المعاني المتولدة عنها، وتتسع دائرة فهمها، سيما في تطبيقها على نصوص تراثنا الأدبي، لإعادة قراءتها قراءة معاصرة تضمن صيرورة معانيها ودلالاتها والآفاق التأويلية التي تخرج إليها، وتسد نقصا كبيرا في مكتبتنا النقدية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1) ادونيس منتحلا كاظم جهاد، مكتبة مدبولي، القاهرة ط.2 1993.

2) أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري،دار الفكر،بيروت، لبنان ط.1، 2004.

3) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، صححه محمد رشيد رضا، دار الفكر.

4) الأشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرين، الخالديان، تحقيق السيد محمد يوسف، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ــ 1958.

5) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت ط.1، 1412

6) أصول الخطاب النقدي الجديد مجموعة مؤلفين، ترجمة وتقديم احمد المديني، دار الشؤون الثقافية العاملة، بغداد، العراق ط،1 1987

7) اعتلال القلوب، الخرائطي تحقيق: حمدي الدمرداش،مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة،ط.2،2000م.

8) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الزركلي، دار العلم للملايين ط.15، 2002 م.

9) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر،دار الفكر– بيروت، ط.2.

10) الأفراد،الدار قطني، تحقيق: جابر بن عبد الله السريع،ط.2012،1 م

11) أمالي المرتضى،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،ط. 1، 1954

12) الأمالي لأبي علي القالي،مع شذور الأمالي و النوادر، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية،ط.2، 1926م.

13) الأمثال،أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي تحقيق: عبد المجيد قطامش،دار المأمون للتراث ط.1، 1980 م.

14) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَـاذُري،تحقيق: سـهيل أزكـار وآخر،دار الفكر – بيروت ط.1 1996 م.

15) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ط1 1989.

16) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكـم، المدينـة المنورة، المملكة العربية السعودية ط.5، 2003م.

17) بدائع البدائهابن ظافر الازدي، ضبطه وصححه مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 2007م.

18) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، تحقيق علي شـيري،دار إحياء التراث العربي،ط.1، 1988 م.

19) البديع،أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن منقـذ، تحقيـق: الدكتور أحمد أحمد بدوي وآخر، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإمارات.

20) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – عبد المتعـال الـصعيدي، مكتبـة الآداب،ط 17، 1426هـ–2005م.

21) بلاغة الخطاب وعلم النص د. صلاح فضل سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والادابالكويت عدد 164 اغسطس 1992.

22) البيان و التبيين أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي دار صعب – بيروت، ط.1، 1968.

23) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبـد الـرزّاق الحـسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي،تحقيق مجموعة من المحققين،دار الهداية.

24) تاريخ ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت،ط.2، 1988 م

25) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، شوقي ضيف مكتبة المعارف،القاهرة.

26) تاريخ الأمم والرسل والملوك،محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتـب العلميـة، بيروت،ط.1، 1407.

27) تاريخ الإسلام، محمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي،بيروت،ط.1، 1987م.

28) تاريخ النقد الأدبي إحسان عباس دار الشروق، ط.1،الإصدار الرابع، 2006.

29) تاريخ دمشق، ابن عساكر تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر،بيروت،ط.1، 1995 م

30) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط.12000م

31) تحليل الخطاب الشعري " إستراتيجية التناص "، محمد مفتاحالمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط. 3. 1992

32) تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة

33) تدور على غير أسمائها، نظرة في شعر بشار، حسين الواد، دار الجنوب، تونس ط.1

34) التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، أبو المعالي،دار صادر، بيروت ط.1، 1417 هـ

35) التشبيهات لابن أبي عون عني بتحقيقه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبرج

36) التشكيل الجمالي في شعر بشار بن برد، عبدالكريم صالح الحبيب، أطروحة دكتوراة في الادب العربي،جامعة البعث، 2007 /2008

37) التضمين في التراث النقدي والبلاغي، ربا الرباعي، رسالة ماجستير جامعة اليرموك، اربد الأردن 1997،

38) التفاعل النصي، التناصية، النظرية والمنهج، نهلة فيصل الاحمد، كتاب الرياض العدد 104 مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض يوليو 2002

39) تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، قدم له وعلق عليه محمد كريم راجح،دار القلم بيروت لبنان.

40) تفسير الفخر الرازي،: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربي

41) التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض، نبيل علي حسنين، كنوز المعرفة،ط1،2010،

42) التناص في الخطاب النقدي والبلاغي د. عبد القادر بقشى، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007

43) التناص في شعر أبي العلاء المعري، إبراهيم الدهون، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن 2011

44) التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث، موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد ط.1 2000 م،

45) التناص نظريا وتطبيقيا احمد الزعبي مؤسسة عمون للنشر، عمان، الاردن شباط 2000.

46) تهذيب اللغة، ابو منصور الازهري، تحقيق عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط.1964 /1967.

47) التيجان في ملوك حمير، لابن هشام، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء ط.1، 1347 هـ

48) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي مؤسسة الرسالة،بيروت، ط.1،2002

49) ثمار القلوب، أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة ط.1، 1965

50) ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار الجيل، بيروت ط.3 1997

51) جامع الأصول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني،دمشق،ط.1،1972.

52) جامع الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط.1

53) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي،حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور ماهر ياسين الفحل

54) الجليس الصالح الكافي لابي الفرج المعافى النهرواني، تحقيق إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت،ط.1، 1987

55) جماليات التناص في شعر عقاب بلخير، سارة زاوي، ماجستير، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، الجزائر 2008

56) جمع الجواهر في الملح والنوادر، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت ط.2 1987

57) جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط.1، 1987.

58) جمهرة الأمثال،أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيموآخر، دار الفكر، ط.2، 1988

59) جمهرة أنساب العرب،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان –ط.3،1424 هـ – 2003 م

60) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني،دار السعادة – القاهرة،ط.1، 1974م

61) حماسة القرشي، القرشي الجبعي، تحقيق خير الدين قبلاوي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا 1995

62) الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي، منشورات محمد الداية، بيروت ط.3 1969

63) خاص الخاص،أبو منصور الثعالبي، تحقيق: حسن الأمين دار مكتبة الحياة – بيروت / لبنان.

64) خزانة الأدب،عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط.4، 1997 م.

65) الخطاب الروائي،ميخائيل باختين، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة ط1 1987.

66) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله الغذامي، الهيئة المصرية للكتاب، ط4 1998.

67) دراسات في النص والتناصية،مجموعة مؤلفين، ترجمة محمد خير البقاعي مركز الانماء الحضاري حلب ط.1 1998.

68) درس السيمولوجيا،رولان بارت ترجمة عبد السلام بن عبد العالي دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،ط3 1993.

69) دلائل الاعجاز، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د.محمد التنجي دار الكتاب العربي – بيروت ط.1،1995

70) دليل القارئ إلى النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن دار الفكر للدراسات، القاهرةترجمة جابر عصفور، 1990 م

71) دليل الناقد الأدبي، سعد البازعي، ميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت،ط2 2000م

72) الدولة الأمويَّة، عَليالصَّلاَّبي، دار المعرفة، بيروت ط.2، 2008 م

73) ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية، بيروت ط. 3،1996

74) ديوان ابن الدمينة، قام بشرحه وضبطه، محمد الهاشمي البغدادي، مطبعة المنار، مصر، ط. 1،

75) ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، ط.1، 1995.

76) ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 1994

77) ديوان الأقيشر الاسدي، صنعة محمد علي دقة، دار صادر، بيروت لبنان، ط. 1997،

78) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت لبنان

79) ديوان الخنساء دراسة وتحقيق إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر ط.1، 1985

80) ديوان الشنفرى جمع وتحقيق وشرح إميل يعقوب دار الكتاب العربي بيروت، ط.2 1996

81) ديوان الطرماح، عني بتحقيقه عزة علي، دار الشرق العربي، بيروت،ط.2، 1994

82) ديوان العباس بن مرداس السلمي،جمع وتحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط.1 ء، 1991

83) ديوان العرجيجمع وتحقيق سجيع الجبيلي، دار صادر، بيروت، لبنان ط.1 1998

84) ديوان الفرزدق،ضبط وشرح ايليا حاوي،دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط1، 1983

85) ديوان القتال الكلابي، حققه وقدم له إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ط.1 1989

86) ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت ط.1، 2000،

87) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، دار الجيل،بيروت

88) ديوان النابغة الذبياني،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرةط.3

89) ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت ط.1، 2000

90) ديوان الهذليين، الدار القومية، القاهرة نسخة مصورة من طبعة دار الكتب ط.1 1965

91) ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، القاهرة، ط.5.

92) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، شرح وتقديم سوهام المصري، المكتب الإسلامي ط.1 1998،

93) ديوان أمية بن أبي الصلت جمعه وحققه سجيع الجبيلي،دار صادر، بيروت ط.1، 1998

94) ديوان بشار بن برد، نشر وتقديم وشرح محمد الطاهر ابن عاشور،الشركة التونسية للتوزيع1976

95) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ت:نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ط. 3

96) ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت لبنان، 1981

97) ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه وليد عرفات، دار صادر، بيروت،ط.1، 2006

98) ديوان حميد بن ثورجمع و تحقيق محمد شفيق البيطار،المجلس الوطني للثقافة الكويت،السلسلة التراثية 23

99) ديوان خداش بن زهير العامري، صنعة يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986

100) ديوان دريد بن الصمة تحقيق عمر عبد الرسول دار المعارف،مصرسلسلة ذخائر العرب رقم 59.

101) ديوان ذي الرمة، شرح الباهلي،تحقيق عبدالقدوس أبو صالح،مؤسسة الايمان، بيروت، لبنان، ط.2، 1982.

102) ديوان زهير بن أبي سلمى،شرح أبي العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط.3، 2008

103) ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدم له عليحسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 1،1988.

104) ديوان زهير بن جناب الكلبي،صنعة محمد شفيق البيطار، دار صادر بيروت،ط.1، 1999

105) ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، جمع وتحقيق شاكر العاشور، ط.1،1972

106) ديوان شعر المثقب العبدي، عني بتحقيقه وشرحه حسن كامل صيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، 1971

107) ديوان شعر المتلمس الضبعي،عني بتحقيقه وشرحه حسن كامل الصيرفي، منشورات معهد المخطوطات العربية،جامعة الدول العربية،1970

108) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط3، 2002 م

109) ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط.1، 1997

110) ديوان طهمان الكلابي تحقيق محمد جبار المعيبد، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1968

111) ديوان عبيد بن الأبرص، شرح اشرف عدره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1994،

112) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت

113) ديوان عدي بن الرقاع،جمع وشرح حسن نور الدين دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط.1، 1990،

114) ديوان عروة بن حزام، جمع وتحقيق أنطوان القوال، دار الجيل، بيروت لبنان، ط.1، 1995،

115) ديوان عمر بن أبي ربيعة،قدم له ووضع هوامشه فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط. 2، 1996،

116) ديوان عمرو بن كلثوم جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي، بيروت ط.1، 1991م

117) ديوان عنترة بن شداد " شرح التبريزي " قدم له مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت ط.1، 1992م

118) ديوان قيس بن ذريح اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت لبنان، ط.2، 2004

119) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت،

120) ديوان مجنون ليلى شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت ط.1 1992،

121) ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1971م

122) ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة مفيد قميحة،دار الشواف، الرياض، السعودية، ط.1، 1989

123) ديوان كعب بن مالك، تحقيق سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط.1، 1966

124) ديوان لبيد، شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه د. حنا نصر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1993

125) ديوان نابغة بني شيبان، دار الكتب المصرية،القاهرة، 1932،ط.1

126) روح المعاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت،

127) زاد المعاد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،تحقيق: شعيب الارنؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط.27،1994م

128) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: يوسف على طويل دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ط.1، 1417 هـ – 1997م

129) زهر ألاكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1

130) سلسلة الأحاديث الصحيحة،محمد ناصر الدين الالباني مكتبة المعارف، الرياض ط.1،1996 م

131) سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني،دار المعارف،الرياض،ط.1، 1992 م

132) سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) محمد بن إسحاق بن يسار،تحقيق محمد حميد الله نشر، معهد الدراسات والأبحاث.

133) السيرة النبوية لابن كثير تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ط.1، 1971 م

134) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وآخران،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.2، – 1955 م

135) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يمـــوت، المكتبـــة الأهليـــة،بيروت،ط.1، 1934،

136) شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد، مؤسسة الريان،بيروت، ط.6، 2003 م

137) شرح المعلقات السبع للزوزني، تقديم عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيـــروت، ط.2،2004

138) شرح المفضليات،ابن الانباري، تحقيق كارلوس يعقوب، مطبعـــة الآبـــاء اليـــسوعيين، بيروت 1920

139) شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني،تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط.2003

140) شعر الأحوص الأنصاري، جمع عادل جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 2، 1990

141) شعر الخوارج، جمع إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ط.3، 1974

142) شعر النعمان بن بشير الأنصاري حققه وقدم له يحيى الجبوري، دار القلم بيـــروت ط1 1985

143) شعر ثابت قطنة العتكي، جمع وتحقيق ماجد السامرائي، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، سلسلة كتب التراث 13،

144) شعر عبد الله بن الزبعري، جمـــع وتحقيـــق يحيـــى الجبـــوري، مؤســـسة الرســـالة، بيروت،ط.2، 1981

145) شعر عبد الله بن همام السلولي، جمع وتحقيق وليد السراقبي، مطبوعـــات مركزجمعـــة الماجد، دبي ط.1، 1996

146) شعر عبدة بن الطبيب، جمع يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد 1971

147) شعر نصيب بن رباح،جمع وتقديم داوود سلام،مكتبة الارشاد،بغداد، العراق،1967

148) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق احمد شاكر دار المعارف القاهرة ط.2 1967.

149) شعرية ديستويفسكي،ميخائيل باختين،ترجمةجميل نصيف التكريتي، دار تويقـــال الـــدار البيضاء، دار الشؤونالثقافية العامة بغداد ط1 1986

150) الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية.إسماعيل بن حماد الجوهري،دار العلم للملايين- بيروت.ط.4 1990.

151) صحيح البخاري " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: محمد الناصر،دار طوق النجاة، بيروت (مصورة عن السلطانية) ط.1، 1422هـ

152) صحيح الجامع،محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،بيروت، ط.3، 1988م (رقم 3714).

153) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط.1

154) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تحقيق: علي محمد البجاوي وآخر، المكتبة العنصرية – بيروت، 1419 هـ

155) الصورة الفنية في شعر زهير،عبد القادر الرباعي، دار العلوم، الرياض،ط.1.

156) الصورة في شعر بشار بن برد،عبد الفتاح صالح نافع،دار الفكر، عمان 1983م

157) الطبقات الكبرى،محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، تحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط،1،1968

158) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة-.

159) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، محمد بنيس،دار العودة، بيروت 1979ط.1

160) عتبات، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ط1 2001 م

161) عشرة شعراء مقلون صنعة حاتم الضامن، نشر جامعة بغداد 1990،

162) العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت ط.1، 1404 هـ

163) العلل المتناهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي،تحقيق: خليل الميس،دار الكتب العلمية – بيروت،ط.1، 1403هـ

164) علم التناص المقارن، عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006

165) علم النص، جوليا كراستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدر البيضاء ط2 1997

166) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي،تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل ط.5، 1981

167) العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

168) غريب الحديث " عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد ط.1،1397

169) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقق: عبد العزيزابن باز وآخر، دار الفكر، بيروت (مصور عن الطبعة السلفية)

170) فحولة الشعراء للأصمعي، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة 2009م

171) الفرق بين الفرق – عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط.2، 1977

172) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال"، أبو عبيد البكري تحقيق: د.إحسان عباس وآخر، مؤسسة الرسالة – بيروت ط.3، 1983

173) الفكر البري، كلود لبفي شتراوس، ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ط. 3، 2007

174) الفهرست،محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم،تحقيق إبراهيم رمضان،دار المعرفة، بيروت – ط.2، 1997

175) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني، المكتب الإسلامي – بيروت ط.3، 1407

176) قراءات فيالأدب والنقد، شجاع مسلم العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999،

177) قصة الحضارة لويليام جيمس ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين،دار الجيل، بيروت ط.1 1988 م

178) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995

179) الكامل في التاريخ لابن الأثير تحقيق: عبد الله القاضي دار الكتب العلمية،بيروت، ط1415،2هـ

180) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي،القاهرة ط.3 – 1997 م

181) الكتابة بيدين، عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2009

182) الكتابة والتناص في الرواية العربية، الحبيب الدائم ربي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط. ط، 1، 2004م

183) الكشكول، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط.1، 1998م ـ

184) الكلمة في الرواية ميخائيل باختين، ترجمة يوسف حلاف،منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق،ط.1،1988.

185) اللآلي في شرح أمالي القالي،عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري تحقيق: عبد العزيز الميمني،دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1417هـ –،ط.1، 1997

186) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،دار صادر – بيروت ط.1

187) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للآمدي، صححه وعلق عليه ف.كرنكو،دار الجيل، بيروت،ط.1، 1991،

188) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبي الفتح ابن الأثير، محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت، 1995

189) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت

190) مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بترتيبه وتصحيحه وليم بن الورد،مصورة دار ابن قتيبة، الكويت،

191) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)،محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق محمد عيون،دار الكتب العلمية، بيروت،ط.1، 1418،

192) المحاسن والأضداد، الجاحظ، مكتبة الخانجي – القاهرة / مصر ط.2 –1994م.

193) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ط.1، 1420 هـ

194) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري بن احمد الرفاء، تحقيق مصباح غلاونجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1986

195) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – لبنان –1993م ط.1

196) المحكم والمحيط الاعظم، ابن سيده الاندلسي، تحقيق مصطفى السقا واخرون، نشرة معهد المخطوطات العربية،ط.2، 2003.

197) المحيط في اللغة، كافي الكفاة الصاحب اسماعيل بن عباد، تحقيق محمد حسن ال ياسين، مطبعة المعارف، بغداد،ط.1، 1975 م.

198) المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين، شرح ابي الطاهر إسماعيل التجيبي البرقي، اعتنى به محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد، مصر

199) مختصر في أخبار البشر – أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي،المطبعة الحسينية المصريةط.1

200) مدخل لجامع النص، جيرار جنيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار توبقال للنشر الدر البيضاء، ط. 2، 1986 م،

201) المستطرف في كل فن مستظرف،شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق:د.مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية – بيروت،ط.2، 1986

202) المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية – بيروت ط.2، 1987

203) مسند الإمام أحمد ابن حنبلتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط.1، 2001 م

204) مسند البزار،تحقيق: عادل بن سعد وآخرون، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة،ط.1، 1988م

205) مسند الطيالسي تحقيق:محمد التركي، هجر للطباعة والنشر،ط.1، 1999 م

206) المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عنانيالشركة المصرية العالمية للنشر لو كجمان، مصر ط 3، 2003

207) معالم التنزيل، أبو محمدالبغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة للنشر والتوزيع ط. 4، 1997 م

208) المعاني الكبير،عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنانط.1984،1

209) معاهد التصيص، لأبي الفتح العباسي تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب – بيروت.

210) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وآخر، دار الحرمين – القاهرة،ط.1، 1415هـ

211) معجم الشعراء للمرزباني. تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط.2، – 1982 م

212) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،البكري، تحقيق: مصطفى السقا،عالم الكتب، بيروت ط.3، 1403

213) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،د.جواد علي،دار الساقي،ط.4، 2001م،

214) المفضليات،المفضل الضبي،تحقيق احمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف ط.6.

215) الملك الضليل امرؤ القيس، محمد فريد أبو حديد.دار المعارف، القاهرة، 1966

216) الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، 1404

217) من إشكاليات النقد العربي الجديد، شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997،

218) منتهى الطلب من أشعار العرب، جمع محمد بن المبارك بن ميمون، تحقيق محمد نبيل طريف دار صادر، بيروت، ط.1، 1999،

219) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط. 2،

220) الموازنة، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف – ط.4

221) الموضوعات، أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزي، دار الكتب العلمية ط.1

222) الموطأ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – مصر ط.1

223) ميخائيلباختين المبدأ الحواري، تزتفان تودروفترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط. 2 1996م

224) نثر الدر، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظدار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ط.1، 2004 م

225) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

226) النصف الأول من كتاب الزهرة لأبي بكر الأصفهاني، اعتنى بنشره لويس البوهيمي، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت 1932

227) نظرية الأدب، تيري ايجلتون ترجمة ثائر ديب منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق 1995 م

228) نظرية التناص في النقد العربي القديم، فاطمة البريكي، رسالة دكتوراة الجامعة الأردنية 2003

229) نظرية المنهج الشكلانينصوص الشكلانيين الروس، مجموعة مؤلفين، ترجمة إبـــراهيم الخطيب مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت، لبنان الشركة الغربية للناشرين المتحـــدين الربـــاط، المغرب ط. 1 1982 م

230) نهاية الأرب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري يحيى الـــشامي، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ط. 1، 2004

231) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري تحقيق: طـــاهر أحمـــد الـــزاوي وآخر، المكتبة العلمية – بيروت،– 1979م

232) نور القبس المختصر من المقتبس، الحافظ اليغموري، عني بتحقيقه ردلف زلهـــايم، دار النشر فرانتس شتايز بقيسبادن 1964 م

233) وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيـــق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.

المجـــلات

234) البنيويةمن أين والى أين، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول القاهرةمج 1ع 2 يناير 1981م،

235) التناص الواعي شكوله وأشكاله، فاروق عبد الحكيم دربانه مجلة فصول عدد63 ،2004

236) التناص في شعر أبي تمام قصيدة" الحق أبلج "نموذجا، حكمت النوايسة، مجلة الموقـــف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب دمشق عدد431 ، آذار2007

237) التناص وإنتاجية المعنى، حميد الحمداني .مجلة علامات في النقد الادبـــي.مـــج10 ،ج 39 النادي الادبي الثقافي جدة ذو القعدة1421

238) التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب، د. خليل الموســـى، مجلـــة الآداب العالمية اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد143 ، 2010

239) ديوان شعر الحادرة، حققه وعلق عليه ناصر الين الأسد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 15 ج2

240) ديوان مالك بن الريب، تحقيق نوري القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج15 ،

241) شعر القحيف العقيلي جمع حاتم الضامن مجلة المجمع العلمي العراقي ج 3، مج 37 ذو الحجة 1406،1986

242) القارئ سلطة ام تسلط د، الطاهر الهمامي، مجلة الموقف الادبي العدد330 :،1998

243) مسالة النص، ميخائيل باختين، ترجمة محمد علي مخلد، الفكر العربي المعاصر ع 361985،

244) مفهوم التناص بين الأصل والامتداد، بشير قمري، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60 – 61

245) مفهوم التناص في الخطاب النقدي المعاصر، عزيز تومامجلة الرافد، العدد 31 الشارقةمارس 2000م

246) من التناص إلى الاطراس، جيرار جنيت، ترجمة المختار حسني، مجلة علاماتمج 7 ج. 25، جمادى الأولى 1418 هـ سبتمر 1997م

247) نظرية النتاص، ب. مدويازي، ترجمة المختار حسني، مجلة فكر ونقد

248) نظرية النص، رولان بارت ترجمة منجي الشملي وآخرون،حوليات الجامعة التونسية، كلية الاداب، جامعة تونس العدد27 ، 1988 م،